



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (عليه السلام)

كاتب:

محمد تقى شوشترى (تسترى)

نشرت فى الطباعة:

دار بيروت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (ع): المجلد ٧
٨	اشاره
٨	اشاره
١٠	الفصل السادس: عشر فى أذعته عليه السلام
١٠	١
١٣	٢
٢٢	٣
٢٤	٤
٢٩	٥
٣٤	٦
٣٨	٧
٤٢	٨
٤٩	٩
٥٤	الفصل السابع عشر: فى وصفه عليه السلام لعجائب خلقه تعالى
٥٤	اشاره
٥٤	١
٦٧	٢
٩٧	٣
١٥٨	الفصل الثامن عشر: فى العلوم مذمومها و ممدوحها
١٥٨	اشاره
١٦٠	١
٢٠٨	٢
٣٠٥	٣

٣٣٣	٤
٣٣٧	٥
٣٤٠	٦
٣٤٠	٧
٣٤١	٨
٣٤٢	٩
٣٤٥	١٠
٣٤٦	١١
٣٤٧	١٢
٣٧٣	١٣
٣٧٤	١٤
٣٧٨	١٥
٣٨٤	١٦
٣٩١	١٧
٣٩٧	١٨
٣٩٩	١٩
٤٠١	٢٠
٤٠٢	٢١
٤٠٣	٢٢
٤٠٤	٢٣
٤٠٥	٢٤
٤٠٩	٢٥
٤١٢	الفصل التاسع عشر: فيما ارشد الثاني في مصالح الاسلام
٤١٢	اشاره
٤١٤	١
٤٢٧	٢

٤٣٦	الفصل العشرون: في حبه و بغضه عليه السلام
٤٣٦	اشاره
٤٣٨	١
٤٥٠	٢
٤٧٠	الفصل الحادي و العشرون: في شجاعته عليه السلام و مهابته و مناعته
٤٧٠	اشاره
٤٧٢	١
٤٩٥	٢
٥٠٢	٣
٥٠٦	٤
٥١٢	الفصل الثاني و العشرون: في أوليائه عليه السلام و أعدائه
٥١٢	اشاره
٥١٤	١
٥٢٠	٢
٥٢٩	٣
٥٥٦	٤
٥٦٦	٥
٥٩٢	٦
٥٩٨	٧
٦٠٢	٨
٦٠٦	٩
٦١٠	١٠
٦١٨	١١
٦٢٢	١٢
٦٢٧	فهرس المطالب
٦٣٢	تعريف مركز

بہج الصباغہ فی شرح نہج البلاغہ علی بن ابی طالب (ع): المجلد ۷

اشارہ

سرشناسہ: شوشتری ، محمد تقی ، ۱۳۷۴ - ۱۲۸۲

عنوان و نام پدید آور: بہج الصباغہ فی شرح نہج البلاغہ [علی بن ابی طالب (ع)] / المصنف محمد تقی التستری

مشخصات نشر: دار امیر کبیر للنشر - بیروت - لبنان - ۱۳۷۶.

وضعیت فہرست نویسی: فہرست نویسی قبلی

عنوان دیگر: نہج البلاغہ

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از ہجرت - ۴۰ ق. نہج البلاغہ -- نقد و تفسیر

شناسہ افزودہ: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از ہجرت - ۴۰ ق. نہج البلاغہ . شرح

ردہ بندی کنگرہ: BP۳۸/۰۲ / ش ۹

ردہ بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شمارہ کتابشناسی ملی: م ۷۲-۸۰۹

ص: ۱

اشارہ

بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه [على بن ابى طالب (ع)]

المصنف محمد تقى التسترى

ص: ٢

الخطبه (١٧٦)

و من كلمات كان يدعو بها:

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي - فَإِنْ عُدْتُ فَعِيدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ - اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي -
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي - ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ - وَ سَيَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ وَ شَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَ
هَفَوَاتِ اللِّسَانِ قول المصنف : «من كلمات كان يدعو بها» هكذا في (المصريه) بلا زياده، و الصواب: زياده عليه السَّلام بعده كما
في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (١).

و كيف كان، ففي (الكافي) عن علي بن النعمان رفعه أنه عليه السَّلام كان إذا صعد الصَّيفاً استقبل الكعبه، ثم رفع يديه ثم
يقول: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ

ص: ٣

(١ - ١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧٦: ٦ [١] لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢١٣ [٢] نحو المصريه.

أذنبته قطّ، فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة، فإنك أنت الغفور الرحيم. اللهم افعل بي ما أنت أهله، فإنك إن تفعل بي ما أنت أهله ترحمني، وإن تعذبنى فأنت غنى عن عذابي، وأنا محتاج إلى رحمتك، فيا من أنا محتاج إلى رحمة ارحمني.

اللهم لا تفعل بي ما أنا أهله، فإنك إن تفعل بي ما أنا أهله تعذبنى، ولن تظلمنى، أصبحت أتقى عدلك و لا أخاف جورك، فيا من هو عدل لا يجور ارحمنى (١).

و نقل ابن أبي الحديد من أدعيه الصحيفة خمسة: الأول: «يا من يرحم من لا يرحمه العباد» والثاني: «اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون» والثالث: «يا ذا الملك المتأبد بالخلود» والرابع: «اللهم إنى أعوذ بك من هيجان الحرص» والخامس: «الحمد لله بكل ما حمده أدنى ملائكته إليه». ثم قال: إنها من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يدعو بها على بن الحسين عليه السلام فى أدعيه الصحيفة (٢).

قلت: إن كلمات عترته عليه السلام و علومهم و إن كانت من كلماته عليه السلام و علومه، إلا أن أدعيه الصحيفة السجادية من إنشاء السجّاد نفسه، و عليه أطبقت الإماميّة سلفا و خلفا، و إنما نقل كل من البحرانى و النورى صحيفه من أدعيته عليه السلام بالأسانيد - كما إن على بن طاوس عقد فى (مهجه) بابا لدعواته عليه السلام كذلك.

قوله عليه السلام «اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به منى» هو تعالى أعلم بذنب عبده حيث أن العبد قد لا يرى بعض الامور ذنبا مع أنه عنده تعالى ذنب، بل أعظم ذنب، كما أن العبد ينسى كثيرا من ذنوبه و هو تعالى لا ينسى منها شيئا أصلا .

«فإن عدت فعد عليّ» هكذا فى (المصريه و ابن أبي الحديد)، و لكن فى (ابن

ص: ٤

١- ١) الكافي ٤: ٤٣٢ ح ٥. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧٨: ٦-١٨٥. [٢]

ميثم و الخطيه)«الى» (١)«بالمغفرة» فَإِنَّ شَانَ الْعَبْدِ الْخَطَا، وَ شَانَ الرَّبِّ الْغَفْرَانِ .

«اللهم اغفر لى ما وأيت» أى: وعدت «من نفسى و لم تجد له وفاء عندى» حَتَّى لَا يُؤَدَى إِلَى النِّفَاقِ «و مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (٢).

«اللهم اغفر لى ما تقرت به إليك بلسانى ثم خالفه قلبى» لَأَنَّ عِبَادَةَ لَمْ تَكُنْ لِلَّهِ، لَهَا ذَنْبٌ كَبِيرٌ «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (٣).

«اللهم اغفر لى رمزات الألفاظ» جمع اللحظ: النَّظْرُ بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفَى الصُّدُورُ» (٤).

«و سقطات الألفاظ» قال تعالى فى وصف المؤمنين: «وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» (٥).

«و شهوات الجنان» بالفتح أى: القلب، و لا يخلو قلب من شهوه امور غير مشروعته .

«و هفوات اللسان» أى: زلاته.

و عن الصادق عليه السّلام: كان بالمدينه رجل بطال يضحك الناس منه فقال: قد أعيانى هذا الرجل -يعنى على بن الحسين عليه السّلام- أن أضحكه، فمّرّ و خلفه

ص: ٥

١- ١) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١٧٦: ٦، و شرح ابن ميثم ٢: ٢١٣ نحو المصريه.

٢- ٢) التوبه: ٧٥-٧٧. [١]

٣- ٣) الكهف: ١١٠. [٢]

٤- ٤) غافر: ١٩. [٣]

٥- ٥) المؤمنون: ٣. [٤]

موليان له، فجاء الرجل حتى انتزع رداءه من رقبته، فمضى عليه السلام ولم يلتفت إليه، فأتبعه الناس و أخذوا منه الرداء و جاءوا به إليه، فقال لهم: من هذا؟ قالوا:

رجل بطل يضحك الناس. فقال: قولوا له، إن لله يوماً يخسر فيه المبطلون (١).

٢

الخطبة (٢١٣)

و من دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيرا:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتًا وَلَا سَقِيمًا - وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرْوَتِي بِسُوءٍ - وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي - وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي - وَلَا مُشْتَوِّحًا مِنْ إِيْمَانِي وَلَا مُلْتَبِسًا عَقْلِي - وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأَمَمِ مِنْ قَبْلِي - أَصِيْبِحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي - لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي - وَلَا أَسِيْتَطِيْعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي - وَلَا أَتَقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي - اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ - أَوْ أَضِلَّ فِي هِدَاكَ أَوْ أَضَامَ فِي سِلْطَانِكَ - أَوْ أَضْطَهَدَ وَ الْأَمْرُ لَكَ - اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيْمِهِ تَنْتَرِعُهَا مِنْ كَرَامِي - وَ أَوَّلَ وَدِيْعِهِ تَرْجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعْمِكَ عِنْدِي - اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ - أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِكَ - أَوْ تَتَايَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ أَقُولُ: فِي (مهجع ابن طائوس)، عن كتاب (دفع الهموم و الأحران لأحمد بن داود النعماني): قال ابن عباس قلت لأمير المؤمنين عليه السلام ليله صفيين: أما ترى الأعداء قد أحد قوابنا. فقال: قد راعك هذا؟ قلت: نعم. فقال: اللهم اني أعوذ بك أن أضام في سلطانك (اللهم اني أعوذ بك أن اضل في هداك) اللهم اني أعوذ بك أن أفتقر في غناك، اللهم اني أعوذ بك أن أضيع في سلامتك، اللهم اني أعوذ بك أن

ص: ٦

(١-١) أخرجه الصدوق في أماليه: ١٨٣ ح ٦ المجلس ٣٩. [١]

اغلب و الأمر إليك (١).

هذا، و من دعاء علمه صلى الله عليه و آله و سلم خاله عمير بن وهب - كما في ذيل الطبرى - اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفى، و خذ إلى الخير بناصيتى، و بلغنى برحمتك ما أرجو من رحمتك، و اجعل الإسلام منتهى رغبتى، و اجعل لى ودا عند الناس و عهدا عندك (٢) ! و من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام فى السجود كما فى الكافى: ارحم ذلى بين يديك، و تضرعى إليك، و وحشتى من الناس، و آنسنى بك يا كريم (٣) ! و كان عليه السلام يقول: و عظنتى فلم أتعظ، و زجرتنى عن محارمك فلم أنزجر، و عمّرتنى أياديك فما شكرت، عفوك عفوك يا كريم! أسألك الراحة عند الموت، و أسألك العفو عند الحساب (٤) ! قول المصنف: « كان عليه السلام يدعو به كثيرا » قال ابن أبى الحديد: « كثيرا » صفة مصدر محذوف، أى دعاء كثيرا (٥).

قلت: بل صفة لوقت محذوف كما لا يخفى، فإن هذا الدعاء دعاء واحد لا كثير، و إنما كان عليه السلام يقرأه فى أوقات كثيرة، فهو مفعول فيه معينا، و لا مجال لاحتمال كونه مفعولا مطلقا كما احتمله الخوئى أيضا (٦).

قوله عليه السلام « الحمد لله الذى لم يصبح بى ميتا و لا سقيما » قد يصبح كثير من الناس ميتين أو سقيمين، فمن أصبح حيا معافى يجب عليه

ص: ٧

١- ١) مهج الدعوات: ١٠٣. [١]

٢- ٢) منتخب ذيل المذيل: ٨١.

٣- ٣) الكافى ٣: ٣٢٧ ح ٢١. [٢]

٤- ٤) رواه الكلينى فى الكافى ٣: ٣٢٧ ح ٢١. [٣]

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١١: ٨٥. [٤]

٦- ٦) شرح الخوئى ٧: ٢٩. [٥]

شكره تعالى على ذلك.

«و لا مضروبا على عروقي بسوء» أي: مرض.

و روى (أمالى الشيخ) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قال: فى ابن آدم ثلاثمائة و ستون عرقا منها مائه و ثمانون متحركه و مائه و ثمانون ساكنه، فلو سكن المتحرك لم يبق الانسان، و لو تحرك الساكن لهلك الانسان! و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فى كل يوم إذا أصبح و طلعت الشمس يقول «الحمد لله رب العالمين كثيرا طيبا على كل حال» يقولها ثلاثمائة و ستين مره شكرا (١).

و فى (الحليه) عن وهب بن منبه قال: عبد عابد خمسين سنه، فأوحى إليه أنى قد غفرت لك. قال: أى ربّ و ما تغفر لى و لم أذنب. فأذن الله لعرق فى عنقه، فضرب عليه، فلم ينم و لم يصلّ، ثم سكن، فنام فأتاه الملك، فشكا إليه ما لقى من ضربان العرق. قال الملك: إن ربك يقول: إن عبادتك خمسين سنه تعدل سكون هذا العرق (٢).

و فى خبر: أن كل إنسان فيه عرق جذام، فإذا تحرك سلط الله عليه الزكام فلا تكرهوه (٣).

و قال ابن أبى الحديد: «بسوء» أى: لا- أبرص، و العرب تكنى عن البرص بالسوء، و من أمثالهم «ما أنكرت من سوء» أى: ليس إنكارى لك عن برص حدث بك فغير صورتك، و أراد «بعروقه» أعضائه (٤).

قلت: ما ذكره كله غلط و خبط، فلم يقل أحد أن سوء كناية عن البرص

ص: ٨

١- ١) أمالى أبى جعفر الطوسى ٢١٠: ٢، المجلس ٨. [١]

٢- ٢) حليه الأولياء ٤: ٦٨.

٣- ٣) جاء هذا المضمون فى الكافى ٨: ٣٨٢ ح ٥٧٧ و ٥٧٩، و [٢] طب الأئمه: ١٠٧، و دعوات الراوندى، عنه البحار ٦٢: ١٨٤ ح ٧، و [٣] الأخير أقرب لفظا.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٨٥: ١١. [٤]

عند العرب، وإِنَّمَا الْآيَةُ «بَيِّضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» (١) كناية عن عدم البرص، كما أن قول أمير المؤمنين عليه السلام لأنس لما أنكر تذكره لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي غَدِيرِ خَمٍّ «إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَضَرْبِكَ اللَّهُ بِهَا بَيِّضَاءً لَامِعَةً لَا تَوَارِيهَا الْعِمَامَةُ» (٢) كناية عن البرص.

كما أن تفسيره للمثل «ما أنكرت من سوء» بما قال، تفسير ركيك، فهذا الجوهري قال: معنى المثل أنه لم يكن إنكارى إياك من سوء رأيتك بك وإِنَّمَا هُوَ لِقَوْلِهِ الْمَعْرِفَةُ (٣). وقال الميداني: يعنى ليس إنكارى إياك عن سوء بك لكنتى لا أثبتك (٤)، كما أن قوله أراد بعروقه أعضاءه أيضا غلط، فالمراد بالعروق الأعصاب، وإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ أَنَّ الْبَرَصَ يَحْدُثُ فِي الْأَعْضَاءِ لَا الْعُرُوقَ.

«وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي» «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابِّهِ» (٥)، وقد يأخذهم إذا أفرطوا في السوء، قال تعالى -بعد ذكر ما أنزل بالأمم السالفه من العذاب- «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (٦).

«وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي» أى: نسلى بعدم جعله من الظلمه، لأنَّه تعالى قال فيهم: «فَقُطِّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٧) وقال فى قوم لوط: «أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ» (٨).

ص: ٩

١- ١) النمل: ١٢ و [١] القصص: ٣٢. [٢]

٢- ٢) نهج البلاغه ٤: ٧٤، الحكمة ٣١١. [٣]

٣- ٣) صحاح اللغة ١: ٥٦ [٤] ماده (سوء).

٤- ٤) مجمع الأمثال ٢: ٢٨٥. [٥]

٥- ٥) فاطر: ٤٥. [٦]

٦- ٦) هود: ١٠٢. [٧]

٧- ٧) الأنعام: ٤٥. [٨]

٨- ٨) الحجر: ٦٦. [٩]

«و لا مرتدا عن ديني» كبعض الناس يمسي مسلما و يصبح مرتدا، و هو فوق كل سوء «و من يزدد منكم عن دينه فيمت و هو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا و الآخرة و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» (١).

و في رجال الكشي: عن حمران بن أعين قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أقلنا لو اجتمعنا على شاه ما أفيناها. فقال: ألا أخبرك بأعجب من ذلك. فقلت: بلى قال:

المهاجرون و الأنصار ذهبوا إلا ثلاثة (٢).

و عن الجمع بين صحيحي الحميدي من مسند سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: يرد على الحوض أقوام أعرفهم و يعرفوني، ثم يحال بيني و بينهم، فأقول أنهم أمي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدى و غير! و في آخر من مسند ابن عباس، سيحاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم! و من مسند أنس: ليردني على الحوض رجال ممن صاحبي حتى إذا رأيتهم و رفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلا أقولن أي رب أصحابي أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. و مثله في مسند ابن مسعود و مسند حذيفة.

و في مسند أبي هريره قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني و بينهم، فقال: هلموا. فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار و الله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! ثم إذا زمرة - إلى أن قال - قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: فلا أراه

ص: ١٠

١-١ (١) البقرة: ٢١٧. [١]

٢-٢ (٢) اختيار معرفة الرجال ١٥: ٧.

يخلص منهم إلا مثل همل النعم (١)(٢).

«و لا مستوحشا من إيماني» فكثير من الناس يستوحشون من إيمانهم بعد أنسهم به، لعدم رسوخه فيهم، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ له عليه السَّلَام «الإيمان مخالط لحمك و دمك، كما خالط لحمي و دمي» (٣).

«و لا ملتبسا عقلي» أي: مختلطا، و المؤمن يبتلى بكلِّ بلاء و مرض، لكن لا يؤخذ منه عقله.

«و لا معذبا بعذاب الامم من قبلي» قال تعالى في عاد و ثمود و قارون و فرعون و هامان: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا» (٤) و قال في مرده اليهود: «وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ» (٥).

حمد الله تعالى على أنه لم يصبح به من أحد الأصناف التسعة، فإن حمده تعالى واجب على دفع البلاء كوجوبه على إعطاء النعماء، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله تعالى، و لا تسمعوهم فإن ذلك يحزنهم.

ص: ١١

١ - ١) نقل ابن طائوس في الطرائف ٣٧٦:٢-٣٧٨، [١] كل هذه الأحاديث عن الجمع بين الصحيحين للحميدى و حديث سهل أخرجه البخارى في صحيحه ١٤٣:٤ و ٢٢١، و مسلم في صحيحه ١٧٩٤:٤ ح ٢٢٩٣، و حديث ابن عباس أخرجه البخارى في ٢٣٣:٢ و ٢٥٦ و ٣:١٢٧ و ١٦ و ٤:١٣٣، و مسلم في ٢١٩٤:٤ ح ٥٨، و حديث أنس أخرجه البخارى في ١٤١:٤، و مسلم في ١٨٠٠:٤ ح ٤٠، و حديث ابن مسعود أخرجه البخارى في ١٤١:٤ و ٢٢١، و مسلم في ١٧٩٦:٤ ح ٣٢، و حديث حذيفة أخرجه البخارى في ١٤١:٤ و مسلم في ١٧٩٧:٤ ح ٣٢، و حديث أبى هريره أخرجه البخارى في ١٤٢:٤، و مسلم في ٢١٧:١ و ٢١٨ ح ٣٧ و ٣٩.

٢ - ٢) أسقط الشارح هنا فقره «و لا منكر لربى».

٣ - ٣) أخرجه في ضمن حديث طويل ابن المغازلى في مناقبه: ٢٨٦ و غيره.

٤ - ٤) العنكبوت: ٤٠. [٢]

٥ - ٥) المائدة: ٦٠. [٣]

و عن الباقر عليه السلام: من نظر إلى مبتلى فقال ثلاث مرّات: «الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به، و لو شاء فعل» لم يصبه ذلك البلاء.

و عنه عليه السلام: إذا رأيت مبتلى و أنت معافى فقل «اللهم إني لا أسخر و لا أفخر و لكنني أحمدك على عظيم نعمائك عليّ» (١).

«أصبحت عبدا مملوكا» «و لا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَ لا نَفْعًا وَ لا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَ لا حَيَاةً وَ لا نُشُورًا» (٢).

«ظالما لنفسى» «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ» (٣).

«لك الحجة عليّ و لا- حجة لي» «قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَيَّاكُمْ أَجْمَعِينَ» (٤) «حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ» (٥) «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (٦).

«و لا أستطيع» هكذا في (المصريه) أخذنا من نسخه (ابن أبي الحديد)، و الصواب: «لا أستطيع» كما في (ابن ميثم) بل و كما في (ابن أبي الحديد) في شرح الفقيه (٧).

«أن آخذ إلا ما أعطيتني» «لا مانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت».

«و لا أتقى إلا ما وقيتني» «وَ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَ ادْخُلُوا»

ص: ١٢

١- ١) أخرج هذه الأحاديث الكليني في الكافي ٢: ٩٧ و ٩٨ ح ٢٠ و ٢٢ و [١] ٢٣، و الحديث الأخير عن الصادق عليه السلام.

٢- ٢) الفرقان: ٣. [٢]

٣- ٣) يونس: ٤٤. [٣]

٤- ٤) الأنعام: ١٤٩. [٤]

٥- ٥) الشورى: ١٦. [٥]

٦- ٦) النساء: ١٦٥. [٦]

٧- ٧) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨٤ و ٨٦، و [٧] شرح ابن ميثم ٤: ٣٦. [٨]

«مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَ إِنَّهُ لَعَدُوٌّ عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (١).

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ افْتَقِرَ فِي غِنَاكَ» «وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» (٢).

و في الخبر: أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام: إنه ما دام لم تنفذ خزائني -و لن تنفذ- فلا تغتم لرزقك (٣).

و إنما استعاذ عليه السلام لأن العبد قد يستحق سلب نعمه تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (٤).

«أَوْ أَضَلَّ فِي هِدَاكَ» «إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (٥) قال تعالى: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (٦).

«أَوْ اضْطَهَدَ» أي: أصير مقهوراً للناس «و الأمر لك» و في نسخه (ابن ميثم) «و لك الأمر» (٧).

ص: ١٣

١- ١) يوسف: ٦٧ و ٦٨. [١]

٢- ٢) المنافقون: ٧. [٢]

٣- ٣) أخرجه الصدوق في التوحيد: ٣٧٢ ح ١٤ و النقل بالمعنى.

٤- ٤) الرعد: ١١. [٣]

٥- ٥) هود: ٥٦. [٤]

٦- ٦) أسقط الشارح هنا فقره: «أو اضام في سلطانك». و الآيات ٢٦ و ٢٧ من سورة البقره. [٥]

٧- ٧) لفظ شرح ابن ميثم ٤: ٣٦ أيضا [٦] نحو المصريه.

«اللهم اجعل نفسى أول كريمه تنتزعها من كرائمى» يكرم على الإنسان جميع جوارحه و قواه كما يكرم عليه نفسه و روحه، و انتزاع النفس أولها يلزم إبقاء باقيها إلى حين موته.

و فى الخبر: إذا أنا أخذت من عبدى كريمته فصبر، لم أرض له ثوبا دون الجنة (١).

«و أول وديعه ترتجعها من ودائع نعمك عندى» هذا فى معنى الأول، إلا أن الأول من حيث أن النفس و قواها كرائم على الانسان و هذا من حيث أنها عوار من الرب عند العبد، فليس له لو ارتجعها غير أول اعتراض و إنكار .

«اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك» بمخالفه أو امرك، و زو اجر كالتى قلتها فى كتابك و على لسان حججك.

«أو نفتن» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «أو نفتن» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) «عن دينك» بأن تتفق أسباب، تخرج العبد عن الدين كما فى قوم موسى مع العجل و السامرى.

«أو تتايح» قال الجوهري: التتايح: التهافت فى الشرّ و اللجاج، و لا يكون التتايح إلا فى الشر (٣).

«بنا أهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك» قال تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» (٤).

ص: ١٤

١- ١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير و أبو نعيم فى حليه الأولياء، عنهما الجامع الصغير ٢: ٨٣، و النقل بتصريف فى اللفظ.

٢- ٢) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١١: ٨٤ «أو أن نفتن» و لفظ شرح ابن ميثم ٤: ٣٦ نحو المصريه.

٣- ٣) صحاح اللغه ٣: ١١٩٢ [١] ماده (تبع القصص).

٤- ٤) ٥٠.

و من دعاء له عليه السلام:

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ - فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقَكَ وَ أَشِيَّتَ غِطْفَ شِرَارِ خَلْقِكَ - وَ ابْتَلِي بِحَمْدٍ مَنْ أَعْطَانِي وَ أَفْتِنَ بِذَمٍّ مَنْ مَنَعَنِي - وَ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَ الْمَنْعِ - «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قول المصنف: «و من دعاء له عليه السلام» و ردت في المكارم من الصحيفة -الصحيفة السجادية- ص ١٠٥ و ١١١ دعاء ٢٠، فقرات بلفظه و معناه و فقرات بمعناه فقط.

أما الأولى: فما فيه «اللهم صل على محمد و آله، و صن وجهي باليسار، و لا تبذل جاهي بالإقتار، فاسترزق أهل رزقك، و استعطي شرار خلقك، فأفتن بحمد من أعطاني، و ابتلي بدم من منعني، و أنت من دونهم ولي الإعطاء و المنع» (١).

و أما الثانية: فما فيه «اللهم اجعلني أصول بك عند الضرورة، و أسألك عند الحاجة، و أتضرع إليك عند المسكنه، و لا تفتني بالاستعانة بغيرك إذا اضطررت، و لا بالخضوع لسؤال غيرك إذا افتقرت، و لا بالتضرع إلى من دونك إذا رهبت، فاستحق بذلك خذلانك و منعك و إعراضك يا أرحم الراحمين» (٢).

و لا غرو في توافقهما و تقاربهما، فكلاهما مؤيد بالروح القدس.

قوله عليه السلام «اللهم صن وجهي باليسار» صون الوجه أعز شيء عند الكرام، قال أبو تمام:

ص: ١٥

١- ١) الصحيفة السجادية: ١١١ دعاء ٢٠. [١]

٢- ٢) الصحيفة السجادية: ١٠٥ دعاء ٢٠. [٢]

و ما ابالى و خير القول أصدقه حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمي

و قال آخر:

ما جود كَفَّكَ إن جادت و إن بخلت من ماء وجهى و قد أخلقتة عوض

و عن الصادق عليه السّلام: المعروف ابتداء، و أما من أعطيته بعد المسأله فأنما كافيته بما بذل لك من وجهه، يبيت ليلته أرقا متمللا بين الرجاء و اليأس لا يدري أين يتوجّه لحاجته ثم يعزم بالقصد لها، فيأتيك و قلبه يرجف، و فرائضه ترعد قد ترى دمه فى وجهه لا يدري أ يرجع بكآبه أو فرح (١).

و مراده عليه السّلام باليسار: الكفاف، المطلوب عند أولياء الله حتى لا- يحتاج إلى الخلق، لا الغنى المطغى، المطلوب عند أهل الدنيا.

«و لا تبذل جاهى بالإقتار» أى: الافتقار و ضيق المعاش.

فى (الكافى) عن لقمان قال لابنه: يا بنى، ذقت الصبر، و أكلت لحاء الشجر، فلم أجد شيئا هو أمرّ من الفقر، فان بليت به يوما فلا تظهر الناس عليه فيستهينوك و لا ينفعوك بشىء، إرجع إلى الذى ابتلاك به فهو أقدر على فرجك، و سله من ذا الذى سأله فلم يعطه أو وثق به فلم ينجه (٢).

«فاسترزق طالبى رزقك» و قبيح أن يدع الإنسان الرزق، و يدعو المرزوق، فكما لا خالق غيره، لا رازق سواه «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» (٣).

«و استعطف شرار خلقك» فان أكثر الناس لئام و شرار، و الكرام و الأبرار قليلون، فإذا ابتلى بالإقتار يضطر غالبا الى استعطف الأشرار.

روى فى (الكافى)، عن النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: الأيدى ثلاث: يد الله العليا، و يد

ص: ١٦

١-١) أخرجه الكليني فى الكافى ٤:٢٣ ح ٢. [١]

٢-٢) الكافى ٤:٢٢ ح ٨. [٢]

٣-٣) الذاريات: ٥٨. [٣]

المعطى التى تليها، و يد المعطى أسفل الأيدى. فاستعفوا عن السؤال ما استطعتم، إنَّ الأرزاق دونها حجب، فمن شاء قنى حياءه و أخذ رزقه، و من شاء هتك الحجاب و أخذ رزقه، و الذى نفسى بيده لئن يأخذ أحدكم جبلا ثم يدخل عرض هذا الوادى فيحطب حتى لا- يلتقى طرفاه ثم يدخل به السوق فيبيعه بمدّ من تمر و يأخذ ثلثه و يتصدّق بثلثيه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو حرّموه.

و عن الصادق عليه السّلام: جاءت فخذ من الأنصار إلى النّبىّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم فقالوا: لنا إليك حاجة. فقال: هاتوا، قالوا: عظيمه تضمن لنا على ربّك الجنّه؟ فنكس صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم رأسه ثم نكت فى الأرض ثم رفع رأسه فقال: أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا أحدا شيئا، فكان الرجل منهم يكون فى السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لإنسان ناولنيه فرارا من المسأله فينزله فيأخذه، و يكون على المائده فيكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه فلا يقول ناولنى حتى يقوم فيشرب! و عنه عليه السّلام: رحم اللّٰه عبدا عفّ و تعفّف و كفّ عن المسأله، فإنّه يتعجّل الدنيه فى الدنيا و لا يغنى الناس عنه شيئا. ثم تمثّل عليه السّلام بيت حاتم:

إذا ما عرفت اليأس ألفتيه الغنى إذا عرفته النفس و الطمع الفقر (١)

«و ابتلى بحمد من أعطانى و افتن» هكذا فى (المصريه)، و الصواب:

«و افتتن» كما (فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢) «بذمّ من منعى» و حمد الناس كذمّهم مذموم، و فاعله ملوم .

«و أنت من وراء ذلك كلّه و لىّ الإعطاء و المنع». فى (الفقه الرضوى): روى أنّ اللّٰه عز و جل أوحى إلى داود عليه السّلام: ما اعتصم بى عبد من عبادى، دون أحد

ص: ١٧

١-١) الكافى ٤:٢٠ و ٢١ ح ٣ و ٥ و [١] ٦.

٢-٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١١:٢٥٥، لكن فى شرح ابن ميثم ٤:٨٨ نحو المصريه.

من خلقى، عرفت ذلك من نبيته، ثم تكيده أهل السماوات والأرض وما فيهن، إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبيدى بأحد من خلقى دونى، عرفت ذلك من نبيته، إلا قطعت أسباب السماوات من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأى واد هلك.

وفيه: وروى عن العالم عليه السلام يقول تبارك وتعالى: وعزّتى وجلالى، وارتفاعى فى علوى، لا يؤثر عبد هواى على هواه، إلا جعلت غناه فى قلبه، وهمّه فى آخرته، وكففت عليه ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء حاجته، وأتته الدنيا وهى راغمه. وعزّتى وجلالى، وارتفاعى فى علو مكانى، لا يؤثر عبد هواه على هواى، إلا قطعت رجاءه، ولم أرزقه منها إلا ما قدرت له.

و روى أنّ بعض العلماء كان يقول: سبحان من لو كانت الدنيا خيرا كلّها أهلك فيها من أحبّ، سبحان من لو كانت الدنيا شرّا كلّها أنجى منها من أراد (١).

هذا، وواضح أنّ الخبر فى جملة «و أنت من وراء ذلك كلّه ولى الإعطاء والمنع» إنّما هو «ولّى» و «من وراء» متعلّق به كقوله «من دونهم» فى الصحيحه فى قوله «و أنت من دونهم ولى الإعطاء والمنع» (٢)، وجعل ابن أبى الحديد «من وراء ذلك» الخبر وقال «و أنت من وراء ذلك» مثل قولك للملك العظيم «هو من وراء وزرائه»، فيكون «ولّى» خبرا بعد خبر، ويجوز أن يكون «ولّى» هو الخبر و «من وراء» حالا- إلخ (٣). و كما ترى.

«إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فتقدر على صون وجهى حتّى لا أحتاج إلى

ص: ١٨

١- ١) أخرجه صاحب فقه الرضا [١] فيه: ٣٥٨ و ٣٥٩، والأحاديث الثلاثة أخرجهما البرقى فى المحاسن، عنه مشكوه الأنوار: ١٦ و ١٧ و ٢٦٤، والأول الكلينى فى الكافى ٢: ٦٣ ح ١. [٢]

٢- ٢) الصحيحه السجادية: ١١١ دعاء ٢٠. [٣]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١١: ٢٥٦. [٤]

غيرك فافعل ذلك بي.

و في (الفقه الرضوي): نروى أنّ رجلا- أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيَسْأَلَهُ، فسمعَهُ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ سَأَلَنَا أُعْطِينَاهُ وَ مَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللهُ»، فَانصَرَفَ وَ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ فَلَمْ يَسْأَلْهُ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مَضَى وَ اسْتَعَارَ فَأَسَا وَ صَعَدَ الْجَبَلَ فَاحْتَطَبَ، وَ حَمَلَهُ إِلَى السُّوقِ، فَبَاعَهُ بِنِصْفِ صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَأَكَلَهُ هُوَ وَ عِيَالُهُ، ثُمَّ دَامَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جَمَعَ مَا اشْتَرَى بِهِ فَأَسَا، ثُمَّ اشْتَرَى بَكْرَيْنِ وَ غَلَامًا وَ أُيُسِرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَلْنَا مِنْ سَأَلْنَا أُعْطِينَاهُ وَ مَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللهُ» (١).

٤

الخطبه (٤٦)

و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ - وَ كَأَبِيهِ الْمُتَقَلِّبِ وَ سُوءِ الْمُنْتَظَرِ - فِي الْأَهْلِ وَ الْمَالِ - اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ - وَ أَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ - وَ لَا - يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ - لِأَنَّ الْمُسِيَّ تَخَلَّفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصِيحًا - وَ الْمُسْتَصِيحُ حَبٌّ لَا يَكُونُ مُسِيَّ تَخَلَّفًا أَقُولُ: هَكَذَا فِي (المصريه) بدون نقل عن المصنف، و فيها سقط ففي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب): قال السيد: و ابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَ قَدْ قَفَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَبْلِغِ كَلَامًا وَ تَمَّمَهُ بِأَحْسَنِ تَمَامٍ مِنْ قَوْلِهِ «لَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ» إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ (٢).

قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام» في

ص: ١٩

(١ - ١) فقه الرضا: ٣٦٥. [١]

(٢ - ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٦٦، [٢] لكن لم توجد الزيادة في شرح ابن ميثم ٢: ١٢١.

(صَفَيْنِ نصر بن مزاحم -وقعه صفين-ص ١٣٢ نصر):لما وضع علي عليه السّلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفه إلى صفين قال «بسم الله»، فلما جلس على ظهرها قال «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» (١)، ثم قال:اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر-إلخ (٢).

قوله عليه السّلام «اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر» قال الجوهري:الوعث:

المكان السهل الكثير الدهس، تغيب فيه الأقدام و يشقّ على من يمشى فيه، و وعشاء السفر:مشقته (٣).

«و كآبه» قال الجوهري:الكآبه:سوء الحال و الانكسار من الحزن و قد كئب الرجل يكاب كآبه و كآبه (٤).

«المنقلب» قال الجوهري:المنقلب يكون مصدرا و يكون مكانا،مثل المنصرف (٥).

«و سوء المنظر في الأهل» بالمرض و الموت «و المال» بالفساد و التلف .

«اللهم أنت الصاحب في السفر،و أنت الخليفة في الأهل» عن الصادق عليه السّلام:ما استخلف عبد على أهله بخلافه أفضل من ركعتين يركعهما إذا أراد سفرا يقول«اللهم انى استودعك نفسى و أهلى و مالى و دينى و دنيائى و آخرتى و أمانتى و خواتيم عملى»إلا أعطاه الله ما سأل (٦).

«و لا يجمعهما غيرك» من المخلوقين «لأن المستخلف» في الأهل «لا يكون

ص:٢٠

١-١ (١) الزخرف:١٣ و ١٤. [١]

٢-٢ (٢) وقعه صفين:١٣٢. [٢]

٣-٣ (٣) صحاح اللغة ١:٢٩٦ [٣] ماده(وعث).

٤-٤ (٤) صحاح اللغة ١:٢٠٧ [٤] ماده(كأب).

٥-٥ (٥) صحاح اللغة ١:٢٠٥ [٥] ماده(قلب).

٦-٦ (٦) أخرجه الكليني في الكافي ٣:٤٨٠ ح ١ و غيره. [٦]

مستصحبا) فى السفر «و المستصحب» مع المسافر «لا يكون مستخلفا» فى أهله، لاستحاله كون جسم فى مكانين، و أما الله تعالى فالسما و الأرض و المشرق و المغرب عنده سواء «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ» (١) «ما يكون من نجوى ثلاثه إلا هو رابعهم و لا خمسَه إلا هو سادسهم و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم يُنبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم» (٢).

قول المصنف: «و ابتداء هذا الكلام» من أوله إلى «و أنت الخليفة فى الأهل» «مروى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم» لكن مع زياده و نقصان، ففى (مجازات) المصنف: و من ذلك قوله صلى الله عليه و آله و سلم «اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر، و كآبه المنقلب، و الحور بعد الكور، و سوء المنظر فى الأهل و المال» و قال المصنف ثم: و الحور بعد الكور أى انتشار الامور بعد انضمامها و انفراجها بعد التيامها، و ذلك مأخوذ من حور العمامه بعد كورها، و هو نقضها بعد ليها و نشرها بعد طيها (٣)، قاله صلى الله عليه و آله و سلم - كما فى (السيره) - فى رجوعه من غزوه بنى لحيان لما خرج إليهم لطلب ثأر أصحاب الرجيع (٤).

«و قد قفاه عليه السّلام» أى: أتبعه «بأبلغ كلام و تممه بأحسن تمام، من قوله لا يجمعهما غيرك إلى آخر الفصل» «و المستصحب لا يكون مستخلفا» .

لكن روى الكلام عنه عليه السّلام فى ذهابه إلى صفين، و فيه قفاه عليه السّلام بما قال و فى إيابه من صفين، و فيه زاد قبله شيئا، ففى (صفين نصر بن مزاحم): قال عبد الرحمن بن جندب لما أقبل علىّ عليه السّلام من صفين أقبلنا معه، فأخذ طريقا

ص: ٢١

١- ١) البقره: ١١٥. [١]

٢- ٢) المجادله: ٧. [٢]

٣- ٣) المجازات النبويه: ١٤١. [٣]

٤- ٤) سيره ابن هشام ٣: ١٧٥. [٤]

غير طريقنا الذى أقبلنا فيه، فقال «آثون عائدون، لرَبِّنا حامدون، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر و كآبه المنقلب و سوء المنظر فى المال و الأهل» (١).

٥

الخطبه (٢٢٥)

و من دعاء له عليه السلام:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتِسُ الْآنِسِ - بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ - كَ - وَ أَخْضَرُ رُؤْمِهِم بِالْكَفَايَةِ لِلْمَتَيِّوَكَلِينَ عَلَيْكَ - تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ وَ تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ - وَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ - فَأَسِيرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ - إِنْ أَوْحَشَتْهُمْ الْغُرْبَةُ آتَسَهُمْ ذِكْرُكَ - وَ إِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجُّوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ - عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ - وَ مَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ اللَّهُمَّ إِنْ فَهِمْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَوْ عَمِيتُ عَنْ طَلِبَتِي - فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي - وَ خُذْ بَقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي - فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ - وَ لَا بِيَدِّعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ - اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَ لَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «و من دعائه» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (و من دعاء له عليه السلام) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

قوله عليه السلام «اللهم إنك آتس الأنس لأوليائك» كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم إذا حضر وقت الصلاه يقول لبلال: اذن و أرحنى من غير الله تعالى (٣).

و فى التاسعه من مناجات الصحيفه: إلهى من ذا الذى ذاق حلاوه

ص: ٢٢

١ - ١) وقعه صفين: ٥٢٨. [١]

٢ - ٢) شرح ابن أبى الحديد ١١: ٢٦٧، و [٢] شرح ابن ميثم ٤: ٩٣. [٣]

٣ - ٣) رواه الهروى فى غريبه، عنه النهايه ٢: ٢٧٤ و غيره.

محببتك فرام منك بدلا، و من ذا الذي آنس بقربك فابتغى عنك حولا (١).

و فى الثالثه عشره: أستغفرک من کلّ لذّه بغير ذکرک، و من کلّ راحه بغير أنسک، و من کلّ سرور بغير قربک، و من کلّ شغل بغير طاعتک (٢).

هذا، و الظاهر أنّ «الآنسين» محرّف «الآنيسين»، لأنّ أولياء الله مستأنسون بالله تعالى و بذكره لا أنّه تعالى مستأنس بهم.

و فى (وقعه صفين): لما قدم علىّ عليه السّلام الكوفه سأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفه، فقال قائل: استأثر الله به. فقال عليه السّلام: إنّ الله لا يستأثر بأحد من خلقه، إنّما أراد الله بالموت إعزاز نفسه و إذلال خلقه (٣).

و مما ذكرنا يظهر لك ما فى قول ابن أبى الحديد: أنّ الروايه الصحيحه «بأوليائك»، أى: أنت أكثرهم انسا بأوليائك (٤). و ما فى قول الخوئى: ان اللام فى «لأوليائك» لتبيين الفاعل من المفعول، فإن قلت ما أحببى لفلان فأنت فاعل الحبّ و فلان مفعوله، و إن قلت ما أحببى إلى فلان فالأمر بالعكس (٥).

«و أحضرهم بالكفايه للمتوكّلين عليك» و فى السير: إن ذا القرنين لمّا فرغ من عمل السدّ انطلق على وجهه، فبينما يسير هو و جنوده إذ مرّ على شيخ يصلّى، فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعك ما حضرک من جنودى؟ قال: كنت اناجى من هو أشدّ جنودا منك و أعزّ سلطانا و أشدّ قوه، و لو صرفت وجهى إليك لم أدرك حاجتى قبله. فقال له ذو القرنين: هل لك فى أن تنطلق معى فأواسيك بنفسى و أستعين بك على

ص: ٢٣

١- ١) ملحقات الصحيفه السجديه: ٣٥٦.

٢- ٢) ملحقات الصحيفه السجديه: ٣٦٤.

٣- ٣) وقعه صفين: ٦، و [١] النقل بتصرف فى العبارة.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٢٦٧: ١١. [٢]

٥- ٥) شرح الخوئى ١٢٧: ٧.

بعض أمرى. قال: نعم إن ضمنت لى أربع خصال: نعما لا يزول، و صحه لا سقم فيها، و شابا لا هرم فيه، و حياه لا موت فيها. فقال له ذو القرنين: و أى مخلوق يقدر على هذه الخصال. فقال: فإننى مع من يقدر عليها و يملكها و إياك (١).

«تشاهدهم فى سرائرهم» «يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَحْفَى» (٢).

«و تطلع عليهم فى ضمائرهم» «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (٣).

«و تعلم مبلغ بصائرهم» عن الصادق عليه السلام: إن العبد المؤمن الفقير ليقول:

يا رب ارزقنى حتى أفعال كذا و كذا من البرّ و وجوه الخير، فإذا علم الله تعالى ذلك منه بصدق نيته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إن الله واسع كريم (٤).

«فأسرارهم لك مكشوفه، و قلوبهم إليك ملهوفه» فى المناجاة الثامنة: «فأنت لا غيرك مرادى، و لك لا لسواك سهري و سهادى، و لقاءك قره عيني، و وصلك منى نفسى، و إليك شوقى، و فى محبتك و لهى، و إلى هواك صابتي، و رضاك بغيتى، و رؤيتك حاجتى، و جوارك طلبى، و قربك غايه سؤلى، و فى مناجاتك روحى و راحتى، و عندك دواء علتى، و شفاء غلتى، و برد لوعتى، و كشف كربتى، فكن أنيسى فى وحشتى، و مقيل عثرتى، و غافر زلتى، و قابل توبتى، و مجيب دعوتى، و ولي عصمتى، و مغنى فاقتى، و لا تقطعنى عنك و لا تبعدنى منك يا نعيمى و جنتى و يا دنياى و آخرتى» (٥).

ص: ٢٤

١- ١) رواه الصدوق فى أماليه: ١٤٤ ح ٦، المجلس ٣٢، و [١] فى العلل ٢: ٤٧٢ ح ٣٤. [٢]

٢- ٢) طه: ٧. [٣]

٣- ٣) آل عمران: ١١٩ و [٤] المائدة: ٧ و [٥] لقمان: ٢٣. [٦]

٤- ٤) أخرجه الكلينى فى الكافى ٢: ٨٥ ح ٣. [٧]

٥- ٥) ملحقات الصحفه السجادية: ٣٥٥.

«ان أوحشتهم الغربه آنسهم ذكرك» فى الخبر: لما طرح يوسف فى الجبّ أخوته أتاها جبرئيل عليه السّلام فقال: يا غلام ما تصنع ههنا؟ فقال: إن إخوتى ألقونى.

قال: أفتحبّ أن تخرج منه؟ قال: ذاك إلى الله تعالى إن شاء أخرجنى، فقال له جبرئيل: إنّ الله عزّ وجلّ يقول لك ادعنى بهذا الدعاء «اللهم إنى أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، صلّ على محمّد وآل محمّد واجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا» (١) - ثم كان من قصته ما ذكره الله تعالى فى كتابه من مجيء السياره (٢) -.

«و ان صبّت عليهم المصائب لجئوا إلى الاستجاره بك علما بأنّ أزمه الامور بيدك و مصادرها عن قضائك» فى (العقد): قال المدائنى: لما حجّ المنصور مرّ بالمدينه فقال لربيع: علىّ بجعفر بن محمد قتلنى الله إن لم أقتله! فمطل به ثم ألح عليه، فحضر فلما كشف الستر بينه وبينه و مثل بين يديه همس جعفر بشفتيه ثم تقرب و سلّم فقال: لا - سلّم الله عليك يا عدوّ الله! تعمل علىّ الغوائل فى ملكى قتلنى الله إن لم أقتلك - إلى أن قال - قال المنصور: يا ربيع عجل لأبى عبد الله كسوته و جائزته. قال ربيع: فلما حال الستر بينى و بينه أمسكت بثوبه فقلت له: إننى منذ ثلاث أدفع عنك، و رأيتك إذ دخلت همست بشفتيك ثم رأيت الأمر انجلى عنك، و أنا خادم سلطان و لا غنى لى عنه. قال: قلت «اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام، و اكنفنى بحفظك الذى لا يرام، و لا أهلك و أنت رجائى، فكم من نعمه قد أنعمتها علىّ قلّ لك عندها شكرى فلم تحرمنى، و كم من بليّه ابتليتنى بها قلّ عندها صبرى فلم تخذلنى، بك أدرا فى نحره، و استعيذ بخيرك

ص: ٢٥

١ - ١) رواه القمى فى تفسيره ١: ٣٥٤ و [١] العياشى فى تفسيره ٢: ١٧ ح ٦، و [٢] الراوندى فى قصص الأنبياء، [٣] عنه البحار ١٢:

٢٤٨ ح ١٣. [٤]

٢ - ٢) يوسف: ١٩.

من شرّه، فإنّك على كلّ شيءٍ قدير، و صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم» (١).

و في (مروج المسعودي): أتى بعلي بن الحسين عليه السّلام إلى مسلم بن عقبة و هو معتاض عليه، فتبرأ منه و من آبائه، فلمّا رآه و قد أشرف عليه ارتعد و قام له و أقعده إلى جانبه و قال له: سلني حوائجك! فلم يسأله في أحد ممّن قدم إلى السيف إلا شفّعه فيه، ثم انصرف عنه فقيل لعليّ عليه السّلام رأيناك تحرك شفّيتك فما الذي قلت؟ قال: قلت «اللّهم ربّ السماوات السبع و ما أظللن، و الأرضين السبع و ما أظللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد و آل الطاهرين، أعوذ بك من شرّه و أدرا بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره و تكفيني شرّه». و قيل لمسلم رأيناك تسبّ هذا الغلام و سلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته. فقال: ما كان ذلك لرأى منّي، لقد ملئ قلبى منه رعباً (٢).

و في (تاريخ الطبري): لما صبحت الخيل الحسين عليه السّلام رفع يديه فقال «اللّهم أنت ثقتي في كلّ كرب و رجائي في كلّ شدّه، و أنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقه و عدّه، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، و تقلّ فيه الحيله، و يخذل فيه الصديق، و يشمت فيه العدو، أنزلته بك و شكوته إليك، رغبه منّي إليك عمّن سواك ففرّجته و كشفته، فأنت وليّ كلّ نعمه و صاحب كلّ حسنه و منتهى كلّ رغبه» (٣).

و في (اللهوف): لما رمى رضيع الحسين عليه السّلام بسهم فذبّحه في حجره تلقى الدّم بكفيه، فلما امتلأ رمي بالدم نحو السماء ثم قال: هوّن عليّ ما نزل

ص: ٢٤

١- ١) العقد الفريد ٢: ٢٨ و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) مروج الذهب ٣: ٧٠. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٢١ سنة ٦١. [٣]

و فی (اعتقادات الصدوق): و لما اشتد الأمر بالحسین علیه السلام نظر إليه من كان معه و إذا هو بخلافهم، لأنهم كانوا إذا اشتد بهم الأمر تغیرت ألوانهم و ارتعدت فرائصهم و وجلت قلوبهم، و كان الحسین علیه السلام و بعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم و تهدأ جوارحهم و تسكن قلوبهم و نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا إليه لا يبالی بالموت! فقال عليه السلام لهم: یا بنی الکرام، فما الموت إلا أنها قنطرة تعبر بكم عن البؤس و الضر إلى الجنان الواسعه و النعم الدائم، فأیکم یکره ذلك. إلخ (۲).

و لنعم ما قیل بالفارسیه علی لسان حاله علیه السلام:

گفت اگر بر سر من تیر چه باران بارد یا فلک داغ عزیزان بدلم بگذارد

باده از مصطبه عشق مرا خوش دارد غم و شادی بر عاشق چه تفاوت دارد

«اللهم ان فهت» أي: عییت «عن مسألتي أو عمیت عن طلبتي فدلتني علی مصالحی و خذ بقلبي إلى مراشدي» فأنت العالم بصلاحي «و نادى نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْئَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (۳).

ص: ۲۷

۱-۱ (۱) اللهوف: ۵۰. [۱]

۲-۲ (۲) الاعتقادات: ۱۴ و [۲] النقل بتصرف يسير.

۳-۳ (۳) هود: ۴۵-۴۷. [۳]

و في (مكارم الصحيفه): «اللهم اجعل ما يلقي الشيطان في روعى من التمنى و التظنى و الحسد ذكرا لعظمتك و تفكرا في قدرتك، و تدبيرا على عدوك، و ما أجرى على لسانى من لفظه فحش أو هجر أو شتم عرض أو شهاده باطل أو اغتيال مؤمن غائب أو سب حاضر و ما أشبه ذلك، نطقا بالحمد لك و إغراقا في الثناء عليك و ذهابا في تمجيدك و شكرا لنعمتك و اعترافا بإحسانك، و احصاء لمننك» (١).

«فليس ذلك بنكر من هداياتك» لعبادك «و لا ببدع من كفاياتك» لأوليائك .

«اللهم احملنى على عفوك و لا- تحملنى على عدلك» و إلا- هلكت «و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دأيه» (٢) «و ما أصابكم من مصيبه فبما كسبت أيدىكم و يعفوا عن كثير» (٣) «و يخافون سوء الحساب» (٤) أى: عدله تعالى.

هذا، و فى (مناقب الكنجى) عن زر بن حبيش قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره فى جامع الكوفه على على عليه السلام، فلما بلغت الحواميم قال: بلغت عرائس القرآن. فلما بلغت رأس العشرين من حمسق «و الذين آمنوا و عملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير» (٥) بكى حتى ارتفع نحيبه، ثم رفع رأسه الى السماء و قال: آمن على دعائى- ثم قال «اللهم إنى أسألك إخبارات المختبين، و إخلاص الموقنين، و مرافقه الأبرار، و استحقاق حقوق الإيمان، و الغنيمه من كل بر، و السلامه من

ص: ٢٨

١- (١) الصحيفه السجديه: ١٠٦ دعاء ٢٠. [١]

٢- (٢) فاطر: ٤٥. [٢]

٣- (٣) الشورى: ٣٠. [٣]

٤- (٤) الرعد: ٢١. [٤]

٥- (٥) الشورى: ٢٢. [٥]

كُلَّ عَيْبٍ، وَوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَعِزَّتِكَ، وَالفوز بالجنَّةِ وَالنَّجَاهِ مِنَ النَّارِ» قَالَ: وَإِذَا خَتَمْتَ الْقُرْآنَ فَادْعْ بِهِ، فَإِنَّ حَبِيبِي أَمَرَنِي أَدْعُو بِهِنَ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ.

٦

الحكمه (٢٧٤)

و قال عليه السلام:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ - مِنْ أَنْ تَحْسَنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي - وَتَقْبَحَ فِيمَا أَبْطُنُ لِمَكَ سِرِّيَتِي - مُحَافِظًا عَلَيَّ رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي - بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي - فَأَبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي - وَ أَفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي - تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ وَ تَبَاعُدًا مِنْ مَرْضَاتِكَ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ هَكَذَا فِي (المصريه) أَخَذَا مِنْ (ابن أبي الحديد)، وَ لَكِن فِي نَسْخِهِ (ابن ميثم) «ان» (١) «تَحْسَنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي، وَ تَقْبَحَ فِيمَا أَبْطُنُ لِمَكَ سِرِّيَتِي» .

فِي (الكافي): عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ إِنَّ الْمَلِكَ لِيَصْعَدُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِبْتَهَجًا بِهِ، فَإِذَا صَعِدَ بِحَسَنَاتِهِ يَقُولُ تَعَالَى: اجْعَلُوهُ فِي سَجِينٍ (٢).

«مُحَافِظًا عَلَيَّ رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي» عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ مَا يَحِبُّ اللَّهُ وَ بَارَزَ اللَّهُ بِمَا كَرِهَهُ لَقِيَ اللَّهُ وَ هُوَ مَاقَتٌ لَهُ (٣).

«فَإَبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي وَ أَفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي» عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ص: ٢٩

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٦٧: ١٩، و [١] شرح ابن ميثم ٣٨٥: ٥. [٢]

٢- ٢) الكافي ٢٩٤: ٢ ح ٧. [٣]

٣- ٣) الكافي ٢٩٥: ٢ ح ١٠. [٤]

ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا و يسرّ سيئا أليس يرجع إلى نفسه، فيعلم أنّ ذلك ليس كذلك، والله تعالى يقول: «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» (١).

و عنه عليه السّلام: ما من عبد يسرّ خيرا إلّا لم تذهب الأيام حتّى يظهر الله له خيرا، و ما من عبد يسرّ شرا إلّا لم تذهب الأيام حتّى يظهر الله له شرا.

و عنه عليه السّلام: من أراد الله بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر مما أراد، و من أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه و سهر من ليله أبى الله تعالى إلّا أن يقلّله في عين من سمعه (٢).

«تقربا إلى عبادك و تباعدا من مرضاتك» «تقربا» و «تباعدا» مفعول لهما لأبدى و أفضى.

و روى في (الكافي) عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: سيأتى على الناس زمان تختبث فيه سرائرهم و تحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم، يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعتمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم.

و عن الصادق عليه السّلام: إيتاك و الرّياء، فإنّ من عمل لغير الله و كله الله إلى من عمل له، و كلّ رياء شرك، إنّ من عمل للناس كان ثوابه على الناس.

و عنه عليه السّلام: قال تعالى: أنا خير شريك، من أشرك بي غيرى في عمل عمله لم أقبله إلّا ما كان لى خالصا (٣).

هذا، و شهد الله تعالى له عليه السّلام و لعترته بالاخلاص في قوله عزّ و جلّ:

«و يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيْمًا وَ أَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ»

ص: ٣٠

١- (١) القيامة: ١٤. [١]

٢- (٢) الكافي ٢: ٢٩٥ و ٢٩٦ ح ١١-١٣. [٢]

٣- (٣) هذه الاحاديث أخرجها الكليني في الكافي ٢: ٢٩٣-٢٩٦ ح ١ و ٢ و [٣] ٩ و ١٤.

«لا- نريد منكم جزاءً ولا- شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ولقاهم نضرةً وسيروراً وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهيراً» -إلى- «إنَّ هذا كان لكم جزاءً و كان سعيكم مشكوراً» (١). ومع ذلك، نسب الثاني إليه عليه السَّلام الرياء، جراه على ردِّ الله تعالى!! ففى (أمالى أبى جعفر محمد بن حبيب) -وقد نقله (ابن أبى الحديد) فى موضع آخر- قال ابن عباس دخلت يوماً على عمر فقال: يا ابن عباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه فى العبادة حتى نحلته رياء، قلت: من هو؟ قال: هذا ابن عمك -يعنيه عليه السَّلام- فقلت: وما يقصد بالرياء؟ قال: يرشح نفسه بين الناس للخلافه.

قلت: وما يصنع بالترشيح، قد رشحها لها النبىِّ صلى الله عليه وآله وسلم فصرفت عنه -الخبر (٢).

لكن لا غرو فى نسبه الرياء إليه عليه السَّلام بعد نسبه الهجر إلى نفس النبىِّ صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد استخلافه عليه السَّلام.

٧

الخطبه (٨٩)

فى الخطبه المعروفه بالاشباح بعد ذكره صفاته تعالى و خلقه السَّماء و الملائكه و الأرض و إرساله الرسل من آدم إلى الخاتم و بيان إحاطه علمه تعالى بكلِّ شىء:

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ - وَ التَّعْدَادِ الْكَثِيرِ - إِنْ تَوَمَّلْ فَخَيْرٌ مَأْمُولٍ وَ إِنْ تَزَجْ فَأَكْرَمُ مَرْجُوءٍ - اللَّهُمَّ وَ قَدْ بَسَيْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدُحُ بِهِ غَيْرَكَ - وَ لَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ - وَ لَا أُوجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ

ص: ٣١

[١ - ١] الانسان: ٨-٢٢. [١]

[٢ - ٢] شرح ابن أبى الحديد ٨٠: ١٢. [٢]

وَمَوَاضِعِ الرَّيْبِهِ - وَعَدَلَتْ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْمَادِمِيِّينَ - وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ الْمَرْبُوبِينَ - اللَّهُمَّ وَ لِكُلِّ مُثْنٍ عَلَيَّ مِنْ أَثْنِي عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ - أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ - وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا - عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ - وَ كُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ - اللَّهُمَّ وَ هَذَا مَقَامٌ مِنْ أَفْرَدِكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ - وَ لَمْ يَرِ مُسَدِّحًا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَ الْمَمَادِحِ غَيْرَكَ - وَ بِي فَاقَهُ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسَدِّحَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ - وَ لَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتْهَا إِلَّا مِنْكَ وَ جُودُكَ - فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ - وَ أَعْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ - «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» «اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ» الْعَلِيمُ الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَ نِعَوَاتِ الْجَلَالِ وَ الْجَمَالِ .

«والتعداد الكثير» في أوصاف كمالك حتى أنها لا تحصى .

«إِنْ تَوَمَّلَ فَخَيْرٌ مُؤْمَلٌ» هَكَذَا فِي (المصريه)، وَ الصَّوَابُ: (مأمول) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخوئي و الخطيبه) (١)، وَ كونه تعالى خير مأمول لأنه القادر على إعطاء كلِّ أمل دون غيره .

«و إن ترح فأكرم مرجو» لأنه الذي لا يخيب رجاء راجيه .

«اللَّهُمَّ وَ قَدْ بَسَطْتُ لِي» بِقَوِّهِ الْبَيَانِ.

«فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ» لِعَدَمِ اتِّصَافِ غَيْرِهِ بِمَا مَدَحَهُ .

«و لا اثني به على أحد سواك» لفقدان سواه لما به أثني عليه، فتقول:

«إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٢) وَ «أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (٣)،

ص: ٣٢

١- ١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣١، و شرح الخوئي ٣: ١٣١، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٦٨ «مؤمل».

٢- ٢) البقره: ٢٠ و [١] مواضع اخرى.

٣- ٣) النساء: ٩٧ و مواضع اخرى.

فهل يكون أحد غيره كذلك .

«و لا أوجَّهه» أى:مدحى و ثنائى،و أفرد الضمير لاتحادهما فى المصداق «إلى معادن الخيبه» ممَّن رجاهم غيره «و مواضع الرِّيبه» باحتمال كونهم على ضدَّ ما يمدحون به .

«و عدلت بلسانى عن مدائح آدميين» إلى مدحك «و» عن «الثناء على المخلوقين المرئيين» إلى الثناء عليك،لأنك الله خالق الخلق و ربَّ العالمين .

«اللهم و لكلّ من على من أثنى عليه مثوبه من جزاء» فأثبني جزاء ثنائى «أو عارفه» أى:معروف «من عطاء» فأعطني عطاء معروفًا على ثنائى .

«و قد رجوتك دليلًا على ذخائر الرحمه» «و لِّلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» (١) «و إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ» (٢).

«و كنوز المغفره» أى:كنوز أسبابها،كقوله تعالى: «وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» (٣).

«اللهم و هذا مقام من أفردك بالتوحيد الذى هو لك» أى:بالإقرار بواحدانيتك المختصه بك «و لم ير مستحقًا لهذه المحامد و الممادح» جمعا المحمده و المدحه، و جاء جمع الثانى بلفظ الأماديح أيضا،قال الشاعر:

لو كان مدحه حى منشرا أحدا أحيًا أبا كن يا ليلي الأماديح (٤)

و الأصل فى الحمد الارتضاء،يقال أحمدت الأرض ارتضيت سكتها، و قال قراد بن حنش:

ص: ٣٣

١- ١) المنافقون: ٧. [١]

٢- ٢) الحجر: ٢١. [٢]

٣- ٣) آل عمران: ١٣٣. [٣]

٤- ٤) أورده أساس البلاغه: ٤٣٣، [٤]ماده (مدح)، و لسان العرب ٥٨٩: ٢ [٥] ماده (مدح).

لهفى عليك إذا الرعاه تحامدوا بحزير أروضهم الدريرن الأسودا (١)

«غيرك» لعدم صدقها فى سواه تعالى «و بى فاقه» أى: حاجه «الك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك» لا استحقاقى .

«و لا ينعش» أى: لا يرفع «من خلتها» بالفتح أى: فافتها «إلا منك و جودك» على عبادك .

«فهب لنا فى هذا المقام» مقام حمدك و ثنائك «رضاك» عنا .

«و أغننا عن مدّ الأيدى إلى سواك» لأنك الرزاق «إنك على كل شىء قدير» على إغنائنا و إصلاح جميع شئوننا.

هذا، و روى (أمالى الشيخ) فيما رواه عن الغضائرى أنه عليه السّلام كان إذا رأى الهلال قال: اللهم ارزقنا خيريه و نصره و بركته و فتحه، و نعوذ بك من شرّه و شرّ ما بعده (٢).

و روى (الكافى) عنه عليه السّلام قال: الدعاء مفتاح النّجاح، و مقاليد الفلاح، و خير الدعاء ما صدر عن صدر نقى و قلب تقى، و فى المناجاه سبب النجاه، و بالاخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع.

أيضا: الدعاء ترس المؤمن، و متى تكثر قرع الباب يفتح لك (٣).

و فى (المحاسن و الأضداد للجاحظ): يقال أنّ عليّا عليه السّلام لمّا اتصل به مسير معاويه قال: لا أرشد الله قائده، و لا أسعد رائده، و لا أصاب غيشا، و لا سار إلا ريثا، و لا رافق إلا ليثا، أبعده الله و أسحقه، و أوقد على أثره و أحرقه، لا حطّ الله رحله، و لا كشف محلّه، و لا بشرّ به أهله، لا زكى له مطلب و لا رحب له

ص: ٣٤

١- ١) أورده أساس البلاغه: ٩٤، [١] ماده (حمد).

٢- ٢) أمالى ابن جعفر الطوسى ٢: ٢٦٠ المجلس ١٥. [٢]

٣- ٣) الكافى ٢: ٤٦٨ [٣] ح و ٤٢.

مذهب، و لا- يَسِيرُ له مراما، لا- فَرَجَ الله له غَمّه، و لا- سَرَى هَمّه، لا سقاه الله ماء، و لا حل عقده، و لا أروى زنده، جعله الله سفر
الفراق، و عصا الشقاق! و أنشد:

بأنكد طائر و بشرّ فال لأبعد غايه و أخسّ حال

بحدّ السدّ حيث يكون منى كما بين الجنوب إلى الشمال

غريبا تمتطى قدميك دهرا على خوف تحنّ إلى العيال (١)



الكتاب (١٥)

و كان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محاربا:

اللَّهُمَّ أَفْضَتِ إِلَيْكَ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ- وَ شَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أُضْطَبَّتِ الْأَيْدِي- اللَّهُمَّ قَدْ صَيَّرَحَ مَكُونُ
الشَّانِ- وَ جَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ- اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَهُ نَبِيِّنَا- وَ كَثْرَةَ عِدُونِنَا وَ تَشْتُّتِ أَهْوَانِنَا- «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا
بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» قول المصنف: «و كان عليه السلام إذا لقي العدو محاربا» رواه نصر ابن مزاحم في (صفيه نصر بن
مزاحم-وقعه صفيه- ص ٢٣٠ و ٢٣١) في ثلاث روايات:

إحداها: ما رواه مسندا عن سلام بن سويد: كان عليّ عليه السلام إذا أراد أن يسير إلى الحرب و قعد على دابته قال: الحمد لله ربّ
العالمين على نعمه علينا و فضله العظيم «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» (٢) ثم يوجه دابته
إلى القبلة ثم يرفع يديه إلى السماء ثم يقول: اللهم إليك نقلت الأقدام، و أفضت القلوب، و رفعت الأيدي، و شخّصت الأبصار،

ص: ٣٥

١-١ (١) المحاسن و الأضداد: ٩٩. [١]

٢-٢ (٢) الزخرف: ١٣ و ١٤. [٢]

نشكو إليك غيبه نبينا، و كثره عدونا، و تشئت أهوائنا «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (١) سيروا على بركة الله (٢).

الثانية: مسندا عن تميم: كان على عليه السلام إذا سار الى القتال ذكر اسم الله حين يركب، ثم يقول: الحمد لله على نعمه علينا و فضله العظيم «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» (٣) ثم يستقبل القبلة ثم يرفع يديه الى الله ثم يقول: اللهم إليك نقلت الأقدام، و أتعبت الأبدان، و أفضت القلوب، و رفعت الأيدي، و أشخصت الأبصار «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (٤) سيروا على بركة الله، ثم يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله و الله أكبر، يا الله يا أحد يا صمد، يا رب محمّد، بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول و لا قوه إلا بالله العلي العظيم، إياك نعبد و إياك نستعين، اللهم كف عنا بأس الظالمين فكان هذا شعاره بصفين (٥).

الثالثة: عن قيس بن الربيع عن عبد الواحد بن حسان عمّن حدّثه عن على عليه السلام سمعه يقول يوم صفين «اللهم إليك رفعت الأبصار، و بسطت الأيدي، و دعيت الألسن، و أفضت القلوب، و تحوكم إليك فى الأعمال، فاحكم بيننا و بينهم بالحقّ و أنت خير الفاتحين. اللهم إنا نشكو إليك غيبه نبينا، و قلّه عددنا، و كثره عدونا و تشئت أهوائنا، و شدّه الزمان، و ظهور الفتن، أعنا عليهم بفتح تعجّله، و نصر تعزّ به سلطان الحقّ و تظهره» (٦).

ص: ٣٦

[١-١] الأعراف: ٨٩. [١]

[٢-٢] وقعه صفين: ٢٣١. [٢]

[٣-٣] الزخرف: ١٣-١٤. [٣]

[٤-٤] الاعراف: ٨٩. [٤]

[٥-٥] وقعه صفين: ٢٣٠. [٥]

[٦-٦] وقعه صفين: ٢٣١. [٦]

و الخير الأول مطلق فى كونه أى حرب، و الأخيران صرح فىهما بكونه فى صفين، لكن لم يذكر فىهما وقته.

و روى خبرا آخر أنه عليه السّلام قاله يوم الهير، فروى عن جابر بن عمير الأنصارى قال: و الله لكأنى أسمع عليّ عليه السّلام يوم الهير - و ذلك بعد ما طحنت رحى مذحج فيما بينها و بين عك و لحم و جذام و الأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصى، حتى استقلت الشمس و قام قائم الظهر - يقول لأصحابه متى نخلى بين هذين الحيين قد فنيا و أنتم وقوف تنظرون، أما تخافون مقت الله.

ثم انفتل إلى القبلة و رفع يديه و نادى «يا الله يا رحمن يا رحيم، يا واحد يا أحد يا صمد، يا الله يا إله محمّد، اللهم إليك نقلت الأقدام و أفضت القلوب و رفعت الأيدي و مدّت الأعناق و شخصت الأبصار و طلبت الحوائج، إنّنا نشكو إليك غيبه نبينا و كثره عدونا و تشتت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا و بين الحقّ و أنت خير الفاتحين» سيروا على بركه الله، ثم نادى «لا إله إلاّ الله و الله أكبر كلمة التقوى».

قال جابر: لا و الذى بعث محمّدا بالحقّ نبيا ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات و الأرض، أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب، إنّه قتل فيما ذكر العادون زياده على خمسمائه من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنيا فيقول «معذره إلى الله عزّ و جلّ و إليك من هذا، لقد هممت أن أفلقه و لكن حجزنى عنه أنى سمعت الرسول يقول كثيرا «لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ على» و أنا قاتل به دونه.

قال جابر: فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به فى عرض الصف، و لا و الله ما ليث بأشدّ نكايه فى عدوه منه عليه السلام (1).

و روى (صفين عبد العزيز الجلودى) - كما فى (مهج على بن طاوس) -

ص: ٣٧

(١ - ١) وقعه صفين: ٤٧٧، و [١] النقل بتصرف يسير.

إنه كان في أول القتال، ففيه: فلَمَّا زحفوا باللواء قال عليّ عليه السّلام: بسم الله الرحمن الرحيم، لا- حول و لا- قوه إلا بالله العليّ العظيم، اللهم إياك نعبد و إياك نستعين، يا الله يا رحمن يا رحيم يا أحد يا صمد يا إله محمّد، إليك نقلت الأقدام و أفضت القلوب و شخصت الأبصار و مدّت الأعناق و طلبت الحوائج و رفعت الأيدي، اللهم افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين. ثم قال «لا- إله إلا الله و الله أكبر»- ثلاثا (١). قلت: و حيث أنّه كان دعاء يكرّر أمكن دعاؤه عليه السّلام به في كلّ ما روى، فعن جمل المفيد دعا به يوم الجمل أيضا (٢).

كما أنّه روى الكلام عنه عليه السّلام في غير وقت الحرب، فروى (رسائل الكليني)- كما في (المحجّه) فيما كتبه عليه السّلام بعد منصرفه من النهروان لَمَّا سأله عن أبي بكر و عمر و عثمان- إلى أن قال- فدعوني إلى بيعه عثمان فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا، و علّمت أهل القنوت أن يقولوا: «اللهم لك أخلصت القلوب، و إليك شخصت الأبصار، و أنت دعيت بالألسن، و إليك تحوكم الأعمال، فافتح بيننا و بين قومنا بالحقّ. اللهم إنّنا نشكو إليك غيبه نبينا، و كثره عدوّنا، و قلّه عددنا، و هو اننا على الناس، و شدّه الزمان، و وقوع الفتن بنا. اللهم ففرّج ذلك بعدل تظهره، و سلطان حق تعرفه!» (٣).

قال ابن أبي الحديد: كان سديف مولى المنصور يقول «اللهم أنّا نشكو إليك غيبه نبينا و كثره عدوّنا، و تشّت أهوائنا، و ما شملنا من زيغ الفتن، و استولى علينا من عشوه الحيره، حتى عاد فيثنا دوله بعد القسمه، و أمارتنا غلبه بعد المشوره، و عدنا ميراثا بعد الاختيار للامه، و اشترت الملاهي

ص: ٣٨

١-١ (١) مهج الدعوات: ٩٦. [١]

٢-٢ (٢) الجمل: ١٨٢. [٢]

٣-٣ (٣) كشف المحجّه: ١٧٩. [٣]

والمعازف بمال اليتيم و الأرملة، و أرعى فى مال الله من لا يرعى له حرمه، و حكم فى أبطار المؤمنى أهل الذمه، و تولّى القيام بأمرهم فاسق كلّ محله، فلا- ذائد يذودهم عن هلكه، و لا راع ينظر إليهم بعين رحمه، و لا ذو شفقه يشيع الكبد الحزى من مسغبه، فهم أولو ضرع و فاقه، و أسراء فقر و مسكنه، و حلفاء كآبه و ذلّه. اللهم و قد استحصد زرع الباطل و بلغ نهايته، و استحكم عموده، و استجمع طريده، و حذف وليده، و ضرب بجرانه فأتح له من الحقّ يدا حاصده، تجذّ سنامه و تهشم سوقه و تصرع قائمه، ليستخفى الباطل بقبح حليته و يظهر الحقّ بحسن صورته».

و وجدت هذه الألفاظ فى دعاء منسوب إلى على بن الحسين عليه السلام، و لعله من كلامه و قد كان سديف يدعو به (١).

قلت: ان كان أصل الكلام من السجاد عليه السلام إلاّ أنّه لا بدّ أن يكون بعض فقراته من غيره، فهو لا يقول «عادت إمارتنا غلبه بعد المشوره وعدنا ميراثا بعد الاختيار للامه»، فهل تلك المفاصد التى عدّت إلاّ نتيجة ذاك الاختيار يوم السقيفه و تلك المشوره يوم الدار؟ قوله عليه السلام «اللهم أفضت اليك» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «اللهم إليك أفضت» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) «القلوب» أى: تظهر القلوب أسرارها لك.

«و مدّت الأعناق» أى: تتضرع لك «و شخصت الأبصار» شخص بصره: إذا فتحه و جعله لا يطرف.

«و نقلت الأقدام» أى: مسيرنا كان لك «و انضيت الأبدان» يقال: انضيت

ص: ٣٩

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١١٣: ١٥. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١١٢: ١٥، و [٢] شرح ابن ميثم ٣٨٥: ٤. [٣]

الثوب إذا ابليته، و انضى فلان بعيره أى: هزله، و تقديم الظرف للحصر، أى: ان وقوع جميع هذه الامور كان مختصا لك .

«اللهم قد صرح» أى: انكشف و ظهر «مكتوم» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «مكتون» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) [\(١\)](#) «الشتان» أى:

البغض.

«و جاشت» من جاشت القدر أى: غلت «مراجل» جمع المرجل قدر من نحاس «الأضغان» .

و روى نصر بن مزاحم فى (صفيه): لما أراد على عليه السلام الشخوص إلى صفيين التفت عبد الله بن بديل الخزاعى إلى الناس و قال: كيف يبايع معاويه علينا عليه السلام و قد قتل أخاه حنظله و خاله الوليد و جدّه عتبه فى موقف واحد [\(٢\)](#).

«اللهم إنّنا نشكو إليك غيبه نبينا و كثره عدونا» قالت سيده النساء مخاطبه لأبيها أو صفيه لابن أخيها كما فى (بيان الجاحظ):

قد كان بعدك أنباء و هنبته لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض و ابلها فاحتل لقومك و اشهدهم و لا تغب [\(٣\)](#)

و قالت أروى بنت عبد المطلب كما فى (طبقات كاتب الواقدى):

لعمرك ما أبكى النبى لموته و لكن لهرج كان بعدك آتيا [\(٤\)](#)

و فى (أنساب البلاذرى): قالت امّ الفضل: كنت جالسه عند النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هو مريض، فبكيت فقال: ما بيكيك؟ قلت: أخشى عليك و لا أدرى ما نلقى من

ص: ٤٠

١-١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١١٢:١٥، [١] لكن فى شرح ابن ميثم ٣٨٥:٤ نحو المصريه.

٢-٢) وقعه صفيين: ١٠٢. [٢]

٣-٣) نقله عن فاطمه الزهراء [٣] عليها السلام (الطبرسى فى الاحتجاج ٩٢:١، و [٤] عن صفيه الجاحظ فى البيان ٣١٩:٣ و [٥] عن هند بنت ائاته ابن سعد فى الطبقات ٢ ق ٩٧:٢ بفرق يسير بين الألفاظ.

٤-٤) طبقات ابن سعد ٢ [٦] ق ٩٣:٢.

الناس بعدك. فقال: أنتم المستضعفون (١)!! و قد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ له عليه السَّلَام: إنَّ الامه ستغدر بك بعدى (٢).

«و تشتت» أى: تفرَّق «أهوائنا، ربنا افتتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين» الأصل فيه قول شعيب فيما حكى الله تعالى عنه (٣).

هذا، و روى (الكافى) أنّه عليه السَّلَام كان إذا أراد القتال قال: اللهم إنك أعلمت سبيلا من سبلك جعلت فيه رضاك، و نذبت إليه أولياءك، و جعلته أشرف سبلك عندك ثوبا و أكرمها لديك مآبا، و أحبها إليك مسلكا، ثم اشترت فيه من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنّة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليك حقًا، فاجعلنى ممّن اشترى فيه منك نفسه ثم وفى لك بيعه الذى بايعك عليه، غير ناكث و لا ناقض عهدا و لا مبدّل تبديلا، بل استيجابا لمحبتك و تقربا به إليك، فاجعله خاتمه عملى و صير فيه فناء عمرى، و ارزقني فيه لكك و به مشهدا توجب لى به منك الرضا، و تحطّ به عنى الخطايا، و تجعلنى فى الأحياء المرزوقين، بأيدى العداة و العصاه، تحت لواء الحقّ و رايه الهدى، ماضيا على نصرتهم قدما غير مولّ دبرا و لا محدث شكّا. اللهم و أعوذ بك عند ذلك من الجبن عند موارد الأهوال، و من الضعف عند مساوره الأبطال، و من الذنب المحبط للأعمال، فأحجم من شكّ أو أمضى بغير يقين، فيكون سعى فى تباب و عملى غير مقبول (٤).

و فى (زهر آداب الحصرى) و (مجالس ثعلب): «و من دعاء على عليه السَّلَام فى

ص: ٤١

١- ١) انساب الأشراف ٥٥١: ١. [١]

٢- ٢) أخرجه البخارى فى تاريخه ١: ق ١٧٤١، و الحاكم فى المستدرک ٣: ١٤٠ و ١٤٢، و [٢] الخطيب فى تاريخ بغداد ١١: ٢١٦، و الثقفى فى الغارات ٢: ٤٨٦ و [٣] غيرهم.

٣- ٣) الأعراف: ٨٩. [٤]

٤- ٤) الكافى ٤٦: ٤٦ ح ١. [٥]

حروبه»اللهم أنت أرضى للرضى،و أسخط للسخط،و أقدر على تغير ما كرهت،و أعلم بما تقدر،لا تغلب على باطل،و لا تعجز عن حق،و ما أنت بغافل عما يعمل الظالمون (١).

٩

الخطبة (٢١٠)

و من خطبه له عليه السلام:

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ - سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ - وَالْمُضِيلَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا - فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصَيْرَتِكَ - وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ - فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً - وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسِيكَتَهُ أَرْضُكَ وَ سَمَاوَاتِكَ - ثُمَّ أَنْتَ بَعِيدُهُ الْمُغْنَى عَنْ نُصَيْرِهِ - وَالْأَخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ أَقُولُ: قال ابن ميثم: الفصل من خطبه كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام (٢). لكنه لم يأت له بمستند ولا أدرى هل وقف فيه على روايه أو قاله تخميناً.

قول المصنف: «و من خطبه له عليه السلام» قد ترى أنه مناجاه مع الله تعالى كسابقه،فان كان جزء خطبه فهو اقتصر.

قوله عليه السلام: «اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادله غير الجائره» مقالته عليه السلام العادله غير الجائره،كلماته التي كان يدعو بها الناس إلى الله تعالى و إلى جهاد أعدائه،كقوله عليه السلام«سيروا إلى أعداء السنن و القرآن،سيروا إلى

ص: ٤٢

١-١) زهر الآداب ٤٤:١،و [١]مجالس ثعلب ٤١٦:٢.

٢-٢) شرح ابن ميثم ٢٧:٤. [٢]

«و المصلحه غير المفسده فى الدين و الدنيا» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «و المصلحه فى الدين و الدنيا غير المفسده» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢)، و ليكون «غير المفسده» كقوله «غير الجائره» وصف عليه السّلام مقالته بالوصفين للدلاله على أن مقالته عليه السّلام عادله محضه و مصلحه خالصه، ليست كبعض المقالات المختلطه عدلها بجورها و صلاحها بفسادها ان لم يكن كلّها جورا أو فسادا.

«فأبى بعد سمعه لها إلاّ النكوص» أى: الإحجام «عن نصرتك و الإبطاء عن إعزاز دينك» فى (صفيين نصر): لما قال عليه السّلام تلك الكلمات قام رجل من بنى فزاره يقال له أربد، فقال: أ تريد أن تسيّرنا إلى اخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصره فقتلناهم، كلاها الله لا نفعل ذلك، فقام الأشر فقال: من لهذا أيها الناس، فهرب و اشتدوا على أثره فلحق بمكان من السوق تباع فيه البراذين، فوطؤه بأرجلهم و ضربوه بأيديهم، و نعال سيوفهم حتى قتل، فقال عليه السّلام: قتيل عميه لا يدري من قتله، ديته من بيت مال المسلمين.

و قام الأشر فقال: كيف لا- نقاتل قوما هم كما وصف أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد وثبت عصابه منهم على طائفه من المسلمين، فأسخطوا الله و اظلمت بأعمالهم الأرض و باعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير، فقال على عليه السّلام: الطريق مشترك، و الناس فى الحقّ سواء، و من اجتهد رأيه فى

١- ١) رواه ابن مزاحم فى وقعه صفيين: ٩٤. [١]

٢- ٢) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١١: ٦٠، و [٢] شرح ابن ميثم ٤: ٢٧ [٣] نحو المصريه.

نصيحه العامه فله ما نوى و قضى ما عليه (١).

«فإننا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهاده» هكذا في (المصريه)، و هو غلط، فان أكبر الشاهدين شهاده هو الله تعالى لا غيره، قال عز و جل: «قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ» (٢)، و الصواب: «فانا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهاده» كما في (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣)، و قول محشى المصريه: «أكبر الشاهدين هو النبى أو القرآن (٤)» غلط.

«و نستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك» من الجن و الأانس «و سماواتك» من الملائكه «ثم أنت بعده» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «بعد» كما في (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥) «المغنى عن نصره و الآخذ له بذنبه» .

في (صفين نصر): لما أمر علي عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دخل عليه عبد الله بن المعتم، و حنظله الكاتب في رجال كثير من غطفان و بنى تميم، فقال حنظله: انا نظرنا لك و لمن معك، أقم و كاتب هذا الرجل و لا تجعل إلى قتال أهل الشام، و لا تدرى إذا التقيتم لمن تكون الغلبه و على من تكون الدبره. و تكلم ابن المعتم و القوم الذين دخلوا معهما بمثل ما تكلم حنظله.

فقال عليه السلام: اما الدبره فانها تكون على الضالين، ظفروا أو ظفر بهم، و ايم الله لا سمع كلام قوم ما أراهم يريدون أن يعرفوا معروفاء، و لا ينكروا منكرا.

فقال مالك بن حبيب له عليه السلام: إن حنظله هذا يكاتب معاويه فاحبسه، أو أمكنا منه نحبسه، فأخذا يقولان هذا جزاء من أشار عليكم بالرأى فيما بينكم

ص: ٤٤

١-١ (١) وقعه صفين: ٩٤ و ٩٥. [١]

٢-٢ (٢) الانعام: ١٩. [٢]

٣-٣ (٣) كذا في شرح ابن أبى الحديد ١١:٦٠، [٣] لكن في شرح ابن ميثم ٤:٢٧ [٤] نحو المصريه.

٤-٤ (٤) قاله الشيخ محمد عبده في حاشيه نهج البلاغه ٢:١٩٣. [٥]

٥-٥ (٥) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١١:٦٠، و [٦] شرح ابن ميثم بعده ٤:٢٧.

و بين عدوكم، فقال عليه السّلام: اللّٰه بينى و بينكم و إليه أكلكم و به استظهر عليكم، اذهبوا حيث شئتم- إلى أن قال- فلحق ابن المعتم مع أحد عشر رجلا من قومه و حنظله الكاتب مع ثلاثة و عشرين رجلا من قومه بمعاويه (١).

و لا تخفى نكات كلامه عليه السّلام من وصفه مقالته بالجامعه لكل حسن و المانعه عن كلّ قبح، و جعله النكوص عنه النكوص عن اللّٰه و عن دينه، و استشهاد الخالق و الخلاق على نكوصه و إعانه اللّٰه تعالى له و انتقامه من تاركه.

و لما قال الأشتر له عليه السّلام- كما فى (تاريخ يعقوبى)- إنّ هوى جرير مع معاويه قال عليه السّلام: يا ويحهم مع من يميلون و يدعوننى! فواللّٰه ما أردتهم إلّا على إقامه حقّ، و لا يريدهم غيرى إلّا على باطل (٢).

ص: ٤٥

١- ١) وقعه صفين: ٩٥ و ٩٦، و [١] النقل بتلخيص.

٢- ٢) تاريخ يعقوبى ٢: ١٨٤. [٢]

الفصل السابع عشر: في وصفه عليه السّلام لعجائب خلقه تعالى

اشاره

ص: ٤٧

و من خطبه له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش - إلى أن قال :-

وَ مِنْ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ وَ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ - مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِشِ - الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ - وَ يَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ - وَ كَيْفَ عَشِيَّتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ - مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَدَاهِبِهَا - وَ تَتَصَلُّ بِعَلَانِيَتِهِ بُرْهَانَ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا - وَ رَدَعَهَا تَلَالُؤُ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيئِ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا - وَ أَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الدَّهَابِ فِي بُلَجِ انْتِلَاقِهَا - وَ هِيَ مُسَدَّلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا - وَ جَاعِلَةٌ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقِهَا - فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِشْرَاقُ ظُلْمَتِهِ - وَ لَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيئِ فِيهِ لِعَسَقِ دُجْنَتِهِ - فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا وَ يَدَّتْ أَوْضَاحَ نَهَارِهَا - وَ دَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا - أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَا قِيَهَا - وَ تَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْ مِنْ فِئِ ظَلَمٍ لِيَالِيهَا -

فَسَيَبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعِيشًا - وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا - وَجَعَلَ لَهَا أَجْنَحَهُ مِنْ لَحْمِهَا - تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ - كَأَنَّهَا شَطَايَا الْأَذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ - إِلَّا أَنْتَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ أَعْلَامًا - لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقًا فَيُنشَقَا وَ لَمْ يَغْلُظَا فَيُنْقَلَا - تَطِيرُ وَ وُلْدَهَا لِاصِقُ بِهَا لِأَجْيِئِ إِلَيْهَا - يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ وَ يَزْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ - لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ - وَ يَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ - وَ يَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَ مَصَالِحَ نَفْسِهِ - فَسَيَبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ قَوْلُ الْمُصَنِّفِ : «بَدِيعَ خَلْقِهِ الْخَفَاشُ» مِنْ اخْتِلَافِ بَاصِرَتِهِ مَعَ بَاصِرِهِ بَاقِي الطُّيُورِ وَ الْحَيَوَانَاتِ، وَ اخْتِلَافِ اجْنَحَتِهِ مَعَ اجْنَحِهِ بَاقِي الطُّيُورِ، وَ اخْتِلَافِ وُلْدِهَا مَعَ وُلْدِ بَاقِي الطُّيُورِ وَ الْحَيَوَانَاتِ.

و في (حياه حيوان الدميري): ليس هو من الطير في شيء، فانه ذو اذنين و أسنان و خصيتين و منقار و يحيض و يطهر و يضحك كما يضحك الإنسان و يبول كما تبول ذوات الأربع و يرضع ولده، و لا ريش له (1).

قول المصنف : «و من لطائف صنعته» من اضافته الصفه إلى الموصوف، و الأصل «و من صنائعه اللطيفه» «و عجائب حكمته» هو أيضا كسابقه، و الأصل «حكمته العجيبه» «ما أرانا من غوامض» أي: خفيات «الحكمه» و هي إتقان الامور «في هذه الخفافيش» جمع الخفاش بالضم.

و قال الدميري: قال البطليوسى الخفاش له أربعة أسماء: خفاش، و خشاف، و خطاف، و وطواط.

و الحقُّ أَنَّ الْخَفَاشَ وَ الْخَطَّافَ صِنْفَانِ، وَ قَالَ قَوْمُ الْخَفَاشِ الصَّغِيرِ

ص: ٥٠

و الوطواط الكبير، وهو لا يبصر فى ضوء القمر و لا فى ضوء النهار (١).

و فى (الصحاح): الخفش: صغر فى العين و ضعف فى البصر خلقه، و الرجل أخفش، و قد يكون الخفش عله، و هو الذى يبصر الشىء بالليل و لا يبصره بالنهار، و يبصره فى يوم غيم و لا يبصره فى يوم صاح (٢).

«التي يقبضها الضياء» أى: الشمس، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً» (٣) «الباسط لكل شىء» حى «و يبسطها الظلام» أى: الليل، قال تعالى:

«وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ» (٤) «القابض لكل حى» من الوحش و الطير .

«و كيف عشيت» فى (الجمهره): عشى الرجل فهو أعشى و المرأه عشواء و العشى مصدره، و هو على معنيين و هو الذى لا يبصر بالليل و يبصر بالنهار و هو الذى ساء بصره من غير عمى، كما قال الأعشى:

إن رأيت رجلا أعشى أضربه ريب المنون و دهر خايل خيل

و العشو مصدر عشوت إلى ضوئك إذا قصدته بليل، ثم صار كل قاصد شىء عاشيا، قال الحطيئه:

متى تأتته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد (٥)

و(الصحاح)، اقتصر فى معنى العشى على الأول، و(المصباح) على الثانى، كما أن (الصحاح) قال عشوته: قصدته (٦).

ص: ٥١

١- ١) المصدر السابق. [١]

٢- ٢) صحاح اللغة ١٠٠٥: ٣، [٢] ماده (خفش).

٣- ٣) يونس: ٥. [٣]

٤- ٤) يسن: ٣٧.

٥- ٥) جمهره اللغة ٣: ٦٢. [٤]

٦- ٦) صحاح اللغة ٢٤٢٧: ٦، [٥] ماده (عشا)، و المصباح المنير ٢: ٧٢ ماده (عشى).

و الصواب: ما عرفت من (الجمهره).

«أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئه نورا تهتدى به في مذاهبها» جعل تعالى الأبصار في باقى ذوى الأبصار بواسطه الشمس، و فيها بواسطه عدمها، فسبحان الذى خلق الأضداد.

«و تصل» أى: تلك الخفافيش «بعلانيه» بتخفيف الياء اسم مصدر بمعنى الانتشار «برهان» جعله ابن دريد من «بره» فقال فى باب فعلاين: و برهان معروف من قولهم «هذا برهان هذا» أى: إيضاحه، و قال به ابن الأعرابى، و اختاره الأزهرى، و جعله الجوهري و الفيروز آبادى و السجستاني فى (غريب قرآنه) رباعيا، و أغرب قول، قول الزمخشري، فقال إنه من البرهرمه أى: البيضاء من الجواهرى (١).

«الشمس إلى معارفها» كباقي الطيور و الوحوش «و ردعها» أى: كفها و منعها و الفاعل ضمير النور «تلاؤ» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «بتلاؤ» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) «ضياؤها عن المضى فى سبحات» أى: أنوار «أشراقها و أكتها» أى: سترها «فى مكانها» محالّ اختفائها «عن الذهاب فى بلج» جاء فى (الصحاح): «صبح أبلج» أى: مشرق مضيء، قال العجاج: «حتى بدت أعناق صبح أبلجا» (٣).

«ائتلاقها» أى: لمعانها «فهى مسدله» من أسدل ثوبه و شعره، أرخاه، و فى (القاموس) سدل الشعر و أسدله، أرخاه. و أمّا اقتصار (الأساس) و (الصحاح)

ص: ٥٢

-
- ١ - ١) جمهره اللغة لابن دريد ٤١٦:٣، و تهذيب اللغة للأزهرى ٢٩٤:٦، و صحاح اللغة للجوهري ٢٠٧٨:٥، و القاموس المحيط للفيروز آبادى ٢٠١:٤، و غريب القرآن للسجستاني: و أساس البلاغه للزمخشري: ٢١، و نقل قول ابن الاعرابى لسان العرب ٤٧٦:١٣.
- ٢ - ٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٨١:٩، [١] لكن فى شرح ابن ميثم ٢٥٣:٣، [٢] نحو المصريه.
- ٣ - ٣) صحاح اللغة ٣٠٠:١ [٣] ماده (بلج).

على سدل و إنكار المصباح لأسدل ففى غير محلّه (١) «الجفون» فى (المصباح) جفن العين غطاءها من أعلاها و أسفلها، و هو مذكر (٢) «بالنهار على أحداقها» جمع حدقه كالحداق «و جاعله الليل سراجا تستدلّ به فى التماس أرزاقها» .

قال الدميرى: يخرج البعوض فى غروب الشمس لطلب قوّته و هو دمء الحيوان، و يخرج الخفّاش طالبا للطعم، فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم (٣).

«فلا- يرّد أبصارها أسداف» من «أسدفت المرأه القناع» أرسلته «ظلمته و لا تمتنع من المضى فيه» أى: فى التماس أرزاقها «لغسق» فى (الصباح): الغسق:

أول ظلمه الليل (٤) «دجته» بالضم أى: ظلمته .

«فإذا ألقت الشمس قناعها» فى (المصباح): قناع المرأه ما تلبسه فوق الخمار (٥) «و بدت أوضاع» فى (الصباح): الوضع: الضوء و البياض (٦) «نهارها» نظير قوله تعالى: «و النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى» (٧) «و الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا» (٨) «و دخل من إشراق نورها على الضباب» جمع الضب.

قال الدميرى فى (حياء حيوانه): الضب يخرج من جحره كليل البصر، فيجلوه بالتحديق للشمس، و من شأنه فى الشتاء ألا يخرج من جحره، قال اميه

ص: ٥٣

١ - ١) القاموس المحيط ٣: ٣٩٥، [١] مادة (سدل)، و أساس البلاغه: ٢٠٧، مادة (سدل)، و صحاح اللغة ٥: ١٧٢٨، مادة (سدل)، و المصباح المنير ١: ٣٢٨، [٢] مادة (سدل).

٢ - ٢) المصباح المنير ١: ١٢٨، [٣] مادة (جفن).

٣ - ٣) حياه الحيوان ١: ٢٩٦، و [٤] النقل بتصرف يسير.

٤ - ٤) صحاح اللغة ٤: ١٥٣٧، [٥] مادة (غسق).

٥ - ٥) لم يوجد هذا فى موضعه من المصباح ٢: ٢٠٢، مادة (قنع).

٦ - ٦) صحاح اللغة ١: ٤١٦، [٦] مادة (وضح).

٧ - ٧) الليل: ٢. [٧]

٨ - ٨) الشمس: ١. [٨]

بن أبي الصلت في ابن جدعان:

بيارى الريح تكرمه و مجدا إذا ما الضب أجحره الشتاء

و قال ابن خالويه في أوائل (كتاب ليس): الضب لا يشرب الماء و يعيش سبعمائه سنه، و يقال: إنه يبول في كل أربعين يوما قطره، و لا تسقط له سن، و يقال: إن أسنانه قطعه واحده. و للتضاد بينه و بين السمكه قال حاتم الأصم:

تكفل بالأرزاق للخلق كلهم و للضب في البيداء و للحوت في البحر (١)

و في (المصباح): الضب: دابه تشبه الحرذون، و هى أنواع، فمنها ما هو على قدر الحرذون، و منها أكبر منه، و منها دون العنز و هو أعظمها، و من عجيب خلقته أن الذكر له زبآن، و الانثى لها فرجان تبيض منهما (٢).

و في (الصحاح) في المثل «أعق من ضب» لأنه ربما أكل حسوله، و الانثى ضبّه، و قولهم «لا أفعله حتى يحنّ الضبّ في أثر الإبل الصادره» و لا أفعله حتى يرد الضبّ لأنّ الضبّ لا يشرب ماء. و من كلامهم الذى يضعونه على ألسنه البهائم، قالت السمكه: «و ردا يا ضبّ»، فقال «أصبح قلبى صردا، لا يشتهى أن يردا، إلا عرادا عردا، و صليانا بردا، و عنكنا ملتبدا» (٣).

«فى و جارها» فى (القاموس): الوجار بالكسر و الفتح جحر الضبع و غيرها و «وجره» موضع بين مكه و البصره أربعون ميلا ما فيها منزل فهى مربّ للوحش (٤).

«أطبقت الأجفان» جمع آخر للجفن غطاء العين غير الجفون «على مآقيها»

ص: ٥٤

١-١ (١) حياه الحيوان ٢:٧٧ و ٧٨. [١]

٢-٢ (٢) المصباح المنير ٢:٢، [٢] ماده (ضب).

٣-٣ (٣) صحاح اللغه ١:١٦٧، [٣] ماده (ضب).

٤-٤ (٤) القاموس المحيط ٢:١٥٣، [٤] ماده وجر).

فى الصّاح: مؤق العين طرفها مما يلى الأنف، و اللّحاظ طرفها الذى يلى الاذن (١). و فى (الجمهره): المؤق موق العين، و فيه أربع لغات موق و ماق و مؤق و مآق، و يجمع آماقا و مآقى و أمواقا و اماقى (٢)، و قال:

مثل النهار يزيد أبصار الورى نورا و يعمى أعين الخفّاش

«و تبلّغت» أى: اكتفت، قال:

تزجّ من دنياك بالبلاغ و باكر المعده بالدباغ (٣)

«بما اكتسبت من فىء ظلم لياليها» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (بما اكتسبته من المعاش فى ظلم لياليها) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: الخفّاش يخرج بالليل و يتقوّت بما يسرى فى الجوّ من الفراش و ما أشبهه، و قد قال قائلون: إنّه لا طعمه للخفّاش، و إنّ غذاه من النسيم وحده، و ذلك يبطل من جهتين: أحدهما خروج الثفل و البول منه، فإن هذا لا يكون من غير طعمه، و الاخرى أنّه ذو أسنان، و لو كان لا يطعم شيئا لم يكن للأسنان فيه معنى، و ليس فى الخلقه شيء لا معنى له (٥).

«فسبحان من جعل الليل لها نهارا و معاشا، و النهار سكنا و قرارا» و هو دليل كمال قدرته و عظّمته.

قال الصادق عليه السّلام للمفضّل: أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التى لا- تخرج إلّا- بالليل، كمثّل البوم و الهام و الخفّاش؟ قال: لا يا مولاي. قال: إنّ

ص: ٥٥

١- ١) صحاح اللغه ١٥٥٣: ٤، [١] ماده (مآق).

٢- ٢) جمهره اللغه ١٦٦: ٣، [٢]

٣- ٣) أورده لسان العرب ٤١٩: ٨، [٣] ماده (بلغ).

٤- ٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٨١: ٩، [٤] لكن فى شرح ابن ميثم ٢٥٣: ٣، [٥] نحو المصريه.

٥- ٥) توحيد المفضل: ١٢١، و [٦] النقل بتصرف يسير.

معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض و الفراش و أشباه الجراد و اليعاسيب، و ذلك أن هذه الضروب مبنوثة في الجو لا تخلو منها موضع، و اعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجا بالليل في سطح أو عرصه دار اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير، فمن أين يأتي ذلك كله إلا من القرب، فإن قال قائل: إنه يأتي من الصحارى و البرارى، قيل له كيف يوافي تلك الساعه من موضع بعيد، و كيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار محفوفه بالدور فيقصد إليه، مع ان هذه عيانا تتهافت على السرج من قرب، فيدل ذلك على أنها منتشرة في كل موضع من الجو، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتقوت بها. فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو، و اعرف ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى أن يظن ظان أنها فضل لا معنى له (١).

«و جعل لها أجنحه من لحمها» يمكن أن يكون مستأنفه و ان يكون عطا على «جعل الليل» و على «يقبضها الضياء الباسط لكل شيء» .

«تعرج بها عند الحاجه إلى الطيران» بخلاف باقى الطيور، فجعل في أجنحتها و ذنبها ريشات طوال متان لتنهض بها للطيران، و كسى كلها الريش ليتداخلها الهواء فيقلها! فكيف تطير هذه مع خلقها من جميع ما ذكر، و لكنّها لما كانت تلد، جعل جناحها من لحم، فلو كان من ريش لم يقدر لحملها مع حملها.

قال الصادق عليه السلام في غيره من الطيور: جعل الطير مما تبيض بيضا، و لا تلد ولاده، لكيلا تثقل عن الطيران، فأنه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحکم، لأثقلته و عاقته عن النهوض و الطيران، فجعل كل شيء من خلقه

ص: ٥٦

مشاكلا للأمر الذي قدّر أن يكون عليه (١).

«كأنها شظايا» جمع الشظية بمعنى الشقّه «الأذان غير ذوات ريش ولا قصب» بخلاف سائر الطيور، فلها ريشات غرزت في ما كان كالقصب، والقصب بفتحيتين كلّ نبات يكون ساقه أنابيب و كعوبا.

قال الدميري: قال وهب بن منبه: طلبوا من عيسى عليه السلام خلق الخفّاش بإذن الله تعالى، لأنه من أعجب الطير خلقه، إذ هو لحم و دم يطير بغير ريش، و هو شديد الطيران سريع التقلب، و هو مع ذلك موصوف بطول العمر، فيقال انه أطول عمرا من النّسر و من حمار الوحش (٢).

«إلا- أنك ترى مواضع العروق بينه أعلاما» جمع العلم بفتحيتين بمعنى العلامه، ثم الظاهر كونه تميزا لما قبله «لها جناحان لَمّا» هكذا في جميع النسخ، و الظاهر كونه محرّف «لم» لأن المقام ليس مقام توقع وقوع «يرقما فينشقا و لم» و في نسخه (ابن أبي الحديد) «و لَمّا» (٣) «يغلظا فيثقلا» و لم يمكنها الطيران .

«تطير و ولدها لاصق بها لاجئ إليها يقع» الولد «إذا وقعت و يرتفع» الولد «إذا ارتفعت» الامهات «لا يفارقها حتى تشتدّ أركانه، و يحمله للنهوض جناحه و يعرف مذاهب عيشه و مصالح نفسه» .

هذه أيضا أحد امتيازات الخفّاش عن غيره.

و في (توحيد المفضل): انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمهاتها مستقلة بأنفسها، لا تحتاج إلى الحمل و التريه كما تحتاج أولاد الإنس، فمن أجل أنه ليس عند أمهاتها ما عند أمهات البشر من الرفق و العلم بالتريه،

ص: ٥٧

١-١) توحيد المفضل: ١١٤. [١]

٢-٢) حياه الحيوان ٢٩٦: ١. [٢]

٣-٣) في شرح ابن أبي الحديد ١٨٢: ٩ ايضا [٣] لم.

و القوه بالأكفّ و الأصابع المهيأه لذلك، أعطيت النهوض و الاستقلال بأنفسها.

و كذلك نرى كثيرا من الطير كمثل الدجاج و الدراج و القبج تدرج، و تلتقط حين تنقاب عنها البيضه، فأما ما كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام، و اليمام، و الحمر، فقد جعل فى الامتهات فضل عطف عليها، فصارت تمجّ الطعام فى أفواها بعد ما توعيه حواصلها، فلا تزال تغذوها حتى تستقلّ بأنفسها، و لذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيرا مثل ما ترزق الدجاج، لتقوى الام على تربيته فراخها فلا تفسد و لا تموت، فكلا أعطى بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير (١).

بيان: اليمام طير وحشى كالحمام، و الحمر جمع حمرة طير كالعصفور.

و فى (حيوان الدميرى): تلد أنثى الخفّاش ما بين ثلاثه أفراخ و سبعة، و كثيرا ما يسفد و هو طائر فى الهواء، و ليس فى الحيوان ما يحمل ولده غيره، و القرد و الإنسان، و يحمله تحت جناحه، و ربّما قبض عليه بفيه، و ذلك من حنوّه و إشفاقه عليه، و ربّما أرضعت الانثى ولدها و هى طائره (٢).

«فسبحان الله البارئ» أى: الخالق و الأصل الهمز «لكلّ شىء على غير مثال خلا» أى: مضى قال تعالى: «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» (٣) «من غيره» .

و كلّ شىء من خلقه تعالى و إن كان لا- تعدّ حكمه تعالى فيه، كما لا- تعدّ نعمه تعالى على خلقه، إلا أنّه عليه السّلام خصّ الخفّاش هنا بالذكر، لاختصاصه بخصائص و كونه مشتركا بين الحيوان و الطير.

ص: ٥٨

١- ١) توحيد المفضل: ٩٧، و [١] النقل بتصريف يسير.

٢- ٢) حياه الحيوان ٢٩٦: ١. [٢]

٣- ٣) فاطر: ٢٤. [٣]

و في (توحيد المفضل): خلق الخفّاش خلقه عجيبه بين خلقه الطير و ذوات الأربع، هو إلى ذوات الأربع أقرب، و ذلك أنّه ذو أذنين ناشزتين و أسنان و وبر، و هو يلد أولادا و يرضع و يبول، و يمشى إذا مشى على أربع، و كل هذا خلاف صفه الطير- إلى أن قال:-

و أما المآرب فيه فمعروفه، حتّى أنّ زبله يدخل في بعض الأعمال، و من أعظم الأرب فيه خلقتة العجيبه الداله على قدره الخالق جلّ ثناؤه و تصرفها في ما شاء كيف شاء لضرب من المصلحه (١).

و في (حيوان الدميرى): إذا وضع رأس الخفّاش في حشو مخده فمن وضع رأسه عليها لم ينم، و ان طبخ رأسه في إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق و يغمر فيه مرارا حتى يتهرئ و يصفى ذلك الدهن عنه، و يدهن به صاحب النقرس و الفالج القديم، و الارتعاش و التورّم في الجسد فانه ينفعه و هو مجرّب، و ان ذبح في بيت و أخذ قلبه و احرق، فيه لم يدخله حيات و لا عقارب، و إن علّق قلبه وقت هيجانه على إنسان هيج الباه، و إذا علّق عنقه على إنسان أمن العقارب، و من مسح بمرارته فرج امرأه قد عسرت ولادتها ولدت لوقتها، و ارتفع الدم عن النساء إذا أخذن من شحمه، و ان طبخ ناعما حتى يتهرئ و مسح به الإحليل أمن التقطير، و إن صبّ من مرقه و قعد فيه صاحب الفالج انحل ما به، و إذا طلب بزبله على القوابى قلعتها، و من نتف أبطه و طلاه بدمه مع لبن أجزاء متساويه لم ينبت، و إذا طلى به عانات الصبيان منع من النبات (٢).

هذا، و روى ابن قتيبه في (عيونه) عن الرياشي قال: روى عن عليّ عليه السّلام

ص: ٥٩

١- ١) توحيد المفضل: ١٢٠. [١]

٢- ٢) حياه الحيوان ٢٩٧: ١، و [٢] النقل بتصرف يسير.

ليس شيء يغيب أذناه إلا وهو بيض، وليس شيء يظهر أذناه إلا وهو يلد (١).

و روى الصدوق في (خصاله) عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام قال: كان على عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام، فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن سته لم يركضوا في رحم؟ فقال عليه السلام: آدم و حواء و كبش إبراهيم و عصا موسى و ناقه صالح و الخفاش الذي عمله عيسى عليه السلام فطار بإذن الله (٢).

٢

الخطبة (١٦٣)

و من خطبه له عليه السلام يذكر فيها عجب خلقه الطاوس:

ابْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَ مَوَاتٍ - وَ سَاكِنٍ وَ ذِي حَرَكَاتٍ - فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صِنْعَتِهِ - وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ - مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَ مَسْلُومَةً لَهُ - وَ نَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ - وَ مَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ - الَّتِي أَسَيَّكَنَهَا أَحَادِيدَ الْأَرْضِ - وَ خُرُوقَ فِجَاجِهَا وَ رَوَاسِي أَعْلَامِهَا - مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ هَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ - مُصَيَّرَفِهِ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ - وَ مَرْفُوفِهِ بِأَجْنِحَتَيْهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَنَفِّسِ - وَ الْفَضَاءِ الْمُتَفَرِّجِ - كَوْنَهَا بَعِيدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرِهِ - وَ رَكْبِهَا فِي حَقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبِهِ - وَ مَنَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِحَلْقِهِ أَنْ يَسِيُمُوَ فِي السَّمَاءِ حُفُوفًا - وَ جَعَلَهُ يَدْفُ دَفِينًا - وَ نَسَبَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِعِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ - وَ دَقِيقِ صِنْعَتِهِ - فَمِنْهَا مَعْمُوسٌ فِي قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ فِيهِ - وَ مِنْهَا مَعْمُوسٌ

ص: ٦٠

١-١ (١) عيون ابن قتيبه ٢: ٨٨. [١]

٢-٢ (٢) الخصال ٣٢٢: ١ ح ٨.

فِي لَوْنٍ صَبِغَ قَدْ طُوقَ بِخِلَافٍ مَا صَبِغَ بِهِ وَ مِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائِسُ - الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ - وَ نَصَدَّ الْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ
 تَنْضِيدٍ - بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصِيدَهُ وَ ذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ - إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيْهِ - وَ سَمَّا بِهِ مُظْلًا عَلَى رَأْسِهِ - كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِيٍّ
 عَنَجَهُ نُوثِيَهُ - يَخْتِيَالُ بِالْوَانِهِ وَ يَمِيسُ بَرِيفَانِهِ - يُفْضِي كَأَفْضَاءِ الدِّيَكَةِ - وَ يُؤَرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ فِي الضَّرَابِ - أَحْيَلُكَ
 مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايَنِهِ - لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادَهُ - وَ لَوْ كَانَ كَرَعَمٌ مِنْ يَزْعُمٍ - أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعِهِ تَسْفِحَهَا مَدَامِعُهُ - فَتَقِفُ
 فِي ضَفْتِي جُفُونِهِ - وَ أَنَّ أَنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ - ثُمَّ تَبْيِضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلِ سَوَى الدَّمْعِ الْمُتَبَجِّسِ - لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبٍ مِنْ مُطَاعَمِهِ
 الْعَرَابِ تَخَالُ قَصِيدَهُ مَدَارِيٍّ مِنْ فَضِهِ - وَ مَا أُنْبِتَ عَلَيْهِ مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ - وَ شَمُوسِهِ خَالِصِ الْعُقَيَانِ وَ فَلَدِ الزَّرْبُجِدِ - فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا
 أَنْبَتِ الْأَرْضُ - قُلْتَ جِنِّيَّ جِنِّيٍّ مِنْ زَهْرِهِ كُلِّ رَبِيعٍ - وَ إِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيَّ الْحُلْلِ - أَوْ مُونِقِ عَضْبِ الْيَمَنِ؟ - وَ إِنْ
 شَاكَلْتَهُ بِالْحَلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ الْوَانِ - قَدْ نَطَّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ - يَمَشِي مَشَى الْمَرْحِ الْمُخْتَالِ وَ يَنْصَفُ فُحْ ذَنَبَهُ وَ جَنَاحَهُ -
 فَيَهْفُهُ ضَاحِكًا لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَ أَصَابِغِ وَ شَاحِهِ - فَإِذَا رَمَى بَبَصْرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ - زَقَا مُعُولًا بِصَوْتِ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ - وَ يَشْهَدُ
 بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ - لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشُ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ وَ قَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنُوبِ سَاقِهِ صِيصَةً يَهْ خَفِيَّةً - وَ لَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ
 قُنْزَعُهُ خَضْرَاءُ مُوَشَاءُ - وَ مَخْرُجُ عُنُقِهِ كَالْبَابِرِيقِ - وَ مَغْرُزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبْغِ الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ - أَوْ كَحَرِيرِهِ مُلْبَسِهِ مِرْآةَ ذَاتِ
 صِقَالٍ - وَ كَأَنَّهُ مُلْفَعٌ بِمِعْجَرِ أَسِيحِمٍ - إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَ شِدَّةِ بَرِيقِهِ - أَنَّ الْخَضْرَاءَ النَّاصِرَةَ مُمْتَرِجَةً بِهِ - وَ مَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطُّ
 كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنٍ

الْأَقْحُونِ - أبيض يَبْقُ فَهُوَ بَيَاضُهُ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ - وَقَلَّ صَبْغُ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ - وَعَلَاهُ بِكَثْرِهِ صِقَالِهِ وَبَرَبِقِهِ - وَ
بَصَّةٌ يَصُ دِيْبَاجِهِ وَرَوْنِقِهِ - فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَيْبِجٍ - وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيْشِهِ وَيَعْرَى مِنْ لِيَاسِهِ -
فَيْسَقُ قَطُّ تَتْرَى وَ يَبْثُ تِبَاعاً - فَيَنْحُتُ مِنْ قَصْبِهِ انْحِتَاتٍ أَوْ رَاقِ الْأَغْصَانِ - ثُمَّ يَتَلَاخَقُ نَامِيًا حَتَّى يَعودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ - لَا يُخَالِفُ
سَالِفَ أَلْوَانِهِ - وَلَا يَقَعُ لُونٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ - وَإِذَا تَصَفَّحَتْ شَعْرَهُ مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ - أَرْتَكَ حُمْرَهُ وَرَدِيَّةً وَ تَارَهُ خُضْرَهُ زَبْرَجِدِيَّةً -
وَ أَحْيَانًا صُفْرَهُ عَسَجِدِيَّةً - فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صَفِّهِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ - أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ - أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ - وَ
أَقْلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ - وَ الْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ - فَسَبَّحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَالِهِ لِلْعُيُونِ - فَأَذْرَكَتُهُ
مَحْدُودًا مُكُونًا وَ مُؤَلَّفًا مُلُونًا - وَ أَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ - وَقَعِيدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيهِ نَعْتِهِ وَ سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ - وَ
الْهَمَجِ إِلَى مَا فَوْقَهَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتَانِ وَ الْفَيْلِهِ - وَ وَأَى عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا - يَضْطَرِبُ شَبَّحٌ مِمَّا أَوْلَمَجَ فِيهِ الرُّوحَ - إِلَّا وَ جَعَلَ الْحَمَامَ
مَوْعِدَةً وَ الْفَنَاءَ غَايَةً أَقُولُ: روتها كتب غريب الحديث كما يفهم من (النهاية -النهاية- ج ١ ص ٣٧ و ج ٢ ص ١٤٠ و ج ٤ ص
٩٧ و ج ٥ ص ١٢٣) (١).

«ابتدعهم» أى: اخترعهم «خلقوا عجبيا» «يَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» (٢) «من حيوان» بالتحريك «و موات» و المراد بحيوان ما فيه
الروح و بموات ما لا روح فيه، و قد يجيئان بالعكس كقولهم «اشتر الحيوان و لا تشتت الموتان» أى:

اشتر الأَرْضِينَ وَ الدُّورَ وَ لا تشتت الرقيق وَ الدُّوَابَّ، إِلَّا أَنَّهُ بِالتَّأْوِيلِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى الْأَصْلِي .

«و ساكن و ذى حركات» حتى فى النجوم جعل ثوابت و سيارات.

ففى (توحيد المفضل): فُكِّرَ فى النجوم و اختلاف مسيرها، فبعض لا- يفارق مراكزها من الفلك و لا تسير إلا مجتمعة، و بعضها
مطلقه تنتقل فى البروج، و يفترق فى مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب و الآخر
خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التى تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين و النملة تدور ذات الشمال، و النملة فى ذلك
تتحرك حركتين مختلفتين احدهما بنفسه فتتوجه أمامها و الاخرى مستكرهه مع الرحى تجذبها إلى خلفها، فاسأل الزاعمين أن
النجوم صارت على ما هى عليه بالإهمال من غير عمد، و لا- صانع لها ما منعها أن تكون كلُّها راتبه أو تكون كلُّها منتقلة! فان
الإهمال معنى واحد، فكيف صار يأتى بحركتين مختلفتين على وزن و تقدير، ففى هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه
بعمد و تدبير و حكمه و تقدير، و ليس بإهمال كما يزعم المعطله.

فان قال قائل: و لم صار بعض النجوم راتبا و بعضها منتقلا؟ قلنا: إنها لو كانت كلُّها راتبه لبطلت الدلالات التى يستدل بها من تنقل
المنتقلة و مسيرها فى كل

ص: ٦٢

(١-١) النهاية ٣٧:١ و ١٤٠:٢ و ٩٧:٤ و ١٢٣:٥.

(٢-٢) البقرة: ١٧.

برج من البروج، كما يستدلّ بها على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس و النجوم في منازلها، و لو كانت كلّها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف و لا رسم يوقف عليه، لأنّه إنّما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبه، كما يستدلّ على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها.

و لو كان تنقلها بحال واحده لاختلط نظامها و بطلت المآرب فيها، و لساغ لقائل أن يقول: إنّ كينونتها على حال واحده توجب عليها الإهمال من الجبهه التي و صفنا، ففي اختلاف سيرها و تصرفها و ما في ذلك من المآرب، و المصالح أبين دليل على العمد و التدبير فيها (1).

«فأقام من شواهد البيّنات على لطيف صنعته و عظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفه به و مسلّمه له».

قال الصادق عليه السّلام للمفضل: أول العبر و الدلاله على الباري جلّ قدسه تهيئه هذا العالم و تأليف أجزائه و نظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأملت العالم بفكرك و خبرته بعقلك و جدته كالبيت المبنى المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسمااء مرفوعه كالسقف، و الأرض ممدوده كالبساط، و النجوم مضيئه كالمصاييح، و الجواهر مخزونه كالذخائر، و كلّ شيء فيها لشأنه معدّ، و الإنسان كالمملك ذلك البيت، و المخول جميع ما فيه، و ضرور النبات مهّيأه لمآربه، و صنوف الحيوان مصروفه في مصالحه و منافعه، ففي هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير و حكمه و نظام و ملائمه، و ان الخلق له إله واحد، و هو الذي أَلّفه و نظّمه بعضا إلى بعض، جلّ قدسه و تعالى جدّه و كرم وجهه و لا إله غيره، تعالى عما يقول الجاحدون، و جلّ عما ينتحلّه

ص: ٦٤

الملحدون (١) «و نعقت» أى: صاحت من «نعق الراعى بغنمه» «فى أسماعنا دلائله على وحدانيته» .

و فى كلّ شىء له آيه تدلّ على أنّه واحد

قال هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبى عبد الله عليه السّلام، فخرج إلى المدينه ليناظره-إلى أن قال-فقال عليه السّلام: أتعلم أنّ للأرض تحتاً؟قال:

نعم.قال:فدخلت تحتها؟قال:لا.قال:فتدرى بما تحتها؟قال:لا- أدرى إلاّ إننى أظنّ ان ليس تحتها شىء.قال:فالظنّ عجز ما لم تستيقن،أ فصعدت السماء؟ قال:لا،قال أ فتدرى ما فيها؟قال:فأتيت المشرق و المغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال:لا،قال:فعجبا لك لم تبلغ المشرق و لم تبلغ المغرب و لم تنزل تحت الأرض و لم تصعد السماء و لم تخبر هنالك فتعرف ما خلفهن و أنت جاحد ما فيهن و هل يجحد العاقل ما لا- يعرف؟قال:و لعل ذاك،فقال عليه السّلام:أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجّه على من يعلم،فلا حجّه للجاهل على العالم.يا أخا أهل مصر تفهّم عنى،لا تشكّ فى الله أبداً،أما ترى الشمس و القمر و الليل و النهار يلجئان ليس لهما مكان إلاّ مكانهما،فان كانا يقدران على أن يذهبا فلا يرجعان فلم يرجعان؟و ان لم يكونا مضطرين فلم لا يصير الليل نهارا و النهار ليلا؟ اضطرا و الله يا أخا أهل مصر،الى دوامهما،و الذى اضطرها أحكم منهما و أكبر.يا أخا أهل مصر،الذى تذهبون إليه و تظنّونه بالوهم،فإن كان الدهر يذهب بهم لم لا- يردهم؟و إن كان يردهم لم لا- يذهب بهم؟القوم مضطرون يا أخا أهل مصر،السماء مرفوعه،و الأرض موضوعه،لم لا تسقط السماء على الأرض و لم لا تنحدر الأرض فوق طاقتها،فلا يتماسكان و لا يتماسك من عليهما؟فقال الزنديق:أمسكهما و الله ربّهما-و آمن على يديه.و قال له عليه السّلام:

ص: ٦٥

اجعلنى من تلامذتك، فقال عليه السلام لهشام بن الحكم: خذه إليك فعلمه، فكان معلم أهل مصر و أهل الشام (١).

«و ما ذراً» أى: خلق متفرقا «من مختلف صور الأطيّار» و فى (مجالس ثعلب): زعم بعض من يصيد الطير أنّه يحدث فى كلّ سنه من الطير ما لم يكونوا يعرفونه قبل ذلك (٢).

«التي أسكنها أخاديد الأرض» أى: شقوقها المتسطيله «و خروق» أى:

شقوق عريضه «فجاجها» الطرق الواسعه بين الجبال، قالوا: القبح و شبهه يسكن الفجاج.

«و رأسى» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (و رواسى) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣)، أى: ثوابت، قال تعالى: «و ألقى فى الأرض رواسى أن تميم بكم» (٤) «أعلامها» أى: جبالها قال جرير: «إذا قطعن علما بدا علم» (٥).

قالوا: و الطير الذى أسكنها الجبال العقبان .

«من ذات» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (ذوات) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٦) «أجنحه مختلفه و هيئات متباينه» هذه مع تلك.

قال الصادق عليه السلام للمفضل: هل رأيت هذا الطائر الطويل الساقين و عرفت ما له من المنفعه فى طول ساقيه، فإنّه أكثر ذلك فى ضحضاح من

ص: ٦٦

١- ١) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٧٢ ح ١ و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) لم أظفر عليه فى مجالس ثعلب.

٣- ٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٦٦، لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٤ [٢] نحو المصريه.

٤- ٤) النحل: ١٥. [٣]

٥- ٥) أورده لسان العرب ١٢: ٤٢٠، [٤] ماده (علم).

٦- ٦) لفظ شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٦٦، و [٥] شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٤ «[٦] ذات».

الماء، فتراه بساقين طويلين كأنه ربيته فوق مرقبه، وهو يتأمل ما يدب في الماء، فإذا رأى شيئاً ممّا يتقوّت به خطا خطوات رقيقه حتى يتناولوه، ولو كان قصير الساقين و كان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور و يذعر منه فيتفرّق عنه، فخلق له ذانك العمودان ليدرك بهما حاجته و لا يفسد عليه، تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر! فإنك تجد كلّ طائر طويل الساقين طويل العنق، و ذلك ليتمكن من تناول طعمه من الأرض، و لو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، و ربما أعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهوله و إمكانا، أفلا ترى أنك لا تفتش شيئاً من الخلقه إلا وجدته على غايه الصواب: و الحكمه (١).

«مصرّفه في زمام التسخير» في (توحيد المفضل): هذا الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه بعضها أسبوعاً و بعضها أسبوعين و بعضها ثلاثه أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضه، ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء، فمن كلفه أن يلقط الطعام و الحبّ يستخرجه بعد أن يستقر في حوصلته و يغذو به فراخه؟ و لأى معنى يحتمل هذه المشقه و ليس بذى رويّه و لا تفكر؟ و لا يأمل في فراخه ما يأمل الانسان في ولده من العزّ و الرفد و بقاء الذكر، فهذا من فعله يشهد أنّه معطوف على فراخه لعلّه لا يعرفها و لا يفكر فيها و هى دوام النسل و بقاؤه لطفاً منه تعالى.

و فيه: انظر الى الدّجاجة كيف تهيج لحضن البيض و التفريخ، و ليس لها بيض مجتمع و لا وكر موطّى، بل تنبعث و تنتفخ و تمتنع من الطعام حتى يجتمع لها البيض فتحضنه و تفرخ، فما كان ذلك منها إلا لإقامه النسل، و من أخذها بإقامه النسل و لا رويّه لها و لا تفكير لو لا أنّها مجبولة على ذلك!

ص: ٤٧

وفيه:فكر يا مفضل،في خلقه عجيبه حصلت في البهائم،فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم،و إلا فأين جيف هذه الوحوش و السباع و غيرها،لا- يرى منها شيء،و ليست قليلة فتخفى لقلتها،بل لو قال قائل إنها أكثر من الإنس لصدق،فاعتبر في ذلك بما تراه في الصحارى و الجبال من أسراب الطباء،و المهاء،و الحمير الوحش،و الوعول،و الايايل، و غير ذلك من الوحوش،و أصناف السباع من الأسد و الضباع و الذئاب و النمور و غيرها،و ضروب الهوام و دواب الأرض،و كذلك أسراب الطير من الغربان و القطا و الاووز و الكراكي و حمام الطير و سباع الطير جميعا،و كلها لا يرى منها إذا ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع،فإذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع خفيه فيموتون فيها!!و لو لا- ذلك لا متلأت الصحارى منها حتى تفسد رائحه الهواء و تحدث الأمراض و الوباء.فانظر إلى هذا الذى يخلص إليه الناس و عملوه بالتمثيل الأول الذى مثل لهم (١).

قلت:إشاره إلى قوله تعالى في تحيّر قابيل في جسد هابيل و بعثه تعالى غرابا بالبريه كيف يوارى سوءه أخيه (٢).

كيف جعل طبعها و ادكارها في البهائم و غيرها ليسلم الناس من معزها ما يحدث عليهم من الأمراض و الفساد؟ «و مرفرفه» فى (الجمهره):ررفرف إذا بسط جناحيه،و ررفرفه الطائر أن يرفرف بجناحيه و لا- يبرح كأنه يحوم على الشيء (٣)«بأجنحتها فى مخارق» أى:

ممازّ «الجوّ» هو ما بين السماء و الأرض «المنفسخ» أى:المتسع «و الفضاء

ص:٦٨

١- ١) توحيد المفضل:١٠٧،و [١]النقل بتصريف يسير.

٢- ٢) جاءت القصة فى (المائده:٣١). [٢]

٣- ٣) جمهره اللغه ١:٨٥ و ١٤٦. [٣]

المنفرج» أى: المنكشف «أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (١).
«كونها بعد أن لم تكن فى عجائب صور ظاهره» وصف للمضاف.

فى (توحيد المفضل): تأمل جسم الطائر و خلقته، فإنه حين قدر أن يكون طائرا فى الجو خفف جسمه و أدمج خلقه، و اقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، و من الأصابع على أربع، و من منفذين للزبل و البول على واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعلت السفينه بهذه الهيئه لتشق الماء و تنفذ فيه، و جعل فى جناحيه و ذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران و كسا كله الريش ليتداخله الهواء فيقله! و لما قدر أن يكون طعمه الحبّ و اللحم يبلعه بلعا بلا مضغ، خلق له منقار صلب حاس يتناول به طعمه، فلا ينسحج من لقط الحب، و لا يتقصف من نهش اللحم، و لما عدم الأسنان و صار يزدرد الحب صحيحا، و اللحم غريضا أعين بفضل حراره فى الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغنى به عن المضغ! و اعتبر ذلك بأن عجم العنب و غيره يخرج من أجواف الإنس صحيحا و يطحن فى أجواف الطير لا يرى له أثر. ثم جعل مما يبيض بيضا و لا يلد ولا يده لثلا. يثقل عن الطيران، فإنه لو كانت الفراخ فى جوفه تمكث حتى تستحکم لأثقلته و عاقته عن النهوض و الطيران، فجعل كل شىء من أمره مشا كلا للأمر الذى قدر أن يكون عليه!! (٢) «و ركبها فى حقاق» جمع الحق بضم الحاء، و فى (الجمهره): الحق رأس

ص: ٦٩

١- (١) النحل: ٧٩. [١]

٢- (٢) توحيد المفضل: ١١٣، و [٢] النقل بتصرف يسير.

العُضد الذى فيه الوابله، و الحق أصل الورك الذى فيه عظم رأس الفخذ (١) «مفاصل محتجبه» لثلا تصيبها آفه .

«و منع بعضها بعباله» أى: تاميّه، يقال امرأه عبله أى: تامّه الخلق «خلقه أن يسمو» أى: يعلو «فى السماء خفوفاً» أى: سرعه. و فى حديث خطبه مرض النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: قد دنا منّى خفوف من بين أظهركم (٢)، أى: سرعه ارتحال .

«و جعله يدفّ دفيفاً» أى: يحرك جناحيه فى الطيران فى قبال ما يصفّ صفّاً و لا يحرك، و ما دفّ يحل لحمه و ما صف يحرم .
«و نسقها» أى: نظّمها من نسقت الدرّ، أى: نظّمته «على اختلافها فى الأصابع» أى: الألوان «بلطيف قدرته و دقيق صنعته» .

قال الديصانى لهشام بن الحكم: ألك ربّ؟ قال: بلى، قال: أ قادر؟ قال:

بلى، قال: أ يقدر أن يدخل الدنيا كلّها فى البيضة لا يكبر البيضة و لا يصغر الدنيا؟ فجاء هشام إلى الصادق عليه السّلام و قال له: قال لى الديصانى كذا و كذا.

فقال عليه السّلام له: كم حواسك؟ قال: خمس. قال: أيّها أصغر؟ قال: الناظر. قال: كم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسه أو أقل، قال: فانظر أمامك و فوقك و اخبرنى بما ترى. فقال: أرى سماء و أرضا و دورا و قصورا و جبالا و أنهارا. فقال عليه السّلام: إنّ الذى قدر أن يدخل الذى تراه العدس أو أقلّ منها قادر على أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لا يصغر الدنيا و لا يكبر البيضة (٣).

«فمنها مغموس» من غمسه فى الماء «فى قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه» ككثير من الطيور التى على لون واحد.

ص: ٧٠

١-١ (١) جمهره اللغه ١:٦٣. [١]

٢-٢ (٢) رواه ابن الأثير فى النهاية ٥٤:٢، [٢] ماده (خف).

٣-٣ (٣) اخرجه الكلينى فى الكافى ١:٧٩ ح ٤. [٣]

«و منها مغموس في لون صيغ قد طوق» قال ابن أبي الحديد: و روى «طورق» (١) «بخلاف ما صيغ به» قالوا كالقبيج و الفاخته و البلب و نحوها.

هذا، و في (بلدان الحموى) - في قابس - أخبر أبو الفضل الكلبي كاتب مونس حاجب إفريقيه أنهم كانوا في ضيافه ابن و انمو الصنهاجي فأتاه جماعه من أهل البادية بطائر على قدر الحمامه غريب اللون و الصوره ذكروا أنهم لم يروه قبل ذلك اليوم في أرضهم كان فيه من كل لون أجمله و هو أحمر المنقار طويله، فسأل ابن و انمو العرب الذين أحضروه هل يعرفونه و رأوه، فلم يعرفه أحد و لا سمّاه، فأمر ابن و انمو بقص جناحيه و إرساله في القصر، فلما جنّ الليل أشعل في القصر مشعل من نار، فما هو إلا أن رآه ذلك الطائر فقصدته و أراد الصعود إليه فدفعه الخدام، فجعل يلحّ في التقدّم إلى المشعل، فأعلم ابن و انمو بذلك، فقام و قام من حضر عنده فأمر بترك الطائر، فطار حتى صار في أعلى المشعل و هو يتأجج ناراً و استوى في وسطه و جعل يتفلى كما يتفلى الطائر في الشمس، فأمر ابن و انمو بزياده الوقود في المشعل من حرق القطران و غيره، فزاد تأجج النار و الطائر فيه على حاله لا يكثر، ثم وثب من المشعل بعد حين فلم يره به ريب (٢).

«و من أعجبها خلقا الطاوس الذي أقامه في أحكم تعديل» روى (توحيد ابن بابويه)، أن أبا شاعر الديصاني دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: إنك أحد النجوم الزواهر و كان آباؤك بدورا بواهر و أمهاتك عقيلات عباهر و عنصرك من أكرم العناصر، و إذا ذكر العلماء فبك تثنى الخناصر، فخبّرني أيها البحر الخضم الزاخر ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال عليه السلام: نستدل عليه بأقرب

ص: ٧١

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٤٧.

٢- ٢) معجم البلدان ٤: ٢٨٩ و [١] النقل بتصرف يسير.

الأشياء فدعا بيضه فوضعها على راحته فقال: هذا حصن ملموم داخله غرقى رقيق لطيف فيه فضه سائله و ذهبه مائعه، ثم تنفلق عن مثل الطاوس أدخلها شيء؟ فقال: لا، قال: فهذا الدليل على حدوث العالم، قال: أخبرت فأوجزت و قلت فأحسننت، و قد علمت أنا لا نقبل إلا ما أدر كناه بأبصارنا أو سمعناه بآذاننا أو شممناه بمنآخرنا أو ذفناه بأفواهنا أو لمسناه بأكفنا أو تصوّر في القلوب بيانا أو استنبطه الروايات إيقانا، فقال عليه السّلام: ذكرت الحواس الخمس و هي لا تنفع شيئا بغير دليل كما لا يقطع الظلمه بغير مصباح (١).

و في خبر آخر: دخل الديصاني على الصادق عليه السّلام و قال له: دلّني على معبودي؟ فقال عليه السّلام له: اجلس، و إذا غلام له صغير في كفّه بيضه يلعب بها، فقال عليه السّلام للغلام: ناولني البيضه، فناوله إيّاها فقال: يا ديصاني، هذا حصن مكنون له جلد غليظ، و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق، و تحت الجلد الرقيق ذهبه مائعه و فضّه ذائبه، فلا الذهبه المائعه تختلط بالفضه الذائبه و لا الفضه الذائبه تختلط بالذهبه المائعه! فهي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن صلاحها و لا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للانثى؟ تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أ ترى لها مدبرا؟ فأطرق مليا ثم قال:

أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، و ان محمّدا عبده و رسوله، و أنّك إمام و حجّجّه من الله على خلقه (٢).

«و نضد» من نضدت المتاع و نضدته: ضم بعضه إلى بعض متسقا أو مركوما «ألوانه في أحسن تنضيد» .

قال المفضّل للصادق عليه السّلام: إن قوما من المعطلّه يزعمون أن اختلاف

ص: ٧٢

١-١) توحيد الصدوق: ٢٩٢ ح ١. [١]

٢-٢) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٨٠. [٢]

الألوان و الأشكال فى الطير إنما يكون من قبل امتزاج الأخلاط، و اختلاف مقاديرها بالمزج و الإهمال، فقال عليه السلام: هذا الوشى الذى تراه فى الطواويس و الدراج و التدرج على استواء و مقابله كنحو ما يخطُّ بالأقلام كيف يأتى به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا- يختلف؟ و لو كان بالإهمال لعدم الاستواء لكان مختلفاً؟ تأمل يا مفضل، ريش الطير كيف هو، فإنك تراه منسوجاً كنسيج الثوب من سلول دقاق قد ألف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط الى الخيط و الشعره الى الشعره، ثم ترى ذلك النسج إذا مددته يفتح قليلاً و لا ينشق لتداخله الريح فيقلُّ الطائر إذا طار، و ترى فى وسط الريشه عموداً غليظاً متيناً، قد نسج عليه الذى هو مثل الشعر ليمسكه بصلابه و هو القصبه التى فى وسط الريشه و هو مع ذلك أجوف، ليخفَّ على الطائر و لا يعوقه عن الطيران (١).

«بجناح أشرح» من أشرجت العيبه: إذا داخلت بين أشراجها، أى: عراها «قصبه» و الأصل فى القصب كل نبات ذى أنابيب.
«و ذنب أطال مسحبه» من سحب ذيله إذا جزّه .

«إذا درج» أى: مشى «إلى الأنتى نشره من طيّه» و قبله ذنبه مطوى «و سما به» أى: علا- به «مظلاً» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «مظلاً» بالمهملة كما (فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢)، أى: مشرفاً، قال الشاعر:

أنا البازى المطلّ على نمير

«على رأسه كأنه قلع» بالكسر: الشراع كما فى (القاموس) (٣).

هذا، و سأل ابن مقله الوزير جحظه البرمكى عن لقبه «جحظه» قال:

ص: ٧٣

١- ١) توحيد المفضل: ١١٧ و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٦٨، [٢] لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٥ [٣] نحو المصريه.

٣- ٣) القاموس المحيط ٣: ٧٤، ماده (قلع).

لقينى ابن المعتز يوما فقال: ما حيوان إن تنكسه أتاناً آله للمراكب البحريه؟ فقلت «علق» إذا نكس صار «قلع». قال: أحسنت يا جحظه، أى ناتئ العين.

و كان هكذا كالجاحظ.

«دارى» فى (النهايه) «دارين» موضع بالبحر يؤتى منه بالطيب، و منه كلام على عليه السلام «كأنه قلع دارى» أى: شراع منسوب إلى هذا الموضع البحرى (١). «عنجه» أى: عطفه «نوتيه» أى: ملاحه. قال الدميرى: و فى طبعه الإعجاب بريشه و عقده لذنبه كالطاق، لا سيما إذا كانت الانثى ناظره إليه (٢).

«يختال» أى: يتكبر «بالوانه و يميمس» أى: يتبختر «بزيفانه» فى (الجمهره):

زافت الحمامه تزوف زوفا: إذا نشرت جناحيها و ذنبها و سحبتة على الأرض، و كذلك زوف الإنسان إذا مشى مسترخى الأعضاء، زاف يزوف زوفا و زاف يزيف زيفا و زيفانا (٣).

«يفضى» من أفضى الرجل الى امرأته: أى: باشرها «كافضاء الديكه» إلى دجاجها.

«و يؤرّ» بالضم من أرّ المرأه أى: نكحها «بملاقحه» يقال ألقح الفحل الناقه إذا أحبلها «أرّ الفحول المغتلمه فى الضراب» من اغتلم البعير إذا هاجت شهوته .

«أحيلك من ذلك على معاينه» قال ابن أبى الحديد: عاين عليه السلام ذلك لما كان بالكوفه (٤) «لا كمن يحيل على ضعيف إسناده» ففى كثير منها الوهم .

«و لو كان كزعم من يزعم أنه يلقح» أى: يجبل «بدمعه تسفحها» أى: تصبها «مدمعه» أى: أطراف عينه التى يخرج منها الدمع «فتقف» تلك الدمعه «فى

ص: ٧٤

١-١ (١) النهايه ١٤٠:٢، [١] ماده (دور).

٢-٢ (٢) حياه الحيوان ٢:٨٨. [٢]

٣-٣ (٣) جمهره اللغه ٣:١٣. [٣]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧٠. [٤]

ضفتي» أي: جانبي «جفونه» أي: أغطيه العين من أعلاها و أسفلها .

و أنّ أثنائه تطعم ذلك ثمّ تبيض لا- من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس» من انبجس الماء انفتح «لما كان ذلك بأعجب من مطاعمه الغراب» .

قال ابن أبي الحديد: زعم قوم أنّ الذكر يدمع عينه فتقف الدمعه بين أجفانه، فتأتى الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعه، و هو عليه السّلام لم يحل ذلك، و لكنه قال ليس بأعجب من مطاعمه الغراب. و العرب تزعم أنّ الغراب لا يسفد، و من أمثالهم «أخفى من سفاد الغراب» فيزعمون أنّ اللقاح من مطاعمه الذكر و الانثى و انتقال جزء من الماء الذى فى قانصته اليها من منقاره. و أما الحكماء فقلّ ان يصدقوا بذلك، على أنّهم قد قالوا فى كتبهم ما يقرب من هذا. قال ابن سينا: و القبجه تحبلها ربح تهب من ناحيه الحجل الذكر و من سماع صوته، و النوع المسّمى (مالاقيا) يتلاصق بأفواهاها ثم يتشابك فذاك سفادها.

و سمعت أنا أنّ الغراب يسفد و أنّه قد شوهد سفاده (1).

قلت: قوله «إنّه عليه السّلام لم يحلّ ذلك» إن أراد أنّه عليه السّلام احتمل وقوع اللقاح فى الطاوس بالدمعه كما يشهد له قوله «قلّ أن يصدق الحكماء بذلك» فغلط، كيف و قد قال عليه السّلام أولا «يفضى كافضاء الديكه و يؤرّ بملاقحه أرّ الفحول المغتلمه فى الصّراب، أحيلك من ذلك على معاينه» و ان أراد أنّه عليه السّلام جوّز مجرّد الإمكان العقلى فالحكماء أيضا لم ينكروا الإمكان.

و فى (حياه حيوان الدميرى): فى الغراب كلّ الاستتار عند السفاد، و هو يسفد مواجهه و لا يعود الى الانثى بعد ذلك لقلّه وفائه، و الانثى تبيض أربع بيضات و خمسا، و إذا خرجت الفراخ من البيض طردتها لأنها تخرج قبيحه المنظر جدّا، إذ تكون صغار الأجرام كبيره الرءوس و المناقير جرداء اللون

ص: ٧٥

متفاوته الأعضاء، فالأبوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه، فيجعل الله قوته في الذباب و البعوض الكائن في عشه إلى أن يقوى و ينبت ريشه، فيعود إليه أبواه و على الاثنى أن تحضن، و على الذكر المطعم (١).

«تخال» أى: تظن «قصبه» أى: قصب الطاوس و المراد به عمود ريشه «مدارى» شمع المدرى: القرن، قال النابغه يصف الثور و الكلاب:

شكَّ الفريصه بالمدرى فأنفذها شك المبيطر أخذ يشفى من العضد (٢)

«من فضه و ما أنبت عليه» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «عليها» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣) «من عجت داراته» جمع داره، و هى التى حول القمر، أى: الهاله «و شموسه» و المراد إشراقات ريشاته حتى كأن كل لون منها شمس «خالص العقيان» أى: الذهب الذى ينبت و لا يستذاب من الحجاره، قال الشاعر:

كل قوم صيغه من آنك و بنو العباس عقيان الذهب (٤)

«و فلذ» جمع الفلذه، أى: القطعه «الزبرجد فان شبهته بما أنبت الأرض» من الزهر و الأنوار «قلت جنى» على فعيل «جنى» بلفظ المجهول من جنيت الثمره «من زهره» أى: نور «كل ربيع و إن ضاهيته» أى: شاكلته و شبهته «بالملايس فهو كموشى» من وشيت الثوب: رقمته و نقشته «الحلل أو موتق» أى: معجب «عصب اليمن» فى (الجمهره): العصب برد من برود اليمن معروفه كانت الملوك تلبسها.

ص: ٧٦

١- ١) حياه الحيوان ١٧٣: ٢، و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) أو دره لسان العرب ١٤: ٢٥٥ [٢] ماده (درى).

٣- ٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٧١، [٣] لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٥ «عليه».

٤- ٤) أورده أساس البلاغه: ٣١٠ [٤] ماده (عقى).

أ تجعل أجلافا عليها عباؤها ككندة تردى فى المطارف و العصب

و قال السهيلي:العصب صبغ لا يثبت إلا باليمن (١).

«و ان شاكلته» أى:ماثلته «بالحلى» أى:حلى النساء «فهو كفصوص» فصّ الخاتم ما يركب فيه من غيره «ذات ألوان» العقيق و الفيروزج و الياقوت و الزبرجد و غيرها «قد نطقت» أى:جعلت لتلك الفصوص منطقه «باللجين» أى:

الفضه «المكّلل» أى:جعل له إكليلا،أى تاجا مرصعا بالجواهر.

و قد أخذ كلامه عليه السلام فى تشبيهاته للطاوس يحيى بن المنجم النديم، فقال-كما فى (المعجم):

سبحان من من خلقه الطاوس طير على أشكاله رئيس

كأنه فى نفسه عروس إذ أنه يحلو به التعريس

ديباجه تنشر او سدوس فى ريشه قد ركبت قلوب

تشرف من دارته شمس فى الرأس منه شجر مغروس

كأنه بنفسج يمس أو زهر فى روضه ينوس (٢)

و نظير كلامه عليه السلام فى أنواع التشبيهات قول محمد بن القاسم الشاعر المعروف بمان الموسوس:

و كيف صبر النفس عن غاده تظلمها إن قلت طاوسه

و جرت إن شبهتها بأنه فى جنه الفردوس مغروسه

و غير عدل إن عدلنا بها لؤلؤه فى البحر منفسه

جلت عن الوصف فما فكره تلحقها بالنت محسوسه

(١-١) جمهره اللغة ٢٩٦:١. [١]

(٢-٢) معجم الأدباء ٢٨:٢٠. [٢]

و لابن السِّمّاك تشبيهات فى الحمام، فدخل - كما فى (المروج) - على الرشيد و بين يديه حمامه تلتقط حبًا، فقال له صفها و أوجز فقال:

كأنّما تنظر من ياقوتتين و تلتقط بدرّتين

و تطأ على عقيقتين

و الآخر أيضا كما فيه:

هتفت هاتفه اذنها ألف بين ذات طوق مثل عطف النون أقى الطرفين

و تراها ناظره نحوك من ياقوتتين ترجع الأنفاس من ثقبين كاللؤلؤتين

و ترى مثل البساتين لها قادمتين و لها لحيان كالصدغين من عرعرتين

و لها ساقان حمراوان مثل الوردتين نسجت فوق جناحيها لها برنوستين

و هى طاوسيه اللون بنان المنكبين تحت ظل من ظلال الأيك صافى الكتفين

فقدت الفا فناحت من تباريح و بين فهى تبكيه بلا دمع جمود المقلتين (١)

«يمشى مشى المرح» الكثير النشاط «المختال» المتكبر «و يتصفّح» الأصل فى تصفح الشىء النظر فى صفحاته «ذنبه و جناحيه»

هكذا فى (المصريه) و الصواب: «و جناحه» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) «فيقهقه»

ص: ٧٨

(١-١) مروج الذهب ٣:٣٤٨. [١]

(٢-٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧١، [٢] لكن فى شرح ابن ميثم ٣:٣٠٦ [٣] نحو المصريه.

من القهقهه «ضاحكا لجمال» أى: حسن «سرباله». فى (المصباح): السربال:

قميص أو درع (١) «و أصابغ» أى: ألوان «وشاحه» فى (الصباح): الوشاح ينسج من أديم عريضا و يرصع بالجواهر و تشدّه المرأه بين عاتقها (٢).

«فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا» أى: صاح و قولهم «هو أثقل من الزواقى» هى الديوك، لأنهم كانوا يسمرون فإذا صاحت الديكه تفرّقا (معولا) كمن رفع صوته بالبكاء «يكاد بصوت» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

«بصوت يكاد» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣) «يبين» أى:

يوضّح «عن استغائته و يشهد بصادق توجهه أى تشكيه لأن قوائمه حمش» أى:

دقيقه «كقوائم الديكه الخلاسيه» المتولده بين دجاجتين هنديه و فارسيه.

هذا، و كان المتوكل أصغر الساقين، قال ابو حشيشه - كما فى (تأريخ الطبرى) - رأيته إذا جلس على السرير يكشف عن ساقيه كأنما صبغا بزعفران (٤).

و كان معاويه ذا عجزه، و كان خريم الناعم ذا ساقين حسنين، فدخل خريم على معاويه فنظر إلى ساقيه، فقال: أى ساقين لو أنهما على جاربه. فقال له خريم: فى مثل عجزتك. قال معاويه: واحده باخرى و البادئ أظلم.

و قالوا: لما عرضت الخيزران على المهدي قال: و الله يا جاريه، إنك لعلى غايه المنى غير أنك حمشه الساقين. فقالت: إنك أحوج ما تكون إليهما، لا تراهما. فقال: اشتروها فحظيت عنده، فأولدها الهادى و الرشيد .

«و قد نجمت» أى: ظهرت «من ظنوب ساقه» أى: عظمها من قدام

ص: ٧٩

١- (١) المصباح المنير ١:٣٢٩ [١] ماده (سرب).

٢- (٢) صباح اللغه ١:٤١٥ [٢] ماده (وشح).

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧١ و [٣] شرح ابن ميثم ٣:٣٠٦ [٤]

٤- (٤) تاريخ الطبرى ٧:٣٩٩ سنة ٢٤٧. [٥]

«صيصيه» الأصل فيها شوكة الحائك التي يستوى بها السداه، و منه صيصيه الديك و نحوه «خفيه» و لكون صيصيته خفيه لم يحل لحمه، و إلا فعنهم عليهم السلام:

كل طير له حوصله أو قانصه أو صيصيه حلال (١).

«و له فى موضع العرف» أى: شعر الرقبه «قنزعه» الأصل فيها بعض الشعر يترك غير محلوق، قال زهير:

و أشعث قد طالت قنازع رأسه دعوت على طول الكرى و دعانى (٢).

و عنه صلى الله عليه و آله و سلم لام أيمن «غطى عنا قنازعك» (٣).

«خضراء موشاه» فى (المصباح): و شيت الثوب فهو موشى، و الأصل مفعول (٤).

«و مخرج عنقه» أى: طرفها الذى يلى الرأس «كالإبريق» فارسى معرب.

«و مغرزاها» بتقديم المهمله، أى: طرف العنق الذى يلى الجسد «إلى حيث بطنه كصبغ الوسمه اليمانيه» فى شدّه السواد «أو كحريه ملبسه مرآه ذات صقال» فى البريق .

«و كأنه ملفع» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «متلفع» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥)، أى: متغط «بمعجر» ما تشدّ المرأه على رأسها «أسحم» أى: أسود «إلا أنه يخيل» أى: يقع فى الخيال «لكثره مائه و شدّه بريقه أن الخضره الناضره ممتزجه به» قال الجوهري: النضره الحسن، و قولهم «أخضر

ص: ٨٠

١- ١) جاء أحاديث بهذا المضمون فى الوسائل ١٦:٣٤٥ باب ١٨، و المستدرک ٣:٧٥ باب ١٤.

٢- ٢) أورده أساس البلاغه: ٣٦٥ [١] ماده (قزع).

٣- ٣) نقله الجوهري فى صحاح اللغة ٣:١٢٦٥ [٢] ماده (قزع).

٤- ٤) المصباح المنير ٢:٣٨١ ماده (وشى).

٥- ٥) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧٣، [٣] لكن فى شرح ابن ميثم ٣:٣٠٦ [٤] ملفع.

ناضر» إنما هو كقولهم «أصفر فاقع» و«أبيض ناصع» (١).

«و مع فتق» أى: شق «سمعه خط كمستدق القلم» أى: خط القلم الدقيق «فى لون الأبقوان» أى: البانونج، و هو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض و وسطه أصفر «أبيض يقق» أى: شديد البياض «فهو بياضه فى سواد ما هنالكك يأتلق» أى: يلمع .

«و قلّ صبغ إلّا- و قد أخذ منه بقسط» أى: نصيب «و علاه بكثره صقاله و بريقه و بصيص» أى: لمعان «ديباجه و رونقه فهو كالأزاهير» أى: الأنوار «المبثوثة» أى:

المنتشرة التى «لم تربها» بفتح التاء و ضمها من ربّ ولده أو ربّاه.

ثم كأن فى الكلام سقطا، و الأصل «إلّا أنّها لم تربها» «أمطار ربيع» كالأزاهير النباتيه «و لا شمس» أى: أضواء شمس «قيظ» شده الحر فى الصيف .

«و قد ينحسر» أى: يسقط «من ريشه و يعرى» أى: يصير عريانا «من لباسه فيسقط تترى» أى: واحدا بعد واحد «و يثبت» أى: ريشه «تباعا» أى: متواليا «فينحت» أى يتناثر أولا- «من قصبه انحلت أوراق الأغصان» عن الأشجار. قدر الله تعالى ذلك فى الطاوس لكون ريشه زينه و حليه ينتفع و يتمتع به الناس .

«ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه» لثلا يبقى ذاشين.

و فى (المصباح): يقال فى جناح الطائر ستّ عشره ريشه: أربعه قوادم، و أربع خواف، و أربع مناكب، و أربع أباهر (٢).

«لا- يخالف» لونه الأنف «سالف ألوانه و لا- يقع لون فى غير مكانه» لا- يقع مثلا الأخضر فى مكان الأحمر و الأسود فى مكان الأصفر .

«و إذا تصفّحت شعره من شعرات قصبه أرتك» من الإراءه و الكاف المفعول

ص: ٨١

١-١) صحاح اللغة ٢: ٨٣٠، [١] مادّه (نضر).

٢-٢) المصباح المنير ١: ٣٠١، [٢] مادّه (ريش).

الأول «حمره و رديّه» و هي أحسن ألوان الحمره، قال الجوهري: الورد الذى يشمّ، و بلونه قيل للأسد وورد، و للفرس وورد، و هو ما بين الكميت و الأشقر (١).

و قال الفيروز آبادى: لقب قيس بن حسان بالورد لجماله (٢).

«و تاره خضره زبرجديه» و هي أحسن ألوان الخضره.

«و أحيانا صفره عسجديه» و فى (القاموس): العسجد الذهب و الجواهر كلّه كالدرّ و الياقوت (٣) «فكيف تصل إلى صفه هذا» أى: الطاوس ذو الخلق العجيب «عمائق الفطن» أى: الفطن العميقه، و الفطانه: الحذاقه.

«أو تبلغه قرائح» جمع القريحه، و الأصل فيها أول ماء يستنبط من البئر «العقول أو تستنظم و صفه أقوال الواصفين» أى: تجعل و صفه فى نظام، و النظام الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ .

«و أقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه و الألسنه أن تصفه» يعنى إذا عجزت الأوهام عن الدرك و الألسنه عن الوصف، لأقل أجزائه و هو شعره من شعرات قصبه، ياراء تك لها تاره حمره و رديه و اخرى خضره زبرجديه و ثالثه صفره عسجديه، كيف تصل قرائح العقول إلى وصف كلّه و درك تمام أجزائه .

«فسبحان الذى» قال الجوهري: معنى «سبحان الله»: التنزيه له، و نصبه على المصدر، كأنه قال «ابرى الله من السوء براءه» (٤).

«بهر» أى: غلب «العقول عن وصف خلق» أى: مخلوق، و المراد به هنا الطاوس «جلّاه» أى: كشفه «للعيون فأدر كته» أى: أدركت العقول ذاك الخلق

ص: ٨٢

١- ١) صحاح اللغة ١: ٥٤٧ [١] ماده (ورد).

٢- ٢) لم يوجد هذه العبارة فى القاموس ١: ٣٤٤ و ٣٤٥ ماده (ورد).

٣- ٣) القاموس المحيط ١: ٣١٤ [٢] ماده (عسجد).

٤- ٤) صحاح اللغة ١: ٣٧٣ [٣] ماده (سبح).

«محدودا» طولاً و عرضاً «مكُونًا» بعد أن لم يكن «و مؤلّفًا ملونا» بألوان «و أعجز الألسن عن تلخيص» أى: شرح «صفته و قعد بها» أى: بالألسن «عن تأديه نعتة» أى: وصفه .

«و سبحان من أدمج» أى: لُفّف «قوائم الدّره» فى جسدها، و الدّر: أصغر النمل .

فى (توحيد المفضل): تأمل وجه الدّره الحقيقه الصغيره، هل تجد فيها نقصا عمّا فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير و الصواب: فى خلق الذره إلّا من التدبير القائم فى صغير الخلق و كبيره؟ (١) «و الهمجه» أى: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم و الحمير و أعينها «إلى ما فوقها» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «إلى ما فوقهما» أى:

الدّره و الهمجه كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«من خلق الحيتان» فى (معجم البلدان): يعرف بتنينس من السمك (٧٩) صنفها البورى، البلمو، البرو، اللب، البلس، السكس، الاران، المشموس، النساء، الطوبان، البقسما، الاحناس، الانكليس، المعينه، البنى، الابليل، الفريص، الدونيس، المرتنوس، الاسقمولوس، النفط، الخبر، البلطى، الحجف القلاريه الرخف العير التون اللت القجاج القروص الكليس الا-كلس الفراخ القرقاج الزلنج اللاج الا-كلت الماضى الجلاء السلاء البرقش البلك المسط القفا السور حوت الحجر البشين الشربوت البساس الرعاد المخيره اللبس السطور الراى الليف اللبىس الا برميس الاتونس اللباء العميان المناقير القلميىدس الحلبوه الرقاص القريىدس الجبر هو كباره الصيخ المجزع الدلينس الاشبال المساك الأبيض

ص: ٨٣

(١-١) توحيد المفضل: ١١١. [١]

(٢-٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢٧٥:٩، لكن فى شرح ابن ميثم ٣٠٧:٣ نحو المصريه.

قلت: و منه الجرى و المار ماهى و هما محرّمان.

فى (توحيد المفضل): تأمّل خلق الحوت و مشاكلته للأمر الذى قدّر أن يكون عليه، فإنّه خلق غير ذى قوائم، لأنّه لا يحتاج إلى المشى إذا كان مسكنه الماء، و خلق غير ذى رية لا يستطيع أن يتنفس و هو منغمس فى اللجه، و جعلت له مكان القوائم أجنحه شداد يضرب بها فى جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبى السفينه كسى جسمه قشورا متانا متداخله كتداخل الدرور و الجواشن لتقيه من الآفات، و أعين بفضل حسّ فى الشم لأن بصره ضعيف و الماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه فيتبعه، و إلا فكيف يعلم به و بموضعه؟ و اعلم أنّ من فمه إلى صماخيه منافذ، فهو يعب الماء بفيه و يرسله من صماخيه فيتروح إلى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم.

فكّر الآن فى كثره نسله و ما خصّ به من ذلك، فإنك ترى فى جوف السمكه الواحده من البيض ما لا يحصى كثره، و العله فى ذلك أن يتسع لما يغذى به من أصناف الحيوان، فإن أكثرها يأكل السمك، حتى أنّ السباع فى حافات الآجام عاكفه على الماء أيضا كى ترصد السمك، فإذا مرّ بها خطفته، فلما كانت السباع تأكل السمك، و الطير تأكل السمك، و الناس يأكلون السمك، و السمك تأكل السمك، كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثره، فإذا أردت أن تعرف سعه حكمه الخالق و قصر علم المخلوقين فانظر إلى ما فى البحار من ضروب السمك و دواب الماء و الأصداف و الأصناف التى لا تحصى و لا يعرف منافعها إلا الشىء بعد الشىء يدركه الناس بأسباب

ص: ٨٤

تحدث، مثل القرمز فإنه عرف الناس صيغته، بأن كلبه تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذى يسمى الحلزون فأكلته فاخضب خطمها بدمه، فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه، وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال و زمانا بعد زمان (١). «و الفيله» من غرابه الخلقه.

فى (توحيد المفضل): تأمل مشفر الفيل و ما فيه من لطيف التدبير، فانه يقوم مقام اليد فى تناول العلف و الماء و ازدرادهما إلى جوفه، و لو لا ذلك لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنه ليست له رقبه يمدّها كسائر الأنعام، فلما عدم العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسد له فيتناول به حاجته، فمن ذا الذى عوّضه مكان العضو الذى عدم، ما يقوم مقامه إلا الرءوف بخلقه، و كيف يكون هذا بالإهمال كما قالت المعطلة.

فإن قال قائل: فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام؟ قيل له: إنّ رأس الفيل و اذنيه أمر عظيم و ثقل ثقيل، فلو كان ذلك على عنق عظيم لهدها و أوهنها، فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا يناله ما وصفناه، و خلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه، فصار مع عدم العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته.

انظر الآن كيف جعل حياء الانثى من الفيله على خلاف ما عليه فى غيرها من الأنعام فى أسفل بطنها، فإذا هاجت للضراب ارتفع و برز حتى يتمكن الفحل من ضرابه، فاعتبر كيف جعلت فيه هذه الخلة ليتهيأ للأمر الذى فيه قوام النسل و دوامه (٢).

«و أى» أى: وعد «على نفسه ألا يضطرب» أى: يتحرّك «شبح» أى: شخص

ص: ٨٥

١- ١) توحيد المفضل ١٢٣، و [١] النقل بتصريف يسير.

٢- ٢) توحيد المفضل: ١٠٣، و [٢] النقل بتصريف يسير.

«مما أولج» أى: ادخل «فيه الروح إلا و جعل الحمام» بالكسر أى: الموت «موعده و الفناء غايته» أى: عاقبه أمره.

و فى (الفقيه) عنه عليه السّلام: من مشى على وجه الأرض فأنه يصير إلى بطنها، و الليل و النهار مسرعان فى هدم الأعمار، و لكلّ ذى رمق قوت، و لكلّ حبه آكل، و أنت قوت الموت، و ان من عرف الأيام لن يغفل عن الاستعداد، لن ينجو من الموت غنى بماله و لا فقير لإقلاقه (١).

هذا، و فى (الكافى) عن الرضا عليه السّلام: الطاوس مسخ، كان رجلا - جميلا - فكأبر امرأه رجل مؤمن تحبّه فوقع بها ثم راسلته بعد، فمسخهما الله تعالى طاوسين أنثى و ذكرا، و لا يؤكل لحمه و لا بيضه.

و فيه أيضا عنه عليه السّلام أن الفيل كان ملكا زناء فمسخ.

و عن الكاظم عليه السّلام: لا يحلّ الفيل و قد حرّم الله الأمساخ و لحم ما مثل به فى صورها (٢).

و روى عن يعقوب الجعفرى ذكر عند أبى الحسن عليه السّلام حسن الطاوس فقال: لا يزيدك على حسن الديك الأبيض شىء، و الديك أحسن صوتا من الطاوس و هو أعظم بركه، يتبهك فى مواقيت الصلاه و إنّما يدعو الطاوس بالويل لخطيئته التى ابتلى بها (٣).

و عن (تنبيه ورام): دخل طاوس اليمانى على جعفر بن محمد عليه السّلام فقال له: أنت طاوس؟ قال: نعم، قال: طاوس طير مشؤوم ما نزل بساحه قوم إلا آذنههم بالرحيل (٤).

ص: ٨٦

١- (١) الفقيه ٤: ٢٩١ ح ٥٦.

٢- (٢) الكافى ٦: ٢٤٥-٢٤٧ ح ٤ و ١٤ و [١] ١٦.

٣- (٣) الكافى ٦: ٥٥٠ ح ٣. [٢]

٤- (٤) تنبيه الخواطر ١: ١٥. [٣]

هذا، و في (القاموس) طويس مخنث كان يسمّى طاوسا فلما تخنث تسمى بطويس، و هو أول من غنّى في الإسلام، و في المثل «أشأم من طويس»، و كان يقول إنّ امي تمشى بالنمائم بين نساء الأنصار ثم ولدتنى في الليله التي مات فيها النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم -إلى أن قال- و ولد لي في يوم قتل عليّ (١). و زاد في أمثال الكرمانى، أنّ طويسا كان يقول:

أنا أبو عبد النعيم أنا طاوس الجحيم

و أنا أشأم من دب على ظهر الحطيم

أنا حاء ثم لام ثم قاف حشوميم (٢).

يعنى الحلقم. و كان يقال لعلى بن طاوس، آل طاوس لمقاماته الجليله و مكارمه النبيله.

و في (تاريخ الطبرى) فى فتوح قتيبه فى سنه (٩١)- ثم مضى إلى بخارى فنزل قريه فيها بيت نار و بيت آلهه، و كان فيها طواويس فسمّوه منزل الطواويس (٣).

و لأبى إسحاق الصابى فيما كتب إلى أبى الفرج عبد الواحد بن نصر الملقّب ببغاء فى صفه الببغاء أبيات حسنه:

أنعتها صبيحه مليحه ناطقه باللغه الفصيحه

غدت من الأطيّار باللسان يوهمنى بأنّها إنسان

تنهى إلى صاحبها الأخبارا و تكشف الأسرار و الأستارا

سكّاء إلا أنّها سميعه تعيد ما تسمعه طبيعه

ص: ٨٧

١- ١) القاموس المحيط ٢: ٢٢٧، [١] ماده (طوس).

٢- ٢) مجمع الأمثال ١: ٢٥٨. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٥: ٢٤٢ [٣] لسنة ٩١.

و ربّما لَقَّبَت العُضِيهه فتغتدى بذيئه سفيهه

زارتك من بلادها البعيده و استوطنت عندك كالعبيده

ضيف قراه الجوز و الارز و الضيف في أبياتنا يعزّ

تراه في منقارها الخلوقي كلؤلؤ يلقط بالعقيق

تنظر من عينين كالفضيين في النور و الظلمه بصاصين

تميس في حلتها الخضراء مثل الفتاه الغاده العذراء

خريده خدورها الأتفاص ليس لها من حبسها خلاص

تحبسها و مالها من ذنب و إنّما تحبسها للحبّ

تلك التي قلبي بها مشغوف كنييت عنها و اسمها معروف

نشرك فيها شاعر الزمان و الكاتب المعروف بالبيان

و ذاك عبد الواحد بن نصر تقيه نفسى عاديات الدهر

قول المصنّف: «قال الشريف» هكذا في (المصريه) و ليس من النهج، و إنّما هو من الشرح «تفسير بعض ما جاء فيها من الغريب» هكذا في (المصريه و الخطيه)، و لكن في (ابن أبي الحديد) «تفسير بعض ما في هذه الخطبه من الغريب»، و لكن العجيب انه ليس البيان في (ابن ميثم) رأساً (١).

«يؤرّ بملاقحه» هكذا في (المصريه) و لكن في (الخطيه) «و يؤرّ بملاقحه» و في (ابن أبي الحديد) «قوله عليه السّلام و يؤرّ بملاقحه» (٢).

«الأمرّ كناية عن النكاح» المفهوم منه أن النكاح ليس معناه المطابقي بل الالتزامي «يقال أمرّ المرأه يؤرها» هكذا في (المصريه و الخطيه)، و في (ابن أبي

ص: ٨٨

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٢٧٨:٩، و [١] شرح ابن ميثم ٣٠٧:٣.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٧٨:٩. [٢]

الحديد): يقال أَرَّ الرجل المرأه يؤرِّها (١) «أى نكحها» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «إذ أنكحها» كما فى (ابن أبى الحديد و الخطيه) (٢).

«و قوله كأنه قلع دارى عنجه نوتيه» زاد ابن أبى الحديد بعد «قوله» «عليه السّلام» (٣) «القلع شرّاع السفينه و دارى منسوب إلى دارين و هى بلده على البحر يجلب منها الطيب».

و فى (المعجم): فرضه بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، و النسبه إليها دارى، قال الفرزدق:

كأن تريكه من ماء مزن و دارى الذكى من المدام (٤)

«و عنجه أى: عطفه، يقال عنجت الناقه كنصرت» هكذا فى (المصريه) و كلمه «كنصرت» زائده لعدم وجودها فى (الخطيه) و فى (ابن أبى الحديد) (٥)، و لكونه غلطاً، لأن الأصل فيه كونه من باب ضرب و يأتى من باب نصر أيضاً «أعنجهها عنجا إذا عطفتها» و فى (اللسان): عنج رأس البعير جذبه بخطامه حتى رفعه و هو راكب عليه (٦).

«و النوتى الملاح» و فى (الصحاح): هو من كلام أهل الشام (٧).

«و قوله عليه السّلام «ضفتى جفونه» أراد» ليست الكلمه فى (ابن أبى الحديد) (٨) و انما هى فى (المصريه) «جانبى جفونه و الضفتان الجانبان» يقال ضفه النهر بالكسر لجانبه.

ص: ٨٩

-
- ١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧٨. [١]
 - ٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧٨. [٢]
 - ٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧٨. [٣]
 - ٤- ٤) معجم البلدان ٢:٤٣٢. [٤]
 - ٥- ٥) توجد الزيادة فى شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧٨. [٥]
 - ٦- ٦) لسان العرب ٢:٣٢٩ [٦] ماده (غنج).
 - ٧- ٧) صحاح اللغه ١:٢٦٩ [٧] ماده (نوت).
 - ٨- ٨) توجد الكلمه فى شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٧٩. [٨]

منها في صفة عجب خلق أصناف من الحيوانات:

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجِسْتِيمِ النُّعْمَةِ - لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ - وَ لَكِنِ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ وَ الْبَصِيرَاتُ
مَدْحُولَةٌ - أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَاحِبِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ - وَ أَتَقَنَ تَرْكِيْبَهُ وَ فَلَاحَ لَهُ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَةَ - وَ سَوَى لَهُ الْعَظْمَ وَ الْبَشِيرَةَ -
انظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صَاحِبِ جُتَّتِهَا وَ لَطَافِهِ هَيْبَتِهَا - لَا تَكَادُ تَنَالُ بِلِحْظِ الْبَصِيرِ وَ لَا بِمُسِيءِ تَدْرِكِ الْفِكْرِ - كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَ
صَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا - تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَ تُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا - تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِتَبْرُدَهَا وَ فِي وَرْدِهَا لِصِدْرِهَا - مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا
مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا - لَا يُغْفَلُهَا الْمَنَانُ وَ لَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ - وَ لَوْ فِي الصَّافِ الْيَابِسِ وَ الْحَجَرِ الْجَامِسِ - وَ لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا -
فِي عُلُوِّهَا وَ سُفْلِهَا - وَ مَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيْفِ بَطْنِهَا - وَ مَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَ أُذُنِهَا - لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا وَ لَقَيْتَ مِنْ
وَصْفِهَا تَعَبًا - فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا - وَ بَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا - لَمْ يَشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ - وَ لَمْ يُعِنِّهِ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ - وَ لَوْ
ضَرَبْتَ فِي مَيَادِينِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ - مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ - هُوَ فَاطِرُ النَّخْلِ - لِذَقِيقِ تَفْصِيْلِ كُلِّ شَيْءٍ - وَ
غَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ - وَ مَا الْجَلِيلُ وَ اللَّطِيفُ وَ الثَّقِيلُ وَ الْخَفِيفُ - وَ الْقَوِيُّ وَ الضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً - وَ كَذَلِكَ السَّمَاءُ
وَ الْهَوَاءُ وَ الرِّيَّاحُ وَ الْمَاءُ - فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ التَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ - وَ الْمَاءِ وَ الْحَجَرِ وَ اخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ - وَ تَفَجُّرِ
هَذِهِ الْبِحَارِ وَ كَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ - وَ طُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ وَ تَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ - وَ الْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ - فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ

الْمُقَدَّرَ وَ أَنْكَرَ الْمَيْدَبْرَ - زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالْتَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ - وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ - وَ لَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجِّهِ فِيمَا أَدْعَاؤًا - وَلَا تَحْقِيقِ لِمَا أُوْعُوا وَ هَلْ يَكُونُ بِنَاءً مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَهُ مِنْ غَيْرِ جَانٍ وَ إِنْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ فِي الْجِرَادَةِ - إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ - وَ أَسِيرَجَ لَهَا حِدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ - وَ جَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَ فَتِيحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ - وَ جَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ وَ نَابِيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ - وَ مِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْضِي - يَزْهِيهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ - وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَ لَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ - حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَ تَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا - وَ خَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِضِيْعًا مُسْتَدَقَّةً - فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ «مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا» وَ يَعْنُو لَهُ خَدًّا وَ وَجْهًا - وَ يُلْقَى إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَ ضِعْفًا - وَ يُعْطَى لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَ خَوْفًا - فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ - أَحْصَى عِدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَ النَّفْسِ - وَ أَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَ الْيَبْسِ - وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَ أَحْصَى أَجْنَاسَهَا - فَهَذَا غُرَابٌ وَ هَذَا عُقَابٌ - وَ هَذَا حَمِيَامٌ وَ هَذَا نَعِيَامٌ - دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَ كَفَلَ لَهُ بَرزُقِهِ - وَ أَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيمَهَا - وَ عَدَدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا - وَ أَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا قَوْلَ الْمُصَنِّفِ : «مِنْهَا فِي صِفَةِ عَجِيبِ خَلْقِ أَصْنَافِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ» هَكَذَا فِي (المصريه)، وَ الصَّوَابُ: «مِنَ الْحَيَوَانَاتِ» كَمَا فِي (ابن أبي الحديد وَ ابن ميثم وَ الخَطِيْبَةُ) (1)، ثُمَّ الْمُرَادُ «بِأَصْنَافِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ» النَّمْلَةُ وَ الْجِرَادَةُ وَ الْغُرَابُ وَ الْعُقَابُ وَ الْحَمَامُ وَ النَّعَامُ.

ص: ٩١

(١-١) كَذَا فِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٥٥:١٣، [١] لَكِنْ فِي شَرْحِ ابْنِ مَيْثَمِ ١٢٩:٤ [٢] نَحْوَ الْمَصْرِيَّةِ.

ثم الخطبه التي فيها العنوان مما اختلفت النسخ في محلها كما صرح به ابن ميثم، فنقلها ابن أبي الحديد و الكيذرى بعد «المتقين» بـ«بخطب» و غيرهما قبل «المتقين» بـ«خطب (١)».

قوله عليه السلام «و لو فكروا» قال الجوهرى: فكروا و أفكروا و تفكروا بمعنى واحد (٢).

«فى عظيم القدره» أى: قدرته العظيمه «و جسيم النعمه» أى: نعمته الجسيمه «لرجعوا إلى الطريق» أى: طريق الحق «و خافوا عذاب الحريق» أى:

جهنم .

«و لكن القلوب عليه» «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا» (٣) «و البصائر مدخوله» كذهب دخله الغش «و لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» (٤).

«ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه» أى: جعله محكما لو لم تكن قلوبهم عليه «و أتقن تركيبه» لو لم تكن بصائرهم مدخوله.

«أ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ» (٥).

فى (الأهليلجه)- فى جواب المفضل فى كثره الزنادقه- لعمري ما أتى الجهال من قبل ربهم و إنهم ليرون الدلالات الواضحات و العلامات البيّنات فى خلقهم، و ما يعاينون من ملكوت السماوات و الأرض و الصنع العجيب المتقن الدال على الصانع، و لكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصى، و سهّلوا

ص: ٩٢

١- ١) شرح ابن ميثم ٣، ٤١٣، و [١] شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٣٢ و ١٣: ٥٥. [٢]

٢- ٢) صحاح اللغة ٢: ٧٨٣ ماده (فكر).

٣- ٣) الاعراف: ١٧٩. [٣]

٤- ٤) المصدر السابق.

٥- ٥) الروم: ٨. [٤]

لها سبيل الشهوات، فغلبت الأهواء على قلوبهم و استحوذ الشيطان بظلمهم عليهم، و كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين. و العجب من مخلوق يزعم أنّ الله تعالى يخفى على عباده، و هو يرى أثر الصنع فى نفسه بتركيب يبهر عقله و تأليف يبطل حجّته، و عمرى لو تفكروا فى هذه الامور العظام لعينوا من أمر التركيب البين و لطف التدبير الظاهر، و وجود الأشياء مخلوقه بعد أن لم تكن، ثم تحولها من طبيعه إلى طبيعه و صنيعه بعد صنيعه، ما يدلّهم ذلك على الصانع، فأنّه لا يخلو شىء منها من أن يكون فيه أثر تدبير و تركيب يدلّ على أنّ له خالقا مدبّرا، و تأليف تدبير يهدى إلى واحد حكيم (١).

«و فلق» أى: شقّ «له السمع و البصر» و هو دليل كمال قدرته و حكمته «و سوى له العظم و البشر» ظاهر الجلد و ما سوى العظم .

«انظروا إلى النملة فى صغر جثتها» أى: جسدها «و لطفه هيئتها» أى:

صغرها «لا تكاد» أى: لا يقرب «تنال» أى: تصاب «بلحظ البصر» أى: دقيق النظر بمؤخر العين «و لا بمستدرك الفكر» أى: و لا تنال خصوصيات النملة بالفكر الذى يستدرك أشياء لا تنال بلحظ البصر.

«كيف دبّت» أى: جرت «على أرضها و صبّت على رزقها» هذه الكلمه فى غايه الفصاحه، كقوله تعالى: «فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ» (٢). فالأصل فى الصبّ صبّ الماء، و النمل إذا استشمت بشمّها القوى ليس شمّ فوقه، صبّت أنفسها عليه كصب الماء على محل حتى يغمره و لا يبصر المحل، و كذلك صب النمل أنفسها على قوت بحدّ لا يرى ذاك القوت.

«تنقل الحبه إلى جحرها» بتقديم الجيم: مسكن الحشرات تحت الأرض.

ص: ٩٣

١-١ (١) نقله المجلسى فى البحار ١٥٢: ٣. [١]

٢-٢ (٢) الفجر: ١٣. [٢]

قال: ولا ترى الضب بها ينجر (١).

و أما الحديث العامي «إذا حاضت المرأة حرم الجحران» (٢) فتشبيهه، كقول الشاعر:

لنعم القوم في الأزمات قومي بنو كعب إذا جحر الربيع (٣)

أى: إذا أدخل الربيع لعدم نزول المطر فيه، الناس في مساكنهم، كما تدخل الحشرات في جحراتها.

«و تعدها» بالضم من «أعده» أى: هيأه «فى مستقرها» تحت الأرض .

«تجمع فى حرّها» أى: الصيف «لبردها» أى: الشتاء «و فى ورودها» أى:

تجمع فى ورودها جحرها أيام الشتاء «لصدرها» و خروجها أيام الصيف التى تكون الأرض يابسه.

ثم فى جميع النسخ (٤) «و فى ورودها» لكن مقابل الصدر بفتحيتين الورد بالكسر فالسكون. قال الجوهري: الورد خلاف الصدر (٥)، و قال ابن دريد:

الورد إتيان الماء ثم صار إتيان كلّ شيء وردا (٦)، و قال:

ردى ردى ورد قطاه صماء و لو أرادت ورده لاستوردا (٧)

«مكفوله برزقها» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «مكفول» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٨)، فهكذا كان النهج، و لعل من جعله «مكفوله»

ص: ٩٤

١-١) أوردته اساس البلاغه: ٥٢ [١] ماده (جحر).

٢-٢) رواه ابن الأثير فى النهاية ١: ٢٤٠ [٢] ماده (جحر).

٣-٣) أوردته أساس البلاغه: ٥٢ [٣] ماده (جحر).

٤-٤) كذا فى نهج البلاغه ٢: ١١٦، و [٤] شرح ابن ميثم ٤: ١٢٩، [٥] لكن فى شرح ابن أبى الحديد ١٣: ٥٥، «[٦] ورودها».

٥-٥) صحاح اللغه ١: ٥٤٦ [٧] ماده (وردها).

٦-٦) جمهره اللغه ٣: ٤٣٣ [٨].

٧-٧) قريب منه أوردته فى اساس البلاغه: ٤٩٥، [٩] ماده (ورد).

٨-٨) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٣: ٥٥، لكن فى شرح ابن ميثم مكفوله ٤: ١٢٩. (١٠)

أراد التصحيح حيث ان المسند اليه النمله كقوله بعد «مرزوقه بوقفها» قال الشاعر:

أما الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

«لا يغفلها المَنَّان» أى: المعطى المنعم كما فى (معانى الأخبار) (١).

و فى خبر: إذا قال العبد «يا عظيم المنّ» أعطاه الله يوم القيامة أمنيته و امنيته الخلائق (٢).

«و لا- يجرمها الديان» أى: المجازى و المكافى «و لو فى الصفا» أى: الصخره الملساء، يقال «ما تندى صفاته» «اليابس» و المراد المستحکم «و الحجر الجامس» أى: الجامد.

عن (تفسير العياشى) عن الصادق عليه السلام: لما قال يوسف للذى نجا من صاحبه سجنه «اذكرنى عند ربك» أتاه جبرئيل فضرب برجله حتى كشط له عن الأرض السابعة، فقال له: يا يوسف انظر ما ذا ترى؟ قال: أرى حجرا صغيرا، ففلق الحجر، فقال: ما ذا ترى؟ قال: أرى دوده صغيره. قال: فمن رازقها؟ قال: الله. قال: فإن ربك يقول لم أنس هذه الدوده فى ذاك الحجر فى قعر الأرض السابعة، أظننت أنى أنساك حتى تقول للفتى اذكرنى عند ربك، لتلبثن فى السجن بمقاتلك هذه بضع سنين- الخبر (٣).

و فى (توحيد المفضل): انظر الى النمل و احتشاده فى جمع القوت و إعداده، فأنتك ترى الجماعه منها إذا نقلت الحَبَّ إلى زبيتها بمنزله جماعه من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل فى ذلك من الجد و التشمير ما ليس

ص: ٩٥

١- ١) قاله الصدوق فى التوحيد: ٢١٢ [١] لا معانى الاخبار.

٢- ٢) جاء روايات قريبه منه فى بحار الأنوار ٩٣: ٢٢٣ باب ١١. [٢]

٣- ٣) تفسير العياشى ١٧٧: ٢ ح ٢٧. [٣]

للناس مثله، أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون إلى الحَبِّ فيقطعونه قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فإن أصابه ندى أخرجه فنشروه حتى يجفَّ. ثم لا يتخذ النمل الزبيبه إلا في نشز من الأرض كيلا يفيض السيل فيغرقها، و كل هذا منه بلا عقل و لا رويه بل خلقه خلق عليها لمصلحه من الله عز و جل (١).

و في (حياه حيوان الدميرى): و له في الاحتكار من الحيل ما أنه إذا احتكر ما يخاف إنباته قسّمه نصفين، ما خلا الكسفره فإنه يقسمها ارباعاً لما ألهم من ان كل نصف منها ينبت، و إذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض و نشره، و أكثر ما يفعل ذلك ليلا في ضوء القمر (٢).

و قال ابن أبي الحديد: قال الجاحظ: و لها مع لطافه شخصها و خفّه وزنها في الشمّ و الاسترواح ما ليس لشيء! فربما أكل الإنسان الجراد أو يشبهه فيسقط من يده واحده أو صدر واحده و ليس بقربه ذره و لا له عهد بالذّرّ في ذلك المنزل، فلا يلبث أن تقبل ذرّه قاصده إلى تلك الجراده فترومها و تحاول نقلها و جرها إلى جحرها، فإذا أعجزتها بعد أن تبلى عذرا مضت إلى جحرها راجعه، فلا يلبث أن يجدها قد أقبلت و خلفها كالخيط الأسود الممدود، حتى يتعاون عليها فيحملنها، فأعجب من صدق الشمّ لما لا يشمه الإنسان الجامع ثم انظر إلى بعد الهّمّه، و الجراء على محاوله نقل شيء في وزن جسمها مائه مرّه بل أضعاف أضعاف المائه، و ليس شيء من الحيوان يحمل ما يكون أضعاف وزنه مرارا كثيره غيره.

و من أعاجيب الذّرّه أنّها لا تعرض لجعل و لا جراده و لا خنفساء و لا

ص: ٩٦

١-١) توحيد المفضل: ١١١. [١]

٢-٢) حياه الحيوان ٣٦٦: ٢. [٢]

بنت وردان ما لم يكن بها خبل أو عقر أو قطع يد أو رجل، فإن وجدت بها من ذلك أدنى عله و ثبت عليها حتى لو أن حيّه بها ضربه أو خدش، ثم كانت من ثعابين مصر لو ثبت عليها الذرّ حتى يأكلها، ولا تكاد الحيّه تسلم من الذرّ إذ كان بها أدنى عقر، و قد عذب الله بالذرّ امما، و أخرج أهل قرى من قراهم، و أهل دروب من دروبهم.

و عذب عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى بأنواع العذاب، فقليل له ان أردت أن لا- يفلح أبدا فمرهم فلينفخوا في دبره النمل، ففعلوا فلم يفلح بعدها.

و زعم البقظرى أنك لو أدخلت نملة في جحر ذرّ لأكلتها حتى تأتي عامتها.

و زعم (صاحب المنطق) أن الضبع تأكل النمل أكلا- ذريعا، و ربما أفسدت الأرضه منازلهم و أكلت كل شىء لهم، فلا تزال كذلك حتى ينشأ في تلك القرى النمل فيسلط الله تعالى ذلك النمل على تلك الأرضه حتى تأتي على آخرها.

و قد زعم بعضهم أن تلك الأرضه بأعيانها تستحيل نملا، لأكل النمل لها و كان ثمامه يرى أن الذرّ صغار النمل، و نحن نراه نوعا آخر كالبقر و الجواميس.

و من أسباب هلاكه نبات أجنحته، و يقتل النمل بأن يصبّ في أفواه بيوتها القطران و الكبريت الأصفر (١).

«و لو فكّرت في مجارى أكلها في علوها» هكذا في (المصريه) و الصواب:

«و في علوها» كما (في ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) «و سفلها» إنّما

ص: ٩٧

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٥٨: ١٣-٦٣. [١]

٢- ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٥٥: ١٣، [٢] لكن لم توجد الواو في شرح ابن ميثم ١٢٩: ٤.

قال عليه السّلام «و في علوها و سفليها» لأنّها مخلوقه نصفين و بينهما اتصال.

و في (تاريخ بغداد): قال مقاتل يوما سلوني عمّا دون العرش. فقال له رجل: رأيت النملة أمعاؤها في مقدمها أو مؤخرها، فبقي لا يدري ما يقول (١).

«و ما في الجوف من شراسيف» أي: أطراف الأضلاع التي تشرف على البطن «بطنها» .

قال ابن أبي الحديد: الحكماء فانهم لا يثبتون للنمل شراسيف و لا أضلاعا و يجب إن صح قولهم أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السّلام على اعتقاد الجمهور و مخاطبه العرب بما تتخيّله و تتوهمه حقّا (٢).

و نقل الخوئي كلام الدميري «ليس للنمل جوف ينفذ فيه الطعام و انما قوته إذا قطع الحب في استنشاق ريحه». و قال: تجربته تشهد بخلافه، فشهدنا كثيرا أنّ الدّرّ تجتمع على حبوبات، و تأكلها حتّى تفنيها (٣).

«و ما في الرأس من عينها و اذنها» قال ابن أبي الحديد: لا يثبت الحكماء للنمل آذانا بارزه عن سطوح رؤوسها. و يجب إن صحّ ذلك أن نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السّلام على قوّه الإحساس بالأصوات، فإنّه لا يمكن للحكماء إنكار وجود هذه القوّه للنمل (٤).

قلت: لو كانت لها آذان بارزه، لكانت تلد كالخفّاش.

«لقضيت من خلقها عجا» قال ابن أبي الحديد: ذكر الحكماء من عجائب النمل أشياء: منها أنّه لا جلد له، و كذلك كلّ الحيوان المخرز، و منها أنّه لا يوجد في صقلية نمل كبار أصلا، و منها أنّ النمل بعضه ماش و بعضه طائر، و منها

ص: ٩٨

[١- ١] تاريخ بغداد ١٦٦: ١٣. [١]

[٢- ٢] شرح ابن أبي الحديد ٦٣: ١٣. [٢]

[٣- ٣] شرح الخوئي ١٣٧: ٥، و حياه الحيوان ٣٦٦: ٢. [٣]

[٤- ٤] شرح ابن أبي الحديد ٦٣: ١٣. [٤]

أن حراقه النمل إذا اضعف إليها شيء من قشور البيض و ريش هدهد و علقته على العضد منعت من النوم (١).

و قال الخوئي: قال الدميري: و من عجائب النمل اتخاذ القرية تحت الأرض و فيها منازل و دهاليز و غرف و طبقات معلقات تملأها حبوبا و ذخائر للشتاء، و منه ما يسمّى الدّرّ الفارسي - و هو من النمل بمنزله الزنابير من النحل - و منه ما يسمّى بنمل الأسد لأنّ مقدمه يشبه وجه الأسد و مؤخره يشبه النمل. و سمّيت النملة نملة لتتملها، و هو كثره حركتها و قلّه قوائمه.

و النمل لا يتزاوج و لا يتناكح، انما يسقط منه شيء حقير في الأرض فينمو حتى يصير بيضا. حتى يتكوّن منه، و يحفر قرية بقوائمه و هي ست و جعل فيها تعاريج لئلا يجرى إليها المطر.

و روى الطبراني و الدارقطني: أنّه لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان يبصر ديب النملة على الصفا في الليله الظلماء من مسيره عشره فراسخ.

و قال البيهقي: كان عدى بن حاتم يفتّ الخبز لهن و يقول إنهنّ جارات لهنّ علينا حقّ الجوار.

و يأتي في الوحش عن الفتح بن سخر بن الزاهد أنّه كان يفتّ الخبز لهنّ في كلّ يوم، فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله.

و البيض كلّه بالضاد المعجمه الابيض النمل فإنّه بالظاء (٢).

قلت: لم أر من ذكره غيره، و انما في الجمهره «البيض» زعموا مستعمل و هو ماء الفحل و لا أدرى ما صحته، و قال قوم: ماء المرأه (٣).

ص: ٩٩

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ١٣:٦٣. [١]

[٢-٢] شرح الخوئي ٥:١٣٧ و ١٣٨، و حياه الحيوان ٢:٣٦٦ و ٣٦٧. [٢]

[٣-٣] جمهره اللغه ١:٣١٢. [٣]

و في (تفسير القمي): في قوله تعالى: «حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ» (١):

واد النمل، واد ينبت الذهب و الفضة، و قد و كلَّ الله به النمل لو رامه البخاتي من الإبل ما قدر عليه (٢).

و في (حياه حيوان الدميري): إذا سحق بيض النمل و طلى به موضع الشعر منع إنبات الشعر، و إذا نثر بيظه بين قوم تفرَّقوا شذر مذر، و من سقى منه وزن درهم لم يملك أسفله، و إن سدَّت قريته بأخشاء البقر يهرب من مكانه و كذلك يفعل روث القط، و إذا سدَّ جحر النمل بحجر المغناطيس مات، و إذا دقت الكراويا و جعلت في جحر النمل منعتهم الخروج و كذلك الكمون، و إذا صبَّ ماء السداب في قريه النمل قتله، و ان علقته خرقة امرأه حائض حول شيء لم يقربه النمل، و إذا أخذت سبع نملايت طوال و تركتها في قاروره مملوه بدهن الزيبق و سددت رأسها و دفنتها في رمل يوما و ليله ثم أخرج و صفى الدهن عنها ثم مسح به الإحليل هيج الباه (٣).

هذا، و في (الكافي) عنه عليه السلام: يا معشر التجار، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، و الله للربا في هذه الامه أخفى من ديبب النمل على الصفا (٤).

و روى (الخصال): أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ نهى عن قتل سته، النحله و النمله و الضفدع و الصرد و الهدهد - إلى أن قال - و أما النمله فإنهم قحطوا على عهد سليمان فخرجوا يستسقون فإذا هم بنمله قائمه على رجليها مدها إلى السماء و هي تقول «اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ لَا غِنَى بِنَا عَنْ فَضْلِكَ فَارْزُقْنَا مِنْ

ص: ١٠٠

١-١ (١) النمل: ١٨. [١]

٢-٢ (٢) تفسير القمي ١٢٦: ٢. [٢]

٣-٣ (٣) حياه الحيوان ٣٧٠: ٢، و [٣] النقل بتصرف يسير.

٤-٤ (٤) الكافي ١٥٠: ٥ ح ١. [٤]

عندك و لا تؤاخذنا بذنوب سفهاء ولد آدم» فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا إلى منازلكم فإنه تعالى قد سقاكم بدعاء غيركم (١).

و روى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام: إن المتكبرين يجعلون في صوره الذرّ يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب (٢).

و في (الأغانى): كان لهارون خدم صغار يسميهم النمل، يتقدمونه و بأيديهم قسى البندق يرمون بها من يعارضه في طريقه (٣)(٤).

«و لو ضربت في مذاهب فكرك» يمكن أن يكون الكلام من قبيل قوله تعالى:

«وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» (٥) أى: سرتهم، و ان يكون من قبيل قول ذى الرمة:

ليالى اللهو تطيبنى فاتبعه كأننى ضارب فى غمره لعب (٦)

أى: سابع «لتبلغ غاياته» أى: لتصل إلى حدّ هو منتهى ما يمكن أن يصل إليه فكرك «ما دلّتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة» أى: خالقها الابتدائى.

و عن ابن عباس: كنت لا- أدرى ما «فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» (٧) حتى أتانى اعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها أى: أنا ابتدأتها (٨) «هو فاطر النخلة» .

فى (توحيد المفضل): فكّر فى النخل، فإنه لما صار فيه إناث تحتاج إلى

ص: ١٠١

١-١ (١) الخصال ٣٢٦: ١ ح ١٨.

٢-٢ (٢) عقاب الأعمال: ٢٦٥ ح ١٠.

٣-٣ (٣) لم أجده فى الأغانى. [١]

٤-٤ (٤) أسقط الشارح هنا فقرات «و لقيت من وصفها تعبا... و لم يعنه فى خلقها قادر».

٥-٥ (٥) النساء: ١٠١. [٢]

٦-٦ (٦) أورده لسان العرب ١: ٥٤٩ [٣] ماده (ضرب).

٧-٧ (٧) الانعام: ١٤ و [٤] مواضع اخرى.

٨-٨ (٨) اخرجه أبو عبيد فى فضائله، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و ابن ابى حاتم، و البيهقى فى الشعب، عنهم الدر المنثور ٥: ٢٤٤.

التلقيح جعلت فيه ذكوره اللقاح، فصار الذكر من النخل بمنزله الذكر من الحيوان الذي يلقح الإناث لتحمل. تأمل خلقه الجذع كيف هو، فانك تراه كالمنسوج نسجا من خيوط ممدوده كالسدى و أخرى معه معترضه كاللحمه كنحو ما ينسج بالأيدى و ذلك ليشتد و يصلب، و لا يتقصف من حمل القنوان الثقيله و هزّ الرياح العواصف إذا صار نخله، و ليتها للسقوف و الجسور و غير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعا، و كذلك ترى الخشب مثل النسج، فانك ترى بعضه متداخلا بعضا كتداخل أجزاء اللحم، و فيه مع ذلك متانه ليصلح لما يتخذ منه من الآلات، فأنه لو كان مستحصفا كالحجاره لم يكن أن يستعمل فى السقوف و غير ذلك مما يستعمل فيه الخشب كالأبواب و الأسره و التوابيت و ما أشبه ذلك.

و من جسيم المصالح فى الخشب أنه يطفو على الماء، فكلّ الناس يعرف هذا منه و ليس كلّهم يعرف جلاله الأمر فيه، فلولا هذه الخله كيف كانت هذه السفن و الأظراف تحمل أمثال الجبال من الحموله، و أنى كان ينال الناس هذا الرفق و خفه المؤنه فى حمل التجارات من بلد إلى بلد، و كانت تعظم المؤنه عليهم فى حملها حتى يلفى كثير مما يحتاج إليه فى بعض البلدان مفقود أصلا أو عسر وجوده (١).

قال الشارح: و من عظيم الحكمه فى الخشب عدم تأثره من الكهرباء الذى استخدمه البشر الذى سخر تعالى له ما فى السماوات و الأرض فى هذه الاعصار و منعه من تأثيره حتى لا يتلف الإنسان و الحيوان، و لولاه لما استفيد كما ينبغى من هذه النعمه الجليله.

قال عليه السلام: تأمل يا مفضل، الحكمه فى خلق الشجر و أصناف النبات،

ص: ١٠٢

فأنها لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجه الحيوان و لم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان و لا حركه تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركزه في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤديه إلى الأغصان و ما عليها من الورق و الثمر، فصارت الأرض كالام المريبه لها، و صارت اصولها التي هي كالأفواه ملتقمه للأرض لتنزع منها الغذاء كما ترضع أصناف الحيوان امهاتها. ألم تر إلى عمد الفساطيط و الخيم كيف تمدّ بالأطناب من كلّ جانب لثبته منتصبه فلا تسقط و لا تميل، فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشره في الأرض، ممتده إلى كلّ جانب لتمسكه و تقيمه، و لو لا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال و الدوح العظام في الريح العاصف؟ فانظر الى حكمه الخلقه كيف سبقت حكمه الصناعه، فصارت الحيله التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط و الخيم متقدمه في خلق الشجر، فالصناعه مأخوذه من الخلقه.

تأمل يا مفضل، خلق الورق، فانك ترى في الورقه شبه العروق مبنوثة فيها أجمع، فمنها غلاظ ممتده في طولها و عرضها، و منها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجه نسجا دقيقا معجما، و لو كان مما يصنع بالأيدي كصنعه البشر لما فرغ من ورق شجره واحده في عام كامل، و لا حثيج إلى آلات و حركه و علاج و كلام، فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال و السهل و بقاع الأرض كلها بلا حركه و لا كلام إلا بالإراداه النافذه في كلّ شىء و الأمر المطاع. و اعرف مع ذلك العله في تلك العروق الدقاق، فانها جعلت تتخلل الورقه بأسرها و توصل الماء اليها بمنزله العروق المبنوثة في البدن لتوصل الغذاء الى كلّ جزء منه، و في الغلاظ منها معنى آخر، فأنها تمسك الورقه بصلابتها و متانتها لئلا تنتهك و تتمزق، فترى الورقه شبيهه بورقه معموله بالصنيعه من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدوده في طولها و عرضها للتماسك فلا تضرب، فالصناعه تحكى الخلقه

و ان كانت لا تدركها على الحقيقه.

فَكَرَّ فِي هَذَا الْعَجْمِ وَالنَّوَى وَالْعَلَّةَ فِيهِ، فَإِنَّهُ جَعَلَ فِي جَوْفِ الثَّمَرَةِ لِيَقُومَ مَقَامَ الْغَرَسِ إِنْ عَاقَ دُونَ الْغَرَسِ عَائِقٌ، كَمَا يَحْرُزُ الشَّيْءُ النَّفِيسَ الَّذِي يَعْظُمُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ، فَإِنْ حَدَثَ عَلَى الَّذِي فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنْهُ حَادِثٌ وَجَدَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ يُمْسِكُ بِصَلَابَتِهِ رِخَاوَةَ الثَّمَارِ وَرِقَّتَهَا، وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَتَشَدَّخَتْ وَتَفْسَخَتْ وَ أَسْرَعَ إِلَيْهَا الْفَسَادُ، وَبَعْضُ الْعَجْمِ يُوَكَّلُ وَ يَسْتَرْجِ دِهْنَهُ فَيَسْتَعْمَلُ فِيهِ ضُرُوبَ مِنَ الْمَصَالِحِ، وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكَ بِمَا قَلْتُ مَوْضِعَ الْآرِبِ فِي الْعَجْمِ وَالنَّوَى.

فَكَرَّ الْآنَ فِي هَذَا الَّذِي تَجَدُّهُ فَوْقَ النَّوَاهِ مِنَ الرُّطْبَةِ وَ فَوْقَ الْعَجْمِ مِنَ الْعَنْبَةِ، فَمَا الْعَلَّةُ فِيهِ وَ لَمَّا ذَا يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْهَيْئَةِ، وَ قَدْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَكَانَ ذَلِكَ مَا لَيْسَ فِيهِ مَا أَكَلُ، كَمَا يَكُونُ فِي السِّدْرِ وَ الدُّلْبِ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَلَمْ صَارَ يَخْرُجُ فَوْقَهُ هَذِهِ الْمَطَاعِمَ اللَّذِيذَةَ، أَلَا لِيَسْتَمْتَعَ بِهَا الْإِنْسَانُ؟ فَكَرَّ فِي ضُرُوبِ مِنَ التَّدْبِيرِ فِي الشَّجَرِ، فَانْكَ تَرَاهُ يَمُوتُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَوْتَهُ فَتَحْتَبِسُ الْحَرَارَةُ الْغَرِيزِيَّةَ فِي عَوْدِهِ وَ يَتَوَلَّدُ فِيهِ مَوَادُّ الثَّمَارِ، ثُمَّ يَحْيَى وَ يَنْتَشِرُ فَيَأْتِيكَ بِهَذِهِ الْفَوَاكِهُ نَوْعًا بَعْدَ نَوْعٍ، كَمَا يَقْدَمُ إِلَيْكَ أَنْوَاعُ الْأَطْبَخِهِ الَّتِي تَعَالَجُ بِالْأَيْدِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَتَرَى الْأَغْصَانَ فِي الْأَشْجَارِ تَتَلَقَّكَ بِثَمَارِهَا حَتَّى كَأَنَّهَا تَنَاطَلُكَهَا عَنْ يَدٍ، وَ تَرَى الرِّيَّاحِينَ تَتَلَقَّكَ فِي أَفْنَانِهَا كَأَنَّهَا تَجِيئُكَ بِأَنْفُسِهَا، فَلَمَنْ هَذَا التَّقْدِيرُ إِلَّا لِمَقْدَرٍ حَكِيمٍ؟ وَ مَا الْعَلَّةُ فِيهِ إِلَّا تَفْكِهُ الْإِنْسَانُ بِهَذِهِ الثَّمَارِ وَ الْأَنْوَارِ، وَ الْعَجَبُ مِنْ أَنْاسٍ جَعَلُوا مَكَانَ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ جُحُودَ الْمُنْعَمِ بِهَا.

وَ اعْتَبِرْ بِخَلْقِ الرَّمَانِ وَ مَا تَرَى فِيهَا مِنْ أَثَرِ الْعَمْدِ وَ التَّدْبِيرِ، فَانْكَ تَرَى فِيهَا كَأَمْثَالَ التَّلَالِ مِنْ شَحْمِ مَرْكُومٍ فِي نَوَاحِيهَا وَ حَبِّ مَرْصُوفٍ صَفَا كُنْحُو مَا يَنْضُدُ بِالْأَيْدِي، وَ تَرَى الْحَبَّ مَقْسُومًا أَقْسَامًا، وَ كُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا مَلْفُوفًا بِلِفَائِفِ

ص: ١٠٤

من حجب منسوجه أعجب النسج و أطفه و قشره يضم ذلك كله! فمن التدبير في هذه الصنعه أنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانه من الحبّ وحده، و ذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضا، فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمدّه بالغذاء. ألا ترى أنّ اصول الحبّ مركزه في ذلك الشحم، ثم لف بتلك اللفائف لتضمه و تمسكه فلا يضطرب، و غشى فوق ذلك بالقشره المستحصفه لتحصنه و تصونه من الآفات. و هذا قليل من كثير من وصف الرمانه و فيه أكثر، و هذا لمن أراد الإطناب و التذرع في الكلام، و لكن فيما ذكرت لك كفايه في الدلاله و الاعتبار.

فكر يا مفضل، في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيله من الدباء و القثاء و البطيخ و ما في ذلك من التدبير و الحكمة، فانه حين قدر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الأرض، و لو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع و الشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيله، و لتقصف قبل إدراكها و انتهائها إلى غاياتها.

فانظر كيف صار يمتد على وجه الأرض ليلقى عليها ثماره فتحملها عنه، فترى الأصل من القرع و البطيخ مفترشا للأرض و ثماره مبثوثة عليها و حوالية كأنه هزّه ممتده و قد اكتنفتها أجراءها لترضع منه، و انظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمّاره القيظ و وقده الحر، فتلقاها النفوس بانسراح و تشوّق إليها، و لو كانت توافي في الشتاء لوافق من الناس كراهه لها و اقشعرا منها مع ما يكون فيها من المضرّه للأبدان! ألا ترى أنّه ربما أدرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع

من أكل ما يضرّه و يسقم معدته (١)(٢).

«و غامض اختلاف كلّ حيّ» في (توحيد المفضل):فكّر في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان و في خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح كلّ واحد منها، فالإنس لما قدّر أن يكونوا ذوى ذهن و فطنه و علاج بمثل هذه الصناعات من البناء و التجاره و الصياغه و الخياطه و غير ذلك، خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ ليمكنوا من القبض على الأشياء و أوكدها هذه الصناعات. و أما آكلات اللحم لما قدّر أن يكون معائشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مدمجه ذوات برائن و مخالب تصلح لأخذ الصيد و لا- تصلح للصناعات، و آكلات النبات لما قدّر أن يكن لا ذوات صنعه و لا ذوات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونه الأرض إذا حاولت طلب الرعى و لبعضها حوافر ململمه ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيئها للركوب و الحمولة.

تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد و برائن شداد و أشداق و أفواه واسعة،فأنه لما قدّر أن يكون طعامها اللحم خلقت خلقه تشاكل ذلك،و أعينت بسلاح و أدوات تصلح للصيد،و كذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير و مخالب مهَيّاه لفعالها.

و لو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد اعطيت ما لا تحتاج إليه لأنها لا تصيد و لا تأكل اللحم،و لو كانت السباع ذوات أظلاف كانت منعت ما تحتاج إليه-أعنى السلاح الذى تصيد به و تعيش-أفلا- ترى كيف اعطى كلّ واحد من الصنفين ما يشاكل كلّ طبعه بل ما فيه صلاحه و بقاؤه! انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجا لتتھياً للمشى،و لو كانت

ص:١٠٦

١-١) توحيد المفضل: ١٦٠ و [١]النقل بتصرف يسير.

٢-٢) اسقط الشارح هنا فقره«للدقيق تفصيل كلّ شىء».

افرادا لم يصلح لذلك، لأن الماشى ينقل قوائمه يعتمد على بعض، فذو القائمتين ينقل واحده و يعتمد على واحده، و ذو الأربع ينقل اثنتين و يعتمد على اثنتين. و ذلك من خلاف، لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه و يعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الأرض، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره و ينقل الأخيرتين أيضا من خلاف فيثبت على الأرض و لا يسقط إذا مشى.

أما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن و الحمولة و هو يرى الفرس مودعا منعما، و البعير لا يطيقه عدّه رجال لو استعصى، كيف كان ينقاد للصبى؟ و الثور الشديد كيف كان يدعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه و يحرث به؟ و الفرس الكريم يركب السيوف و الأسننه بالمواتاه لفارسه، و لقطع من الغنم يرعاه واحد و لو تفرّقت الغنم فأخذ كلّ واحد منها فى ناحيه لم يلحقها، و كذلك جميع الأصناف المسخّره للإنسان، فبم كانت كذلك إلاّ أنّها عدمت العقل و الرويّه؟ فإنّها لو كانت تعقل و تتروى فى الامور كانت خليفه أن تلتوى على الإنسان فى كثير من مآربه، حتى يمتنع الجممل على قائده، و الثور على صاحبه، و تفرّق الغنم عن راعيها و أشباه هذا من الامور.

و كذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل و رويه فتوازرت على الناس كانت خليفه أن تجتاحهم، فمن كان يقوم للأسد و الذئب و النمور و الدببه لو تعاونت و تظاهرت على الناس؟ أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها و صارت مكان ما كان يخاف من أقدامها و نكايته تهاب مساكن الناس و تحجم عنها، ثم لا تظهر و لا تنتشر لطلب قوتها إلاّ بالليل، فهى مع صولتها كالخائف من الإنس بل مقموعه ممنوعه منهم، و لو كان غير ذلك لساورتهم فى مساكنهم و ضيّقت عليهم.

ثم جعل فى الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكة و محاماه عنه و حافظ له، ينتقل على الحيطان و السطوح فى ظلمه الليل لحراسه منزل

صاحبه و ذبّ الذعار عنه، و يبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه و دون ماشيته و ماله، و يألفه غاية الألف حتى يصبر معه على الجوع و الجفوه، فلم طبع الكلب على هذه الألفه و المحبّه إلّا ليكون حارسا للإنسان عينا-أى جاسوسا-له بأنياب و مخالب و نباح هائل ليذعر منه السارق و يتجنب المواضع التى يحميها و يخفّرها؟ يا مفضل تأمل وجه الدابّه كيف هو؟ فأنتك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لثلا- تصدم حائطا أو تتردّى فى حفرة، و ترى الفم مشقوقا شقّا فى أسفل الخطم، و لو شق كمكان الفم من الانسان فى مقدم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئا من الأرض. ألا ترى أنّ الانسان لا يتناول الطعام بفيه و لكن بيده تكرمه له على سائر الآكلات، فلما لم يكن للدابه يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقا من أسفله ليقبض على العلف ثمّ تقضمه، و اعينت بالجحفله لتتناول بها ما قرب و ما بعد (١).

اعتبر بذنبها و المنفعه لها فيه، فإنّه بمنزله الطبق على الدبر و الحياء جميعا يواريهما و يسترهما، و من منافعها فيه أن ما بين الدبر و مراقى البطن منها و ضرر يجتمع عليها الذباب و البعوض، فجعل لها الذنب كالمذبه تدب بها عن تلك المواضع. و منها: أنّ الدابه تستريح إلى تحريكه و تصريفه يمنه و يسره، فانه لما كان قيامها على الأربع بأسرها و شغلت المقدمتان بحمل البدن عن التقلب و التصرف كان لها فى تحريك الذنب راحه. و فيه منافع اخرى يقصر عنها الوهم فيعرف موقعها فى وقت الحاجه إليها، فمن ذلك، أنّ الدابه ترتطم فى الوحل فلا يكون شىء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها، و فى شعر الذنب منافع للناس كثيره يستعملونها فى مآربهم، ثم جعل ظهرها

ص: ١٠٨

مسطحا مبطحا على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها، و جعل حياءها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها، و لو كان أسفل البطن كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها. ألا ترى أنه لا يستطيع أن يأتيها كفاحا (1) كما يأتي الرجل المرأة! فكّر في خلق الزرافة و اختلاف أعضائها و شبهها بأعضاء أصناف من الحيوان، فرأسها رأس فرس و عنقها عنق جمل و أظلافها أظلاف بقرة و جلدها جلد نمر، و زعم ناس من الجهّال بالله عزّ و جلّ أن نتاجها من فحول شتى، قالوا و سبب ذلك: إنّ أصنافا من حيوان البر إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمه و ينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتى، و هذا جهل من قائله و قلّه معرفه بالبارى جلّ قدسه، و ليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف، فلا الفرس يلقح الجمل و لا الجمل يلقح البقر، إنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله و يقرب من خلقه، كما يلقح الفرس الحمار فيخرج بينهما البغل، و يلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السمع. على أنه ليس يكون في الذي يخرج بينهما عضو كلّ واحد منهما كما في الزرافة -عضو من الفرس و عضو من الجمل و أظلاف من البقره- بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما، كالذي تراه في البغل فإنك ترى رأسه و اذنيه و كفله و ذنبه و حوافره وسطا بين هذه الأعضاء من الفرس و الحمار، و شحيحه كالممتزج من سهيل الفرس و نهيق الحمار. فهذا دليل على أنّ الزرافة ليست من لقاح أصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء، و يعلم أنه تعالى خالق أصناف الحيوان كلّها، يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيها

ص: ١٠٩

شاء و يفرق ما شاء منها في أيها شاء، و يزيد في الخلقه ما شاء و ينقص منها ما شاء، دلالة على قدرته على الأشياء و أنه لا يعجزه شىء أرادته جلّ و تعالى! فأما طول عنقها و المنفعة لها في ذلك فإن منشأها و مرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقه ذاهبه طولاً في الهواء، فهي تحتاج إلى طول العنق لتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتقوت من ثمارها.

تأمل خلقه القرد و شبهه بالإنسان في كثير من أعضائه-أعنى الرأس و الوجه و المنكبين و الصدر-و كذلك أحشائه شبيهه أيضاً بأحشاء الإنسان، و خصّ مع ذلك بالذهن و الفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يؤمى إليه، و يحكى كثيراً مما يرى الإنسان يفعلها، حتى أنه يقرب من خلق الإنسان و شمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبره للإنسان في نفسه، فيعلم أنه من طينه البهائم و سنخها، إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب، و أنه لو لا فضيله فضله بها في الذهن و العقل و النطق كان كبعض البهائم، على أن في جسم القرد فضولاً أخرى تفرق بينه و بين الإنسان، كالخطم و الذنب المسدل و الشعر المجلل للجسم كله. و هذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطى مثل ذهن الإنسان و عقله و نطقه، و الفصل الفاصل بينه و بين الإنسان بالحقيقه هو النقص في العقل و الذهن و النطق.

انظر يا مفضل، إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامها هذه الكسوه من الشعر و الوبر و الصوف لتقيها من البرد و كثره الآفات، و ألبست الأظلاف و الحوافر و الأخفاف لتقيها من الحفا، إذ كانت لا أيدي لها و لا أكفّ و لا أصابع مهيأه للغزل و النسج، فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقهم باقيه عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها و الاستبدال بها، فأما الإنسان فإنه ذو حيله و كفّ مهيأه للعمل، فهو ينسج و يغزل و يتخذ لنفسه الكسوه و يستبدل بها حالاً-بعد حال، و له في ذلك صلاح من جهات: من ذلك أنه يشتغل

بصنعتة اللباس عن العبث و ما تخرجه إليه الكفايه، و منها أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء و لبسها إذا شاء، و منها أن يتخذ لنفسه من الكسوه ضروريا لها جمال و روعه فيتلذذ بلبسها و تبدلها، و كذلك يتخذ بالرفق من الصنعه ضروريا من الخفاف و النعال يقي بها قدميه، و في ذلك معائن لمن يعمله من الناس و مكاسب يكون فيها معائنهم، و منها أقواتهم و أقوات عيالهم، فصار الشعر و الوبر و الصوف تقوم للبهائم مقام الكسوه و الأظلاف و الحوافر و الأخفاف مقام الحذاء (١).

«و ما الجليل و اللطيف و الثقيل و الخفيف و القوي و الضعيف في خلقه إلا سواء» في اشتمال الكل على حكم لا تعدو كشف الجميع عن مدبر قادر، قال تعالى: «الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» (٢).

و في (توحيد المفضل): تأمل وجه الذره الحقيره الصغيره هل تجد فيها نقصا عمّا فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير و الصواب: في خلق الذره إلا من التدبير القائم في صغير الخلق و كبيره. ففكر يا مفضل، في هذه الأشياء التي تراها موجوده معده في العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، و الحديد للصناعات، و الخشب للسفن و غيرها، و الحجاره للارحاء و غيرها، و النحاس للأواني، و الذهب و الفضه للمعامله و الذخيره، و الحبوب للغذاء، و الثمار للتفكّه، و اللحم للمأكل، و الطيب للتلذذ، و الأدوية للتصحيح، و الدواب للحموله، و الحطب للتوق، و الرماد للكلس، و الرمل للأرض، و كم عسى أن يحصى المحصى من هذا و شبهه. أرايت لو أن داخلا دخل دارا فنظر إلى خزائن مملوّه من كل ما يحتاج إليه الناس و رأى ما فيها مجموعا معدّا لأسباب معروفه،

ص: ١١١

١- ١) توحيد المفضل: ٩٦-١٠٧، و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) طه: ٥٠. [٢]

أ كان يتوهم ان مثل هذا يكون بالإهمال و من غير عمد، فكيف يستجيز قائل أن يكون هذا من صنع الطبيعه فى العالم و ما أعد فيه من هذه الأشياء؟ اعتبر يا مفضل، بأشياء خلقت لمآرب الإنسان و ما فيها من التدبير، فإنه خلق له الحبّ لطعامه و كلف طحنه و عجنه و خبزه، و خلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه و غزله و نسجه، و خلق له الشجر فكلف غرسها و سقيها و القيام عليها، و خلقت له العقاقير لأدويته فكلف لقطعها و خلطها و صنعها، و كذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال. فانظر كيف كفى الخلقه التى لم يكن عنده فيها حيله و ترك عليه فى كلّ شىء من الأشياء موضع عمل و حركه لما له فى ذلك من الصلاح، لأنه لو كفى هذا كلّه حتى لا يكون له فى الأشياء موضع شغل و عمل لما حملته الأرض أشرا و بطرا، و لبلغ به ذلك إلى أن يتعاطى امورا فيها تلف نفسه، و لو كفى الناس كلّ ما يحتاجون إليه لما تهنأوا بالعيش و لا وجدوا له لذّه، ألا ترى لو أن امراً نزل بقوم فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم و مشرب و خدمه لتبرم بالفراغ و نازعته نفسه إلى التشاغل بشىء! فكيف لو كان عمره مكفياً لا يحتاج إلى شىء، فكان من صواب التدبير فى هذه الأشياء التى خلقت للإنسان ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطاله، و لتكفه عن تعاطى ما لا يناله، و لا خير فيه إن ناله (1)؟ «و كذلك السماء» فى (توحيد المفضل): فكّر فى لون السماء و ما فيه من صواب التدبير، فإن هذا اللون أشدّ الألوان موافقه و تقويه للبصر، حتى ان من صفات الأطباء لمن أصابه شىء أضرّ ببصره إدمان النظر إلى الخضره و ما قرب منها إلى السواد، و قد وصف الحدّاق منهم لمن كلّ بصره الإطلاع فى أجانه خضراء مملوّه ماء، فانظر، كيف جعل الله تعالى أديم السماء بهذا اللون

ص: ١١٢

١-١) توحيد المفضل: ١١١ و ٨٥ و ٨٦، و [١]النقل بتصرف يسير.

الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المتقلبه عليه فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له، فصار هذا الذى أدركه الناس بالفكر و الرويه و التجارب يوجد مفروغا منه فى الخلقه، حكمه بالغه ليعتبر بها المعترفون، و يفكر فيها الملحدون، قاتلهم الله! أنى يؤفكون (١).

«و الهواء» فى (توحيد المفضل) - بعد ذكر حكمه كثره ماء البحار - و هكذا الهواء لو لا كثرته و سعته لاختنق هذا الأنام من الدخان و البخار الذى يتحير فيه و يعجز عما يحول إلى السحاب و الضباب أولا أولا (٢).

«و الرياح» فى (توحيد المفضل): أتبهك على الريح و ما فيها، أ لست ترى إذا ركبت كيف يحدث الكرب الذى يكاد أن يأتى على النفوس و يمرض الأصحاء و ينهك المرضى و يفسد الثمار و يعفن البقول و يعقب الوباء فى الأبدان و الآفه فى الغلات؟ ففى هذا بيان أن هبوب الرياح من تدبير الحكيم فى صلاح الخلق، و أنبئك عن الهواء بخله اخرى، فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام فى الهواء و الهواء يؤديه إلى المسامع، و الناس يتكلمون فى حوائجهم و معاملاتهم طول نهارهم و بعض ليهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى فى الهواء كما تبقى الكتابه فى القرطاس لامتأ العالم منه، فكان يكرهم و يمدحهم، و كانوا يحتاجون فى تجديده و الاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه فى تجديد القرطاس، لأن ما يلفظ من الكلام أكثر مما يكتب، فجعل الخلاق الحكيم جل اسمه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحي فيعود جديدا نقيًا، و يحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع، و حسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبره و ما فيه من المصالح، فإنه حياه هذه الأبدان،

ص: ١١٣

١- ١) توحيد المفضل: ١٢٧، و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) توحيد المفضل: ١٤٦. [٢]

و الممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدى البعد البعيد، وهو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع إلى موضع. ألا ترى، كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الريح؟ فكذلك الصوت، وهو القابل لهذا الحر و البرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، و منه هذه الريح الهابه، فالريح تروّح عن الأجسام، و تزجى السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتى يستكثف فيمطر، و تفضّه حتى يستخف فيتنفّس، و تلقح الشجر و تسير السفن و ترخى الأطعمه و تبرّد الأطعمه و تشبّ النار و تجفف الأشياء النديّه.

و بالجمله إنّها تحيى كلّ ما فى الأرض، فلو لا الريح لذوى النبات و لمات الحيوان و حمت الأشياء و فسدت (1).

«و الماء» فيه: اعلم أنّ رأس معاش الإنسان الخبز و الماء، فانظر كيف دبر الأمر فيهما، فإنّ حاجه الإنسان إلى الماء أشدّ من حاجته إلى الخبز، و ذلك ان صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، و الذى يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز، لأنّه يحتاج إليه لشربه و وضوئه و غسله و غسل ثيابه و سقى أنعامه و زرعه، فجعل الماء مبدولا لا يشتري ليسقط عن الإنسان المؤنه فى طلبه و تكلفه، و جعل الخبز متعدّرا لا ينال إلاّ بالحيله و الحركة ليكون للإنسان شغل يكفّه عمّا يخرجّه إليه الفراغ من الأشتر و العبث.

ألا- ترى أن الصبى يدفع الى المؤدّب و هو طفل لم يكمل ذاته للتعليم كلّ ذلك ليشغل عن اللعب و العبث اللذين ربّما جنيا عليه و على أهله المكروه العظيم، و هكذا الإنسان لو خلا من الشغل يخرج من الأشتر و البطر إلى ما يعظم ضرره عليه و على من قرب منه، و اعتبر ذلك بمن نشأ فى الجده، و رفاهيه العيش

ص: ١١٤

و الترفّه و ما يخرجّه ذلك إليه (١).

«فانظر إلى الشمس» فيه: ففكر يا مفضل، في طلوع الشمس و غروبها لإقامه دولتي النهار و الليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس يسعون في معائشهم و يتفرّقون في امورهم و الدنيا مظلمه عليهم، و لم يكونوا يتهنّون بالعيش مع فقدهم لذّه النور و روحه، و الارب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطئاب في ذكره و الزيادة في شرحه. بل تأمل المنفعه في غروبها! فلولا- غروبها لم يكن للناس هده و لا قرار مع عظيم حاجتهم إلى الهدء و الراحة لسكون أبدانهم و جموم حواسهم، و انبعث القوه الهاضمه لهضم الطعام، و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء. ثم كان الحرص يستحملهم من مداومه العمل و مطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم، فان كثيرا من الناس لو لا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لم يكن لهم هده و لا قرار، حرصا على الكسب و الجمع و الادّخار.

ثم كانت الأرض تستحم بدوام الشمس بضياؤها و يحمي كلّ ما عليها من حيوان و نبات، فقدرها الله بحكمته و تدبيره تطلع وقتا و تغرب وقتا، بمنزله سراج يرفع لأهل البيت تاره ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدءوا و يقروا، فصار النور و الظلمه مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه.

ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس و انحطاطها، لإقامه هذه الأزمنه الأربعة من السنه، و ما في ذلك من التدبير و المصلحه، ففي الشتاء تعود الحراره في الشجر و النبات فيتولد فيهما مواد الثمار، و يتكثّف الهواء فينشأ منه السحاب و المطر، و يشتدّ أبدان الحيوان و تقوى، و في الربيع تتحرّك

ص: ١١٥

و تظهر المواد المتولده فى الشتاء فىطلع النبات و تنور الأشجار و يهيج الحيوان للسفاد، و فى الصيف يحتدم الهواء فتضج الثمار و تتحلل فضول الأبدان و يجفّ وجه الأرض فتتهياً للبناء و الأعمال، و فى الخريف يصفوا الهواء و ترتفع الأمراض و يصحّ الأبدان و يمتدّ الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله و يطيب الهواء فيه- إلى مصالح اخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام.

فكر الآن فى تنقل الشمس فى البروج الاثنى عشر لإقامه دور السنه و ما فى ذلك من التدبير، فهو الدور الذى تصحّ به الأزمنه الأربعة من السنه، الشتاء و الربيع، و الصيف، و الخريف، و يستوفىها على التمام. و فى هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات و الثمار و تنتهى إلى غاياتهم، ثم تعود فيستأنف النشو و النمو. ألا- ترى أن السنه مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل، فبالسنه و أخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت و عصر من غابر الأيام، و بها يحسب الناس الأعمار و الأوقات المؤقته للديون و الإجازات و المعاملات، و غير ذلك من امورهم، و بمسير الشمس تكمل السنه و يقوم حساب الزمان على الصحه.

انظر الى شروقها على العالم، كيف دبّر أن يكون؟ فإنّها لو كانت تبرز فى موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها و منفعتها إلى كثير من الجهات، لأن الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع فى أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثم لا- تزال تدور و تغشى جهه بعد جهه حتى تنتهى الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها فى أول النهار، فلا- يبقى موضع من المواضع إلا- أخذ بقسطه من المنفعه و الأرب التى قدّرت له، و لو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف يكون حالهم بل كيف يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الامور الجليله

التي لم يكن عندهم فيها حيله، فصارت تجرى على مجاريها لا تتخلف عن مواقيتها لصالح العالم و ما فيه بقاؤه (١).

«و القمر» فيه: استدلال بالقمر، ففيه دلالة جليبه تستعملها العامه في معرفه الشهور و لا يقوم عليه حساب السنه، لأن دوره لا يستوفى الأزمنه الأربعة و نشوء الثمار (٢).

«و النبات و الشجر» فيه: فِكْر يا مفضل، في هذا النبات و ما فيه من ضرورب المآرب: فالثمار للغذاء، و الأتبان للعلف، و الحطب للوقود، و الخشب لكل شىء من أنواع التجاره و غيرها، و اللحاء و الورق و الأصول و العروق و الصموغ لضرورب من المنافع. أرأيت لو كُنّا نجد الثمار التي نغتذى بها مجموعه على الأرض، و لم تكن تنبت على هذه الأغصان الحامله لها، كم يدخل علينا من الخلل في معاشنا؟ و ان كان الغذاء موجودا فان المنافع بالخشب و الحطب و الأتبان و ساير ما عددناه كثيره عظيم قدرها جليل موقعها. هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره و نضارته التي لا- يعدلها شىء من مناظر العالم و ملاهيه! فِكْر يا مفضل، في هذا الريع الذي جعل في الزرع، فصارت الحبه الواحده تخلف مائه حبه و أكثر و أقل، و كان يجوز للحبه أن تأتي بمثلها، فلم صارت تريع هذا الريع إلا ليكون في الغله متسع لما يرد في الأرض من البذر، و ما يتقوّت الزراع إلى ادراك زرعها المستقبل؟ ألا- ترى أنّ الملك لو أراد عماره بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطى أهله ما يبذرونه في أرضهم و ما يقوتهم إلى إدراك زرعهم! فانظر كيف تجد هذا المثل قد تقدم في تدبير

ص: ١١٧

١- ١) توحيد المفضل: ١٢٨-١٣١، و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) توحيد المفضل: ١٣١. [٢]

الحكيم، فصار الزرع يريع هذا الريع ليفى بما يحتاج إليه للقوت و الزراعه، و كذلك الشجر و النبات، و النخل يريع الريع الكثير، فإنك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمرا عظيما، فلم كان كذلك، إلا ليكون فيه ما يقطعه الناس و يستعملونه فى مآربهم و ما يرد فيغرس فى الأرض؟ و لو كان الأصل منه منفردا لا- يفرخ و لا- يريع لما أمكن أن يقطع منه شىء لعمل و لا لغرس، ثم كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف.

تأمل يا مفضل، نبات هذه الحبوب من العدس و الماش و الباقلاء و ما أشبه ذلك، فإنها تخرج فى أوعيه مثل الخرائط لتصونها و تحجبها من الآفات إلى ان تشتد و تستحكم، كما تكون المشيمه على الجنين لهذا المعنى بعينه، و أمّا البرّ و ما أشبهه فانه يخرج مدرجا فى قشور صلاب على رؤوسها أمثال الأسنه من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزرع.

فان قال قائل: أو ليس قد ينال الطير من البرّ و الحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدر الأمر فيها، لأنّ الطير خلق من خلق الله تعالى، و قد جعل الله تعالى له فيما تخرج الأرض حظا، و لكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كلّ التمكن فيعذب فيها و يفسد الفساد الفاحش، فإنّ الطير لو صادف الحبّ بارزا ليس عليه شىء تحول دونه، لأكبّ عليه حتى ينسفه اصلا، فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت و يخرج الزارع من زرعه صفرا، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطير منه شيئا يتقوّت به و يبقى أكثره للإنسان، فإنّه أولى به إذ كان هو الذى كدح فيه، و شقى به، و كان الذى يحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه الطير.

فكّر فى هذه العقاقير و ما خصّ به كلّ واحد منها من العمل فى بعض الأدوية، فهذا يغور فى المفاصل فيستخرج الفضول الغليظه مثل الشيطرح، و هذا ينزف المره السوداء مثل الافتيمون، و هذا ينفى الرّياح مثل السكينج،

و هذا يحلّل الأورام و أشباه هذا من أفعالها. فمن جعل هذه القوى فيها إلا من خلقها للمنفعة؟ و من فطنّ الناس لها إلا من جعل هذا فيها؟ و متى كان يوقف على هذا منها بالعرض و الاتفاق كما قال القائلون؟ و هب أنّ الانسان فطن لهذه الأشياء بذهنه و لطيف رويته و تجاربه، فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، و بعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، و أشباه هذا كثير.

و لعلمك تشككك في هذا النبات النبات في الصحارى و البرارى حيث لا إنس و لا أنيس، فتظنّ أنّه فضل لا حاجه إليه! و ليس كذلك بل هو طعام لهذه الوحوش و حبه علف للطير و أفنانه حطب فيستعمله الناس، و فيه بعد أشياء تعالج بها الأبدان و اخرى تدبغ بها الجلود و اخرى تصبغ الأمتعه، و أشباه هذا من المصالح. أ لست تعلم أنّ من أحسّ النبات و أحقره هذا البردى و ما أشبهها؟ ففيها مع هذا ضروب من المنافع، فقد يتخذ من البردى القراطيس التي يحتاج إليها الملوك و السوقة، و الحصر التي يستعملها كلّ صنف من الناس، و يعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني، و يجعل حشوا بين الظروف في الأسفاط لكيلا تعيب و تنكسر، و أشباه هذا من المنافع.

و اعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق و كبيره و بماله قيمه و ما لا قيمه له، و أحسّ من هذا و أحقره الزبل و العذره التي اجتمعت فيها الخساسة و النجاسة معا، و موقعها من الزروع و البقول و الخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء، حتى أنّ كلّ شيء من الخضر لا يصلح و لا يزكو إلا بالزبل و السماد الذي يستقدره الناس و يكرهون الدنو منه! و اعلم أنّه ليس منزله الشيء على حسب قيمته، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين، و ربما كان الخسيس في سوق المكتسب، نفيسا في سوق العلم، فلا تستصغر العبره في الشيء لصغر قيمته، فلو فطن طالبوا الكيمياء

لما فى العذره لاشتروها بأنفس الأثمان و غالوا بها (١).

«و الماء و الحجر» الظاهر أنه عليه السّلام أراد فى الجمع بينهما أنه تعالى خالق ما هو فى اللينه كالماء، و ما هو فى الصلابه كالحجر، فهو خالق الضّدين، و لا يكون خلق الضّدين إلاّ عن كمال قدره و عن تدبير حكيم لا خصوص الماء و الحجر.

«و اختلاف هذا الليل و النهار» مر الكلام فى أصلهما، و أما فى مقدارهما فقد قال الصادق عليه السّلام للمفضل: فكّر فى مقادير النّهار و الليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار منتهى كلّ واحد منهما إذا امتدّ إلى خمس عشره ساعه لا يجاوز ذلك. أفرأيت لو كان النهار مقداره مائه ساعه أو مائتى ساعه، ألم يكن فى ذلك بوار كلّ ما فى الأرض من حيوان و نبات. أما الحيوان فكان لا يهدأ و لا يقتر طول هذه المدّه، و البهائم ما كانت تمسك عن الرعى لو دام لها ضوء النّهار، و لا الإنسان كان يفتر عن العمل و الحركة، و كان ذلك ينهكها أجمع و يؤدّيها إلى التلف، و أما الثّبات فكان عليه حرّ النّهار و وهج الشمس حتى يجف و يحترق، و كذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدّه كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة و التصرف فى طلب المعاش حتى يموت جوعاً، و تخمد الحراره الطبيعیه عن النبات حتى يعفن و يفسد، كالذى تراه يحدث على النبات إذا كان فى موضع لا تطلع عليه الشمس (٢).

«و تفجّر هذه البحار» قال الصادق عليه السّلام: فإن شككت فى منفعه هذا الماء الكثير المتراكم فى البحار و قلت ما الأرب فيه، فاعلم إنّه مكتنف و مضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك و دوابّ البحر و معدن اللؤلؤ و الياقوت و العنبر،

ص: ١٢٠

١- ١) توحيد المفضل: ١٥٤-١٥٦ و ١٦٣-١٦٥، و [١]النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) توحيد المفضل: ١٣٧، و [٢]النقل بتصرف يسير.

و أصناف شتى تستخرج من البحر و فى سواحله منابت العود اليلنجوج و ضروب من الطيب و العقاقير، ثم هو بعد مركب للناس، و محمل لهذه التجارات التى تجلب من البلدان البعيده، كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق و من العراق إلى الصين، فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلا على الظهر لبارت، و بقيت فى بلدانها و أيدي أهلها، لأن أجر حملها يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها، و كان يجتمع فى ذلك أمران: أحدهما فقد أشياء كثيره تعظم الحاجه إليها، و الآخر انقطاع معاش من يحملها و يتعيش بفضلها (١).

«و كثره هذه الجبال و طول هذه القلال» قال عليه السلام للمفضل: انظر إلى هذه الجبال المركومه من الطين و الحجاره التى يحسبها الغافلون فضلا لا- حاجه إليها، و المنافع فيها كثيره: فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج فتبقى فى قلالها لمن يحتاج إليه و يذوب ما ذاب منه، فتجرى منه العيون الغزيره التى تجتمع منها الأنهار العظام، و ينبت فيها ضروب من النبات و العقاقير التى لا ينبت مثلها فى السهل، و يكون فيها كهوف و معاقل للوحوش من السباع العاديه، و يتخذ منها الحصون و القلاع المنيعه للتحرز من الأعداء، و ينحت منها الحجاره للبناء و الإرحاء، و يوجد فيها معادن لضروب من الجواهر، و فيها خلال أخر لا يعرفها إلا المقدر لها فى سابق علمه (٢).

«و تفرق هذه اللغات و الألسن المختلفات» قد حقق فى فلسفه اللغات أن الأصل فيها حكايه الأصوات، إلا أن الطبائع مختلفه فى التعبير عنها، فحصل التفرق و الاختلاف، مثل «قطا» فى العرييه و «كغا» فى الفارسيه و «خشب» فى العرييه و «چوب» فى الفارسيه، و مثل «الطائر» فى العرييه و «پرنده» فى

ص: ١٢١

١- ١) توحيد المفضل: ١٤٦، و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) توحيد المفضل: ١٥١، و [٢] النقل بتصرف يسير.

الفارسيه و«بيرد» في الافرنجيه و«بهنده» في التستريه، فكّلها حكايه صوت الطيران، كما أن الأوّل حكايه صوت نغمته و الثاني حكايه صوت الضرب به.

كما قد يحصل الاشتراك من الحكايه لتشابه صوت طبيعتين مثل «شير» في الفارسيه لّبن حكايه صوت حله، و للأسد حكايه زئيره (١)، و هو أحد الآيات على وجود الصانع لايجاده اختلاف الطبائع «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اٰخْتِلَافُ اَللِّسٰنِ كُمْ وَ اَلْوٰنِ كُمْ» (٢).

«فالويل لمن جحد المقدر و أنكر المدبر» قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر في وصول الغذاء إلى البدن و ما فيه من التدبير، فإنّ الطعام يصير إلى المعده فتطبخه و تبعث بصفوه إلى الكبد في عروق دقاق و أشجه بينهما، قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، و ذلك أنّ الكبد رقيقه لا تحتمل العنف.

ثم إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما و ينفذه الى البدن كلّ في مجارى مهياّه لذلك، بمنزله المجارى التي تهيأ للماء ليترد في الأرض كلّها، و ينفذ ما يخرج منه من الخبث و الفضول الى مغائض قد أعدت لذلك، فما كان منه من جنس المرّه الصفراء جرى الى المراره، و ما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال، و ما كان من البله و الرطوبه جرى إلى المثانه.

فتأمّل حكمه التدبير في تركيب البدن و وضع هذه الأعضاء منه مواضعها و إعداد هذه الأوعيه فيه لتحمل تلك الفضول، لثلا تنتشر في البدن فتسقمه و تنهكه، فتبارك من أحسن التقدير و أحكم التدبير،

ص: ١٢٢

١ - ١) كلام الشارح في اشتقاق هذه الألفاظ مخدوش بلا أصل، خلاف لجميع محققي اللغه و الاشتقاق، بل جميع الألفاظ التي ذكرها الشارح لها اشتقاق معلوم ذكره علماء اللغه في كتبهم.

٢ - ٢) الروم: ٢٢. [١]

وله الحمد كما هو أهله و مستحقّه (١).

«زعموا أنّهم كالنبات ما لهم زارع ولا- لا اختلاف صورهم صانع» مع أنّ اختلاف صورهم كأصل إيجادهم آية واضحة لمبدعهم، وقد قرّره نوح عليه السلام به فقال: «ما لكم لا تزجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً» (٢).

قال الصادق عليه السلام للمفضّل: اعتبر لم لا- يتشابه الناس واحد بالآخر كما تشابه الوحوش و الطير و غير ذلك، فإنّك ترى الشرب من الطباء و القضا تشابه حتى لا يفرق بين واحد و بين الاخرى، و ترى الناس مختلفه صورهم و خلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفه واحده، و العله في ذلك أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم و حلاهم لما يجرى بينهم من المعاملات، و ليس يجرى بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفه كلّ واحد منهم بعينه و حليته. ألا ترى أنّ التشابه في الطير و الوحش لا- يضرّها شيئاً؟ و ليس كذلك الإنسان، فإنّه ربما تشابه التوأمين تشابها شديدا فتعظم المؤنه على الناس في معاملتهما حتّى يعطى أحدهما بالآخر و يؤخذ بذنب أحدهما الآخر، و قد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلا عن تشابه الصور، فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التي لا- تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب: إلا من وسعت رحمته كلّ شيء، و لو رأيت تمثال الإنسان مصوّرا على حائط و قال لك قائل إنّ هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع، أ كنت تقبل ذلك؟ بل كنت تستهزئ به، فكيف تنكر هذا في تمثال مصوّر جماد و لا تنكره في الإنسان الحي الناطق (٣).

ص: ١٢٣

١- ١) توحيد المفضل: ٥٦، و [١]النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) نوح: ١٣ و ١٤. [٢]

٣- ٣) توحيد المفضل: ٨٧، و [٣]النقل بتصرف يسير.

«و لم يلجئوا إلى حجّه فيما ادعوا» «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (١).

«و لا تحقيق لما أوعوا» بفتح الهمزة أى: اضمروا، قال تعالى: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ» (٢).

و فى (توحيد المفضل): إن الشكّاك جهلوا الأسباب و المعانى فى الخلقه، و قصرت أفهامهم عن تأمل الصواب: و الحكمة فيما ذرأ البارى جلّ قدسه و برأ من صنوف خلقه فى البرّ و البحر و السهل و الوعر، فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود و بضعف بصائرهم الى التكذيب و العنود، حتى أنكروا خلق الأشياء و ادعوا أن تكونها بالإهمال، لا صنعه فيها و لا تقدير و لا حكمه من مدبّر و لا صانع، تعالى الله عمّا يصفون و قاتلهم الله أنى يؤفكون! فهم فى ضلالهم و غيهم و تجبرهم بمنزله عميان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء و أحسنه، و فرشت بأحسن الفرش و أفخره، و أعدّ فيها ضروب الأطعمه و الأشربه و الملابس و المآرب التى يحتاج إليها و لا يستغنى عنها، و وضع كلّ شىء من ذلك موضعه على صواب من التقدير و حكمه من التدبير، فجعلوا يتردّدون فيها يمينا و شمالا و يطوفون بيوتها إدارا و إقبالا، محجوبه أبصارهم عنها لا يبصرون بنيه الدار و ما أعدّ فيها، و ربما عثر بعضهم بالشىء الذى قد وضع موضعه، و أعدّ للحاجه إليه و هو جاهل للمعنى فيه و لما أعدّ و لما ذا جعل كذلك، فتندمّر و تسخّط و ذمّ الدار و بانيها.

فهذا حال هذا الصنف فى إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقه و ثبات الصنعه، فإنهم لما عزبت أذهانهم عن معرفه الأسباب و العلل فى الأشياء

ص: ١٢٤

١ - ١) البقره: ١١١، و [١] النمل الانشاق: ٦٤. [٢]

٢ - ٢) ٢٣.

صاروا يجولون في هذا العالم حيارى! فلا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته و حسن صنعته و صواب هيئته.

و ربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه و الارب فيه فيسرع إلى ذمه و وصفه بالإحاله و الخطأ، كالذى أقدمت عليه المنانيه- أصحاب الماني- الكفرة، و جاهرت به الملاحده المارقه الفجره، و أشباههم من أهل الضلال المعللين أنفسهم بالمحال (١).

«و هل يكون بناء من غير بان» إشاره إلى عدم إمكان وجودهم من غير موجود.

و في توحيد المفضل: ففكر في أعضاء البدن أجمع و تدبير كل منها للارب، فاليدان للعلاج، و الرجلان للسعي، و العينان للاهتداء، و الفم للاغتذاء، و المعده للهضم، و الكبد للتخليص، و المنافذ لتنفيذ الفضول، و الأوعيه لحملها، و الفرغ لإقامه النسل، و كذلك جميع الأعضاء إذا ما تأملتتها و أعملت فكرك فيها وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب و حكمه.

فقال المفضل له عليه السلام: إن قوما يزعمون إن هذا من فعل الطبيعه، فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعه أهى شيء له علم و قدره على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك؟ فإن أوجبوا لها العلم و القدره فما يمنعهم من إثبات الخالق فإن هذا صفتة، و إن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم و لا عمد و كان في أفعالها ما قد تراه من الصواب و الحكمه علم أن هذا الفعل لخالق حكيم، فإن الذي سمّوه طبيعه هو سنته في خلقه الجاربه على ما أجزاها عليه (٢).

ص: ١٢٥

١- ١) توحيد المفضل: ٤٤، و [١]النقل بتصريف يسير.

٢- ٢) توحيد المفضل: ٥٤ و ٥٥، و [٢]النقل بتصريف يسير.

«أو جنايه» هكذا في النسخ (١)، والظاهر كونه مصحّف «جنى» توهما من النساخ أن «جان» بعده من الجنايه فحزفوا «من غير جان» من «جنيت الثمره»، إشاره إلى عدم إمكان فنائهم بغير مفن، كما في عدم إمكان وجودهم بغير موجد، فكانوا يقولون: «ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» (٢). قال تعالى: «فلو لا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلو لا إن كنتم غير مدينين تزجونها إن كنتم صادقين» (٣).

و أيضا لو كان فناؤهم من غير مفن، لكان الواجب ألا يموت أحد غير من قتل، إلا بعد خمود الحراره الغريزيه، كما لم ينهدم بناء إلا بعد زوال استمساك أجزائه، ولم نر أحدا وصل إلى الخمود.

هذا، وقد قال ابن أبي الحديد: «و هذه كلمه ساقته إليها القرينه، والمراد عموم الفعلية لا خصوص الجنايه، أي مستحيل أن يكون الفعل من غير الفاعل» (٤).

فيقال له: هل كان عليه السلام شاعرا اضطرته القافيه، ولكن ابن أبي الحديد كما قيل بالفارسيه «سخن شناس نه اي دلبرا خطا اينجا است»

و في (توحيد المفضل): «و مما ينتقده الجاحدون للعمد و التقدير الموت و الفناء، فإنهم يذهبون إلى أنه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين في هذه الدنيا مبرّئين من هذه الآفات، فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته فينظر ما محصوله. أ فرأيت لو كان كل من دخل العالم و يدخله يقون و لا يموت أحد

ص: ١٢٦

١- ١) نهج البلاغه ١١٨: ٢، و شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٥٦، و شرح ابن ميثم ٤: ١٣١.

٢- ٢) الجائيه: ٢٤. [١]

٣- ٣) الواقعه: ٨٦ و ٨٧. [٢]

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٥. [٣]

منهم، ألم تكن الأرض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن و المزارع و المعاش؟ فأنهم و الموت يفنيهم أولاً فأولاً يتنافسون فى المساكن و المزارع، حتى تنشب بينهم فى ذلك الحروب و تسفك فيهم الدماء، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون و لا يموتون؟ و كان يغلب عليهم الحرص و الشره و قساوه القلوب، فلو وثقوا بأنهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله، و لا أفرج لأحد عن شيء يسأله، و لا سلا عن شيء مما يحدث عليه، ثم كانوا يملّون الحياه و كلّ شيء من امور الدنيا كما قد يملّ الحياه من طال عمره حتى يتمنى الموت و الراحة من الدنيا.

فإن قالوا: أنه كان ينبغى أن يرفع عنهم المكاره و الأوصاب حتى لا يتمنوا الموت و لا يشتاقوا إليه، فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه العتو و الأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا و الدين.

و إن قالوا: أنه كان ينبغى ألا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن و المعاش، قيل لهم: إذن كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم و الاستمتاع بنعم الله تعالى و مواهبه فى الدارين جميعاً إذا لم يدخل العالم إلا قرن واحد لا يتوالدون و لا يتناسلون.

فإن قالوا: أنه كان ينبغى أن يخلق فى ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق و يخلق إلى انقضاء العالم، يقال لهم: رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن و المعاش عنهم، ثم لو كانوا لا يتوالدون و لا يتناسلون لذهب موضع الأُنس بالقرابات و ذوى الأرحام و الانتصار بهم عند الشدائد، و موضع تربيته الأولاد و السرور بهم، ففى هذا دليل على أنّ كلّ ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ و سفه من الرأى و القول (١).

ص: ١٢٧

«و ان شئت قلت فى الجراد» قال تعالى: «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ» (١).

وفى (حياه حيوان الدميرى)-و نقله الخوئى أيضا-الجراد إذا خرج من بيضه يقال له الدبى، فإذا طلعت أجنحته و كبرت فهو الغوغاء، و ذلك حين يموج بعضه فى بعض، فإذا بدت فيه الألوان و اصفرت الذكور و اسودت الإناث سمى جرادا، و إذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصّيلده و الصخور الصّلبه التى لا تعمل فيها المعاول، فيضربها بذنبه فتصدع له فيلقى بيضه فى ذلك الصدع فيكون له كالأنفحوص و يكون حاضنا له و مربيا، و للجراد ستّ أرجل و يدان فى صدرها و قائمتان فى وسطها و رجلان فى مؤخرها، و طرفا رجليها منشاران، و هو من الحيوان المنقاد لرئيسه، فيجتمع كالعسكر إذا ظعن أوله تتابع جميعه طاعنا و إذا نزل أوله نزل جميعه، و لعابه سمّ نافع للنبات (٢).

«اذ خلق لها عينين حمراوين و أسرج لها حدقتين قمرآوين» أى: بياضوين.

«و جعل لها السمع الخفى» حتى لم يعلم محل سامعتها «و فتح لها الفم السوى» أى: المستوى.

«و جعل لها الحسّ القوى» الظاهر أن المراد به شمّه، و إن كان يطلق على السمع و البصر و الذوق و اللمس أيضا.

«و نابين» قال الفيروزآبادى: الناب: السن خلف الرباعيه، جمعه أنياب (٣) «بها تقرض» أى: تقطع.

ص: ١٢٨

١-١ (١) القمر: ٧. [١]

٢-٢ (٢) شرح الخوئى ١٣٩: ٥ و ١٤٠، و حياه الحيوان ١٨٧: ١. [٢]

٣-٣ (٣) القاموس المحيط ١٣٥: ١، [٣] ماده نيب.

«و منجلين» المنجل: ما يحصد به «بهما تقبض يرهبا الزّاع في زرعهم» .

قال أعرابي- كما في (الصناعتين)- باكرنا و سمى خلفه ولى، فالأرض كأنها و شى منشور عليه لؤلؤ منشور، ثم أتنا غيوم جراد بمنجل حصاد، فاحترث البلاد و أهلكت العباد (١).

و في (حياه حيوان الدميري): وقعت جراده بين يدي النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فإذا مكتوب على جناحيها بالعبرانيه «نحن جند الله الأكبر و لنا تسع و تسعون بيضه، و لو تمت لنا المائه لأكلنا الدنيا بما فيها».

و فيه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: مكتوب على الجراد «أنا الله لا- إله إلا- أنا ربّ الجراد و رازقها، إن شئت بعثتها رزقا لقوم، و إن شئت بعثتها بلاء على قوم» (٢).

«و لا يستطيعون ذبها» أى: دفعها.

في (حياه حيوان الدميري): قال الأصمعي: أتيت البادية فإذا أعرابي زرع برّا له، فلما قام على سوقه و جاء سنبله، أتاه رجل جراد، فجعل الرجل ينظر اليه و لا يدرى كيف الحيله فيه، فأنشأ يقول:

مرّ الجراد على زرعى فقلت له لا تأكلنّ و لا تشغل يافساد

فقام منهم خطيب فوق سنبله انا على سفر لا بدّ من زاد (٣)

«و لو أجلبوا» أى: تجمّعوا «بجمعهم حتى ترد الحرث فى نزواتها» أى:

توثباتها و تسرعاتها «و تقضى منه شهواتها» فى (بديع ابن المعتز): قال ادد بن مالك بن يزيد ابن كهلان- و هو طى- فى وصيته لولده: لا تكونوا كالجراد أكل

ص: ١٢٩

[١- ١] الصناعتين: ٢٦٢. [١]

[٢- ٢] حياه الحيوان ١: ١٨٧ و ١٨٨. [٢]

[٣- ٣] حياه الحيوان ١: ١٨٨. [٣]

ما وجد و أكله من وجده .

«و خلقها كلّه لا يكون إصبعا مستدقّه» أى:دقيقه.

فى (حياه حيوان الدميرى):فى الجراد خلقه عشره من جباره الحيوان مع ضعفه:وجه فرس،و عينا فيل،و عنق ثور،و قرنا إيل،و صدر أسد،و بطن عقرب،و جناحا نسر،و فخذنا جمل،و رجلا نعامه،و ذنب حيه.و قد أحسن محيى الدين فى وصفه:

لها فخذنا بكر و ساقا نعامه و قادمنا نسر و جؤجؤ ضيغم

حبتها أفاعى الأرض بطنا و أنعمت عليها جياذ الخيل بالرأس و الفم (١)

و فى (توحيد المفضل):انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه و أقواه،فأنك إذا تأملت خلقه رأيت كالأشياء،و إن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه،ألا ترى أن ملكا من الملوك لو جمع خيله و رجله ليحمى بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك،أفليس من الدلائل على قدره الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه؟انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل،فيغشى السهل و الجبل و البدو و الحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته،فلو كان هذا مما يصنع بالأيدى متى كان يجتمع منه هذه الكثره و فى كم سنه كان يرتفع؟فاستدل بذلك على القدره التى لا يؤدها شىء و لا يكثر عليه (٢).

و فى (المعجم):فى الجراد طير إذا طار بسط و إذا دنا من الأرض لطح،رجلاه كالمنشار و عيناه كالزجاج،عينه فى جبينه و رجله أطول من قامته،جيدها كجيد البقر و رأسها كرأس الفرس و قرنهما كقرن الوعل و رجلها كرجل

ص:١٣٠

١-١ (١) حياه الحيوان ١:١٨٨. [١]

٢-٢ (٢) توحيد المفضل:١٢٣ و [٢]النقل بتصرف يسير.

الجمال و بطنها كبطن الحيه، تطير بأربعة أجنحه و تأكل بلسانه، فتبارك الله ما أحسنها و أحسن ما فيها، انهام طعام طاهر حيا و ميتا، تجذب أقواما و تخصب آخرين- يعنى إذا دخلت البوادي و الفيافي و مواضع الرمال فهي خصب لهم و ميره، و إذا حلت بمادى الزرع و الأشجار فهي جذب لأنها تأتي على الشوك و الشجر و الرطب و اليباس فلا- تبقى و لا- تذرا! و فيه عن ابن عباس: مكتوب على جناح الجراد «إنا نغلى الأسعار مع تدافق الأنهار» (١).

و قال بعض الخطباء: إن الله سبحانه خلق خلقا و سمّاها جرادا، و ألبسها أجلادا، و جنّدها أجنادا، و أدمجها إدماجا، و كساها من الوشى ديباجا، و جعل لها ذريه و أزواجا، إذا أقبلت خلقتها سحابا أو عجاجا، و إذا أدبرت حسبتها قوافل و حجاجا، مزخرفه المقادير مزرجه المآخير، مزوقه الأطراف منقطعه الاخفاف، منمنمه الحواشى منمّقه الغواشى، ذات أرويه مزعفره و أكسيه معصفره و أخفيه مخططه، معتدله قامتها مؤتلفه خلقتها مختلفه حليتها، موصوله المفاصل مدرجه الحواصل، تسعى و تحتال و تميمس و تختال و تطوف و تحتال. فتبارك خالقها و تعالى رازقها، أوسعها رزقا و أتقنها خلقا و فتق منها رتقا، و شبح أعراقها و ألجم أعناقها، و طوقها أطواقها، و قسم معائشها، و أرزاقها، تنظر شزرا من ورائها، و ترقب النازل من سمائها، و تحرس الدائر من حولها، سلاحها عتيد و بأسها شديد و مضرتّها تعديد، تدبّ على سبّ و تطير، فسبحان من خلقها خلقا عجيبا، و جعل لها من كلّ ثمر و شجر نصيبا، جعل لها إدارا و إقبالا و طلبا و احتيالا، حتى دبّت و خرجت و دخلت و نزلت و عرجت، مع المنظر الأنيق و العصب الدقيق و البدن

ص: ١٣١

(١-١) لم أجده في معجم الأدباء. [١]

الرقيق، «هذا خلق الله فأروني ما ذا خلق الذين من دونه» .

«فتبارك الذى يسجد له من فى السماوات و الأرض طوعا و كرها» الأصل فيه قوله تعالى: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظلالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ» (١).

«و يعنو له خدا و وجهها» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «و يعقر» من عقره فى التراب: مرغه فيه، كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢)، و ان كان يعنو» صحيحا من حيث المعنى، كقوله تعالى «وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ» (٣).

«و يلقى» أى: يرمى «إليه بالطاعه» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

«بالطاعه إليه» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤) «سلما و ضعفا» «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» (٥).

«و يعطى له القياد» أى: الانقياد «رهبه و خوفا» «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» (٦).

هذا، و عن المدائنى: ركب يزيد النهشلى بعيرا فقال: اللهم إنيك قلت «و ما كنا له مقرنين» (٧) و إني لبعيرى هذا لمقرن، فنفر به بعيره فطرحه و بقيت رجله فى الغرز، فجعل يضرب برأسه كل حجر و مدر حتى مات (٨).

ص: ١٣٢

[١-١] الرعد: ١٥. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبى الحديد ١٣:٦٦، و شرح ابن ميثم ٤:١٣٠.

[٣-٣] طه: ١١١. [٢]

[٤-٤] كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٣:٦٦، [٣] لكن فى شرح ابن ميثم ٤:١٣١، [٤] نحو المصريه.

[٥-٥] آل عمران: ٨٣. [٥]

[٦-٦] فصلت: ١١. [٦]

[٧-٧] الزخرف: ١٣. [٧]

[٨-٨] رواه عن المدائنى ابن قتيبه فى عيون الأخبار ٢:٦٠. [٨]

«فالطير مسخره لأمره» «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ» (١).

في (توحيد المفضل): تأمل جسم الطائر وخلقته، فإنه حين قدر أن يكون طائرا في الجوّ خفف جسمه و أدمج خلقه و اقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين و من الأصابع الخمس على أربع و من منفذين للزبل و البول على واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيفما أخذ فيه، كما جعلت السفينه بهذه الهيئه لتشقّ الماء و تنفذ فيه، و جعل في جناحيه و ذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران، و كسى كلّ الريش ليتداخله الهواء فيقله، و لما قدر أن يكون طعمه الحب و اللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص من خلقه الاسنان و خلق له منقار صلب جاسى يتناول به طعمه، فلا ينسجج من لقط الحب و لا يتقصف من نهش اللحم، و لما عدم الاسنان و صار يزدرد الحبّ و اللحم غريضا أعين بفضل حراره في الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغنى به عن المضغ، و اعتبر ذلك بأن عجم العنب و غيره يخرج من أجواف الإنس صحيحا و يطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر، ثم جعل مما تبيض و لا تلد ولاده لكيلا يثقل عن الطيران، فإنه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحکم لأثقلته و عاقته عن الطيران، فجعل كلّ شيء خلقه مشاكلا للأمر الذي قدر أن يكون عليه (٢).

«أحصى عدد الريش منها و النفس» كما أحصى عدد أنفاس البشر، قال تعالى: «إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» (٣).

ص: ١٣٣

١-١ (١) النور: ٤١. [١]

٢-٢ (٢) توحيد المفضل: ١١٣، و [٢] النقل بتصرف يسير.

٣-٣ (٣) مريم: ٨٤. [٣]

«و أرسى» أى: أثبت «قوائمها على الندى» أى: البلبل، كما فى طير البحر (و اليبس) كما فى طير البر .

«و قدّر» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «قدر» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (1) «أقواتها» حتى للفراخ فى البيض و طير الليل.

و فى (توحيد المفضل): اعتبر بخلق البيضه و ما فيها من المخ الأصفر الخاثر و الماء الأبيض الرقيق، فبعضه ينشو منه الفرخ، و بعضه يغتذى به إلى أن تنقاب عنه البيضه، و ما فى ذلك من التدبير، فانه لو كان نشو الفرخ فى تلك القشره المستحفظه التى لا مساغ لشيء إليها ما جعل معه فى جوفها من الغذاء ما يكتفى به إلى وقت خروجه منها كان كمن يحبس فى حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفى به إلى وقت خروجه منه.

و فيه: يا مفضل، أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التى لا - تخرج إلا - بالليل كمثل البوم و الهام و الخفاش؟ قال: لا. قال: إن معاشها من ضروب تنتشر فى الجو من البعوض و الفراش و أشباه الجراد و اليعاسيب، و ذلك أن هذه الضروب مبنوثة فى الجو لا يخلو منها موضع (2).

«و أحصى أجناسها» «و ما من دابّه فى الأرض و لا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما قرطنا فى الكتاب من شيء» (3).

هذا، و فى (حياه حيوان الدميرى): قال بعض الحكماء: كل انسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه.

و كان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان فى عشره إلا و فى أحدهما

ص: ١٣٤

١ - ١) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١٣: ٦٦، و شرح ابن ميثم ٤: ١٣١ نحو المصريه.

٢ - ٢) توحيد المفضل: ١١٥ و ١١٩، و [١] النقل بتصرف يسير الأنعام.

٣ - ٣) ٣٨.

وصف من الآخر، فإن أشكال الناس كأجناس الطير، و لا- يتفق نوعان منه في طيران إلا- لمناسبه بينهما، فرأى يوماً حمامه مع غراب، فعجب من اتفاقهما و ليسا من شكل واحد، فلما مشيا إذا هما أعرجان فقال: من هاهنا اتفقا (١).

«فهذا غراب» في (حياه حيوان الدميري): سَمِيَ الغراب لسواده، و منه قوله تعالى: «وَ غَرَابِيبُ سُودٌ» (٢) و هما لفظان بمعنى واحد. و جمع ابن مالك صيغ جمعه في قوله:

بالغرب أجمع غراباً ثم أغربه و أغرب و غرابين و غربان

و قال الشاعر:

ان الغراب و كان يمشى مشيه فيما مضى من سالف الأجيال

حسد القطاه و رام يمشى مشيها فأصابه ضرب من العقال

فأضلّ مشيته و أخطأ مشيها فلذلك سمّوه أبا المرقال

و هو أصناف: الغداف، و الزاغ، و الأكل، و غراب الزريج، و الأورق، و هذا الصنف يحكى جميع ما يسمعه، و الأعصم - و هو عزيز الوجود، قالت العرب:

«أعز من الغراب الأعصم» و قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم في مائه غراب» و غراب الليل، قال الجاحظ: هو غراب ترك أخلاق الغربان و تشبه بأخلاق البوم.

و قال أرسطو طاليس: الغربان أربعة أجناس: أسود حالك، و أبلق، و مطرف بياض لطيف الجرم يأكل الحب، و أسود طاوسى براق الريش و رجلاه كلون المرجان يعرف بالزاغ.

و في الغراب كله الاستتار بالسفاد، يسفد مواجهه و لا يعود إلى الانثى

ص: ١٣٥

[١- ١] حياه الحيوان ٢٦١: ١. [١]

[٢- ٢] فاطر: ٢٧. [٢]

بعد ذلك لقله وفائه. والانشى تبيض أربع بيضات و خمسا، و إذا خرجت الفراخ من البيض طردتها لأنها تخرج قبيحه المنظر جدًا، إذ تكون صغار الأجرام كبيره الرؤوس و المناقير جرداء اللون متفاوتة الأعضاء، فالأبوان ينظران الفرخ كذلك فيتركاه فيجعل الله قوته في الذباب و البعوض الكائن في عشه الى أن يقوى و ينبت ريشه فيعود إليه أبواه، و على الانثى أن تحضن، و على الذكر أن يأتيها بالمطعم، و في طبع الغراب أنه لا يتعاطى الصيد، بل ان وجد جيفه أكل منها و إلا مات جوعا، و يتمم كما يتمم ضعاف الطير، و فيه حذر شديد و تنافر. و الغداف يقاتل البوم و يخطف بيضها و يأكل بيضها، و من عجيب أمره أن الإنسان إذا أراد أن يأخذ فراخه يحمل الذكر و الانثى في أرجلهما الحجاره و يتحلقان الجو و يطرحان الحجاره عليه، و العرب تتشأم بالغراب و لذا اشتقوا من اسمه، الغربه.

و قال صاحب المجالسه: سمي غراب البين لأنه بان عن نوح عليه السلام لما وجه لينظر إلى الماء فذهب و لم يرجع. و ذكر ابن قتبيبه إنه سمي فاسقا فيما أرى لتخلفه حين أرسله نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض فترك أمره و وقع على جيفه، قال عنتره:

ظعن الذين فراقهم أتوقع و جرى بينهم الغراب الأبقع

و قال صاحب منطق الطير: الغربان جنس من الأجناس التي أمر بقتلها في الحلّ و الحرم من الفواسق. و قال الجاحظ: غراب البين نوعان: غراب صغير معروف باللؤم و الضعف، و آخر ينزل في دور الناس و يقع على مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا عنها، و يقال: إذا صاح الغراب مرتين فهو شرّ و إذا صاح ثلاث فهو خير.

و لما كان صافي البصر حاده، سمي أعور، قال الجاحظ: سمّوه بالأعور تطيرا منه و ليس به عور، و قيل: إنما سمّوه أعور تفؤلا بالسلامه منه كما

سمّوا البريه بالمفازة و اليد الشمال باليسار، وقيل: إنّما سمّوه أعور لتغميض احدى عينيه أبدا من قوّه بصره، قاله ابن الأعرابي.

و حكى المسعودى عن بعض حكماء الفرس قال: أخذت من كلّ شيء أحسن ما فيه حتى انتهيت فى ذلك إلى الكلب و الهرة و الخنزير و الغراب، قال:

فأخذت من الكلب ألفه لأهله و ذبه عن صاحبه، و من الهرة حسن تأنيها و تملقها عند المسأله، و من الخنزير بكوره فى حوائجه، و من الغراب شدّه حذره. و قالوا أغرب من الغراب، و أشبه بالغراب من الغراب (١).

«و هذا عقاب» قال:

عقاب عقنباة كأن وظيفها و خرطومها الأعلى بنار ملوّح

و فى (حياه حيوان الدميرى): و العرب تسمّى العقاب الكاسر، و هى مؤنثه اللفظ، و قيل يقع على الذكر و الانثى و تميزه باسم الإشاره.

و فى (الكامل): العقاب سيّد الطيور و الانثى منه تسمّى لقوّه، و قال الخليل: اللقوه بالفتح و الكسر العقاب السريعه الطيران.

و تسمّى العقاب عنقاء مغرب لأنها تأتى من مكان بعيد: فمنها ما يأوى الجبال، و منها ما يأوى الصحارى، و ما يأوى الغياض، و ما يأوى حول المدن.

و قال ابن خلكان فى (العماد الكاتب): العقاب جميعه انثى، و إنّ الذى يسافده طير آخر من غير جنسه، و قيل: إنّ الثعلب يسافده، و هذا من العجائب، و لابن عنين الشاعر فى ابن سيده:

ما أنت إلا كالعقاب فأمه معروفه و له أب مجهول

و العقاب تبيض ثلاث بيضات فى الغالب و تحضنها ثلاثين يوما، و ما عداها من الجوارح يبيض بيضتين و يحضن عشرين يوما. فإذا خرجت فراخ

ص: ١٣٧

العقاب أَلقت واحدا منها لأنه يثقل عليها طعم الثلاث و ذلك لقله صيدها، و الفرخ الذى يلقيه يعطف عليه طائر آخر يسمّى كاسر العظام، و من عادة هذا الطائر أن يزقّ كل فرخ ضائع. و العقاب خفيفه الجناح سريعه الطيران، و تتغذى بالعراق و تتعشى باليمن، و ريشها الذى عليها فروتها فى الشتاء و حليتها فى الصيف، و متى ثقلت عن النهوض و عميت حملتها الفراخ على ظهورها و نقلتها من مكان إلى مكان، فعند ذلك تلتمس لها غياضا من أرض الهند على رأس جبل فيغمسا فيها ثمّ تضعها فى شعاع الشمس، فيسقط ريشها، و ينبت لها ريش جديد و تذهب ظلمه بصرها ثمّ تغوص فى تلك العين، فإذا هى قد عادت شابه كما كانت.

قال التوحيدى: و من عجيب ما ألهمته أنّها إذا اشتكت أكبادها أكلت أكباد الأرناب و الثعالب فتبرأ، و هى تأكل الحيات إلا رؤوسها و الطيور إلا قلوبها، قال امرؤ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا و يابسا لدى و كرها العناب و الحشف البالى
و قال طرفه:

كأن قلوب الطير فى قعر عشّها نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

و قيل لبشار: لو خيّرك الله أن تكون حيوانا ما ذا تختار؟ قال: العقاب لأنها تلبث حيث لا يبلغها سبع و لا ذو أربع، و تحيد عنها سباع الطير، و لا تعانى الصيد إلا قليلا، بل تسلب كلّ ذى صيد صيده.

و من شأنها أنّ جناحها لا يزال يخفق، قال عمرو بن حزم:

لقد ترك عفراء قلبى كأنه جناح عقاب دائم الخفقان (١)

و فى (عجائب المخلوقات): أنّ حجر العقاب حجر يشبه نوى (التمر

ص: ١٣٨

١-١) حياه الحيوان ١:٢٦ و ١٢٧ و [١]النقل بتصرف يسير.

هندي) إذا حرك يسمع منه صوت و إذا كسر لا يوجد فيه شيء، يوجد ذاك الحجر في عش العقاب و العقاب يجلبه من أرض الهند، و إذا قصد الإنسان عشه يرمى إليه بهذا الحجر ليأخذه و يرجع، فكأنه عرف أن قصدهم إياه لخاصيته. فمن خواصه أنه إذا علق على من بها عسرا لولاده تضع سريعا، و من جعله تحت لسانه يغلب الخصم (١).

«و هذا حمام» في (حياه حيوان الدميري): قال الجوهرى: الحمام عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت و القمارى و ساق حر و القطا و الوراشين و أشباه ذلك يقع على الذكر و الانثى. و قال الأموى: الدواجن التى تستقر فى البيوت تسمى حماما أيضا، و أنشد للعجاج:

إنى و ربّ البلد المحرّم و القاطنات البيت عند زمزم

قواطنا مكه من ورق الحم-يريد الحمام

و عن الأصمعى: أن كلّ ذات طوق-أى الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة-فهى حمام. و قال الكسائى: الحمام البرى و اليمام الذى يألّف البيوت-إلى أن قال-و الحمام يقع على اليعاقب و الشفنين و الزاغ و الوردانى و الطورانى، و الذى يألّف البيوت قسمان: أحدهما البرى و هو الذى يلازم البروج و ما أشبهها، و الثانى الأهلى و منه الرواعب و المراعيش و العداد و السداد و المضرب و القلاب المنسوب و هو بالنسبه إلى ما تقدم كالعتاق من الخيل و تلك كالبراذين.

و قال الجاحظ: الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس، و هو الأبيض، و كان فى منزل النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم حمام أحمر يقال له وردان.

و من طبع الحمام أنه يطلب و كره و لو أرسل من ألف فرسخ، و يحمل

ص: ١٣٩

الأخبار و يأتي بها من البلاد البعيده فى المده القريبه، و فيه ما يقطع ثلاثه آلاف فرسخ فى يوم واحد، و ربما اصطيد و غاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثم هو على ثبات عقله حتى يجد فرصه فيطير إلى وطنه. و سباع الطير تطلبه أشد الطلب، و خوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره، و هو أظير منه، و من سائر الطير كله، لكنه يذعر منه و يعتريه ما يعتري الحمام إذا رأى الأسد، و الشاه إذا رأته الذئب، و الفأر إذا رأى الهر.

و من عجيب الطبيعه فيه ما حكاه ابن قتيبه فى عيونه عن المثنى بن زهير قال: لم أر شيئاً قط من رجل و امرأه إلا و قد رأيتاه فى الحمام، و رأيت حمامه لا تريد إلا ذكرها و ذكرها لا يريد إلا أنثاه إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد، و رأيت حمامه تترين للذكر ساعه يريدها، و رأيت حمامه تمكن غير زوجها، و رأيت حمامه تقمط حمامه و يقال أنها تبيض من ذلك، و لكن لا يكون لذلك البيض فراخ، و رأيت ذكراً يقمط ذكراً، و رأيت ذكراً يقمط كل ما لقي و لا - يزواج، و أنثى يقمطها كل ما رآها من الذكور و لا - تزواج، و ليس من الحيوان ما يستعمل التقبيل عند السفاد إلا الإنسان و الحمام، و هو عفيف فى السفاد يجزّ ذنبه ليعفى أثر الأنثى، كأنه قد علم ما فعلت فيجتهد فى إخفائه، و قد يسفد لتمام سته أشهر و الأنثى تحمل أربعة عشر يوماً و تبيض بيضتين أحدهما ذكر و الثانيه انثى، و بين الأولى و الثانيه يوم و ليله، و الذكر يجلس على البيض و يسخنه جزء من النهار و الأنثى بقيه النهار و كذلك فى الليل، و إذا باضت الأنثى و أبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر و اضطرها للدخول، و إذا أراد الذكر أن يسفد الأنثى أخرج فراخه عن الوكر، و قد ألهم هذا النوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر تراباً مالحاً و يطعمها إياه ليسهل

به في سبيل المطعم. و زعم ارسطو أنّ الحمام يعيش ثمان سنين (١).

فيه: و في التاريخ أن المسترشد لما حبس رأى في منامه كأن على يده حمامه مطوّقه، فأناه آت فقال له: خلاصك في هذا. فقبل له: بما أولته؟ فقال:

بيت أبي تمام:

هنّ الحمام فإن كسرت عيافه من حائهن فانهنّ حمام

فقتل بعد أيام سنة (٥٢٩).

و عن سفيان الثوري: كان اللعب من عمل قوم لوط.

و عن إبراهيم النخعي: من لعب بالحمام الطيّاره لم يمت حتى يذوق ألم الفقر.

و في (مسند البزاز): إنّ الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار و أرسل حمامتين وحشيتين فوقتا على فم الغار، و ان ذلك ممّا صدّ المشركين عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و إنّ حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين (٢).

قلت: بل الصحيح في حمام الحرم ما رواه (الكافي) عن الصادق عليه السّلام قال: أصل حمام الحرم بقيه حمام كان لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام اتّخذها كان يأنس بها.

و عنه عليه السّلام: لما قال له رجل بلغني أنّ عمر رأى حماما يطير و رجل تحته يعدو، فقال شيطان يعدو تحته شيطان، ما كان اسماعيل عليه السّلام عندكم؟ فقيل:

صديق، فقال: إنّ بقيه حمام الحرم من حمام إسماعيل عليه السّلام (٣).

هذا، و روى عنه عليه السّلام: يستحب أن تتخذ طيرا مقصوفا تأنس به مخافه

ص: ١٤١

١- ١) حياه الحيوان ١: ٢٥٦-٢٥٩، و [١] ما نقله من عيون ابن قتبيّه ٢: ٩١، و النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) حياه الحيوان ١: ٢٥٩، و [٢] النقل بتصرف يسير.

٣- ٣) الكافي ٥: ٥٤٦ و ٥٤٨ ح ٣ و ١٨. [٣]

و عنه عليه السّلام: شكّا رجل إلى النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم الوحشه، فأمره أن يتخذ فى بيته زوج حمام.

و عنه عليه السّلام: ليس من بيت فيه حمام إلاّ لم يصب أهل ذلك البيت آفه من الجنّ، إن سفهاء الجنّ يعشون فى البيت فيعشون بالحمام و يتركون الإنسان.

و عنه عليه السّلام: احتفر أمير المؤمنين عليه السّلام بئرا فرموا فيها، فأخبر بذلك فجاء حتى وقف عليها فقال: لتكفن أو لأسكنّها الحمام. ثم قال أبو عبد الله عليه السّلام: ان حفيف أجنحتها تطرد الشياطين (١).

و فى (حياه حيوان الدميرى): كان هارون يعجبه الحمام و اللعب به، فأهدى له حمام و عنده أبو البخترى القاضى، فروى له أنّ النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم قال «لا- سبق إلا- فى خوف أو حافر أو جناح» و «وضع» أو جناح» للرشيده، فأعطاه جائزه سيّيه، فلما خرج قال: تالله لقد علمت أنّه كذب على النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم (٢).

«و هذا نعام» فى (الصّحاح): النّعامه من الطير يذكر و يؤنث، و النّعام اسم جنس مثل حمام و حمامه (٣).

و فى (حياه حيوان الدميرى): قال الجاحظ: و الفرس يسمونها (أشتر مرغ) و تأويله بعير و طائر، قال:

و مثل نعامه تدعى بعيرا تعاصينا إذا ما قيل طيرى

فإن قيل احملى قالت فإنى من الطير المرفّه فى الوكور

و تزعم الأعراب أنّ النّعامه ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها فلذلك

ص: ١٤٢

١-١) الكافى ٥٤٦:٦ و ٥٤٨ ح ٣ و ٦ و [١] ٥ و ١٧.

٢-٢) حياه الحيوان ١:٢٦٠. [٢]

٣-٣) صحاح اللغه ٢٠٤٣:٥، [٣] ماده (نعم).

سميت بالظلم.

و النعام عند المتكلمين على طبائع الحيوان ليست بطائر و ان كانت تبيض و لها جناح و ريش، و يجعلون الخفّاش طيرا و ان كان يحبل و يلد و له أذنان بارزتان و ليس له ريش لوجود الطيران فيه، و هم يسمون الدجاجة طيرا و ان كانت لا تطير.

و من أعاجيبها أنها تضع بيضها طولا بحيث لو مد عليها خيط لاشتمل على قدر بيضها، و لم تجد لشيء منه خروجا عن الآخر، ثم أنها تعطى كلّ بيضه منها نصيبها من الحضن إذ كان كلّ بدنها لا يشتمل على عدد بيضها، و هي تخرج لعدم الطعم، فإن وجدت بيض نعامه اخرى تحضنه و تنسى بيضها، و يضرب بها المثل في ذلك، قال ابن هرمة:

فانى و تركى الأكرمين و قدحى بكفى زنادا شحاحا

كنار كه بيضها بالعراء و ملبسه بيض اخرى جناحا

و يقال: إنها تقسم بيضتها أثلاثا، فمنه ما تحضنه و منه ما تجعل صفاره غداء و منه ما تفتحه و يجعله فى الهواء حتى يتعفن و يتولد منه دود، فتغذى به فراخها إذا خرجت. و النعام من الحيوان الذى يراوح و يعاقب الذكر الانثى فى الحضن، و كلّ ذى رجلين إذا انكسرت له احدهما استعان بالآخرى فى نهوضه ما خلا النعامه فانها تبقى فى مكانها جائمه حتى تهلك جوعا، قال الشاعر:

إذا انكسرت رجل النعامه لم تجد على اختها نهضا و لا باستها حبوا

و ليس للنعام حاسه السمع و لكن له شمّ بليغ، فهو يدرك بأنفه ما يحتاج فيه إلى السمع، فربما شمّ رائحه القناص من بعد، و لذلك تقول العرب «أشمّ من نعامه» كما تقول «أشمّ من ذرّه».

قال ابن خالويه: ليس فى الدنيا حيوان لا يسمع و لا يشرب الماء أبدا إلاّ

ص: ١٤٣

النعام و لا مخ له، و متى دميت رجل واحده له لم ينتفع بالباقيه، و الضب أيضا لا يشرب و لكنه يسمع. و من حمقها أنها إذا أدركها القنّاص أدخلت رأسها في كثيث رمل تقدرّ أنها قد استخفت منه، و هي قويه البصر على ترك الماء، و أشدّ ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح، و كلّما اشتدّ عصوفها كانت أشدّ عدوا، و يتلع العظم الصلب و الحجر و المدر و الحديد فتذيه كالماء.

قال الجاحظ: من زعم أنّ جوف النعام إنّما يذهب الحجاره لفرط الحراره فقد أخطأ، و لكن لا بد مع الحراره من غزائر، اخر، بدليل أنّ القدر يوقد عليها الأيام و لا تذهب الحجاره، و كما ان جوف الكلب و الذئب يذيان العظم و لا يذيان نوى التمر، و كما أن الإبل تأكل الشوك و تقتصر عليه و إن كان شديدا كمشجر ام غيلان و تلقيه روثا، و إذا أكلت الشعير ألقته صحيحا، و إذا رأت النعامه في اذن صغير لؤلؤه أو حلقة اختطفتها، و النعام تبتلع الجمر فيطفئها جوفه، و لا يكون الجمر عاملا في إحراقه، و في ذلك أعجوبتان:

إحداهما: التغدّي بما لا يتغدّي به، و الثانيه: الاستمراء و الهضم، و هذا غير منكر لأن السمندر يبيض و يفرخ في النار— و أعلم حمزه يوم بدر بريش نعامه.

و قالوا: «مثل النعامه لا طير و لا جمل» يضرب لمن لم يحكم له بخير و لا شرّ.

و قالوا: «أروى من النعامه» لأنها لا تشرب الماء، فإن رآته شربته عبثا.

و قالوا: «ركب جناح نعامه» يضرب لمن جدّ في أمر.

و قالوا: «تكلم فلان فجمع بين الأروى و النعامه» إذا تكلم بكلمتين مختلفتين، لأن الأروى يسكن الجبال و النعامه تسكن الفيافي.

و قالوا: «أحمق من نعامه» و «أجبن من نعامه».

و مرارته سمّ ساعه، و ذرقه إذا أحرق و سحق و طلى على السعفه أبرأها من وقته، و قشر بيضه إذا طرح في الخلّ بعد ما يخرج جميع ما فيه تحرّك في

الخلل و زال من موضعه الى آخر، و إذا عمل من الحديد الذى يأكله و يخرج منه سكين أو سيف لم يكلّ و لم يقم له شىء (١)، و فى اللسان قال الشاعر:

إن بنى و قدان قوم سكك مثل النعام و النعام صك

سكك أى: صمّم (٢).

«دعا كلّ طائر باسمه» الظاهر أنّه مأخوذ من قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» (٣).

و عن (تفسير العياشى): سئل عليه السلام عن الآيه ما ذا علّم آدم؟ قال:

الأرضين و الجبال و الشعاب و الأودية. ثم نظر إلى بساط تحته فقال: و هذا البساط مما علّمه (٤).

و فى أصل عبد الملك بن حكيم عن الصادق عليه السلام: اهتدى للنبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم من ناحيه فارس خوخ، فوضع بين يديه، فقال لأبى بكر: أى شىء هذا؟ قال: ما أعرفه، ثم قال لعمر فقال ما أعرفه، ثم قال لعثمان فقال ما أعرفه، ثم قال لعلى عليه السلام فقال له: بأبى أنت و أمى تسميه أهل فارس الخوخ. فقال عمر: ما علّم على ما يسميه أهل فارس، فوضع النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم يده على على و قال لعمر: إليك عنه، فإنّ الله تعالى قد علّمه الأسماء التى علّمها أباه آدم (٥).

و الظاهر أنّ المراد بالاسم المسمّى، لقوله تعالى بعد ما مرّ:

«ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» (٦) و المراد بالمسمّى الحقائق و الإفكّل

ص: ١٤٥

١- ١) حياه الحيوان ٣٥٥-٢-٣٥٩ و [١]النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) أورده لسان العرب ٤٣٩: ١٠ و ٤٥٧، [٢]ماده (سكك و صك).

٣- ٣) البقره: ٣١. [٣]

٤- ٤) تفسير العياشى ٣٢: ١ ح ١١. [٤]

٥- ٥) اصل عبد ملك بن حكيم: ١٠٠ و النقل بتصرف يسير.

٦- ٦) البقره: ٣١. [٥]

كما إنَّ الظاهر أنَّ المراد بقوله عليه السَّلام «دعا» الإراده بوجوده، قال تعالى:

«إِنَّمَا أُمُورُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (١)، وليس المراد الدعاء الظاهري كما في قوله تعالى: «ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا» (٢).

هذا، وفي (المعجم)، لتتيسر موسم يكون فيه من أنواع الطيور ما لا يكون في موضع آخر، وهي مائه و نيف و ثلاثون صنفا و هي: السلوى، القبيح، المملوح، النصطفير، الزرزور، الباز الرومي، الصفرى، الدبسى، البلبيل، السقاء، القمري، الفاخته، النواح، الزريق، النوبى، الزاغ، الهدهد، الحسينى، الجرادى، الابلق، الراهب، الخشاف، البزين، السلسله، در دارى، الشماص، البصبص، الأخضر، الأبهق، الأزرق، الخضير، أبو الحناء، أبو كلب، أبو دنيار، واريه الليل، واريه النهار، برقع ام على، برقع ام حبيب، الدورى، الزنجى، الشامى، شقراق، صدر النحاس، البلستين، الستة الخضراء، الستة السوداء، الاطروش، الخرطوم، ديك الكرم، الضريس، الرقشه الحمراء، الرقشه الزرقاء، الكسر جوز، الكسر لوز، السمانى، ابن المرعه، اليونسه، الوروار، الصرده، الحصيه الحمراء، القبره، المطوق، السقسق، السالار، المرغ، السكسكه، الارجوجه، الخوخه، فرد قفص، الاورث، السلونيه، السهكه، البيضاء، اللبس، العروس، الوطواط، العصفور، الروب، اللفات، الجرين، القليله، العسر، الأحمر، الأزرق، البشريز، البون، البرك، البرمسى، الحصارى، الزجاجى، البج، الحمر، الرومى، الملاعقى، البط، الصنى، الغرناق، الاقرح البلوى، السطرف، البشروش، وز الفرط، أبو قلمون، أبو قير، أبو منجل، البجع الكركى، الغطاس، البلجوب،

ص: ١٤٦

[١-١] يس: ٨٢. [١]

[٢-٢] البقره: ٢٦٠. [٢]

البطميس، البج، والرق، والكروان البحري، الكروان الحرحي، القرلي،
الخروطة، الحلف، الأرميل، القلقوس، اللدد، العقق، البوم، الورشان، القطا،
الدراج، الحجل، البازي، الصردى، الصقر، الهام، الغراب، الأبيهق، الباشق، الشاهين، العقاب، الحذاء، الرخمة، ويصل إليه طير كثير لا
يعرف اسمه صغار و كبار (١).

ويمكن أن يكون قوله «دعا كل طائر باسمه» من يكون اسمها حكاية صوتها، كما في القطاه فقالوا «أصدق من قطاه» لأنها إذا
صوتت عرفت، وقالوا «أنسب من قطاه» أيضا لذلك، ويقال لها لذلك الصادقة، قال أبو جره السعدى:

ما زلن ينسبن وهنا كل صادقه باتت تباشر عرما غير أزواج

و في (أمثال الميداني) في «أصدق من قطاه» الضمير في «ما زلن» راجع إلى الاتن التي وردت الماء، ومعنى «ينسبن كل صادقه» اثارها
القطا عن أماكنها حتى قالت قطا قطا، وجعل الفعل لهن مجازا (٢).

قلت: و في الفارسيه يقال لها «كغا»، وهو أيضا حكاية صوته و اختلاف التعبير من اختلاف الطبع (٣). و قيل في القطا «حذاء مدبره
سكاء مقبله للماء في النحر منها نوطه عجب». قال ابن الأعرابي: قيل لها حذاء لقصر ذنبها و سكاء لأنه لا اذن لها (٤).

«و كفل له برزقه» في (توحيد المفضل): ففكر في حوصله الطائر و ما قدر له، فان مسلك الطعام إلى القانصه ضيق، لا ينفذ فيه الطعام
إلا قليلا قليلا، فلو

ص: ١٤٧

١-١ (١) معجم البلدان ٥٢: ٢. [١]

٢-٢ (٢) مجمع الأمثال ٤١٢: ١. [٢]

٣-٣ (٣) لم أجد كلمه «كغا» في معاجم اللغه الفارسيه و لعله كان لغه أهل تستر أو موضع آخر.

٤-٤ (٤) جاء هذا في لسان العرب ٤٣٠: ٧، [٣] ماده (نوط)، نقلا عن ابن سيده.

كان الطائر لا يلقط حبه ثانيه حتى تصل الاولى إلى القانصه لطلال عليه، و متى كان يستوفى طعمه فإنما يختلسه اختلاسا لشده الحذر، فجعلت له الحوصله كالمخله المعلقه أمامه ليوعى فيها ما أدرك من الطعم بسرعه، ثم تنفذه إلى القانصه على مهل. و فى الحوصله أيضا خلّه اخرى، فإن من الطائر ما يحتاج إلى أن يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب، أسهل عليه (١).

«و أنشأ السحاب الثقال» «و هو الذى يُرسل الرياح بُشراً بين يدي رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (٢).

«فأهطل» أى: تتابع و أدام «ديمها» مطرها الذى ليس فيه رعد، و لا برق، قال امرؤ القيس:

ديمه هطلاء فيها و طف طبق الأرض تحرى و تدر (٣)

«و عدد قسمها» فى (توحيد المفضل): فكّر فى الصحو و المطر كيف يتعاقبان على هذا العالم بما فيه صلاحه، و لو دام أحدهما عليه كان فى ذلك فساد، ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالى عفت البقول و الخضر و استرخت أبدان الحيوان و حصر الهواء، فأحدث ضروبا من الأمراض و فسدت الطرق و المسالك! و إنّ الصحو إذا دام جفت الأرض و احترق النبات و غيض ماء العيون و الأودية، فأضّر ذلك بالنّاس و غلب اليبس على الهواء، فأحدث ضروبا اخرى من الأمراض، فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء و دفع كلّ واحد منهما عاديه الآخر، فصلحت الأشياء و استقامت (٤).

ص: ١٤٨

١-١) توحيد المفضل: ١١٦ و [١]النقل بتصرف يسير.

٢-٢) الاعراف: ٥٧. [٢]

٣-٣) أورده لسان العرب ٢١٤:١٢، [٣]ماده (دوم).

٤-٤) توحيد المفضل: ١٤٨، و [٤]النقل بتصرف يسير.

«فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جَفَوفِهَا» بِابْعَادِ الشَّمْسِ عَنْهَا وَانْزَالِ الْمَطَرِ عَلَيْهَا «أَوْ لَمْ يَزِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» (١).

و في (توحيد المفضل): تأمل نزول المطر على الأرض و التدبّر في ذلك، فأنه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ما غلظ و ارتفع منها فيرويهها، و لو كان أنما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفه منها و يقلّ ما يزرع في الأرض. ألا ترى أنّ الذي يزرع سيحا أقل من ذلك! فالأمطار هي التي تطبق الأرض و ربما تزرع هذه البرارى الواسعه و سفوح الجبال و ذراها فتغل الغله الكثيره، و بها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤنه سياق الماء من موضع إلى موضع و ما يجرى في ذلك بينهم من التشاجر و التظالم حتى يستأثر بالماء ذوو العز و القوّه و يحرمه الضعفاء.

ثم إنّه حين قدّر أن ينحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر الأرض فيرويهها، و لو كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها، ثم كان يحطم الزروع القائمه إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب المزروع و يحيى الأرض و الزرع القائم، و في نزوله أيضا مصالح اخرى فإنه يلين الأبدان و يجلو كدر الهواء، فيرتفع الوباء الحادث من ذلك و يغسل ما يسقط على الشجر و الزرع من الداء المسمّى باليرقان الى أشباه هذا من المنافع (٢).

«و أخرج نبتها بعد جدوبها» أى: قحطها.

و في (توحيد المفضل): و لو أن ملكا من الملوك قسم في أهل مملكته

ص: ١٤٩

١-١ (١) الأنبياء: ٣٠. [١]

٢-٢ (٢) توحيد المفضل: ١٤٩ و [٢] النقل بتصريف يسير.

قناطير من ذهب و فضه، ألم يكن سيعظم عندهم و يذهب له به الصوت، فأين هذا من مطره رواء يعمّ به البلاد و يزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب و الفضه في أقاليم الأرض كلّها، أفلا ترى المطره الواحده ما أكبر قدرها و أعظم النعمه على الناس فيها و هم عنها ساهون، و ربما عاقت عن أحدهم حاجه لا قدر لها فيتذمر و يسخط ايثارا للخسيس قدره على العظيم نفعه جميلا محمود العاقبه و قلّه معرفه لعظيم الغناء و المنفعه فيها (١).

ص: ١٥٠

١-١) المصدر السابق. [١]

الفصل الثامن عشر: في العلوم مذمومها و ممدوحها

اشاره

ص: ١٥١

و من كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم. فقال عليه السلام:

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ - الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ - وَ تُحَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ - فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ؟ الْقُرْآنُ؟ - وَ اسْتَغْنَى عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ - فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفْعِ الْمَكْرُوهِ - وَ تَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ - أَنْ يُؤَلِّيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ - لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هِدْيَتُهُ إِلَى السَّاعَةِ - الَّتِي نَالَ فِيهَا النِّفْعَ وَ أَمِنَ الضُّرَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ - إِيَّاكُمْ وَ تَعَلَّمُوا النُّجُومَ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ - فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَّانَةِ - وَ الْمُنَجِّمِ كَالْكَاهِنِ وَ الْكَاهِنِ كَالسَّاحِرِ وَ السَّاحِرِ

كَالْكَافِرِ - وَ الْكَافِرُ فِي النَّارِ سَيَّرُوا عَلَيَّ اسْمَ اللَّهِ قَالَ الْخَوْنِيُّ ٢ الْخَوْنِيُّ - مِنْهَا جِ الْبِرَاعَةُ - ج ٢ ص ٢١٥ تا ٢١٨ :مستند هذا الكلام روى مختلفا، منها قول ابن أبي الحديد ١/١ ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغه - شرح خطبه (٣٦) ج ٢ ص ٢٦٩ في خطبه (٣٦): روى ابن ديزيل ٢/١ ابن ديزيل - كتاب ابن ديزيل - قال: عزم علي عليه السلام على الخروج من الكوفة الى الحروريه، و كان في أصحابه منجم، فقال له: لا تسر في هذه الساعه، و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار، فأنك ان سرت في هذه الساعه أصابك و أصاب أصحابك أذى و ضرر شديد، و ان سرت في الساعه التي أمرتك بها ظفرت بمطلوبك و ظهرت و أصبت ما طلبت. فقال له علي عليه السلام: أ تدري ما في بطن فرسى هذه أ ذكر هو أم انثى؟ قال: ان حسبت علمت. فقال: من صدقك بهذا فقد كذب القرآن، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» (١).

ثم قال: ان محمدا صلى الله عليه و آله و سلم ما كان يدعى علم ما ادعت علمه، أ تزعم أنك تهدي إلى الساعه التي يصيب النفع من سار فيها و صرفته عن الساعه التي يحيق السوء بمن سار فيها، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدا و ندا، اللهم لا - طير إلا - طيرك و لا ضير إلا ضيرك و لا إله غيرك. ثم قال: نخالف و نسير في الساعه التي نهيتنا عنها.

ثم أقبل على الناس و قال: أيها الناس إياكم و تعلم النجوم إلا - ما يهتدى به في ظلمات البر و البحر، إنما المنجم كالكاهن و الكاهن كالكاfer و الكافر في النار، أما و الله لئن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك في السجن أبدا ما بقيت و لأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان.

ثم سار في الساعه التي نهاه عنها المنجم فظفر بأهل النهر، ثم قال: لو سرنا في الساعه التي أمرنا بها المنجم لقال الناس سار في تلك الساعه فظفر لقمان

ص: ١٥٤

و ظهر، أما أنه ما كان لمحَمَّدٍ منجّم و لا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى و قيصر، أيها الناس توكلوا على الله و ثقوا به فإنه يكفي مَمَّن سواه.

قال: و منها ما فى (البحار ١/١-بحار الأنوار-ج ٥٨ ص ٢٢٣ ح ٤) عن (مجالس ٢/١ الشيخ الصدوق-أمالى-ص ٣٣٨ ح ١٦ المجلس ٦٤ الصدوق) و عن (نجوم ٢/١ ابن طاوس-نجوم-ابن طاوس) عن (عيون جواهر ٣/١ الشيخ الصدوق-عيون الجواهر-الصدوق) باسناده عن نصر بن مزاحم ٤/١-نصر بن مزاحم-كتاب نصر بن مزاحم-باسناده عن عبد الله بن عوف قال: لَمَّا أَرَادَ أمير المؤمنين عليه السّلام المسير الى النهروان أتاه منجم فقال له: لا تسر فى هذه الساعه و سر فى ثلاث ساعات مضين من النهار. فقال عليه السّلام: و لم ذلك؟ قال: لأنك ان سرت فى هذه الساعه أصابك و أصاب أصحابك أذى و ضرّ شديد، و ان سرت فى الساعه التى أمرتك ظفرت و ظهرت و أصبت ما طلبت فقال عليه السّلام له: أ تدرى ما فى بطن هذه الدابه أ ذكر أم انثى؟ قال: ان حسبت علمت. قال عليه السّلام: من صدّقك على هذا القول كذب بالقرآن، قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» (١) ما كان محمّد يدعى ما ادّعت، أ تزعم أنك تهدى الى الساعه التى من سار فيها صرف عنه السوء، و الساعه التى من سار فيها حاق به الضر، و من صدّقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانه بالله عزّ و جلّ فى ذلك الوجه و أحوج إلى الرغبه إليك فى دفع المكروه عنه و ينبغى له أن يوليئك الحمد دون ربه عز و جل، فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله ضداً و ندا.

ثم قال: اللهم لا طير إلا طيرك و لا ضير إلا ضيرك و لا خير إلا خيرك، بل نكدّبك و نخالفك و نسير فى الساعه التى نهيت عنها.

قال: و منها ما فيه و فى الاحتجاج ١-الاحتجاج-ج ١ ص ٢٣٩ عن سعيد بن جبیر قال: استقبل أمير المؤمنين عليه السّلام دهاقان من دهاقين الفرس فقال له عليه السّلام بعد التهتهه: تناحست

ص: ١٥٥

النجوم الطالعات و تناحست السعود بالنحوس، و إذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، و يومك هذا صعب قد انقلب فيه كوكبان و انقدحت من برجك النيران و ليس الحرب لك بمكان.

فقال عليه السّلام: ويحك يا دهقان المتبّي بالآثار المحذّر من الأقدار، ما قصّه صاحب الميزان و قصّه صاحب السرطان، و كم المطالع من الأسد و الساعات من المحركات، و كم بين السرارى و الدرارى؟ قال: سأنظر- و أو ما بيده الى كمه و أخرج منه اسطرلابا ينظر فيه- فتبسم عليه السّلام و قال: أتدرى ما حدث البارحة؟ وقع بيت بالصين، و انفرج برج ماجين، و سقط سور سرنديب، و انهزم بطريق الروم بأرمينية، و فقد ديان اليهود بأيله، و هاج النمل بوادى النمل، و هلك ملك إفريقيه، أ كنت عالما بهذا؟ قال: لا. فقال عليه السّلام: البارحة سعد سبعون ألف عالم، و ولد فى كلّ عالم سبعون ألفا، و الليله يموت مثلهم و هذا منهم و أو ما بيده إلى سعد بن مسعده الحارثى- و كان جاسوسا للخوارج فى عسكره- فظن أنّه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات.

فخر الدهقان ساجدا فقال عليه السّلام: ألم أروك من عين التوفيق؟ قال: بلى.

قال: أنا و صاحبي لا شرقى و لا غربى، نحن ناشئه القطب و أعلام الفلك، أما قولك «انقدحت من برجك النيران» فكان الواجب أن تحكم به لى لا على، أما نوره و ضياؤه فعندى و أما حريقه و لهيبه فذهب عني، فهذه مسأله عميقه أحسبها ان كنت حاسبا.

قال: و فيه عن ابن رستم الطبرى ١٢/١ ابن رستم الطبرى- كتاب ابن رستم الطبرى- مسندا عن قيس بن سعد قال: كنت كثيرا اسأير أمير المؤمنين عليه السّلام إذا سار إلى وجه من الوجوه، فلما قصد أهل النهروان و صرنا بالمدائن خرج اليه قوم من دهاقينهم معهم براذين قد جاءوا بها هديه إليه فقبلها، و كان فيمن تلقاه دهقان يدعى سر سفيل و كانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى، فلما بصر به عليه السّلام قال له: لترجع عمّا قصدت. قال:

و لم؟ قال: تناحست النجوم الطوالع، فنحس أصحاب السعد و سعد أصحاب النحوس، و لزم الحكيم فى مثل هذا اليوم الاختفاء و الجلوس، و ان يومك هذا مميت قد اقترن فيه كوكبان قتالان، و شرف فيه بهرام فى برج الميزان، و انقدحت من برجك النيران، و ليس الحرب لك بمكان.

فتبسم عليه السّلام و قال: أيها الدهقان المتبئى بالأخبار و المحذر من الأقدار، ما نزل البارحة فى آخر الميزان و أى نجم حل فى السرطان؟ قال: سأنظر ذلك و أخرج من كمّه اسطرلابا و تقويما. فقال عليه السّلام: أنت مسيرّ الجاريات؟ قال: لا.

قال: فأنت تقضى على الثابتات؟ قال: لا. قال: فأخبرنى عن طول الأسد و تباعده عن الطوالع و المراجع و ما للزهره من التوابع و الجوامع. قال: لا علم لى بذلك.

قال: فما بين السرارى الى الدرارى، و ما بين الساعات إلى المعجزات، و كم قدر شعاع المبدرات، و كم يحصل الفجر من الغدوات؟ قال: لا علم لى بذلك.

قال: فهل علمت أن الملك انتقل اليوم من بيت الى بيت بالصين، و انقلب برج ماجين، و احترق دور بالزنج، و طفح جب سرنديب، و تهدّم حصن الأندلس، و هاج نمل الشح، و انهزم مراق الهندي، و فقد ديان اليهود بأيله، و هزم بطريق الروم بروميه، و عمى راهب عموريه، و سقطت شرفات القسطنطينيه، أفعالم أنت بهذه الحوادث و ما الذى أحدثها شرقيها أو غربيها من الفلك؟ قال: لا علم لى بذلك.

قال: و بأى الكواكب تقضى فى أعلى القطب و بأيها تنحس من تنحس.

قال: لا- علم لى بذلك. قال: فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان و سبعون عالما فى كلّ عالم سبعون عالما منهم فى البر و منهم فى البحر و بعض فى الجبال و بعض فى الغياض و بعض فى العمران و ما الذى أسعدهم. قال: لا علم لى بذلك.

قال: يا دهقان أظنك حكمت على اقتران المشتري و زحل لما استنارا لك

فى الغسق، وظهر تالؤ شعاع المريخ و تشريقه فى السحر، و قد سار فاتصل جرمه بجرم تريبع القمر، و ذلك دليل على استحقاق ألف من البشر كلهم يولدون اليوم و الليله و يموت مثلهم و يموت هذا- و أشار الى جاسوس فى عسكره لمعاويه- فإنه منهم. فلما قال عليه السلام ذلك ظن الرجل أنه قال خذوه، فأخذ شىء بقلبه فمات لوقته. فقال عليه السلام: ألم أرك عين التقدير فى غايه التصوير؟ قال: بلى أنا و صحبى هؤلاء لا شريقون و لا غرييون، انما نحن ناشئه القطب، و ما زعمت انه انقذح البارحه من برجى النيران فقد كان يجب أن تحكم لى به لأن نوره و ضياءه عنده و لهبه ذاهب عنه، يا دهقان هذه قصه عجيبه فاحسبها و ولدها ان كنت عالما بالأكوار و الأدوار. فقال: لو علمت ذلك لعلمت تحصى عقود القصب فى هذه الأجمه.

و مضى عليه السلام فهزم أهل النهروان فقال الدهقان: ليس هذا العلم مما فى أيدى زماننا، هذا علم مادته فى السماء (1).

قلت: الأصل فى الأولين واحد، و فى الأخيرين واحد، و انما مستند العنوان الأولان دون الأخيرين، فإنهما و ان تضمنا نهى منجم له عليه السلام عن السير لما أراد النهروان، لكن مضمونهما غير مضمونه، كما لا يخفى.

و مما هو مستنده غير ما مر ما رواه سبط ابن الجوزى فى تذكرته سبط ابن الجوزى- تذكره الخواص- ص ١٥٨ عن عكرمه عن ابن عباس و عن الشعبي عن أبى أراكه ان أمير المؤمنين عليه السلام لما انصرف من الأنبار أو الكوفه لقتال الخوارج بالنهروان كان معه مسافر بن عوف ابن الأحمر- و كان ينظر فى النجوم- فقال لعلى عليه السلام: لا تسر فى هذه

ص: ١٥٨

١- ١) نقله الخوئى فى شرحه ٢: ٢١٥-٢١٨، و ما عن ابن أبى الحديد فى شرحه ٢: ٢٦٩، و ما عن أمالى الصدوق ففیه: ٣٣٨ ح ١٦ المجلس ٦٤، و ما عن فرج المهموم [١] ففیه: ٥٧، و رواه فى بحار الأنوار ٥٨: ٢٢٣ ح ٤، و [٢] ما عن الاحتجاج ففیه ١: ٢٣٩، و ما عن ابن رستم الطبرى فرواه عنه فى فرج المهموم: ١٠٢. [٣]

الساعة و سر في ثلاث ساعات من النهار. قال: و لم؟ قال: لأنك ان سرت الساعة أصابك و من معك بلاء و شدّه، و ان سرت في الساعة الثالثة ظفرت.

فقال عليه السلام: الله لا إله إلا هو و على الله فليتوكل المؤمنون، قال الله تعالى لنبية:

«قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ» (١) و سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

من صدق منجما أو كاهنا فكأنما كذب ما انزل على محمد - و في روايه فقد كفر - و سمعته يقول انما أخاف على امتي اثنين التصديق بالنجوم و التكذيب بالقدر.

إلى أن قال: من صدقك بهذا القول كذب بالقرآن، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» (٢)، و ما كان محمد يدعى ما ادّعت علمه، فمن صدقك في قولك كان كمن اتخذ من دون الله اندادا، اللهم لا طائر إلا طائرک و لا خير إلا من عندك و لا إله غيرک.

ثم قال: يا ابن الأحمر نكذبك و نخالفك و نسير في الساعة التي نهيت عنها، ثم أقبل على الناس و قال: إياكم و تعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر و البحر، المنجم كافر و الكافر في النار، يا ابن الأحمر و الله لئن بلغني أنك بعدها تنظر في النجوم و تعمل فيها لأجلد نك جلد المفتري، و لأخلد نك في الحبس ما بقيت و بقيت، و لأحرم نك العطاء ما عشت و كان لى سلطان. ثم سار عليه السلام في الساعة التي نهاه عن السير فيها فظفر بالخوارج و أبادهم.

ثم قال: فتحننا بلاد كسرى و قيصر و تبع و حمير و جميع البلدان بغير

ص: ١٥٩

١-١ (١) الأعراف: ١٨٨. [١]

٢-٢ (٢) لقمان: ٣٤. [٢]

قول منجم، أيها الناس توكلوا على الله و اتقوه و اعتمدوا عليه، ألا ترون أنه لو سرنا في الساعة التي أشار إليها المنجم لقال الناس انما ظفرنا بقول المنجم، فثقوا بالله و اعلموا أن هذه النجوم مصابيح جعلت زينه، و رجوما للشياطين، و يهتدى بها في ظلمات البر و البحر، و المنجمون أصداد الرسل يكذبون بما جاءوا به من عند الله لا يرجعون إلى قرآن و لا شرع، انما يتسترون بالإسلام ظاهرا و يستهزؤون بالنبيين باطنا، فهم الذين قال الله فيهم: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» (١).

و في روايه: ان ابن احمر قال له عليه السّلام: لا تسر في هذه الساعة. قال: و لم؟ قال: لأن القمر في العقرب. فقال عليه السّلام: قمرنا أو قمرهم (٢).

و في (أنساب البلاذري): في مسيره عليه السّلام إلى النهروان و أتاه مسافر بن عفيف الأزدي، فقال: لا تسر في هذه الساعة. فقال له: و لم، أ تدرى ما في بطن هذه الفرس؟ قال: ان نظرت علمت. فقال عليه السّلام: ان من صدّقك في هذا القول يكذب بكتاب الله، لأن الله يقول في كتابه «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» (٣). و تكلم في ذلك بكلام كثير - و قال: لئن بلغني أنك تنظر في النجوم لأخلد نك في الحبس ما دام لي سلطان، فو الله ما كان محمّد بمنجم و لا كاهن (٤).

قول المصنف: (و من كلام له عليه السّلام قاله لبعض أصحابه) قد عرفت من روايه سبط ابن الجوزي أنه كان مسافر بن عوف بن احمر، و مقتضى روايه

ص: ١٦٠

١-١ (١) يوسف: ١٠٦. [١]

٢-٢ (٢) تذكره الخواص: ١٥٨. [٢]

٣-٣ (٣) لقمان: ٣٤. [٣]

٤-٤ (٤) انساب الأشراف ٣٦٨: ٢. [٤]

المبرد الآتيه أنه كان عفيف بن قيس، فلا بد أن أحدهما تصحيف.

(لما عزم عليه السيد سلام على المسير الى الخوارج) قد عرفت من روايه كتابي الصدوق و روايه (تذكره سبط ابن الجوزي): ان ذلك كان في مسيره عليه السلام الى خوارج النهروان، و مثلها روايه الطبري الآتيه.

و روى (كامل المبرد): أنه كان في مسيره عليه السلام الى خوارج النخيله، فقال:

لما أراد على المسير الى خوارج النخيله بعد النهروان - و كانوا قد فارقوا عبد الله بن وهب و لجئوا و أقاموا بالكوفه معتزلين ثم ندموا على فراق اخوانهم فسار عليه السيد سلام إليهم، فقال له عفيف بن قيس: لا - تخرج في هذه الساعه فأنها ساعه نحس لعدوك عليك. فقال عليه السيد سلام له: توكلت على الله وحده و عصيت رأى كل متكهن أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان، أتى توكلت على الله ربي و ربكم، ما من دابه إلا هو آخذ بناصيتها، ان ربي على صراط مستقيم. ثم سار إليهم فطحنهم جميعا و لم يفلت منهم إلا خمسه المستورد من سعد بن زيد مناه و ابن جوين الطائي و فروه بن شريك الأشجعي، و هم الذين ذكرهم الحسن البصري، فقال: دعاهم إلى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم و استغشوا ثيابهم و أصروا و استكبروا استكبارا، فسار اليهم أبو الحسن فطحنهم طحنا، و فيهم يقول عمران بن حطان:

انى أدين بما دان الشراه به يوم النخيله عند الجوسق الخرب

و قال الحميرى يعارض هذا المذهب:

انى أدين بما دان الوصى به يوم النخيله من قتل المحلينا

و بالذى دان يوم النهروان به و شاركت كفه كفى بصفينا

تلك الدماء معا يا رب فى عنقى و مثلها فاسقنى أمين آمينا (1)

ص: ١٤١

(فقال له: يا أمير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت) هكذا في المصريه و ابن أبي الحديد و زاد ابن ميثم (عليك) (١).

(ألا- تظفر بمرادك من طريق علم النجوم) في (روضه الكافي) عن هشام الخفاف قال لى أبو عبد الله عليه السلام: كيف بصرك بالنجوم؟ فقلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم منى. قال: كيف دوران الفلك عندكم؟ فأخذت قلنسوتي من رأسى فأدرتها و قلت: هكذا. فقال: لو كان الأمر كما تقول فما بال بنات النعش و الجدى و الفرقدين لا تدور يوما من الدهر فى القبلة؟ قلت: هذا و الله شىء لا أعرفه و لا سمعته. فقال: كم السكينة من الزهره جزءا فى ضوءها؟ فقلت: و هذا نجم ما عرفته و لا سمعته. فقال: سبحان الله، فأسقطتم نجما بأسره، فعلى ما تحسبون؟ ثم قال: فكم الزهره من القمر جزءا فى ضوءه؟ قلت: هذا شىء لا يعلمه إلا الله. قال: فكم القمر جزءا من الشمس فى ضوءها؟ قلت: ما أعرف هذا. قال: صدقت. ثم قال: ما بال العسكرين يلتقيان، فى هذا حاسب، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر، و ذاك لصاحبه، ثم يهزم أحدهما الآخر، فأين كانت النحوس؟ فقلت: لا أعلم. قال: صدقت. ان أصل الحساب حق، و لكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق (٢).

(فقال عليه السلام) هكذا فى (المصريه و ابن أبي الحديد) و لكن فى (ابن ميثم) (فقال له) (٣).

«أ تزعم أنك تهدى الى الساعه التى من سار فيها صرف عنه السوء» فى السير: لما حاصر المعتصم عموريه قال المنجمون له: أنا نجد فى كتبنا ان

ص: ١٦٢

١- ١) ليست هناك زياده فى شرح ابن أبي الحديد ١٩٩:٦ و [١] لا فى شرح ابن ميثم ٢١٥:٢.

٢- ٢) الكافي ٣٥١:٨ ح ٥٤٩. [٢]

٣- ٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٩٩:٦، و شرح ابن ميثم ٢١٥:٢ مثل المصريه.

هذه المدينة لا تفتح إلا في وقت أدراك التين و العنب، و بيننا و بين ذلك الوقت أشهر، و يمنعك من المقام البرد و الثلج، فأبى ان ينصرف، و اكب عليها حتى فتحها، فأبطل ما قالوا، و في ذلك يقول أبو تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد و اللعب

يا يوم وقعه عموريه انصرفت عنك المنى معسوله الحلب

و قال أيضا:

أين الروايه أو أين النجوم و ما صاغوه من زخرف فيها و من كذب

و في صله (تاريخ الطبري): خالف خالد بن محمد الشعراني المعروف بأبي يزيد و اجتمع له نحو عشره آلاف فارس و راجل، فكتب المقتدر الي بدر الحمامي في انفاذ جيش إليه، فكتب بدر إليه قبل انفاذ الجيش يرغبه في الطاعه و خوفه و بال المعصيه، فأجابته في طالعي كوكب بياني لا بد أن يبلغني غايه ما اريد، فأنفذ بدر جيشا إليه و اخذ أسيرا فقيل فيه:

يا أبا يزيد قائل البهتان لا تغترر بالكوكب البياني

و اعلم بأن القتل غايه جاهل باع الهدى بالغي و العصيان (١)

«و تخوف من الساعه» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) و لكن في (ابن ميثم و الخطيه) (الساعه) (٢).

«التي من سار فيها حاق» أي: أحاط «به الضر» في (المروج) - في حرب عبد الملك و مصعب - كان مع عبد الملك منجم، و قد التقى مقدمه مصعب، و عليها إبراهيم ابن الاشر، و مقدمه عبد الملك، و عليها أخوه محمد بن مروان، فأشار المنجم على عبد الملك ألا يحارب له خيل في ذلك اليوم فإنه منحوس، و ليكن

ص: ١٦٣

١-١) صله تاريخ الطبري: ٤٢.

٢-٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٩٩: ٦، و شرح ابن ميثم ٢١٥: ٢ مثل المصريه.

حربه بعد ثلاث أيام، فبعث عبد الملك إلى أخيه ألا يقاتل في ذاك اليوم، فقال أخوه: أنا لا التفت إلى زخاريف منجمك، وقاتل و ظفر (١).

و في (تاريخ الطبري): لما اعتل الواثق علقته التي مات فيها و سقى بطنه أمر بإحضار المنجمين، فأحضروا و فيهم الحسن بن الفضل، و الفضل بن إسحاق الهاشمي، و إسماعيل بن نوبخت، و محمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القطريلي، و سند صاحب محمد بن الهيثم، و عامه من ينظر في النجوم، فنظروا في علقته و نجمه و مولده، فقالوا يعيش دهرا طويلا و قدروا له خمسين سنه مستقبله، فلم يلبث إلا عشره أيام حتى مات.

و عولج بالإقعاد في التنور مسخنا، فوجد لذلك خفه، فأمرهم بزياده الاسخان في الغد و قعد فيه أكثر، فحمى عليه، فأخرج و صير في محفه، فضربت بوجهه، فعلموا أنه مات (٢).

«فمن صدق بهذا» هكذا في (المصريه) و الصواب: (صدقك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣).

«فقد كذب القرآن و استغنى عن الاعانه» هكذا في (المصريه) و الصواب:

(الاستعانه) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

«بالله في نيل المحبوب و دفع المكروه» و القرآن يقول: «وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» .

في (تاريخ الطبري): كان المنجمون في سنه (٢٨٤) يوعدون الناس

ص: ١٦٤

١-١) مروج الذهب ١٠٦:٣. [١]

٢-٢) تاريخ الطبري ٣٣٩:٧، سنه ٢٣٢. [٢]

٣-٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩٩:٦ [٣] لكن في شرح ابن ميثم ٢١٥:٢ [٤] مثل المصريه.

٤-٤) المصدر السابق.

بغرق أكثر الأقاليم، و ان اقليم بابل لا يسلم منه إلا اليسير لكثرة الأمطار و زياده الأنهار و العيون و الآبار، فقحط فيها الناس، فلم يروا المطر إلا يسيرا، و غارت الأنهار و العيون و الآبار حتى احتاج الناس الى الاستسقاء، فاستسقوا ببغداد مرّات (١).

و فى الجزرى: كان المنجمون قديما و حديثا حكموا ان فى سنه (٥٨٢) تجتمع الكواكب الخمسه فى برج الميزان و يحدث باقترانها رياح شديده، فلم يكن لذلك صحه و لم يهبّ من الرياح شىء حتى ان الغلات، الحنطه و الشعير تأخر نجازها لعدم هواء يذرى به الفلاحون. و نقله القفطى و قال: قالوا باجتماع الكواكب السبعه و فى رأسهم أبو الفضل الخازمى، و زاد أن الشعراء أكثروا فى ذمهم، و منها قول الواسطى:

قل لأبى الفضل قول معترف مضى جمادى و جاءنا رجب

و ما جرت زرع كما حكموا و لا بدا كوكب له ذنب

كلا و لا اظلمت ذكاء و لا أبدت أذى من ورائها الشهب

فارم بتقويمك الفرات و الاسطرلاب خير من صفره الخشب

فليبطل المدعون ما وصفوا فى كتبهم و لتحرق الكتب (٢)

و فيه قتل أبو طالب السميرى وزير محمود السلجوقى فى سنه (٥١٦) و كان برز مع السلطان ليسيير الى همدان، فدخل الحمام و كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج، فقالوا هذا وقت جيد و ان تأخر يفوت طالع السعد، فأسرع و ركب و أراد أن يأكل طعاما فمنعوه لأجل الطالع، فخرج و خرج بين يديه الرجاله و الخياله و هو فى موكب عظيم، فاجتاز فى منفذ ضيق فيه حظائر

ص: ١٦٥

١-١) تاريخ الطبرى ١٩٢: ٨، سنه ٢٨٤. [١]

٢-٢) كامل ابن الأثير ٥٢٨: ١١، سنه ٥٨٢. [٢]

الشوك، فتقدم أصحابه لضيق الموضع، فوثب عليه باطنى و ضربه بسكين فوقعت فى البغله و هرب و تبعه الغلمان فخلا الموضع، فظهر آخر و ضربه بسكين فى خاصرته و جذبه عن البغله و ضربه عدّه ضربات، و عاد أصحاب الوزير و قد ذبح مثل الشاه، فحمل قتيلا و به نيف و ثلاثون جراحه و انتهب ماله و أخذ السلطان خزائنه، و كانت زوجته قد خرجت فى هذا اليوم فى موكب كبير فى نحو مائه جاريه و جمع من الخدم و الجميع بمراكب الذهب، فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات و قد تبدلن بالعزّ هوانا و بالمسرّه أحزانا، فسبحان من لا يزول ملكه، و كان ظالما كثير المصادره للناس سيئ السيره (١).

«و تبتغى» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (و ينبغى) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«فى قولك للعامل بأمرك ان يوليئك الحمد دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته الى الساعه التى نال فيها النفع و أمن الضر» فى (الاحتجاج): عن هشام بن الحكم ان زنديقا قال لأبى عبد الله عليه السلام: ما تقول فى علم النجوم. فقال: هو علم قلت منافعه و كثرت مضارّه، ان أخبر المنجم بالبلاء لم ينجه التحرز من القضاء، و ان أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، و ان حدث به سوء لم يمكنه صرفه، و المنجم يضاد الله فى علمه يزعم أنه يرد قضاء الله عن خلقه (٣).

و عن (استخارات ابن طاوس) عن كتاب محمد بن على بن محمد ممّا يدعو الصادق عليه السلام: اللهم أنك خلقت أقواما يلجئون إلى مطالع النجوم لأوقات

ص: ١٦٦

١-١ (١) كامل ابن الأثير ١٠:٦٠١، سنه ٥١٦. [١]

٢-٢ (٢) لفظ شرح ابن أبى الحديد ٦:١٩٩، و [٢] شرح ابن ميثم ٢:٢١٥ [٣] مثل المصريه.

٣-٣ (٣) الاحتجاج ٢:٣٤٨. [٤]

حركاتهم و سكوتهم، و خلقتني ابراً إليك من اللجأ إليهم و من طلب الاختيارات بها، و أيقن أنك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعها و لم تسهل له السبيل الى تحصيل أفاعيلها، و أنك قادر على نقلها في مداراتها عن السعود العامه و الخاصه الى النحوس و عن النحوس الشامله المضرّه الى السعود لأنك تمحو ما تشاء و تثبت و عندك أم الكتاب، و ما أسعدت من اعتمد على مخلوق مثله و استبد الاختيار لنفسه و لا اشقيت من اعتمد على الخالق الذي أنت (١).

هذا، و في (بلدان الحموى): خرج عروه الصعاليك و أصحابه الى خيبر يمتارون منها، فعشروا خوفاً من وباء خيبر، و أبى عروه أن يعشر - و التعشير نهاق الحمير، و كانوا إذا خافوا و بء مدينة أرادوا دخولها وقفوا على بابها و عشروا كالحمير - فدخلوا و امتاروا و رجعوا، فلما بلغوا الى روضه الأجداد ماتوا إلا عروه فقال:

و قالوا أحب و انهق لا تضرك خيبر و ذلك من دين اليهود و لوع

لعمري لئن عشت من خشيه الردى نهاق الحمير انى لجزوع

فلا و ألت تلك النفوس و لا أت على روضه الأجداد و هي جميع (٢)

و قال اميه بن أبى الصلت و جمع آخر:

عبادك يخطئون و أنت رب بكفيك المنايا و الحتوم

و لا انثنى عن طيره عن مريره إذا الأخطب الداعى على الدوح صرصر (٣)

ص: ١٦٧

١-١) نقله عنه المجلسى فى بحار الأنوار ٥٨:٢٢٨ ح ١٢ و [١] النقل بتلخيص.

٢-٢) معجم البلدان ٣:٨٤. [٢]

٣-٣) قال الشارح فى الهامش: أى الشقراق.

لا يعلم المرء ما تصبّحه إلا كواذب مما يخبر الفال
و الفال و الزجر و الكهّان كلّهم مضللون و دون الغيب اقفال
إنى بأحكام النجوم مكذّب و لمدّعيتها لائم و مؤنب
الغيب يعلمه المهيمن وحده و عن الخلائق أجمعين مغيب
الله يعطى و هو يمنع قادرا فمن المنجم ويحه و الكوكب
لست أدرى و لا المنجم يدري ما يريد القضاء بالانسان
غير أنّى أقول قول محقّ و أرى الغيب فيه مثل العيان
ان من كان محسنا قابلته بجميل عواقب الاحسان
يا من يقدر أن الدهر ينصره بكوكب عاجز، بالله فانتصر
لا تشركن برب العرش تجهله كواكبا كلّها تجرى على قدر
عطارد زهره و الشمس مع زحل كالمشترى الفرد و المريخ كالقمر

و لقد غدوت-و كنت لا أغدو على واق و حاتم (١)

فإذا الاشائم كالايمان و الأيمان كالأشائم

و كذاك لا خير و لا شرّ على أحد بدائم

«ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: أيها الناس إياكم و تعلمّ النجوم» .

في (ادباء الحموى): كان بكر كر من نواحي العقص ضيعه نفيسه لعلّي بن يحيى المنجم، و قصر جليل فيه خزانه كتب عظيمه يسمّيها خزانه الحكمه، يقصدها الناس من كلّ بلد، فيقيمون فيها، و يتعلّمون منها صنوف العلم، و النفقه في ذلك من ماله، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحجّ، و هو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوصفت له الخزانه، فمضى إليها، فلما رآها هاله أمرها، فأقام بها، و أضرب عن الحجّ، و تعلّم فيها علم النجوم، و أغرق فيه حتى ألحد، و كان ذلك آخر عهده بالحجّ و بالدين و الإسلام .

«إلا ما يهتدى به في بر أو بحر» «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» (٢).

«فانها تدعو إلى الكهان» في (الاستيعاب): كان سواد بن قارب الدوسى أو السدوسى يتكهن في الجاهليه، ثم أسلم، و قال له عمر يوما: ما فعلت كهانتك يا سواد؟ فغضب و قال: ما كنّا عليه نحن و أنت يا عمر من جهلنا،

ص: ١٦٩

١-١) قال الشارح في الهامش: الواقى الصرد، و حاتم الغراب الأسود.

٢-٢) الأنعام: ٩٧. [١]

و كفرنا شر منه، فمالك تعيرني بشيء تبت منه (١).

و في (النهايه): الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان و يدعى معرفه الأسرار، و قد كان في العرب كهنه كشق و سطيح، فمنهم من يزعم ان له تابعا من الجن يلقي إليه الأخبار، و منهم من يزعم أنه يعرف الامور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو حاله أو فعله، و هذا يخصوصونه باسم العزّاف كالذي يدعى معرفه الشىء المسروق و مكان الضاله و نحوهما، و كان يقال لقريظه و النضير الكاهنان و هما قبلا اليهود بالمدينه، و هم أهل كتاب و فهم و علم، و العرب تسمى كل من يتعاطى علما دقيقا كاهنا، و منهم من كان يسمى المنجم و الطيب كاهنا (٢).

هذا، و في (سنن أبي داود): كان اسامه أسود و زيد أبيض، و روى عن عائشه قالت: دخل على النبي صلى الله عليه و آله و سلم مسرورا و قال: ألم تر ان مجززا المدلجى رأى زيدا و أسامه قد غطيا رأسيهما بقطيفه و بدت أقدامهما، فقال: ان هذه الأقدام بعضها من بعض (٣).

«و المنجم» هكذا في (المصريه) و الصواب: (النجم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤).

و في (المروج): ذكر محمد بن على العبدى الخراسانى أن القاهر قال له:

أنت علامه بأخبار بنى العباس، فأخبرني عن المنصور. فقال: كان أول خليفه قزب المنجمين، و عمل بأحكام النجوم، و كان معه نوبخت المجوسى المنجم، و أسلم على يديه، و هو أبو هؤلاء النوبختيه، و كان معه إبراهيم الفزارى

ص: ١٧٠

١-١ (١) الاستيعاب ١٢٣: ٢. [١]

٢-٢ (٢) النهايه ٢١٤: ٤ و ٢١٥، [٢] ماده (كهن).

٣-٣ (٣) سنن ابى داود ٢٨٠: ٢ ح ٢٢٦٧ و ٢٢٦٨. [٣]

٤-٤ (٤) كذا في شرح ابن أبى الحديد ١٩٩: ٦، لكن في شرح ابن ميثم ٢١٥: ٣ مثل المصريه أيضا.

المنجم صاحب القصيده فى النجوم، و غير ذلك من علوم النجوم و هيئه الفلك، و كان معه على بن عيسى الاسطرلابى المنجم.

إلى أن قال: ثم أفضى الأمر إلى المأمون، فكان فى بدء أمره لما غلب عليه الفضل بن سهل و غيره يستعمل النظر فى النجوم و قضاياها، و ينقاد إلى موجباتها، و يذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأردشير بن بابك، و اجتهد فى قراءة الكتب القديمه، و أمعن فى درسها، و واظب على قراءتها، و بلغ درايتها، فلما كان من الفضل بن سهل ما اشتهر، و قدم العراق، انصرف عن ذلك كله، و أظهر القول بالتوحيد، و الوعد و الوعيد، و جالس المتكلمين، و قرب إليه كثيرا من الجدليين و النظارين، كأبى الهذيل، و النظام، و غيرهما، و ألزم مجلسه الفقهاء، و أهل المعرفه من الأدباء (١).

«كالكاهن» فى (المروج): كان سطيح الكاهن - و هو من غسان - يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب لأعظم فيه، إلا جمجمه الرأس، و كانت إذا لمست باليد يلين عظمها، و كان شق الكاهن - و كان من ربيعه - فى عصره، و كذلك كان سمقله و زوبعه الكاهنان فى عصر واحد (٢)، و قالوا: يقال لقريظه و النضير الكاهنان.

و فى (تشرىف على ابن طاوس) نقلا من (مجموع محمد بن الحسين المرزبان) بعد ذكر ان طريفه بنت الخير من أهل ردمان زوجه عمران بن عامر أخى عمرو بن عامر رأت فى منامها ان مأرب يخرب بالغرق، فأتى عليهم السيل العرم - قال: و طريفه هذه لما حضرتها الوفاه تفلت فى فم سطيح،

ص: ١٧١

١- ١) مروج الذهب ٢٢٢: ٤-٢٢٧. [١]

٢- ٢) مروج الذهب ١٦٠: ٢. [٢]

فانتقلت كهانتها فيه، و قبرها بأصل عقبه الجحفة (١).

و مثلاً- لكاهن العائف و الزاجر، و في (انساب السمعاني): اللهبي بالكسر فالسكون نسبه إلى لهب بطن من الأزدي، يعرفون بالعيافه وجوده الزجر، و فيهم يقول كثير:

تيممت لها ابتغى العلم عندهم و قد رد علم العائفين الى لهب

و في (الاستيعاب): روينا من وجوه ان عمر كان يرمى الجمره، فأتاه حجر، فوقع على صلته، فأدماه و ثمه رجل من بني لهب، فقال لا يحج بعدها فقتل بعد رجوعه (٢).

«و الكاهن كالمساحر» في (المروج): و في سنه (٣٥) كثر الطعن على عثمان، و ظهر عليه النكير لأشياء ذكروها من فعله، و من ذلك فعل الوليد بن عقبه عامله على الكوفه في المسجد، كان بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قريه من قرى الكوفه ممّا يلي جسر بابل يقال له زرار، يعمل أنواعا من الشعبد و السحر يعرف بمطروى، فأحضره، فأراه في المسجد ضربا من التخيل - و هو أن أظهر له فيلا- عظيما على فرس في صحن المسجد- ثم صار اليهودي ناقه يمشى على جبل، ثم أراه صورته حمار دخل من فيه، ثم خرج من دبره، ثم ضرب عتق رجل، ففرّق بين جسده و رأسه، ثم أمّر السيف عليه، فقام الرجل - و كان جماعه من أهل الكوفه حضورا منهم جندب بن كعب الأزدي، فجعل يستعيد بالله من فعل الشيطان، و من عمل يبعد من الرحمن، و علم أن ذلك ضرب من التخيل و السحر، فاخترط سيفه، و ضرب به اليهودي ضربه أدار رأسه إلى ناحيه من بدنه، و قال: جاء الحقّ و زهق الباطل، ان الباطل كان

ص: ١٧٢

١-١) الملاحم و الفتن و [١] هو كتاب تشریف المنن: ١٨٥.

٢-٢) الاستيعاب ٢: ٤٦٧. [٢]

زهوقا، و قال ان كنت صادقاً فأحى نفسك. فأنكر الوليد عليه ذلك، و أراد أن يقيده به، فمנعه الأزد، فحبسه، و أراد قتله غيلة، و نظر السجان الى قيامه ليله الى الصبح، فأطلقه، فقال له: تقتل بي. قال: ليس ذلك بكثير في مرضاه الله، و الدفع عن ولي من أولياء الله، فلما أصبح الوليد و قد استعدّ لقتله لم يجده، فسأل السجان، فأخبره بهربه، فضرب عنق السجان، و صلبه بالكناس (١).

و روى في خبر آخر: ان الساحر يريدهم أنه يدخل في فم الحمار و يخرج من دبره، و يدخل في است الحمار و يخرج من فيه، و يريدهم أنه يضرب رأس نفسه، فيرمى به، ثم يشتدّ، فيأخذه، ثم يعيده مكانه -الخبر (٢).

«و الساحر كالكافر» في (المروج): روى الحسن البصرى عن جندب ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: حد الساحر ضربه بالسيف (٣).

و في (التهذيب): عن إسحاق بن عمار ان علياً عليه السلام كان يقول: من تعلم شيئاً من السحر كان آخر عهده بربه و حدّه القتل إلا أن يتوب (٤).

و في (الكافي): عن السكوني قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ساحر المسلمين يقتل، و ساحر الكفار لا- يقتل. قيل: و لم؟ قال: لأن الكفر أعظم من السحر، و لأن السحر و الشرك مقرونان (٥).

و في (الفقيه): روى ان توبه الساحر أن يحلّ و لا يعقد (٦).

ص: ١٧٣

١-١ (١) مروج الذهب ٢:٣٣٨ و ٣:٣٣٩ [١]

٢-٢ (٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ١:٢١٩ [٢]

٣-٣ (٣) أخرج الحديث من طريق الحسن عن جندب الترمذى في سننه ٤:٦٠ ح ١٤٦٠، و الحاكم في المستدرک ٤:٣٦٠، و [٣] ابن قانع و الحسن بن سفيان في مسنده عنهما الاصابه ١:٢٥٠، و [٤] ابن عبد البر في الاستيعاب ١:٢١٨، و [٥] لم يوجد في مروج الذهب بل الظاهر أنه اشتبه على الشارح بين المروج و الاستيعاب. [٦]

٤-٤ (٤) التهذيب ١٠:١٤٧ ح ١٧.

٥-٥ (٥) الكافي ٧:٢٦٠ ح ١ [٧]

٦-٦ (٦) الفقيه ٢:١١٠ ح ٩.

«و الكافر فى النار» فىنتج المقدمات الثلاث كون المنجم فى النار.

ثم لا- خلاىف أن الاعتقاد بأنها مؤثرات كفر، و هو الذى ىشىر إىله كلامه علىه السّلام، و أما بأنها علامات فخلاىفى، فالمرضى فى (مسائله السلارىه) - كما فى (نجوم ابن طاوس)- على انكاره، فقال: ان جريان عاده الله بأن فىعل أفعالا مخصوصه عند طلوع كوكب أو غروبه، أو اتصاله أو مفارقه، و ان كان جائزا، لكن لا طرىق الى العلم بشوته، و من أين لنا ان الله تعالى قد أجرى العاده بأن فىكون زحل أو المرىخ إذا كان فى درجه الطالع كان نحسا، و ان المشترى إذا كان كذلك كان سعدا، فان عولوا على التجربة، فلا نسلم صحّه التجربة، و قد رأىنا خطأكم فىها أكثر من صوابكم، فهلا نسبتم الصحّه إذا اتفقت إلى الاتفاق الذى فىقع فى المخمن و المرجم، فإذا قلتىم سبب الخطأ زلل دخل علىه فى أخذ الطالع أو تسىير الكواكب، قلنا: و لم لا؟ كانت سبب اصابتهم التخمىن.

و قلت لبعض من كان مشغوفا بالنجوم: هاهنا شىء قرىب فى بطلان النجوم، لو فرضنا طرىقا فىمشى فىه الناس لىلا و نهارا، و فى محجته آبار متقاربه، و بىن بعضها و بعضها طرىق فىحتاج سالكه الى تأمل، حتى ىتخلّص من السقوط فى تلك الآبار، هل فىجوز أن فىكون سلامه من فىمشى فىه من العمىان كالبصراء؟ فقال: لا. فىقلت: إذا كان هذا محالا فأحىلوا نظىره، فان مثال البصراء هم الذىن فىعرفون أحكام النجوم من السعد و النحس، و مثال العمىان من لا فىعرفها، و مثال الطرىق الذى فىه الآبار الزمان الذى فىمضى علىه الخلق، و مثال آباره محنه، و لو صحّ النجوم و جب أن تكون سلامه المنجمىن أكثر، و قد علمنا ان الحال فىهم غىر متفاوته.

إلى أن قال: من أدلّ الدلىل على بطلان النجوم ان من جملة معجزات الأنبىاء علىهم السّلام الأخبار عن الغىوب، و لو كان العلم بما فىحدث طرىقا نجومىا لم فىكن معجزا، و قد أجمع المسلمون قدىما و حدىثا على تكذىب المنجمىن، و فى

الروايات عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ مَا لَا يَحْصِي، وَكَذَلِكَ عَنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخِيَارِ أَصْحَابِهِ، فَأَمَّا أَصَابَتُهُمْ فِي الْكُسُوفَاتِ فَلَهَا أُصُولٌ صَحِيحَةٌ فِي الْحِسَابِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا يَدَّعُونَهُ مِنْ تَأْثِيرَاتِ الْكُوكَبِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ (١).

وَإِبْنُ طَاوُسٍ عَلَى اثْبَاتِهِ صَنَّفَ فِيهِ كِتَابَهُ (فِرَاجُ الْمُهْمُومِ فِي مَعْرِفَةِ نَهْجِ الْحَلَالِ فِي عِلْمِ النُّجُومِ) نَقَلَ فِيهِ مَقْدَارًا مِنْ مَحَاجِّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَنْجَمِ هِنْدِي كَمَا فِي الرَّسَالَةِ الْأَهْلِيَلِجِيَّةِ، وَإِنْ الْهِنْدِيُّ قَالَ لَهُ: فِي عِلْمِ أَهْلِ بِلَادِهِ بِالنُّجُومِ إِنْ مَلُوكَ الْهِنْدِ لَا يَتَّخِذُونَ إِلَّا الْخَصِيَانَ لِأَنَّ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَنْجَمًا، فَإِذَا أَصْبَحَ أَتَى بَابَ الْمَلِكِ، فَقَاسَ الشَّمْسَ وَحَسَبَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فِي يَوْمِهِ ذَاكَ، وَ مَا حَدَثَ فِي لَيْلَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، فَإِنْ كَانَتْ أَمْرًا مِنْ نِسَائِهِ قَارَفَتْ شَيْئًا أَخْبَرَهُ بِهِ. وَ إِنْ فِي الْهِنْدِ قَوْمًا بِمَنْزِلَةِ الْخَنَاقِينَ عِنْدَكُمْ يَقْتُلُونَ النَّاسَ بِالسَّلَاحِ وَ لَا خَنْقَ مِنَ النُّجُومِ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: أَخْبِرْنِي مِنْ وَضْعِ هَذَا الْعِلْمِ الدَّقِيقِ؟ قَالَ: الْحُكَمَاءُ.

إِلَى أَنْ قَالَ ابْنُ طَاوُسٍ بَعْدَ ذِكْرِ الْخَبْرِ بِطَوْلِهِ: أَنْظِرْ إِلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَبْطَلَ هَذَا الْعِلْمَ بِالْكَلْبِيِّ، بَلْ جَعَلَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ تَعْرِيفَ اللَّهِ أَنْبِيََاءَهُ بِالْوَحْيِ، وَأَصْحَابَ النُّجُومِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ أَدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَ فِي (الْمُنْتَخَبِ) مِنْ طَرِيقِ أَصْحَابِنَا فِي دَعَاءِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ «وَمُعَلِّمِ أَدْرِيسَ عِدَدِ النُّجُومِ وَالْحِسَابِ وَالسَّنِينَ وَالشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ».

وَ فِي (الْجَامِعِ الصَّغِيرِ لِيُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) بِإِسْنَادِهِ: قَلَّتْ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَخْبِرْنِي عَنْ عِلْمِ النُّجُومِ. فَقَالَ: هُوَ عِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ.

وَ فِي كِتَابِ (التَّجْمَلِ) مِنْ أُصُولِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عِلْمُ نُبُوِّ نُوْحٍ بِالنُّجُومِ.

ص: ١٧٥

و روى القمى فى قوله تعالى: «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» (١) ان آزر كان منجما لنمرود، فقال له: انى أرى فى حساب النجوم أنه يجىء فى هذا الزمان رجل ينسخ هذا الدين. فقال له: أفولد؟ قال: لا. قال: فينبغى أن يفرّق بين الرجال و النساء، ففرّق و حملت ام إبراهيم بإبراهيم و لم بين حملها.

و فى (عرائس الثعلبى): ان فرعون رأى فى منامه ان نارا قد أقبلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها و أحرقت القبط، و تركت بنى إسرائيل، فدعا فرعون السحرة و الكهنة و المعبرين و المنجمين، و سألهم عن رؤياه. فقالوا: يولد فى بنى إسرائيل غلام يسلبك ملكك، و يغلبك على سلطانك.

و فى كتاب (نبوّه ابن بابويه): قدم على مريم و فد من علماء المجوس زائرين معظمين لأمر ابنها و قالوا: انا ننظر فى النجوم، فلما ولد ابنك طلع بمولده نجم لا يفارقه حتى يرفعه الى السماء.

و نقل ما فى الطبرى فى مولد النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم من ان علماء كسرى تسكعوا بعلمهم، فلا يمضى لساحر سحره، و لا لكاهن كهانته، و لا يستقيم لمنجم علم نجومه.

و نقل ما فيه فى ظهور المسلمين على الفرس - بأن رستم لما أمره يزدجرد بالخروج من ساباط بعث إلى أخيه ان السمكه قد كدرت، و النعائم قد حبست، و حسنت الزهره، و اعتدل الميزان، و ذهب بهرام، و لا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا.

و نقل عن كتاب (أوصياء على بن محمد بن زياد الصيمرى) فى مولد صاحب عليه السلام: أنه كان بقم منجم يهودى موصوف بالحذق، فأحضره أحمد

ص: ١٧٦

بن اسحاق و قال له: قد ولد مولود فى وقت كذا، فخذ الطالع و اعمل ميلادا.

فأخذ الطالع و عمل عملا له، فقال لأحمد: لا يكون مثل هذا المولد إلا لنبي أو وصي نبي، و ان النظر فيه يدلنى على أنه يملك الدنيا شرقا و غربا، و برا و بحرا، و سهلا و جبلا، حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا دان له. و قال: أنه بنفسه طلب ذلك من قدامه بن الأحنف البصرى المنجم، فقال مثل ذلك.

و نقل قول المفيد فى (مقالته): أما الأحكام على الكائنات بدلاتها، و الكلام على مدلول حركاتها، فإنّ العقل لا يمنع منه، و لسنا ندفع أن يكون تعالى أعلمه بعض أنبيائه، و جعله علما له على صدقه، غير أننا لا نقطع عليه، و لا نعتقد استمراره فى الناس الى هذه الغايه، فاما ما نجده من أحكام المنجمين فى هذا الوقت، و اصابه بعضهم فيه، فإنّنه لا ينكر أن يكون ذلك بضرب من التجربه، و بدليل عاده، و قد يختلف أحيانا، و يخطئ المعتمد عليه كثيرا، و لا تصحّ إصابته فيه أبدا، لأنّنه ليس بجار مجرى دلائل العقول، و لا براهين الكتاب، و لا أخبار النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و هذا مذهب جمهور متكلمي أهل العدل، و إليه ذهب بنو نوبخت من الإماميه، و أبو القاسم و أبو على من المعتزله.

ثم نقل كلام المرتضى و ردّ عليه، ثم نقل خبر الكليني فى (روضته) عن الصادق عليه السّلام أنه قال لابن سياه: ضلّ علماء النجوم، فمنهم من يصيب، و منهم من يخطئ.

و نقل خبر (الروضه) أيضا عنه عليه السّلام: ما يعلم النجوم إلا أهل بيت من العرب، و أهل بيت فى الهند، و حدّثنى ان الذين فى الهند أولاد وصي إدريس.

و نقل مثله عن أصل ابن أبى عمير.

و نقل خبر أصل معاويه بن حكيم عن الصادق عليه السّلام: ان فى السماء أربعة نجوم ما يعرفها إلا أهل بيت من العرب، و أهل بيت من الهند، يعرفون منها نجما واحدا، فلذلك قام حسابهم.

و نقل عن أصل عبد الله بن القاسم و كتاب أبي القاسم النيسابورى قال عليه السّلام لرجل يمانى: أخبرنى كم لضوء القمر على ضوء الزهره.

و خبر(نوادير الحكمة):قال الرضا عليه السّلام للحسن بن سهل:كم لنور الشمس على نور القمر فضل(درجه)؟ و خبر(دلایل النعمانى)(واحده ابن جمهور):ان الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السّلام عن تقدّم الليل و النهار من جهة الحساب،فقال عليه السّلام له:أ لستم تقولون ان طالع الدنيا السرطان؟الخبر.

و نقل خبر(دلایل الحميرى):ان الصادق عليه السّلام قال لبياع السابرى:تعد الطوالع؟قال:نعم.فقال:كم تسقى الشمس من نورها القمر.فقال:هذا شىء لم أسمعاه.فقال:و كم تسقى الزهره الشمس من نورها-إلى أن قال-ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش،و أهل بيت من الهند.

و نقل خبر أصل التجمل:ان محمّدا و هارون ابني أبي سهل كتبا إلى الصادق عليه السّلام:ان أبانا و جدّنا كانا ينظران فى النجوم،فهل يحلّ النظر فيه؟قال نعم.

و روى عنهما خبرا آخر مثله مع زياده.

و عن الصادق عليه السّلام«فى يوم نحس مستمر»ان القمر كان منحوسا بزحل.

و نقل عن ربيع الزمخشري قال ابن عباس:النجوم علم عجز عنه الناس، و وددت أنى علمته.

و نقل من كان منجما من الإماميه كالنوبختيه و غيرهم،و نقل عن الفقيه خبره قال ابن أبى عمير:كنت أنظر فى النجوم،و أعرف الطالع،فيدخلنى من ذلك شىء،فشكوت ذلك إلى الكاظم عليه السّلام،فقال:إذا وقع فى نفسك شىء فتصدّق على أول مسكين،ثم امض،فإن الله يدفع عنك.و رواه عن كتاب التجمل

و فيه: فشكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام.

ثم قال ابن طاوس: لو لم يكن في الشيعة عارف بالنجوم إلا محمد بن أبي عمير لكان حجّه في صحتها (١).

قلت: لم يعلم كون ابن أبي عمير فيه هو ابن أبي عمير المعروف، لأن ذاك يروى عن ابن اذينة، و لم يلق الصادق عليه السلام، و هذا يروى عنه ابن اذينة و روى عنه عليه السلام.

و نقل روايه الكشي: أنّ الكاظم عليه السلام لما مات وقف عليه أبو خالد السجستاني، ثم نظر في نجومه، فعلم أنه قد مات، فخالف أصحابه.

و قال في مجموع عتيق: ان بوران بنت الحسن بن سهل برعت في النجوم، فعثرت يوماً بقطع على المعتصم سببه الخشب - إلى أن قال - فخلا المعتصم ذلك اليوم بالحسن، فأشار عليه أن ينتقل من المجلس السقفي إلى مجلس أزجي لا يوجد فيه وزن درهم من الخشب - إلى أن قال - فجاء خادم، و معه المشط و المسواك، فقال الحسن للخادم: امتشط بالمشط، و استك بالمسواك. فقال: كيف أتناول آله الخليفه. فقال له المعتصم: و يلك امثل قوله، ففعل، فسقطت ثنياه، و رفع ميتا، و نقله عن وزراء ابن عبدوس.

و نقل أيضا عنه: ان يحيى البرمكي قال: لا يكون هلاك بيتهم إلا بسبب ابنه جعفر، و انه كتب رقعه، و أعطاها إسماعيل بن صبيح كاتبه، و قال له: اكتب فيها «إذا دخلت سنة (١٨٧) فكان هارون أوقع بهم تلك السنه». و انه رأى في النوم ان صائحا يصيح على جانب من الجسر:

كأن لم يكن بين الحجوم إلى الصفا أنيس و لم يسمر بمكه سامر

فأجابه هو من الجانب الآخر:

ص: ١٧٩

١- ١) هذا خلاصه كتاب فرج المهموم من أوّله إلى صفحه ١٢٤.

بلى نحن كئنا أهلها فأبادنا صروف الليالى و الجدود العواثر

فانتبه، فلجأ الى أخذ الطالع، فوقف على أنه لا بد من انقضاء مدتهم، كان يحكى ذلك لأبى موسى بن صير الوصيف، فما أتم كلامه حتى دخل عليه مسرور الخادم برأس جعفر.

و نقل عن (أخبار وزراء عبد الرحمن بن المبارك): ان جعفر البرمكى لما عزم على الانتقال الى قصره الذى بناه جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه، فاختاروا له وقتا من الليل، فلما حضر الوقت خرج على حمار إليه، و الطرق خاليه، و الناس ساكنون، فلما وصل الى سوق يحيى رأى رجلا ينشد:

يدبر بالنجوم و ليس يدري و ربّ النجم يفعل ما يريد

فاستوحش و قال للرجل: ما أردت بهذا؟ قال: شىء عرض لى و جرى على لسانى.

و نقل خبر (العيون): ان المأمون لما عزم على عقد عهد للرضا عليه السّلام قال بعضهم: لأعرفن ما فى نفس المأمون، أ يجب اتمام الأمر أم لا؟ فكتبت إليه عزم ذو الرئاستين على عقد العهد، و الطالع السرطان، و هذا يدلّ على نكبه المعقود له. فكتب إلى ان وقف أحد على ما عرفتنه، أو رجع الفضل عن عزمه، علمت انك سبيه، فضاقت على الدنيا، ثم بلغنى ان الفضل قد تنبه، و رجع عن عزمه - و كان حسن العلم بالنجوم - فركبت إليه، فقلت له: أتعلم فى السماء نجما أسعد من المشتري - الخبر.

و قال: روى محمّد بن خالد البرقى فى (قصص أنبيائه): ان يوشعا لما انتهى الى البلقاء لما فتح مدائن الشام، فجعلوا يخرجون يقاتلونه، فلا يقتل منهم رجل، فسأل يوشع عن ذلك، فقيل ان فى مدينته امرأه منجم تستقبل الشمس بفرجها، ثم تحسب، فتعرض عليها الخيل، فلا تخرج رجلا حضر أجله. فصلّى يوشع ركعتين و دعا ربّه أن يؤخر الشمس، فاضطرب عليها

الحساب، فدخلت في دين يوشع.

و نقل عن نشوار التنوخي حكايات عن (اصابات أبي علي الجبائي):

منها: ان ابنه ابا هاشم لما اعتل قلقته، فقيل لها: أليس حكم أبوه أنه يعيش نيفا و سبعين سنه شمسيه؟ فقالت: بلى و لكن قال ان أفلت من السنه السادسه و الأربعين، فمات في تلك العله.

و منها: أنه اجتاز بدار في عسكر مكرم، فسمع فيها صيحه ولاده، فقال:

ان صح ما يقول المنجمون فهذا المولود ذو عاهه، ففحص فإذا المولود أحنف.

و منها أنه في عسكر مكرم أخذ طالع مولود بعض غلمانته، فقال: ان صح التنجيم يموت الولد بعد خمسه عشر يوما، فمات كذلك.

و نقل حكايات عن (اصابات أبي معشر):

منها: أنه ضربه المستعين أسواطاً لأنه أصاب في شيء، و أخبر به قبل وقته، فكان يقول: أصبت فعوقبت.

و منها: أنه قال: أخذت طالع المعتز و المستعين، فحكمت على المستعين بالخلع و القتل، و للمعتز بالخلافه بعد فتنه و حروب، فكان كما قال.

و منها: ان الموفق قال له و لمنجم آخر: خذا الطالع في شيء قد أضمرته، فقالا تسألنا عن حمل غير انسى. فقال: هو كذلك فما هو. ففكرا طويلا فقالا:

حمل بقره. قال: هو كذلك فما تلد؟ قال: ثورا. قال: فما صفته؟ قال أبو معشر:

أسود في جبهته بياض - و قال الآخر أسود في ذنبه بياض - فقال الموفق:

احضروا البقره، فأحضرت و ذبحت فأخرج منه ثور أبيض طرف أنفه، و قد التف ذنبه فصار على وجهه.

و منها: أن الموفق قال له و لرفيقه: أي شيء في كمي؟ فقال رفيقه - بعد ما أخذوا الزائجه - شيء من الفاكهه، و قال هو شيء من الحيوان. فقال الموفق

لرفيقه أصبت، ولأبى معشر أخطأت- ورمى تفاحه من يده- فعاود أبو معشر الزائجه، ثم سعى نحو التفاحه، فأخذها و كسرها، فإذا هي تنثر دودا، فقال: أنا أبو فلان.

و عن (ربيع الزمخشري): ان امرأه افتقدت خاتما، فقال أبو معشر: خاتم أخذه الله، فوجدته في اثناء ورق المصحف.

و عن (بصائر التوحيدى): قال أبو معشر: حضرت أنا و سلمه و الزبady و الهاشمى عند الموفق- و كان الزبady استاد أهل زمانه فى النجوم- فأضمر الموفق شيئا، فقال كل منهم شيئا، فقال لهم: أخطأت، ثم قال، هات ما عندك.

قلت: أضمرت الله عزّ و جلّ. فقال لى: أحسنت و الله أنى لك هذا؟ قلت: الرأس يرى فعله، و لا يرى نفسه، كان فى رابع درجه من الفلك، و لا أعرف له مثلا إلاّ الله عزّ و جلّ، فهو فوق كلّ ذى سلطان، و ليس فوقه شىء.

و عن (أسرار أبى سعيد شاذان): قال أبو معشر: نزلت فى خان ببعض قرى الرى، فصعدت الى سطح الخان، و أخذت الارتفاع، فإذا الطالع لمسيرهم الثور و فيه المريخ، و القمر فى الأسد، فقلت للقافلّه: الله الله فى أنفسكم لا ترحلوا، فأبوا و ذهبوا، فعاد جماعه منهم مجروحين قد قطع عليهم الطريق على فرسخين، فلما رأونى أخذوا الحجاره و العصا، و قالوا: يا ساحر يا كافر أنت قتلتنا و قطعت علينا الطريق، و تناولونى ضربا، فما خلصت منهم إلاّ بعد جهد، و عاهدت الله ألاّ أكلم أحدا من السوقه فى شىء من هذا العلم.

و عن (تاريخ محمّد بن عبد الملك الهمدانى) أنّه كتب الى أبى معشر بصوره مولد صاحب الزنج قبل خروجه، فقال: ان كان هذا الولد صحيحا، فإنّه الرجل الذى ذكر فى كتاب الدول، و سيكون من أمر هذا الفتى شىء عظيم من اقدامه على الدماء و اخراب المدن.

و عنه: ان صاحب الزنج كان يقول فى الليله التى انقضى أمره: ان مضت

هذه الليلة بقيت لأربع عشره سنه اخرى غير الماضيه، كان يقول ذلك من طريق النجوم التى علمها من أبى معشر.

و فى (الأسرار): أنه على تقدّمه فى هذه الصناعه كان يصيبه الصرع عند امتلاء القمر فى كلّ شهر مرّه.

و عن (البصائر): قال يحيى بن أبى منصور: دخلت أنا و جماعه من المنجمين على المأمون، و عنده انسان قد تنبأ و نحن لا نعلم -الى أن قال- فقال كلّ من حضر غيرى: كلّ ما يدّعيه صحيح، و له حجّه زهرية و عطاردية، فقلت أنا: هو فى طلب تصحيح الذى يطلبه، لا ينتظم الذى قالوا، انما هو ضرب من التزويق و الخداع، فقال: لله درّك. ثم قال: و هذا الرجل يزعم أنه نبى. فقلت: أ فمعه شيء يحتجّ به؟ فقال: نعم معى خاتم ذو فصين ألبسه، فلا يتغير منى شيء، و يلبسه غيرى، فيضحك و لا يتمالك حتى ينزعه، و معى قلم آخذه، فأكتب به، و يأخذه غيرى، فلا تنطلق اصبعه. فقلت: هذه الزهره و عطارد زور عمله بهما، فأمره المأمون أن يفعل ما كان فعل، ففعل، فعلم أنه علاج من الطلسمات، فما زال به المأمون حتى تبرأ من دعوى النبوه، و وصف الحيله التى احتالها فى الخاتم و القلم، و كان أعلم الناس بالنجوم. قال أبو معشر: و هو الذى عمل طلاسّم الخنافس فى ديور كثيره.

و عن (أسرار أبى معشر): ان فتى من ولد يعقوب بن فرازون النصرانى قال لقاسم بن عبد الله و هو ابن ست عشره سنه -و أبوه متعطل - أنك تتقلّد الوزاره، فاكتب لى خطا بكذا، و صار كما قال.

و عن نشوار التنوخى: ان أباه حول مولد نفسه فى السنه التى مات فيها، فقال لنا: هذه سنه قطع على مذهب المنجمين، و قال إذا كان العصر لسبع بقين من الشهر فهى ساعه قطع، فمات كما قال.

و عنه: قال غلام زحل لأبى يوسف اليزيدى -فى اليوم الذى عزم فيه

الركوب الى الابله ليسلم فيه على أخيه أبى عبد الله اليزيدى-أيها الاستاذ لا تركب فى هذا اليوم،فان تحويله يوجب عليك قطعاً بالحديد.فقال:يا فاعل أنما أركب الى أخى،فممن أخاف،و خرج،فعاد غلام زحل،فأخرج جميع ما كان له فى دار أبى يوسف،و قال:هذه الدار بعد ساعه تنهب،و مضى اليزيدى الى أخيه،فقتله فى ذلك اليوم.

و عنه:ان أباه قال:ان اليزيدى لما أنفذه برسالة الى ابن بويه خرج بطالع،فقالوا له:بالطريق لص يعرف بالكرخى مستفحل الأمر-الى أن قال:

و جعلت افكر فى الطالع الذى خرجت،و الناس قد أبرزوا الى الشط،و أنا فى جملتهم،و هم يفرغون السفن-الى أن قال:حين رأنى رئيسهم انكب علىّ يقبل يدي و قال:انا الصبى الذى ربيت فى دارك.

و عن كتاب جليس المعافى بن زكريا:ان عبد الله بن محمد بن عبد الله بن طاهر كان ذات ليلة عند أهله فقال:مولدى فى السرطان،و طالع السنه السرطان،و القمر يكسف الليله فى السرطان،فلما انكسف من القمر ثلثه،قال:

ما تقولون فى رجل قاعد عندكم يقضى و يمضى،و قد ذهب ثلث عمره،فلما انكسف ثلثا القمر عمد الى جواريه،فاعتق منهم من أحب،و الى ضياعه فوقف منها ما وقف،فلما انقضى من الثلث الثالث دقيقتان قال لهم:إذا استغرق القمر فامضوا الى أخى عبيد الله،ثم قام،فاعتسل،و لبس اكفانه،و اضطجع،فلما استغرق القمر فى الانكساف فاضت نفسه،فانطلقوا الى أخيه ليعلموه،فإذا هو فى طياره قد سبقهم،فقال لهم:مات أخى؟قالوا:نعم.فقال:ما زلت آخذ الطالع حتى استغرق الخسوف،فعلمت انه قد قبض.و قال:

كسف البدر و الأمير جميعاً فانجلى البدر و الأمير عميد

عاود البدر نوره فتجلى و نور الأمير ليس يعود

و عن (مجموع عتيق):ان الصاحب قال لبدر بن حسويه يوماً أنه يموت

بعد مائه و ثلاثه أيام، و يجلس الشاهنشاه له فى العزاء سبعة أيام، و يستوزر أبا العباس الضبى، فصار كما قال.

و عن كتاب (ملح الحسين بن خالويه): ان ملك الهند الذى كتب الى عمر ابن عبد العزيز «من ملك الأملاك الذى فى مربوطه ألف فيل، و تحته بنات ألف ملك، و له نهران يجيئان له باللؤلؤ و العنبر و الكافور» كانت امه راعيه، فأدر كهها الطلق قبل طلوع الشمس، فمر بها منجم هندی، فقال: ان لم يولد هذا المولود حتى يطلع قرن الشمس ملك الهند. فجمعت المرأه عباءه كانت معها، و اسنثفرت بها، فلما ذر قرن الشمس قذفت بعباءتها، فولد و بلغ ما قال المنجم.

و عن (تاريخ الحاكم النيسابورى): ان سابور ذا الاكتاف مات أبوه هرمز، و هو جنين، و أعلمه المنجمون، أنه يولد له ذكر يملك الأرض، فوضع التاج على بطن امه، و كتب عنه الى ملوك الآفاق و هو جنين.

و عن (خط الشيخ): قال بعضهم حكم المنجمون فى سنه (١٧٠) ان فى ليله واحده يموت ملك عظيم، و يقوم ملك كريم، و يولد ملك حكيم، فمات الهادى، و قام الرشيد، و ولد المأمون.

و عن (تذييل صدقه بن حسن): انه كان لقماج صاحب بلخ منجم يعرف بالعماد، فأخبره ان خراسان تخرب، و يهلك أهلها فى العام القابل من قوم بغزنه مما وراء النهر، فصار كما قال: و ملكت الغز خراسان، و فعلوا بهم كما فعل التتر بعد.

و عن (تاريخ الحاكم): ان هارون لما خرج من بغداد و دخل الرى، جمع المنجمين، و سألهم النظر فى خروجه، فقالوا تهلك بخراسان بقرية يقال لها سناباذ، فسألهم عنها، فقالوا من قرى بيهق، فتنحى عن الطريق، و لم يدخل بيهق، ثم خرج من نيسابور الى طوس، و نزل قرية حميد الطوسى، فسأل عن اسمها فقيل سناباذ، و مرض، فعلم انها تربته.

و نقل ما فى (اكمال الصدوق) فى يوذاسف ان أباه جمع المنجمين لتقويم ميلاده، فقالوا يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد، و أنه بعد دعاهم، فقال أحدهم: سيكون هذا إماما.

و عن نشوار التنوخى: ان المعتصم سايره يوما الزيات و ابن أبى دؤاد الى رحبه الجسر، فجعل يضحك و لا شىء يضحكه، فسأله ابن أبى دؤاد فقال:

أما إذ سألتمانى كان منجم أيام فتنه ابن شكله يقعد على الطريق، فركبت يوما حمارا متنكرا لبعض شأنى، فرأيت ذلك المنجم، فتطلعت إليه نفسى أن أسأله عن أمر إبراهيم هل يتم له شىء أو يغلب المأمون، فقلت لغلامى: اعطه درهمين و قلت له خذ الطالع، ثم قال لى: أنت هاشمى؟ قلت: نعم. قال: فهذا الطالع الأسد، و أنه يوجب لك الخلافه، و انت تفتح الآفاق، و تزيل الممالك، و يعظم جيشك، و تبنى بلادا عظيمه - و قصص على جميع ما أنا فيه الآن - فقلت له:

فهذا السعود، فهل على من النحوس؟ قال: لا و لكنك اذا ملكت فارقت وطنك، و كثرت أسفارك. قلت: فهل غير هذا؟ قال: نعم، ما شىء أنحس عليك من شىء واحد يكون المتولون عليك فى أيام ملكك اصولهم دنيه سفله، فيغلبون عليك، و يكونون أكابر مملكتك. و لما بلغت الرحبه وقعت عيني على موضعه بالطريق، فذكرته، و تأملتكما حولى، و أنتما أكبر أهل مملكتى، و أحدكما ابن زيات، و الآخر ابن قيار، و أخذنى الضحك إذ ترأس فى دولتى أولاد السفلى، فانكسرا، و ودا أنّهما لم يسألاه عن ضحكه.

و قال: و فى حديث ملوك الفرس ان كسرى قال لولده شيرويه: و أما أنت خاصه فان المنجمين قضوا فى تولدك أنك مزر علينا، و ناقض ما أبرمنا، و وجدنا قرمسا ملك الهند كتب إلينا فى سنه (٣٦) من ملكنا - الى ان قال:

وجدناه قد وقع على كتابه اليك بالهنديه «اكتب ما فيه»، فأمرنا أن يصرف لكل واحد ما بعث إليه من هديه و كتاب، و احتبسنا ما كتبه إليك من أجل التوقيع

الذى كان فيه، و دعونا بكاتب هندی، و أمرناه بفض خاتم الكتاب و قراءته، فكان فيه ابشر و قرّ عينا، فانك متوج في ماه آذار و يوم آذار.

و نقل عن الطبرى: ان المنجمين كانوا قد قالوا لأبى مسلم تقتل في الروم، فكان قتله في روميه المدائن.

و عن نشوار التنوخي: ان منجما كان بعبر الرؤيا صاح على بابويه- و كان يصيد السمك- فأدخله و قال له: رأيت ليله كأنى جالس أبول، فخرج من ذكرى نار عظيمه كالعود، ثم تشعبت يمنه و يسره، و اماما و خلفاء، حتى ملأت الدنيا. فقال له الرجل: لا افسرها لك بأقل من ألف درهم. فسخر منه و قال له:

ويلك نحن فقراء نصطاد سمكا لناكله، و لكن نعطيك سمكه من أكبر هذه الأسماك- و كان قد صاد مقداراً من السمك- فقبل و قال لبويه يكون لك أولاد، و يفترقون في الدنيا، فيملكون، و يعظم سلطانهم قدر ما احتوت النار من الأرض- فصفعوه و قالوا سخرت بنا، و أخذت السمكه حراما، و قال له بويه انا صياد فقير، و أولادى هؤلاء- و أشار الى على و الحسن و أحمد- أى شىء يكون منهم.

و قال: ذكر الزمخشري ان المنصور لما أراد السفر الى عبد الله بن معاويه الطالبى سأل نوبخت عمّا يؤول إليه أمره، فقال له: تصير ملك العرب، و ينالك في وجهك هذا مكروه، فأخذه سليمان بن حبيب المهلبى، فحبسه.

و نقل عن كتاب (المنجمين لمحمود بن الفضل): أن الربيع قال للمنصور: زعم ما شاء الله المنجم أن الذى يحجّ بالناس في هذه السنه يموت في طريقه، فحجّ المنصور فمات بذات عرق (1).

و أقول: ان كلا من المرتضى و ابن طاوس أفرط فيما قال، اما المرتضى

ص: ١٨٧

١- ١) هذه خلاصه كتاب فرج المهموم من صفحه ١٣١ و ما بعدها.

فحمله ما نقل من صواب المنجمين فيما اخبروا على الاتفاق غير صحيح، لأن في أخبارهم ذكر خصوصيات لا يمكن كونها اتفاقاً، وإنما يمكن حمل مثل أخبارهم بأن المريض الفلاني يموت أو يصح، أو المرأة الفلانية تلد غلاماً أو جارية، أو في اليوم المعين ينزل المطر أو لا- ينزل، وما من هذا القبيل على الاتفاق دون نظير كل ما مر، وكيف يمكن انكار الأمر المتواتر ولو كان إجمالياً، فإنه وإن لم يكن ما نقل عن كل من المنجمين ثابتاً، إلا- أن المجموع لا- يمكن انكاره، فيمكن أن يجمع من أصاباتهم مجلّدات ضخمة، وأما خطوهم فمن نقص علمهم، لا من عدم صحته رأساً.

و في (أخبار حكماء القفطى): للحسن بن الخصيب كتاب في أحكام النجوم حكم فيه بأحكام لم يصح منها شيء، ومنها أنه قال: إذا نزل زحل في دقائق من أول درجه من الجوزاء يموت ملك مصر في ذاك الأوان. و رأيت هذا في عمرى مرتين و لم يصحّ شيء منه.

و فيه: أنه لما قال أبو الفضل الخازمي أنه لما اجتمعت الكواكب السبعة في برج الميزان في سنة (٥٨٢) يحدث هواء شديد يهلك العامر، و وافقه منجموا الأقطار سوى شرف الدوله العسقلاني، فقال: وجدت في اقتران الكواكب و المكافاه ما يدفع ضرر بعضها عن بعض، و شرط أن يكون تلك الليله التي أنذروا بوقوع الهواء فيها لا يهبّ فيها نسيم. قال: و عمل الناس السراذيب في البلاد السهليه و المغائر في الجبلية، فلما كان الموعد لم يهبّ نسيم.

كما ان الأخبار أيضا متواتره إجمالاً بصحّ أصلها، و نقص علم المنجمين، و اما ما قاله من أنه لو كانت النجوم تدلّ على الاصابه لكان المنجمون سالمين فغير صحيح، فعدم سلامتهم لا تدلّ على عدم اصابتهم، بل على عدم نفع الحذر من الخلاص عن القضاء و القدر، فالحسن بن سهل أراد

العمل بعلمه فى دفع النحاس عن أخيه الفضل، فلم يتيسر له.

فروى العيون عن ياسر الخادم قال: ورد على الفضل كتاب من أخيه الحسن انى نظرت فى تحويل هذه السنه، فوجدت أنك تذوق فى شهر كذا يوم الأربعاء حر الحديد و حرّ النار، و أرى ان تدخل أنت و أبا الحسن الرضا و المأمون الحمام فى هذا اليوم، و تحتجم، و تصب الدم على بدنك ليزول نحسه عنك. فكتب الفضل بذلك الى المأمون، و سأله ان يدخل الحمام معه، و كتب المأمون ذلك الى الرضا عليه السّلام، فكتب الرضا إليه انى لست بداخل غدا الحمام، و لا أرى لك أن تدخله، و لا أرى للفضل أن يدخله، فأعاد إليه عليه السّلام ذلك، فكتب إنى لست بداخل الحمام غدا، فإنى رأيت فى هذه الليله النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فى النوم يقول لى: لا- تدخل الحمام غدا، فكتب إليه المأمون صدقت و صدق النبى، و انى لست بداخل الحمام غدا، و الفضل هو أعلم و ما يفعل. قال ياسر: فلما أمسينا و غابت الشمس قال لنا الرضا عليه السّلام قولوا نعوذ بالله من شرّ ما ينزل فى هذه الليله، فأقبلنا نقول، فلما كان قريبا من طلوع الشمس، و إذا بالمأمون قد دخل من باب داره الذى كان الى دار الرضا عليه السّلام، و قال له: آجرك الله فى الفضل، كان دخل الحمام، فدخل عليه قوم بالسيوف و قتلوه (١).

و كان المأمون لا- يقيم برقه العراق لأنه سمع من النجوم أن موته بالرقه، فمات برقه الروم، فقال فيه أبو سعيد المخزومى كما فى المروج- و مر أن أباه يتحامى عن بيهق فمات بطوس:-

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون شيئا و ملكه المانوس

خلفوه بعرضتى طرسوس مثل ما خلفوا أباه بطوس (٢)

ص: ١٨٩

١-١ (١) عيون الأخبار للصدوق ١٦١:٢. [١]

٢-٢ (٢) مروج الذهب ٤٥٨:٣. [٢]

و هل كان منع نمرود و فرعون عن وصول الرجال الى النساء لما سمعا من المنجمين بولاده شخص يكون هلاكهما على يده مغنيا لهما شيئا.

و كذلك منع ابرويز من ولاده يزدجرد، فسمع من المنجمين ان به ينقرض ملكهم ما أفاده شيئا.

ففى (تاريخ الطبرى): قال هشام بن محمد: ولد لكسرى ابرويز ثمانيه عشر ولدا ذكرا أكبرهم شهريار و كانت شيرين تبنته، فقال المنجمون لكسرى: انه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس و ذهاب هذا الملك على يديه، و علامته نقص فى بعض بدنه. فحصر ولده لذلك عن النساء، فمكثوا حيناً لا يصلون الى امرأه حتى شكا ذلك شهريار الى شيرين، و بعث اليها يشكو الشبق، و يسألها ان تدخل عليه امرأه و إلا قتل نفسه، فأرسلت إليه انى لا أصل الى إدخال النساء عليك إلا أن تكون امرأه لا يؤبه بها و لا يجمل بك أن تمسها. فقال لها: لست ابالى ما كانت بعد أن تكون امرأه. فأرسلت إليه بجاريه كانت تحجمها—و كانت فيما يزعمون من بنات أشرافهم، إلا أن شيرين كانت غضبت عليها فى بعض الامور، فأسلمتها فى الحجامين، فلما أدخلتها على شهريار وثب عليها، فحملت يزدجرد، فأمرت بها شيرين، فقصرت حتى ولدت و كتمت أمر الولد خمس سنين.

ثم أنها رأت من كسرى رقه للصبيان حين كبر، فقالت له: هل يسرّك أيها الملك أن ترى ولدا لبعض بنيك على ما كان فى ذلك من المكروه. فقال: لا ابالى.

فأمرت يزدجرد، فطيب و حلّى، فأدخلته عليه و قالت له: هذا يزدجرد بن شهريار. فدعا به، فأجلسه فى حجره، و قبله، و عطف عليه، و أحبه حباً شديداً، و جعل يبيتة معه، فبينما هو يلعب ذات يوم بين يديه إذ ذكر ما قيل، فدعا به، فعزاه من ثيابه، و استقبله و استدبره، فاستبان النقص فى أحد و ركيه، فاستشاط غضبا و احتمله ليجلد به الأرض، فتعلقت به شيرين و ناشدته الله أن

لا يقتله، وقالت له: ان يكن أمر قد حضر في هذا الملك فليس له مردّ. فقال: ان هذا هو المشئوم الذى اخبرت عنه، فأخرجيه، فلا انظر إليه. فأمرت به، فحمل إلى سجستان.

و قال آخرون بل كان بالسواد عند ظؤرتة فى قرية يقال لها خمانيه، و وثبت فارس على كسرى، فقتلته، و ساعدها على ذلك ابنه شيرويه ابن مريم الروميه، و كان ملكه (٣٨) سنه (١).

و كان مروان الحمار أراد دفع القضاء عنه بالنجوم فلم يتيسر له. ففى أخبار طوال الدينورى: لما هرب مروان من عساكر أبى مسلم طلبته الخيل، فحال بينها و بينه الليل، فعبر مروان النيل فى سفينه، فصار فى الجانب الغربى - و كان منجما - فقال لغلامه: انى ان سلمت هذه الليله رددت خيل خراسان على أعقابها، فقتل فى تلك الليله فى النوم.

و كان المنصور جمع عنده المنجمين لدفع القضاء عنه، فلم يتيسر له.

و فى (المروج): قال الفضل بن الربيع: كنت مع المنصور فى السفر الذى مات فيه، فنزل منزلا، فبعث إلى و هو فى قبه و وجهه الى الحائط، فقال: ألم أنهك أن تدع العامه يدخلوا هذه المنازل، فيكتبوا فيها ما لا خير فيه. قلت: و ما هو؟ قال:

أما ترى على الحائط مكتوبا:

أبا جعفر حانت وفاتك و انقضت سنوك و أمر الله لا بد نازل

أبا جعفر هل كاهن أو منجم يرد قضاء الله أم أنت جاهل

فقلت: و الله ما أرى على الحائط شيئا و انه لنقى أبيض. قال: فاذن نفسى نعت إلى (٢).

ص: ١٩١

١-١ (١) تاريخ الطبرى ١:٦١٧. [١]

٢-٢ (٢) مروج الذهب ٣:٣٠٧. [٢]

و مرّ أن جعفر البرمكى أمر المنجمين لاختيار وقت له لانتقاله الى قصر له بناه، فانتقل إليه فى ذاك الوقت، فسمع من ينشد:

يدبر بالنجوم و ليس يدري و ربّ النجم يفعل ما يريد (١)

و فى (المروج): قال الأصبغى: وجه إلى الرشيد فى ليله قتل جعفر البرمكى، فقال: قلت شعرا فاسمعه:

لو أن جعفرا أهاب أسباب الردى لنجا بمهجته طمر ملجم

و لكان من حذر المنون بحيث لا يسمو إليه به العقاب القشعم

لكنه لما تقارب وقته لم يدفع الحدثان عنه منجم (٢)

و فى (كامل الجزرى): قال منجم ليحيى بن تميم صاحب إفريقيه: ان عليه قطعا فى يوم الأضحى من سنة (٥٠٩) فلا- يركب الى المصلى، فلم يخرج و أخرج أولاده و أهل دولته، فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه و انصرفوا الى الطعام، فقام ليحضر معهم فلم يمش غير ثلاث خطى حتى وقع ميتا (٣).

و فيه: كان المنجمون يقولون لسعد الدوله المعروف بالطواشى: أنك تموت مترديا، حتى أنه ولى بيروت و أرضها مفروشه بالبلاط، فقلعه خوفا أن يزلق به فرسه، فأنفذه أمير الجيوش لحرب الفرنج، فانهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا و لم ينفعه الحذر مع القدر، كان ذلك فى سنة (٤٩٦) (٤) و أما ابن طوس فرعمه ان اصاباتهم مفيده، فرد على المرتضى فى قوله بأنه لو كانوا مصيبين كانوا سالمين من الآفات، بأنه ليس كل من عرف علما

ص: ١٩٢

١- ١) مر نقله عن فرج المهموم [١] عن أخبار و زراء عبد الرحمن بن المبارك.

٢- ٢) مروج الذهب ٣: ٣٨٠. [٢]

٣- ٣) كامل ابن الأثير ٥١٢: ١٠، سنة ٥٠٩. [٣]

٤- ٤) كامل ابن الأثير ٣٦٣: ١٠، سنة ٤٩٦. [٤]

عمل بعلمه، وخلص نفسه من الردى.

و أورد عليه نقضا لو أن قائلا- قال لك: لو كان العقل موجودا مع الموصوفين به لكان السالمون به من الآفات أضعاف الهالكين مما ليس لها عقول، ونحن نرى الآفات على الفريقين على المناسبه (١).

فيقال له: إنما الناس لم يعملوا بعلمهم في أمر الدين، و أما فيما كان راجعا الى دنياهم فيتهاكون عليه. و إنما الجواب الصحيح للمرتضى ما قلنا، و نزيد ان اصابه الآفات لأهل النجوم و لغيرهم على السواء قد يكون لعدم فهم المنجم لقصر علمه، كما عرفت في عله الوثائق و قضيه الوزير السلجوقى، و قد يكون لكون ما فهمه من النجوم مجملا- لا- يصل معه الى المراد، كما فى تنحى هارون عن دخول بيهق لثلاثا يرد فى سناباد، و محل قتل أبى مسلم بالروم و الروميه، و موت المأمون برقه الروم و رقه العراق.

و فى (تاريخ يعقوبى): كان الفضل بن سهل كثيرا ما يقول فى أيام المأمون:

لئن نجوت أو نجت ركائبى من غالب و من ليف غالب

انى لنجاء من الكرائب

و لا يدري من غالب، و لا يذهب إلا إلى قريش، حتى دخل عليه غالب الرومى صاحب ركاب المأمون، فقتله، فقال له الفضل: لك مائه ألف دينار.

فقال: ليس بأوان تملق، و لا رشوه، و قتله (٢).

و فى (الادباء): كان فى قابوس بن وشمكير عسف و شدّه، فسئمه عسكره، فتغبروا عليه، و حسنوا لابنه منو جهر حتى قبض عليه، و قالوا له: إن

ص: ١٩٣

١-١) فرج المهموم: ٤٨ و ٤٩. [١]

٢-٢) تاريخ يعقوبى ٢: ٤٥٢. [٢]

لم تقبض عليه قتلناه، و إذا قتلناه فلا نأمنك على نفوسنا، فنحتاج أن نلحقك به، فوثب عليه، و قبض عليه، و سجنه فى القلعه، و منعه ما يتدثر به فى شدّه البرد، فجعل يصيح: أعطونى و لو جلّ دابه حتى هلك. و كان حكم على نفسه فى النجوم أن منيته على يد ولده، فأبعد ابنه دارا لما كان يراه من عقوقه، و قرب ابنه منو جهر الذى أخذه لما رأى من طاعته له.

و لغلام زحل جمع آخر فى صوابهم و خطئهم، ففى (أخبار حكماء القفطى): اجتمع يوما الضميرى و النوشنجانى و العروضى و المقدسى و غلام زحل عند أبى سليمان المنطقى، و كل واحد منهم امام فى شأنه و فرد فى صناعته، فذكروا علم النجومه و قالوا: هى من العلوم التى لا تجدى. فقالوا و أطالوا، فقال غلام زحل: ان صحتها و بطلانها متعلقان بآثار الفلك، و قد يقتضى شكل الفلك فى زمان ألا يصحّ منها شىء، و ان غيص على دقائقها، و بلغ الى أعماقها، و قد يزول ذلك الشكل، فيجىء زمان لا يبطل منها شىء فيه، و ان قورب فى الاستدلال، و قد يتحوّل هذا الشكل فى وقت آخر الى أن يكثر الصواب فيها أو الخطأ و يبقى زمانا. قال: و متى وقف الأمر على هذا الحد لم يثبت على قول قضاء و لا- و ثق بجواب، فقال أبو سليمان المنطقى: هذا أحسن ما يمكن أن يقال فى الباب و اسم غلام زحل عبید الله بن الحسن.

كما أن ما نقل ابن طاوس عن المرتضى أنه قال: مما أفحم به القائلون بصحّ الأحكام و لم يحصل منهم على جواب أنهم ان قيل لهم فى شىء بعينه خذوا الطالع و احكموا هل يؤخذ أو يترك، فان حكموا بأحدهما و فعل خلاف ما حكموا به فقد أخطوا، و ما أجابه عنه من أن هذه المسأله انما تلزم من يقول ان النجوم علّه موجهه، فأما من يقول انها ليست بفاعل مختار يمكنهم أن يقولوا: ان النجوم و ان دلّت على فعل فإن الله تعالى فاعل مختار و قادر على

الترك و الفعل لا يطلع على ما يريدته تعالى أحدا (١).

ليس يصح جوابه، فان المرتضى انما قال العبد يقدر على خلاف ما أخبروا به، و هو قال ان الله قادر على خلاف ما أخبروا. كما لا يصح سؤال المرتضى فلم يعلم أصابه المنجم إلا بعد وقوع ما أخبر به كموارد اتفقت الموافقه، و اما إذا لم تقع موافقه فيحمل على خطئهم في الحساب، فإنه لا ريب ان خطأهم أكثر من صوابهم، و لو فرض اصابته فالناس لا يقدرّون على خلافه.

و في كتاب النظامى العروضى المترجم بجهار مقاله فى الحكايه الثانيه من العشر التى نقلها فى (اصابات المنجمين): ان محمود الغزنوى كان فى غزنيّن جالسا على سطح قصره الذى كان فى بستانه الذى كان له ألف شجر، و كان للقصر أربعة أبواب، فقال لأبى ریحان السيرونى: احكم من النجوم انى أخرج من أى باب من هذه الأبواب، و اكتب ذلك فى رقعه، و اجعلها تحت فراشى، فأخذ أبو ریحان الأسطرلاب، و أخذ الارتفاع، و تفكّر ساعه، ثم كتب شيئا، و جعله تحت فراش السلطان، فأمر السلطان بإحضار الفعله، و احداث باب خامس، ففعلوا، و خرج منه، ثم طلب ورقه أبى ریحان، فرأى أنه كتب: ان السلطان لا يخرج من هذه الأبواب، بل من باب آخر يحدثه. فغضب لاصابته، لأنه أراد أخذ الخطأ عليه، فحكم أن يرموه من سطح القصر الى الأرض ففعلوا.

و كان قنص هناك مشدود على الجدار، فوقع فيه، فخرقه، و وصل الى الأرض هينا بحيث لم يصله جرح، فلما رأى ذلك السلطان طلبه و قال: هل علمت باسقاطك من القصر؟ قال: نعم. قال: حجّتك. فقال: يا غلام ايتنى بالتقويم، فأخرج تحويله منه، فرأى أنه كتب فى أحكام ذلك اليوم انه يهوى به من

ص: ١٩٥

موضع مرتفع و لكنه يسلم، فغضب محمود ثانيا لإصابته و أمر بحبسه.

و في (أخبار حكماء القفطى): قال غرس النعمه محمد بن هلال: قال أبى:

ركبت أنا و أبو على بن الحوارى و أبو الحسن الديلمى و أبو طاهر الطيب العلوى إلى دعوه أبى القاسم الوتار، فلقينا أبو الحسن البتى و سألنا أن نمضى معه إلى مؤيد الملك أبى على الرخجى وزير الوقت فى حاجه له إليه، فرأينا شكحا المنجم الأعمى، فقلنا له: لا بد من أن تأخذ طالع الوقت، و تحسب لنا فيما نمضى، و ما يجرى لنا فيه اليوم. فقال: أنتم بطرون امضوا فى طريقكم. فقلنا: ما نبرح إلا بعد ذلك، فأخذ له طالع الوقت غلام كان معه، فقال: أنتم أضياف.

فقلنا: طريق. فقال: يقدم اليكم فيها السماء بنجومها، و للاستاذ أبى الحسن الذى معكم حاجه لا تقضى. فقال له: لا بشرك الله بخير ويلك ما هذا مما تدلّ عليه النجوم غير أنك رزقت حدقا رديا. ثم فارقتاه و قصدنا مؤيد الملك، فما قضى الحاجه، و خرق رقعته، فعرفناه خبر شكح المنجم طلبا لأن يرجع عن فعله، فما رجع. و مضينا الى ابن الوتار، و نحن نتوقع السماء التى ذكرها، فقدم الينا فى آخر الطعام مقلى الترجسيه، و قد صبغ بياض البيض و الباقلاء و اللحم بالنيل، حتى صار كزرقة السماء، و طرح صفار البيض عليه، فصار كالنجوم، فعجبنا من ذلك، و استظرفناه، و لم نشغل عند ابن الوتار فى الدعوه ذلك اليوم إلا بحديث شكح المنجم.

كما أن طعن ابن طاوس فى عنوان النهج بأن عيون جواهر ابن بابويه رواه عن نصر عن عمر بن سعد و هو قاتل الحسين عليه السلام (1) أيضا غلط منه، فان قاتله عليه السلام كان عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى، و من روى عنه نصر انما هو عمر بن سعد بن أبى الصيد الأسدى كما يظهر من أول

ص: ١٩٦

كتابه، و نصر لم يدرك القاتل، و كيف يطعن فى خبر نصر، و نصر مّمن يعتمد عليه العامه و الخاصه، مع أنّه رواه غير نصر، كما عرفت عند ذكر أسانيده.

كقطعنه فى متن العنوان بأنّه لو كان صحيحا لكان عليه السّلام حكم على المنجم بالكفر، لأنّه تضمن ان المنجم كالكافر، و ما عرفنا أنّه عليه السّلام حكم بذلك، بل قال لأصحابه سيروا و هو أحدهم.

و يبطل قوله فى الخبر «من صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن» ان الطلائع فى الحروب يدلّون على السلامه من هجوم الجيوش، و كثير من النحوس (١).

ففى ما قاله ابتداء أنّه ورد ان شارب الخمر كعابد الوثن، مع انه ليس بكافر مثله، و من أين أنّه عليه السّلام قال للمنجم ثانيا، ففى الخبر أنّه عليه السّلام أعرض عنه، و أقبل على أصحابه، و حذّره من تعلّم النجوم، ثم أمرهم بالمسير، مع ان فى روايه ابن ديزيل و روايه سبط ابن الجوزى أنّه عليه السّلام قال له «لئن بلغنى أنّك تعمل بالنجوم لأخلدنك فى السجن» كما مر.

و أى ربط لقوله لما أورده من النقض على قوله «فمن صدّقك بهذا، فقد كذّب القرآن» و كيف لا يكون المصدق له مكذّبا بالقرآن، و قد كان قال له عليه السّلام ان سرت فى هذه الساعه تهلك، و ان سرت فى ساعه أنا أقول تظفر، و قد قال تعالى: «وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ» (٢)، فأنّه ان قلنا بصحّه كون النجوم علامات، فلا يقدر المنجم أن يجعل ما جعله تعالى سعدا نحسا أو بالعكس، و هذا موضع اشتباههم و خلطهم.

ص: ١٩٧

١-١) فرج المهموم: ٥٨ و ٥٩. [١]

٢-٢) يونس: ١٠٧. [٢]

و أما النهى عن التزوّج و القمر فى العقر، و السفر يوم الاثنين فشىء آخر.

هذا، و من اصاباتهم ما فى (المعجم): ذكر أبو سهل بن نوبخت أمرنى المنصور لما أراد بناء بغداد بأخذ الطالع، ففعلت، فإذا الطالع فى الشمس و هى فى القوس، فخبرته بما تدلّ النجوم عليه من طول بقائها، و كثرة عمارتها، و فقر الناس الى ما فيها. ثم قلت: و أخبرك خله اخرى أسرك بها. قال: و ما هى؟ قلت: نجد فى أدلّه النجوم أنّه لا يموت بها خليفه أبدا حتف أنفه، فتبسّم، قال:

و لذلك يقول عماره بن عقيل:

قضى ربّها ألا يموت خليفه بها أنّه ما شاء فى خلقه يقضى

قال: و المنصور مات و هو حاجّ، و المهدي بما سبذان، و الهادى بعيساباد قريه أو محله بالجانب الشرقى من بغداد، و الرشيد بطوس، و قتل الأمين بالجانب الشرقى، و مات المأمون بالبدندون، و مات المعتصم و الواثق و المتوكل و المنتصر و باقى الخلفاء بسامراء، ثم انتقل الخلفاء الى التاج من شرقى بغداد، و تعطلت مدينه المنصور منهم (١).

قلت: و أخطأ أبو سهل و المنصور فى السرور بعدم موت خليفه فيها، فإن لفظه كان سرورا، و معناه كان حزنا، لأن معناه أن خلفاءها يموتون غرباء بعيدين عن دار ملكهم .

«سيرا على اسم الله» قال الشاعر:

لا يمنعك من بغاء الخير تعقاد التمام ان الاشائم كالأيامن و الأيامن كالأشائم

فى باب الأيام من أبواب (حجّ الفقيه): روى عن عبد الملك بن أعين قلت

ص: ١٩٨

للصادق عليه السّلام: أنّي قد ابتليت بهذا العلم، فأريد الحاجه، فإذا نظرت الى الطالع و رأيت الطالع الشر جلست و لم أذهب فيها، و إذا رأيت طالع الخير ذهبت في الحاجه. فقال لي: تقضى؟ فقلت: نعم. قال: احرق كتبك (١).

و في (تاريخ الطبري): نادى على عليه السّلام بالرحيل الى الخوارج، و خرج، فعبر الجسر، فصلّى ركعتين بالقنطرة، ثم نزل دير عبد الرحمن، ثم دير أبي موسى، ثم أخذ على قريه شاهي، ثم على دباها، ثم على شاطئ الفرات، فلقيه في مسيره ذلك منجم أشار عليه بسير وقت من النهار و قال له: ان سرت في غير ذلك الوقت لقيت أنت و أصحابك ضرّاً شديداً، فخالفه و سار في الوقت الذي نهاه. فلما فرغ من النهر قال: لو سرنّا في الساعه التي أمرنا بها المنجم لقال الجهال سار في تلك الساعه فظفر (٢).

و فيه: لما أراد على عليه السّلام المسير الى أهل النهر من الأنبار قدم قيس بن سعد بن عباده، و أمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره، ثم جاء مقبلاً و وافاه قيس و سعد بن مسعود الثقفي بالنهر- الى أن قال بعد ذكر اتمامه عليه السّلام الحجّه عليهم- تنادوا لا تكلموهم، فعبا على الناس، فجعل على ميمنته حجر بن عدى، و على يسارته شيبث أو معقل بن قيس الرباحي، و على الخيل أبا أيوب الأنصاري، و على الرجاله أبا قتاده الأنصاري، و على أهل المدينه قيس بن سعد ابن عباده، و عبأت الخوارج، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي، و على يسارتهم شريح بن أوفى العبسي، و على خيلهم حمرة بن سنان الأسدي، و على الرجاله حرقوص بن زهير السعدي.

ص: ١٩٩

١-١ (١) الفقيه ١٧٥:٢ ح ١٤.

٢-٢ (٢) تاريخ الطبري ٤:٦١، سنه ٣٧. [١]

الى أن قال: فوالله ما لبثوهم ان أناموهم (١).

هذا، وفي (الأغاني): مر امرؤ القيس في مسيره الى بنى أسد ليثأر بأبيه منهم بتباله، وبها صنم للعرب تعظمه يقال له ذو الخلصه، فاستقسم عنده بقداحه - وهي ثلاثه الأمر والنهي والمتربص - ثم أجالها، فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها، وكسرها، وضرب بها وجه الصنم، وقال له: مصصت بظر امك لو أبوك قتل ما عقتني، ثم خرج فظفر ببني أسد.

وكتبوا من خطتهم ما في (التقريب): فتح المعتصم عموريه، وكان المنجمون أجمعوا على أنها لا تفتح في تلك الغزاه، قال أبو تمام:

أين الروايه أو أين النجوم و ما صاغوه من زخرف فيها و من كذب

و من صوابهم ما في حكماء القفطى: حكى ابن نصر الكاتب ان بعضهم خاطر مخرج الضمير المنجم على دنانير في إخراج ما خبأ له، فخرج الضمير الزايجه و لم يزل يقول خبأت جوهرًا من جواهر الأرض لا طعم له ولا رائحه.

ثم قال: و هو حجر، ثم رمى عمامته عن رأسه و مضى الى السوق على تلك الحال و عاد و قال خبأت مسنا مثل هذا - و رمى من يده قطعه من مسن - و أخذ الدنانير قلنا لم عدوت مكشوف الرأس؟ قال: دلّني كوكب على لون و كوكب آخر على لون غيره و تقابلت الدلالتان فلم تعلق أحدهما بالآخرى، و لم أدر إذا ما امتزجا ما اللون الذي يخرج بينهما، و عمى قلبي من الفكر، فكشفت رأسي و عدوت الى الصباغ و قلت له: إذا مزجت اللون الفلاني باللون الفلاني أى شىء يخرج بينهما؟ قال مسنى فقلت هو مسن زجرا و تخمينًا، فخرج الحدس صحيحًا.

ص: ٢٠٠

(١ - ١) تاريخ الطبرى ٤: ٤١ - ٤٤، سنه ٣٧. [١]

و في (الصحاح): «و المسن حجر يحدد به».

و ما فيه قال الحسن بن رافع الكاتب: جلست في بعض الدكاكين الشارعه على طريق أحمد بن طولون قبل أن يدخل مصر بساعه، و الناس مجتمعون لتأمله عند دخوله، و جلس معي شاب مكفوف ينسب الى قبيل صاحب الملاحم المعروف بالمكفوف الملاحمي، فسأله رجل عما يجده في كتبهم له، فقال: هذا رجل صفته كذا و كذا، و يتقلد و ولده قريبا من أربعين سنه. فما تم كلامه حتى مر بنا ابن طولون، و كان كما ذكر لم يغادر شيئا منه.

و اتفق أن نظر بعض المنجمين في مصر طالع الدخول في الأسطراب، فكان ثلاث عشره درجه من برج العقرب، فقال بعض من له يد في الحكم النجومى: هذا طالع من قامت به دوله بنى العباس، فان صدق الحكم يملك هذا البلد و يملكه قوم من نسله قرآنين، و هو قريب من أربعين سنه، فعجب الحاضرون من اتفاق القولين في ذلك. و كان الأمر كما قيل، فإنه ملك و ولده و ولد ولده ثمانيا و ثلاثين سنه .

٢

الخطبه (٢٠٨)

و من كلام له عليه السلام و قد سأله سائل عن أحاديث البدع، و عما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال عليه السلام:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَ بَاطِلًا - وَ صِدْقًا وَ كَذِبًا وَ نَاسِخًا وَ مَنْسُوخًا - وَ عَامًّا وَ خَاصًّا - وَ مُحْكَمًا وَ مُشَابِهًا وَ حِفْظًا وَ وَهْمًا - وَ لَقَدْ كُذِبَ عَلَيَّ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ عَلَيَّ عَهْدِهِ - حَتَّى قَامَ خَطِيْبًا فَقَالَ - مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ - وَ إِنَّمَا أَتَاكَ

ص: ٢٠١

بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَهُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ - رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَّصِعٌ بِالإِسْلَامِ - لَا يَتَأْتِيهِمْ وَلَا يَتَحَرَّجُ - يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ؟ مُتَّعِدًا - فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَمَا ذُكِرَ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ - وَ لَمْ يُصَيِّدُوا قَوْلَهُ - وَ لَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ - رَأَاهُ وَ سَمِعَ مِنْهُ وَ لَقِيَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ - وَ قَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ - وَ صَيِّفُهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ - عَلَيْهِ وَ آلِهِ السَّلَامَ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ - وَ الدُّعَاءِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَ الْبُهْتَانِ - فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ وَ جَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ - فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وَ إِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَ الدُّنْيَا - إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ - وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ - فَوَهَمَ فِيهِ وَ لَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدَيْهِ - وَ يَرُويهِ وَ يَعْمَلُ بِهِ - وَ يَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ - فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ - وَ لَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ - وَ رَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ شَيْئًا - يَا مُرِّبِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَ هَيَّوْ لَا - يَعْلَمُ - أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَ هَيَّوْ لَا - يَعْلَمُ - فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَ لَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ - فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ - وَ لَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ - وَ آخِرُ رَابِعٍ - لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَ لَا عَلَى رَسُولِهِ - مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَ تَعْظِيمًا؟ لِرَسُولِ اللَّهِ ص؟ - وَ لَمْ يَهْمُ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ - فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ - لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ - فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ - وَ حَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ - وَ عَرَفَ الْخَاصَّ وَ الْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ - وَ عَرَفَ وَ الْمُتَشَابِهَ وَ مُحْكَمَهُ

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ الْكَلَامُ- لَهُ وَجْهَانِ فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَ كَلَامٌ عَامٌّ- فَيَسْأَلُ مَنِ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِهِ-
 وَلَا- مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ؟- فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ- وَمَا قَصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ- وَ لَيْسَ كُلُّ
 أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ؟ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ- حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ- فَيَسْأَلُهُ حَتَّى يَسْمَعُوا- وَ
 كَانَ لَا- يَمُرُّ بِى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَ حَفِظْتُهُ- فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَ عَلَيْهِمْ فِي رَوَايَاتِهِمْ أَقُولُ: وَ
 رواه (الكافي الكليني)-كتاب العقل و الجهل باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٢ ح ١) فى كتاب العقل و الجهل فى باب
 اختلاف الحديث، و رواه الصدوق فى (اعتقاداته الشيخ الصدوق-الاعتقادات-ص ٤٩) و فى (خصاله الشيخ الصدوق-الخصال-
 باب الأربعة، ج ١ ص ٢٥٥ ح ١٣١) فى باب الأربعة، و رواه ابن شعبه الحلبي فى (تحف عقوله ابن شعبه الحلبي-تحف العقول-
 ص ١٩٣)، و رواه محمد بن جرير بن رستم الطبري فى (مسترشده محمد بن جرير بن رستم الطبري-المسترشد-)، و رواه سبط
 ابن الجوزي فى (تذكرته سبط ابن الجوزي-تذكرة الخواص-ص ١٤٢ و ١٤٣)، و كذا جدّه فى (مناقبه ابن الجوزي-المناقب-)،
 و رواه (غيبه النعماني-الغيبه-باب ان الأئمة عليهم السلام اثنا عشر ص ٤٩ النعماني) فى باب ان الأئمة عليهم السلام اثنا عشر (١).

روى الأول عن القمى عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي
 قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: انى سمعت من سلمان و المقداد و أبى ذر شيئا من تفسير القرآن و أحاديث عن النبى غير ما فى
 أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، و رأيت فى أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و الأحاديث عن
 النبى أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون ان ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله متعمدين و يفسرون القرآن
 بأرائهم؟

ص: ٢٠٣

١ - ١) رواه الصدوق فى الاعتقادات: ٤٩، و [١] فى الخصال ٢٥٥: ١ ح ١٣١، و ابن شعبه فى تحف العقول: ١٩٣، و النعماني فى
 الغيبه: ٤٩، و [٢] يأتى تخريج غيره فى موضعه.

فأقبل عليه السِّلام عليّ و قال: قد سألت فافهم الجواب، ان فى أيدي الناس حقًا و باطلا، و صدقا و كذبا، و ناسخا و منسوخا، و عامًا و خاصًا، و محكما و متشابها، و حفظا و وهما، و قد كذب على النبي على عهده حتى قام خطيبا فقال: «أيها الناس قد كثرت عليّ الكذّابه فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، ثم كذب عليه من بعده، و انما أتاكم الحديث من أربعه ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الايمان متصنّع بالإسلام لا- يتأثم و لا يتحرّج ان يكذب على النبي متعمدا، فلو علم الناس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه و لم يصدّقوه و لكنّهم قالوا هذا صحب النبي و رآه و سمع منه، فأخذوا عنه و هم لا يعرفون حاله، و قد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره و وصفهم بما وصفهم، فقال تعالى: «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنّ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ» (١) ثم بقوا بعده، فتقرّبوا الى أئمة الضلاله و الدعاة الى النار بالزور و البهتان و الكذب، فولّوهم الأعمال و حملوهم على رقاب الناس و أكلوا بهم الدنيا، و انما الناس مع الملوكة و الدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

و رجل سمع من النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم شيئا لم يحمله على وجهه و وهم فيه فلم يتعمد كذبا، فهو فى يده يقول به و يعمل به و يرويه فيقول انا سمعته من النبي، فلو علم المسلمون أنّه و هم لم يقبلوه و لو علم هو أنّه و هم لرفضه.

و رجل ثالث سمع من النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم شيئا أمر به ثم نهى عنه و هو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به و هو لا- يعلم، فحفظ منسوخه و لم يحفظ الناسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه المنافقون.

ص: ٢٠٤

و آخر رابع لم يكذب على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ مبغض للكذب خوفاً من الله تعالى و تعظيماً لرسوله و لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع لم يزد فيه و لم ينقص منه، و علم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ و رفض المنسوخ، فان أمر النبي مثل القرآن ناسخ و منسوخ، و خاص و عام، و محكم و متشابه، و قد كان يكون من النبي الكلام له و جهان: كلام عام و كلام خاص مثل القرآن و قال تعالى في كتابه: «وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (١) فيشبهه على من لم يعرف و لم يدر ما عنى الله و رسوله به، و ليس كل أصحاب النبي كان يسأله عن الشيء فيفهم، و كان منهم من يسأله و لا يستفهمه حتى ان كانوا ليجبون ان يجيء الاعرابي و الطارئ فيسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ حتى يسمعوا.

و قد كنت أدخل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كل يوم دخله و كل ليلة دخله، فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، و قد علم أصحاب النبي أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني و كنت إذا دخلت عليه في منزله أخلا بي و أقام عنى نساءه فلا يبقى عنده غيري، و إذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عنى فاطمه و لا أحد من ابني، و كنت إذا سألته أجابني، و إذا سكت عنه و فريت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على النبي آية من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها علي، فكتبتها بخطي و علمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها، و محكمها و متشابهها، و خاصها و عامها، و دعا الله أن يعطيني فهمها و حفظها، فما نسيت آية من كتاب الله تعالى و لا علما أملاه علي، و ما ترك شيئاً مما علمه الله من حلال و لا حرام، و لا أمر و لا نهى كان أو يكون و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعه أو معصيه إلا علمنيه، ثم وضع يده على صدري

ص: ٢٠٥

و دعا الله لى أن يملأ قلبى علما و فهما و حكما و نورا-الخبر (١).

و فى (تذكره سبط ابن الجوزى): قال الشعبى حدثنى من سمع عليا عليه السلام -وقد سئل عن سبب اختلاف الناس فى الحديث- يقول: الناس أربعة: منافق مظهر للإيمان، و مضيع للإسلام، و قلبه يأبى الإيمان لا يتأثم و لا يتحرّج، كذب على النبى صلى الله عليه و آله و سلم متعمدا، فلو علم الناس حاله لما أخذوا عنه، و لكنهم قالوا صاحب رسول الله فأخذوا بقوله، و قد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر و وصفهم بما وصف، ثم انهم عاشوا بعده فتقرّبوا الى أئمة الضلاله و الدعاه الى النار بالزور و البهتان، فولوهم الأعمال و جعلوهم على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، و انما الناس تبع للملوك إلا من عصمه الله.

و رجل سمع النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول قولا- أو رآه يفعل فعلا- ثم غاب عنه و نسخ ذلك القول و الفعل و لم يعلم، فلو علم أنه نسخ ما حدّث به، و لو علم الناس أنه نسخ لما نقلوا عنه.

و رجل سمع النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول قولا فوهم فيه، فلو علم أنه و هم فيه لما حدّث عنه و لا عمل به.

و رجل لم يكذب و لم يغب حدّث بما سمع و عمل به. فأما الأول فلا اعتبار بروايته لا يحلّ الأخذ عنه، و أما الباقيون فينزعون الى غايه، و يرجعون الى نهايه و يستقون من قلب واحد، و كلامهم أشرق بنور النبوه ضياؤه و من الشجره المباركه اقتبست ناره- و هذه روايه الشعبى.

و فى روايه كميل بن زياد عنه أنه قال: ان فى أيدي الناس حقّا و باطلا، و صدقا و كذبا، و ناسخا و منسوخا، و عامّا و خاصّا، و محكما و متشابها، و حفظا و وهما، و قد كذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى عهده حتى قام خطيبا فقال:

ص: ٢٠٦

من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، وانما يأتيك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس - و ذكرهم (١).

و في (مناقب ابن الجوزي) - كما في (البحار) - قال علي عليه السّلام و قد سئل عن أحاديث النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من روايه الشعبي عن ضرار بن ضميره و عبد خير قالوا له: قيل له ما سبب اختلاف الناس في الحديث - إلخ، مثل ما في تذكره سبطه الى اقتبست ناره» ثم قال: و في روايه أنّه قال «في أيدي الناس» - إلخ مثله (٢).

و رواه (الاحتجاج - الاحتجاج - ج ١ ص ٢٦٣) جزء ما رواه عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمد عليه السّلام أنّه عليه السّلام خطب لما كان معه ناس من أهل بيته و خاص شيعته - فقال: لقد عمل الولاه قبلي بامور عظيمه خالفوا فيها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم متعمدين لذلك، و لو حملت الناس على تركها و حولتها الى مواضعها التي كانت عليها على عهد النبي لتفرق عنى جندي حتى أبقى وحدى إلا قليلا من شيعتي، الذين عرفوا فضلي و إمامتي من كتاب الله و سنّه نبيه، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السّلام - إلى أن قال - فقال له رجل: اني سمعت من سلمان و أبي ذر و المقداد أشياء في تفسير القرآن و الروايه عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، و رأيت في أيدي الناس أشياء كثيره في تفسير القرآن و الأحاديث عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنتم تخالفونهم و تزعمون أن ذلك باطل، فترى الناس يكذبون متعمدين على النبي و يفسّرون القرآن بأرائهم؟ فأقبل عليه السّلام فقال له: قد سألت فافهم الجواب، ان في أيدي الناس حقًا و باطلا - إلخ مثله (٣).

ص: ٢٠٧

١- (١) تذكره الخواص: ١٤٢ و ١٤٣. [١]

٢- (٢) ثقله عن مناقب ابن الجوزي المجلسي في البحار ٧٧: ٧٨ ح ٤٩، و كتاب مناقب ابن الجوزي الذي ينقل عنه المجلسي هو عين كتاب تذكره الخواص لا كتاب آخر. [٢]

٣- (٣) الاحتجاج ١: ٢٦٣. [٣]

و رواه الكشى الكشى-اختيار معرفه الرجال-عنوان سليم بن قيس ص ١٠٤ ح ١٦٧ فى عنوان سليم بن قيس عن ابان بن أبى عياش عن سليم-و زاد-قال أبان:فقد رلى بعد موت الحسين عليه السلام أنى حججت فلقيت محمد بن على عليه السلام فحدثته بحديث سليم،فقال:صدق سليم،أتى أبى بعد جدى الحسين و أنا عنده فحدثه بهذا الحديث،فقال له أبى:صدقت حدثنى بهذا الحديث أبى الحسين و عمى الحسن عن أمير المؤمنين-إلخ (١).

و بالجمله رواه العامه و الخاصه بطرق متعدده،العامه عن ضرار بن ضميره و عبد خير و كميل و الخاصه عن سليم و غيره كما عرفت.

قول المصنف:(و من كلام له عليه السلام و قد سأله سائل عن أحاديث البدع) هكذا فى المصرىه و ابن ميثم و لكن فى نسخه ابن أبى الحديد(عن مسائل البدع) (٢).

(و عمّا فى أيدى الناس)غير شيعته(من اختلاف الخبر)مع ما عنده عليه السلام و عند شيعته(فقال عليه السلام)هو توكيد بعد قوله «و من كلام له» كما لا يخفى.

قوله عليه السلام: «ان فى أيدى الناس حقًا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عاما و خاصا و محكما و متشابها و حفظا و وهما» و اطلق السائل على جميعها عنوان الكذب،فبين عليه السلام ان لها عناوين،و بينها عموم من وجه،فالناسخ و المنسوخ،و العام و الخاص،و المحكم و المتشابه،كلها صدق من حيث الصدور عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم،لكن العمل بالجميع ليس بحق،فلا-يجوز العمل بالمنسوخ،و لا-بالعام فى غير مورد الخاص،و لا-بالمتشابه،و انما الحق الناسخ و الخاص و المحكم،كما أن الوهم ليس بكذب و انما هو باطل،و الحفظ حق و صدق و خاص و محكم.

ص:٢٠٨

١-١) اختيار معرفه الرجال:١٠٤ ح ١٦٧.

٢-٢) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١١:٣٨،و [١]شرح ابن ميثم ٤:١٩ [٢] مثل المصرىه.

«و لقد» هكذا في (المصريه) و الصواب: (وقد) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (١).

«كذب على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم على عهده» ذكر عليه السَّلام ذلك لرفع استبعاد الكذب على النبي بعده، فالسائل كان تعجب من أن يكذبوا عليه بعده (حتى قام خطيباً).

المفهوم من خبر مجادله الجواد عليه السَّلام مع يحيى بن أكثم في أخبار وضعوها في الفضائل للشيخين ان قيام النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم بذلك خطيباً كان في حَجَّه الوداع قائلاً: قد كثرت على الكذَّابه و ستكثر، فمن كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار (٢).

«فقال: من كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار» قال سبط ابن الجوزي:

رواه عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم مائه و عشرون من الصحابه ذكرتهم في كتابي (حق اليقين) (٣).

«و انما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس» بحكم الاستقصاء .

«رجل منافق مظهر للايمان» بلسانه. «متصنع بالاسلام» كالمغيره بن شعبه مشير الصديق لهم و الفاروق، فانما تصنع بالاسلام لغدره بقومه. «لا يتأثم و لا يتحرج» أى: لا يعد شيئاً اثماً له و لا حرجاً عليه. «يكذب على رسول الله متعمداً» لعدم اعتقاده بالله.

روى نصر بن مزاحم: ان عثمان لما قتل و أتى معاويه كتاب على عليه السَّلام بعزله عن الشام خرج حتى صعد المنبر، ثم نادى في الناس أن يحضروا،

ص: ٢٠٩

١- ١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٨ [١] لكن شرح ابن ميثم ٤: ١٩. [٢]

٢- ٢) رواه الطبري في الاحتجاج ٢: ٤٤٧. [٣]

٣- ٣) تذكره الخواص: ١٤٣. [٤]

فخطبهم و قال: يا أهل الشام قد علمتم أنى خليفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، و خليفه عثمان، و قتل مظلوما، و قد تعلمون أنى وليه، و قال الله فى كتابه «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا» (١)، و أنا أحب أن تعلمونى ما فى أنفسكم من قتل عثمان.

فقام مره بن كعب السلمى و فى المسجد يومئذ أربعمائنه رجل أو نحو ذلك من أصحاب النبى، فقال: و الله لقد قمت مقامى هذا، و انى لأعلم أن فىكم من هو أقدم صحبه للنبى منى، و لكنى قد شهدت منه مشهدا لعل كثيرا منكم لم يشهده، و إنا كنا معه نصف النهار فى يوم شديد الحر، فقال: لتكونن فتنه حاضره- فمر رجل مقنع- فقال النبى هذا المقنع يومئذ على الهدى، فقامت، فأخذت بمنكبيه و حسرت عن رأسه، فإذا عثمان، فأقبلت بوجهه الى النبى، فقلت: هذا. قال: نعم. فأصفق حينئذ أهل الشام مع معاويه و بايعوه على الطلب بدم عثمان أميرا لا يطمع فى الخلافه ثم الأمر شورى (٢).

و من الغريب ان ابن أبى الحديد نقله فى شرح عنوان «من كلام له عليه السّلام و قد اشير عليه بالاستعداد للشام» عن كتاب ابن ديزيل و قال: هذا الحديث رواه كثير من محققى أصحاب الحديث، و رواه البخارى فى تاريخه بعدّه روايات. و ليس لقائل أن يقول فهذا الحديث إذا صححتموه كان حججه السفينيه، لأننا نقول الخبر تضمن على أن عثمان و أصحابه على الحق، و هذا مذهبنا فإننا نذهب ان عثمان قتل مظلوما، و أنّه و ناصريه يوم الدار على الحق، و ان القوم الذين قتلوه لم يكونوا على الحق، فأما معاويه و أهل الشام الذين

ص: ٢١٠

١- ١) الاسراء: ٣٣. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٨١. [٢]

فان مره بن كعب وضعه معاويه قبل، و علمه وضع هذا الحديث ليقدر على محاربه أمير المؤمنين عليه السّلام، و يجعله باطلا، و يجعل نفسه حقًا، و هل كان فهم ابن أبي الحديد دون فهم أهل الشام، فأنهم مع كونهم كالأنعام فهموا بفطرتهم المانع من الجمع بين الضدين أن مقتضى الحديث حقيته معاويه و بطلان على، فاصفقوا صفقه واحده مع معاويه على الطلب بدمه، لكون اتحاد معاويه و عثمان من البديهيّات، و قد كان معاويه قال لعثمان: اجعل لى الطلب بدمك. فقال له: هذه لك ان قتلت فلا يطل دمي.

و إذا كان محققوا حديثهم و امام حديثهم البخارى و روه فويل لأحاديثهم، فأثار الوضع عليه كالشمس لائحته، لكن لما اتخذوا عثمان الذى أباح المسلمون دمه و كفّروه إماما، لا بد لهم من أن ينوا له موضوعات معاويه و اتباعه.

ثم قول ابن أبي الحديد: عثمان و أصحابه يوم الدار كانوا على الحق، فعمده أصحابه و أنصاره انما كان مروان طريد النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لعين النبى، و من يستهزء بالوليد بن عتبة لما تحرج من شركته فى دم الحسين عليه السّلام.

ثم المنافق الذى لا يتحرّج أن يكذب على النبىّ متعمدا قد يضعه من رأس كخبر مره هذا، و ان كان وضعه فى مقابل قول النبى فى أمير المؤمنين فى ما رواه جمع منهم ابن مردويه و أخطب خوارزم و المعافى بن زكريا و غيرهم مسندا عن أبى ذر و المقداد و سلمان قالوا: كنّا قعودا عند النبىّ صلّى الله عليه و آله ما معنا غيرنا إذ أقبل ثلاث رهط من المهاجرين و البدرين، فقال: تفترق امتى ثلاث فرق بعدى، فرقه أهل حق لا يشوبون بباطل مثلهم كمثل الذهب

كَلَّمَا فَتَنَّتْهُ بِالنَّارِ إِزْدَادَ جُودِهِ وَ طَيِّبَا إِمَامِهِمْ هَذَا-و أشار الى أحدهم-و هو الذى أمر الله به فى كتابه إماما و رحمه، و فرقه أهل باطل لا- يشربونه بحق مثلهم كمثل خبث الحديد كلما فتنته بالنار إزداد خبثا و إمامهم هذا-و أشار الى آخر من الثلاثة-و فرقه أهل ضلاله مذبذبين بين ذلك لا- إلى هؤلاء و لا- إلى هؤلاء و إمامهم هذا-و أشار الى آخر. قال: فسألتهم عن أهل الحق و إمامهم، فقالوا هو على بن أبى طالب إمام المتقين، و أمسكوا عن الاثنين، فجهدت أن يسّموهما، فلم يفعلوا (١).

و قد يأخذ ذاك المنافق كلام النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فيخرجه عن مورده، أو يزيده و ينقصه، و يجعله كذبا، فروى الخطيب الناصبى فى محمد بن اسحاق ابن مهران المعروف بشاموخ روايه شاموخ عن جابر أن النبى قال «إذا رأيتم معاويه يخطب على منبرى فاقبلوه فإنه أمين مأمون»، فإن الأصل فى الخبر ما رواه نصر بن مزاحم عن عمرو بن ثابت عن إسماعيل عن الحسن البصرى قال: قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «إذا رأيتم معاويه يخطب على منبرى فاقتلوه». قال الحسن فحدثنى بعضهم ان أبا سعيد الخدرى قال: فلم نفعل و لم نفلح.

و رواه نصر بلفظ آخر باسناد عن الحسن و اسناد عن ابن مسعود قال:

قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم «إذا رأيتم معاويه بن أبى سفيان يخطب على منبرى فاضربوا عنقه» قال الحسن: فما فعلوا و لا أفلحوا (٢).

فترى بدل قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم «فاقتلوه» من القتل بقوله «فاقبلوه» من القبول-و زاد قوله «فانه أمين مأمون» شاهدا لتبديله.

و من الغريب أن الخطيب قد يروى أحاديث مجمع عليها فى أمير

ص: ٢١٢

١- ١) رواه عنهم ابن طاوس فى الطرائف ١: ٢٤١ ح ٣٤٦. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٢١٦. [٢]

المؤمنين عليه السّلام و يطعن فيها بأنها منكروه، و لم يقل هنا سوى «ان رجال السنند ما بين محمد بن إسحاق و ابي الزبير مجهولون» حشره الله مع ذلك الأمين المأمون.

و من هذا القبيل روايه ابي بكر أن النبي قال: «نحن معاشر الأنبياء ما تركناه صدقه» (١) فان الأصل فيه ان النبي قال- كما قال الصادق عليه السّلام- «ان العلماء ورثه الأنبياء، و ان الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما، و لكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر» (٢) فالخبر انما كان في مقام ان الأنبياء لما لم يكونوا من أهل الدنيا الذين همهم جمع المال ما يتركون بعدهم شيئا مهما من عرض الدنيا، و انما يتركون أحاديث مبينه لأحكام الدين لأنها الأصل عندهم، لا انهم مخصوصون من بين الناس بحكم في الميراث، و خارجون من العموم، فزاد عليه «ما تركناه صدقه» حتى يسلخه عن المعنى الأوّل و يسوقه الى مراده، و إلا فكيف يعقل أن تكون فاطمه التي شهد الله تعالى بعصمتها في آيه التطهير (٣) و شهد عزّ و جلّ باختصاصها من بين نساء العالم بالنبي في آيه المباهله (٤) و قال فيها أبوها في المتواتر «انها سيّده نساء العالمين» (٥) و في المستفيض أنّها بضعه منه، و رضاها رضاه،

ص: ٢١٣

١- ١) أخرجه البخارى في صحيحه ٢: ١٨٥ و ٣٠١ و ٣: ١٧ و ٥٥ و ٤: ١٦٤، و مسلم في صحيحه ٣: ١٣٨٠ و ١٣٨١ ح ٥٢-٥٤ و غيرهم.

٢- ٢) رواه عن طريق الصادق عليه السّلام و غيره عن النبي صلى الله عليه و آله و سلّم الكلىنى فى الكافى ١: ٣٢ ح ٢، و [١]الصفار فى البصائر: ٣٠ و ٣١ ح ١ و ٣ و [٢]البخارى فى صحيحه ١: ٢٣، و أبو داود فى سننه ٣: ٣١٧ ح ٣٦٤١ و [٣]غيرهم.

٣- ٣) انظر الآيه ٣٣ من سوره الأحزاب.

٤- ٤) انظر الآيه ٦١ من سوره آل عمران.

٥- ٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤: ٩٦، و مسلم فى صحيحه ٤: ١٩٠٤ و ١٩٠٥ ح ٩٨ و ٩٩ و الحاكم فى المستدرک ٣: ١٥١ و ١٥٤ و ١٥٦.

و سخطها سخطه (١) و ان يكون أمير المؤمنين عليه السلام الذي نص القرآن بكونه نفس النبي (٢) و كان ملازما للنبي من مولده فضلا عن بعد بعثه النبي الى وفاه النبي ليلا و نهارا لم يسمعا هذا الحديث، و سمعه أبو بكر الذي تمنى حال الموت ان لو سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن حكم ميراث الجد هل بدلت قضيه العقول لهؤلاء المدّعين للألباب، و هل التقليد و العصبية يبلغان بالإنسان هذه المرتبه.

و لقد وضعوا أحاديث تضحك الثكلى من قلّه حياء واضعيتها، و صلب و جوههم. فإن أغلب الكذابين أنّما يفترّون في امور غير معلومه حقّها و باطلها، و أما من يكذب على خلاف العيان فكمن يبهت في وجه الانسان. نظير ما رواه الكشي في سفیان الثوري عن ميمون بن واقد قال: أتى قوم أبا عبد الله عليه السلام من الأمصار و أنا عنده يسألونه عن الحديث، فقال لي: أتعرف أحدا من القوم؟ قلت: لا. قال: فكيف دخلوا عليّ؟ قلت: هؤلاء قوم يطلبون الحديث من كلّ وجه لا يبألون ممّن أخذوا الحديث. فقال لرجل منهم: هل سمعت من غيري الحديث؟ قال: نعم. قال: فحدثني ببعض ما سمعت. قال: انما جئت لأسمع منك لم أجد أحدا. قال: اجعل الذي حدّثك أحاديثه أمانه لا تحدث بها أحدا أبدا.

قال: لا. قال: فاسمعنا ببعض ما اقتبست. قال: حدّثنا سفیان الثوري عمّن حدّثه عن محمد بن علي أنّه قال: من لا يمسح على خفيه فهو صاحب بدعه، و من لم يشرب النبيذ فهو مبتدع، و من لم يأكل الجريث و طعام أهل الذمه و ذبائحهم فهو ضال، أما النبيذ فقد شربه عمر، و أما المسح فقد مسح عمر على الخفين ثلاثا في السفر و يوما و ليلة في الحضر، و اما الذبائح فقد أحلها علي و قال

ص: ٢١٤

١-١) أخرجه جمع كثير منهم البخارى في صحيحه ٢:٣٠٢ و ٣:٣٠٣ و ٣:٣٠٨ و ٣:٢٦٥، و مسلم في صحيحه ٤:١٩٠٢-٤:١٩٠٤ ح ٩٣-٩٦.

٢-٢) النظر الى الآيه ٦١ من سوره آل عمران.

كلوها فان الله يقول: «الْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ» (١) ثم سكت.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا، فقال: حدثتك بما سمعت. قال: أكل الذي سمعت هذا؟ قال: لا. قال: فزدنا. قال: حدثنا عمرو بن عبيد عن الحسن قال:

أشياء صدق الناس بها و أخذوا بها ليس في كتاب الله لها أصل، منها عذاب القبر، و منها الميزان، و منها الحوض، و منها الشفاعة، و منها التي ينوي الرجل من الخير و الشر و لا يعمله فيثاب عليه و لا يثاب الرجل إلا بما عمل ان خيرا فخييرا و إن شرا فشيئا. قال ميمون: فضحكت من حديثه، فغمزني أبو عبد الله عليه السلام أن كفّ حتى نسمع - فرفع الرجل رأسه إليّ و قال: ما يضحكك مني من الحق أو الباطل. قلت: أو أبكى أنما يضحكني منك تعجبي كيف حفظت هذه الأحاديث، فسكت.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا. قال: حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر أنه رأى عليا على منبر الكوفة و هو يقول: لئن أتيت برجل يفضلني على أبي بكر و عمر لأجلدنه حد المفتري.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا. فقال: حدثني سفيان عن جعفر أنه قال:

حبّ أبي بكر و عمر إيمان و بغضهما كفر.

قال أبو عبد الله عليه السلام: زدنا، فقال: حدثني يونس بن عبيد عن الحسن ان عليا أبطأ عن بيعه أبي بكر و عمر فقال له عتيق: ما خلفك يا علي عن البيعه، و الله لقد هممت أن أضرب عنقك. قال له علي: يا خليفه رسول الله لا تثريب. قال: لا تثريب.

قال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا. قال: حدثني سفيان الثوري عن الحسن أن

ص: ٢١٥

أبا بكر أمر خالد بن الوليد أن يضرب عنق عليّ إذا سلم من صلاه الصبح، و ان أبا بكر سلم بينه و بين نفسه ثم قال: يا خالد لا تفعل ما أمرتك.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: زدنا. قال: حدّثني نعيم بن عبد الله عن جعفر بن محمّد أنّه قال: ود علي بن أبي طالب أنّه بنخيلات ينبع يستظل بظلهن و يأكل من حشفهن، و لم يشهد يوم الجمل و لا النهروان.

قال عليه السّلام: زدنا. قال: حدّثنا عباد عن جعفر بن محمد أنّه قال عليّ -لما رأى كثرة الدماء يوم الجمل- لابنه الحسن: يا بني هلكت. فقال له الحسن: يا أبة أ ليس قد نهيتك عن هذا الخروج. فقال: يا بني لم أدر ان الأمر يبلغ هذا المبلغ.

فقال عليه السّلام له: زدنا. قال: حدّثني سفيان الثوري عن جعفر بن محمد ان عليّا لما قتل أهل صفين بكى عليهم ثم قال جمع الله بيني و بينهم في الجنّة.

قال ميمون: فضاق بي البيت و عرقت و كدت أن أخرج من مسكى، فأردت أن أقوم إليه و أتوطأه، ثم ذكرت غمزه أبي عبد الله عليه السّلام فكففت. فقال له أبو عبد الله عليه السّلام: من أى البلاد أنت؟ قال: من أهل البصره. قال: فهذا الذى تحدث عنه و تذكر اسمه جعفر بن محمد تعرفه؟ قال: لا. قال: فهل سمعت منه شيئاً قط؟ قال: لا. قال: فهذه الأحاديث عندك حق؟ قال: نعم. قال: فمتى سمعتها؟ قال: لا. أحفظ إلا أنّها أحاديث مصرنا منذ دهر لا يمترون فيها. فقال عليه السّلام: لو رأيت هذا الرجل الذى تحدّث عنه، فقال لك هذه التى ترويها عنى كذب لا أعرفها و لم أحدث بها هل كنت تصدقه؟ قال: لا. قال: و لم؟ قال: لأنّه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عنق رجل لجاز قوله. فقال عليه السّلام له: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم حدّثني أبي عن جدى - قال: ما اسمك؟ قال: و ما تسأل عن اسمى - ان النبىّ صلّى الله عليه و آله قال: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، ثم أسكنها الهواء، فما تعارف منها ثمة ائتلف هاهنا و ما تناكر منها ثمة اختلف هاهنا، و من كذب علينا أهل البيت حشره الله يوم القيامة أعمى يهودياً، و ان أدركه

الذجال آمن به و ان لم يدركه آمن به فى قبره» يا غلام ضع لى ماء. فقال: لا تبرح و قام القوم فانصرفوا و قد كتبوا الحديث الذى سمعوا منه. ثم أنه عليه السّلام خرج و وجهه منقبض. فقال: أما سمعت ما يحدث به هؤلاء. قلت: نعم ما هؤلاء و ما حديثهم. قال: كان أعجب حديثهم عندى الكذب على و الحكايه عنى ما لم أقل و لم يسمعه أحد، و قولهم لو أنكر الأحاديث ما صدقناه ما لهؤلاء، لا أمهل الله لهم و لا املى لهم.

ثم قال: ان علينا عليه السّلام لما أراد الخروج من البصره قام على أطرافها ثم قال: لعنك الله يا أنتن الأرض ترابا و أسرعها خرابا و أشدها عذابا، فيك الداء الدوى. قيل: ما هو؟ قال: كلام القدرى الذى فيه الفريه على الله و بغضنا أهل البيت و استحلالهم الكذب علينا (١).

و من أخبارهم الواضحه الوضع روايتهم أن عائشه زوجة النبى صلى الله عليه و آله فى الآخره (٢)، فمع كونه خلاف صريح القرآن، حيث ضرب تعالى مثلا لها و لصاحبتها امرأه نوح و امرأه لوط و قال: «كأنتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا و قيل ادخلا النار مع الداخلين» (٣) و قال تعالى لهن: «من يأت منكنا بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيرا» (٤) و لا فاحشه أبين مما أيت به فى الجمل من الخروج على الامام، و قتل آلاف من المؤمنين و المسلمين، و كيف

ص: ٢١٧

١- ١) اختيار معرفه الرجال: ٣٩٣ ح ٧٤١ و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) أخرجه أبو نعيم فى فضائل الصحابه عنه منتخب كثر العمال ١١٧: ٥، عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و آله و الحاكم فى المستدرک ١٠: ٤، عن عائشه عن النبى صلى الله عليه و آله و روى عن ضميره بن حبيب و عيسى بن طلحه و مسلم البطين و أبى محمد مولى الغفاريين مرفوعا و عن على عليه السلام و عمّار موقوفا.

٣- ٣) التحريم: ١٠. [٢]

٤- ٤) الاحزاب: ٣٠. [٣]

تكون زوجته في الآخرة، و لما قيل لها ندفنك عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَتْ: انى أحدثت بعده أحداثا، فادفنونى فى البقيع مع اخوانى (١).

و من المضحك أنهم وضعوا ذلك على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، كما وضعوا لأبيها و صاحب أبيها على لسانه فى مقابل ان الشيعة بل هم أنفسهم رووا عنهما فضائله عليه السلام، حيث ان الله تعالى أجرى الحق على لسانهما كثيرا إتماما للحجّه عليهم، ليهلك من هلك عن بينه، و يحيى من حيى عن بينه.

و من أكاذيبهم تلقيهم للرجلين بالصديق و الفاروق، و لأبى عبيده بأمين الامه، و لابن عوف بأمين السماء و الأرض، و لخالد بسيف الله، و لجمع منه بالعرش المبشره، لمخالفه ما قالوا مع العقول، و تناقضه مع تواتر المنقول.

أما الأول فالأول الصّديق لو كان بمجرد تصديقه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فهو أمر عام لجميع المسلمين، فاختصاصه به تحكم. فإن قالوا أنه أول من آمن فهو دفع للبداهه، فإنه يعلم جميع الناس حتى اليهود و النصارى و الملاحده ان محمّدا لما أظهر دعوته كان أول من آمن به علىّ عليه السلام، لأن ذلك من التواترات لا تختص بالديانات، حتى ان الجاحظ فى كتابه العثمانيه لم يستطع دفعه، إلا- أنه أظهر شبهه بأن عليّا و ان كان أول من أسلم، إلا- أن اسلامه لما لم يكن بالغا التكليف لم يكن مقبولا (٢)، فطعن فى النبي بقبوله. فإن قالوا قال حسان الشاعر فى ذلك شعرا، فقال شاعر آخر فى مسيلمه:

لهفى عليك ابا ثمامه كم آيه لك فيهم

كالشمس تطلع من غمامه

ص: ٢١٨

١- ١) اخرج هذا المعنى البخارى فى صحيحه ٤:٢٦٦ و ابن سعد فى الطبقات ٨:٥١.

٢- ٢) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ١٣:٢١٨.

و لم لم يفتروا على حسان! وكذا الصديقيه ليست بجزاف، وقد ذكر تعالى في أصل الصادقيه أو صافا فقال: «و لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّنَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّيِّئِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (١).

و من أين اتصافه بهذه الصفات، و كيف!؟ و كان عدم صبره حين البأس، و فراره في احد و حنين، و لا سيما في خبير معلوم، و لقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام الى كذب خبر تلقيهم له بالصديق في مقاله الذي اتفق عليه الفريقان أنه قال على المنبر: «أنا عبد الله، و أخو رسوله، و أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين» (٢).

و أما الثاني فكيف يكون فاروقا بين الحق و الباطل من لم يفرق بين حياه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ وَفاته، و هو أمر يعلمه كل صبي و غبي، و من منع من وصيه النبي، و سمي كلامه هذيان المرض مكذبا بقوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (٣).

و لم لم يفرق بين أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ وَفاته، و غيره كصاحبه الصديق، حيث لم يصدق قول النبي في استحقاق رئيس الخوارج القتل، ففي كامل المبرد: نظر النبي الى رجل ساجد فقال: ألا رجل يقتله. فحسر أبو بكر عن ذراعه، و انتضى السيف، و صمد نحوه، ثم رجع الى النبي، فقال له: أأقتل رجلا يقول لا إله إلا

ص: ٢١٩

١- ١) البقره: ١٧٧. [١]

٢- ٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره عن الطرائف ١: ٢٠ ح ١٢ و [٢] أحمد في الفضائل عنه ذيل احقاق الحق ٤: ٢٠٩. [٣]

٣- ٣) النجم: ٣ و ٤. [٤]

اللّٰه؟ فقال النبي ثانيا: ألا رجل يفعل، ففعل عمر مثل أبي بكر، فقال النبي أنّه أول فتنه و آخرها، و لو قتل ما اختلف اثنان (١).

فان قالوا كان فاروقا لأنّه عز الإسلام بإسلامه، قيل لهم لم يكن له شجاعه و لا شرف، و انما عز الاسلام بإسلام حمزه الجامع بينهما القادر على أن يشجّ مثل أبي جهل الذي أذعنت قريش لرئاسته منذ صباه، و حكم الشيطان بصواب رأيه من بين آراء قريش في إرادتهم الكيد بالنبي، و لم يكن أحد مثله في نفوذ الكلمه، حتى أنّه صار سببا لحصول غزوه بدر، مع كراهه جميع قريش حضورها، لا سيما شيخا عبد شمس عتبه و شيبه.

و هذا نص الجزري في إسلام حمزه: ان أبا جهل مر بالنبيّ صَلَّى الله عليه و آله و هو جالس عند الصفا، فأذاه و شتمه و نال منه و عاب دينه، و مولاه لعبد الله بن جذعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فجلس في نادي قريش عند الكعبه، فلم يلبث حمزه بن عبد المطلب ان أقبل من قنصه متوشحا قوسه- و كان إذا رجع لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبه و كان يقف على أنديه قريش و يسلم عليهم و يتحدّث معهم- و كان أعزّ قريش و أشدهم شكيمه، فلما مر بالمولاه و قد قام النبي و رجع الى بيته قالت له: يا أبا عماره لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم بن هشام- تعنى أبا جهل- فإنه آذاه و سبه، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمّد، فاحتمل حمزه الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج سريعا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبه معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به حتى دخل المسجد، فرآه جالسا في القوم، فأقبل نحوه و ضرب رأسه بالقوس، فشجّه شجّه منكره و قال: أ تشتمه و أنا على دينه أقول ما يقول. و قام رجال من بني مخزوم الى حمزه لينصروا أبا

ص: ٢٢٠

جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عماره، فإنى سببت ابن أخيه سبًا قبيحا. و تمّ حمزه على اسلامه، فلما أسلم حمزه عرفت قريش ان النبيّ صلّى الله عليه و آله قد عزّ و ان حمزه سيمنعه (يحمى عنه)، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه -إلخ (١). و قد صرّح بأن اسلامه كان قبل إسلام عمر.

و أما عمر فغايه ما قيل أنّه أظهر اسلامه لأبى جهل و كان خاله، فنهره أبو جهل، و لم يستطع عمر ردا عليه. فقال الجزرى أيضا قال عمر: لما أسلمت أتيت باب أبى جهل، فضربت عليه بابه، فخرج إلى و قال مرحبا بابن اختى ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أنى قد أسلمت و صدقت ما جاء به محمد، فضرب الباب فى وجهى و قال: قبحك الله و قبح ما جئت به (٢).

و مع مقام حمزه ذلك لم نسّمه فاروقا، لأن الفاروق الحقيقى انما كان أمير المؤمنين عليه السّلام الذى أعزّ الاسلام بسيفه فى غزوات النبيّ صلّى الله عليه و آله، و لو لم يكن له عليه السّلام آثار فيها إلّا - غزوه الأحزاب و قتله عمرو بن عبدود فارس يليل لكفاه.

قال أبو بكر بن عياش: لقد ضرب على عليه السّلام ضربه ما كان فى الاسلام أعزّ منها يوم عمرو، و قد قال النبيّ فى ضربته تلك: أنّها أفضل من عباده الثقلين (٣).

و هو عليه السّلام الذى فرق بين الحق و الباطل، و ميّز بينهما، و قد تواتر عن النبيّ صلّى الله عليه و آله أنّه كان يقول: على مع الحق و الحق معه يدور حيثما دار (٤).

ص: ٢٢١

١- ١) هذا نصه فى الكامل ٢: ٨٣ و [١] قال نحوه فى اسد الغابه ٢: ٤٦. [٢]

٢- ٢) هذا نصه فى الكامل ٢: ٨٧. [٣]

٣- ٣) رواهما السروى فى مناقبه ٣: ١٣٨، و النقل بتصرف يسير.

٤- ٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٣: ١٢٤، و الخطيب فى تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١، لكن أقرب الألفاظ لفظ مسند البزار كما فى مجمع الزوائد ٧: ٢٣٦.

و تواتر أن عمر نفسه كان يفرع إليه في كل موضع يلتبس الحق عنده، فيكشفه له، فيقول: لا- عشت لمعضله ليس لها أبو الحسن، حتى أنه صار كلامه مثلاً، فقالوا «معضله و لا أبا الحسن» (١).

و قد رووا ان النبي صَلَّى الله عليه و آله انما لقب هذا اللقب أمير المؤمنين، فروى أبو بكر بن أبي الثلج عن أبي سخيله قال: أنا و عمّار حاجين، فنزلنا عند أبي ذر، فأقمنا عنده ثلاثه أيام، فلما دنا منّا الخفوق قلت له: يا أبا ذر ألا ترى قد دنا اختلاط من الناس فما ترى؟ قال: الزم كتاب الله و على بن أبي طالب، فاشهد على النبي صَلَّى الله عليه و آله أنه قال: على أول من آمن بي، و أول من يصفحني يوم القيامة، و هو الصديق الأكبر، و الفاروق بين الحق و الباطل (٢).

فان أرادوا في التلقب بالصدّيق و الفاروق مجرد اسم بلا مسمّى، بل مع معنى بالصد كما قالوا في الفارسيه «بر عكس نهند نام زنگی کافور»

، كما في ألقاب الخلفاء العبّاسيه «المتوكل على الله»، و «المعتصم بالله»، فلا مشاحه، إلاّ أنّهم لم ينسبوا الى الشارع الحكيم الذي لا يقول و لا يفعل شيئاً جزافاً.

فإن تجاوزنا في الصدّيقيه و الفاروقيه عن أمير المؤمنين عليه السّلام، لم لا- نسّمى أبا ذر صديقاً، و قد قال النبي فيه «ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء أصدق لهجه من أبي ذر» (٣)، و لم لا نسّمى ذا الشهادتين فاروقاً، و قد فرّق بين ادعاء النبي و ادعاء غيره، فشهد له بما لم تره عينه لعصمته، فجعل النبي لذلك شهادته شهاده رجلين، و سمّاه ذا الشهادتين (٤).

ص: ٢٢٢

١-١) رواه جمع كثير منهم ابن سعد في الطبقات ٢: ١٠٢٢، و الخوارزمي في مناقبه: ٥١.

٢-٢) رواه عن طريق ابن أبي الثلج المفيد في الإرشاد: ٢١ و [١] عن طريق غيره أبو علي الطوسي في أماليه ١: ٢٥٦ جزء ٩، و [٢] ابن السماك في الفضائل [٣] عنه البحار ٣٨: ٢١٠ ح ١٠. [٤]

٣-٣) أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٦٦٩ ح ٣٨٠١ و ٣٨٠٢ و ابن ماجه في سننه ١: ٥٥ و ١٥٦ و غيرهما.

٤-٤) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٤١٧، و [٥] ابن الأثير في اسد الغابه ١: ١١٤، و [٦] ابن حجر في الاصابه ١: ٤٢٥ و ٤٢٦

و لا بد أنهما تقارضا التلقيب كأمر الخلافة، فلقب الثاني الأول الصديق، و الأول الثاني الفاروق.

و فى كتاب معاويه الى محمّد بن أبى بكر: فقد كُنّا-و أبوك فىنا-نعرف حق ابن أبى طالب لازما لنا، و فضله مبرزا علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده كان أبوك و فاروقه أول من ابتزّه حقّه، و خالفه على أمره- إلخ (١).

و أما الثالث (أبو عبيده) فانما كان أمين الرجلين، و تواطأ الثلاثة، فيقول الأول للناس بايعوا أحد هذين، و هما يقولان بل يبايعونك أنت صاحب الغار، و كيف كان أمين الامه، و قد نسبه أمير المؤمنين عليه السّلام الى الخيانه و اتباع الهوى فيما فعل. ففى (خلفاء ابن قتيبه): قال أبو عبيده بن الجراح لعلّى: يا ابن عم انك حديث السن و هؤلاء مشيخه قومك، ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالامور، و لا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، و أشدّ احتمالا و استطلاعا، فسلم لأبى بكر هذا الأمر، فإنك ان تعش و يطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليف فى فضلك و دينك، و علمك و فهمك، و سابقتك، و نسبك و صهرك.

فقال على كرم الله وجهه: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره و قعر بيته الى دوركم و قعور بيوتكم، و تدفعون أهله عن مقامه فى الناس و حقه، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به لأننا أهل البيت، و نحن أحقّ بهذا الأمر منكم. ما كان فىنا القارئ لكتاب الله، الفقيه فى دين الله، العالم بسنن رسول الله، المتطلع لأمر الرعيه، الدافع عنهم الامور السيئه، القاسم بينهم بالسويه؟ و الله أنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى، ففضلوا عن

ص: ٢٢٣

١- (١) رواه ابن مزاحم فى وقعه صفين: ١٢٠، و [١] المسعودى فى المروج: ٣: ١٢، و [٢] البلاذرى فى أنساب الأشراف ٣٩٦: ٢. [٣]

سبيل الله، فتزادوا من الحق بعدا (١).

و أما الرابع (ابن عوف) فكان أمين عمر لانتخاب عثمان من الستة، و أمين عثمان باختياره، و هل تسميتهما له بالأمين إلا كتسميه بنى العباس لأبى مسلم الخراسانى أمين آل محمّد، و لقد كان الأمينان أمين أبى بكر و عمر، و أمين عمر و عثمان أولى من أبى عمره الذى و لاه المتتصر مظالمه بما قالوا فيه:

يا ضيعه الإسلام لَمَا و لَى مظالم الناس أبو عمره

صير مأمونا على الله و ليس مأمونا على بعره

فلم يكن لأثر مأمونيه أبى عمره لعمر الله فى ضيعه الإسلام و فساده واحد من ألف من أثر مأمونيه الرجلين فى ضيعه الإسلام و فساده، ثم كيف يكون ابن عوف يوما أميناً لعمر، يوماً منافقاً لعثمان.

و أما الخامس (خالد) فإن الرجل انما كان سيف أبى بكر لا سيف الله، و ما نقلوه من أنه لما قتل جعفر الطيار و صاحبه فى مؤته، و اخبر النبى بشهادتهم، قال النبى صلى الله عليه و آله: «ثم أخذ الرايه سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، فعاد بالناس، فمن يومئذ سُمى خالد سيف الله» (٢) مما يضحك الثكلى، فان خالدًا صار يومئذ عارا على الاسلام حيث حمل عسكر الإسلام على الفرار. روى محمد بن إسحاق فى مغازيه عن داود بن سنان عن ثعلبه بن أبى مالك قال: انكشف خالد بالناس حتى عيروه بالفرار و تشاءم الناس به (٣).

و قال الواقدى فى كتابه: قال أبو بكر بن عبد الله بن عتبه: ما لقي جيش

ص: ٢٢٤

١- (١) الامامه و السياسه ١: ١١. [١]

٢- (٢) رواه أحمد فى مسنده ٤: ٩٠ و ٥: ٢٩٩ و ٣٠٠، و [٢] الطبرى فى تاريخه ٢: ٣٢٢ سنة ٨. [٣]

٣- (٣) هذا من سهو قلم الشارح بل رواهما الواقدى فى مغازيه ٢: ٧٦٤.

بعثوا مبعثا ما لقي أصحاب مؤته من أهل المدينة،لقوهم بالشر حتى أن الرجل ينصرف الى بيته و أهله فيصدق عليهم فيأبون أن يفتحوا له،يقولون ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت،و جلس الكبراء منهم في بيوتهم استحياء من الناس (١).

و قال محمد بن إسحاق:قال أبو سعيد الخدري:أقبل خالد بالناس منهزمين،فلما سمع أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف،فجعلوا يحثون في وجوههم التراب،و يقولون:يا فرار أفررتم في سبيل الله (٢).

و في (تاريخ الطبري):قالت ام سلمه لامرأه مسلمه بن هشام بن المغيرة:مالي لا- أرى مسلمه يحضر الصلاه مع النبي و المسلمين؟قالت:و الله ما يستطيع أن يخرج،كلما خرج صاح الناس «أفررتم في سبيل الله»حتى قعد في بيته فما يخرج (٣).

و لعمر الله ان التلقيب كان من أبي بكر،فلا- يحتاجون الى الافتراء على النبي،و ان كان عمر أيضا منكرًا لكونه سيف الله،فلما غدر خالد بمالك بن نويرة،و قتله،و زنى بزوجه،قال عمر لأبي بكر- كما هو نص الجزري- ان سيف خالد فيه رهق،و أكثر عليه في ذلك،فقال:يا عمر تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد،فاني لا اشيم سيفًا سلّه الله على الكافرين،و ودي مالكا،و كتب الى خالد ان يقدم عليه،ففعل،و دخل المسجد،و عليه قباء، و قد غرز في عمامته أسهما،فقام اليه عمر،فنزعهما،و حطمها،و قال له:أقتلت امرأ مسلمًا،ثم نزوت على امرأته،و الله لأرجمنك بأحجارك،و خالد لا يكلمه

ص: ٢٢٥

١- ١) مغازي الواقدي ٢:٧٦٥. [١]

٢- ٢) هذا من سهو قلم الشارح بل رواهما الواقدي في مغازيه ٢:٧٦٤.

٣- ٣) تاريخ الطبري ٢:٣٢٣، سنة ٨. [٢]

يظن ان رأى أبى بكر مثله-إلخ (١).

و مما وضعوا له ما فى تاريخ الطبرى فى يوم يرموك: خرج جرجه و نادى ليخرج إالىّ خالد، و قال له: بم سميت سيف الله؟ قال: لما بايعت النبى صلّى الله عليه و آله بعد تكذيبه قال لى: أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين، فسّميت سيف الله بذلك (٢).

و ما فى (تاريخ الطبرى)-بعد ان روى عن الزهرى أن قريشا قدموا خالدا فى خيلهم لثلا يدخل النبى مكة-و بعضهم قال: ان خالدا كان يومئذ مع النبى و ان النبى أتى منى فأتاه عينه و قال له: ان عكرمه بن أبى جهل خرج عليك فى خمسمائه، فقال النبى لخالد: هذا ابن عمك قد أتاك فى الخيل. فقال خالد: أنا سيف الله و سيف رسوله-فيومئذ سمى سيف الله-ارم بى حيث شئت (٣).

قلت: تسميتهم له بسيف الله-بعد تلك الأعمال الشنيعه التى صدرت منه فى حياه النبى صلّى الله عليه و آله من غدره ببني جذيمه، و قتله لجمع حتى قال النبى: «اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد» و بعث فوديهم (٤)، و فى تقويه صديقهم بعده صلّى الله عليه و آله، حتى انه لم يكتف بقتل مالك و أصحابه غدرا، و زناه بامرأته، بل أمر بأن يجعل رأس مالك و أصحابه أثا فى قدورهم-نظير تسميه بلعاء بن قيس برصه سيف الله، ففى معارف ابن قتيبه فى عنوان البرص: كان بلعاء أبرص، و يقول برصى سيف الله جلاه.

و لم لم يلقبوا الأشر بسيف الله، مع أن آثاره فى الجمل و صفين

ص: ٢٢٤

١-١) رواه ابن الأثير فى الكامل ٢:٣٥٨، سنة ١١، و [١] الطبرى فى تاريخه ٢:٥٠٣ سنة ١١. [٢]

٢-٢) تاريخ الطبرى ٢:٥٩٥ سنة ١٣. [٣]

٣-٣) تاريخ الطبرى ٢:٢٧٢ سنة ٦. [٤]

٤-٤) رواه جمع من أهل الحديث و السيره منهم البخارى فى صحيحه ٣:٧١ و ٤:٢٤٢، و الطبرى فى تاريخه ٢:٣٤١ سنة ٨، و

[٥] ابن سعد فى الطبقات ٢:ق ١٠٦١.

و النهروان فى إحياء الدين و قمع الملحدين معلومه، و قد وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بسيف الله.

ففى (تاريخ الطبرى): انه عليه السلام كتب الى أهل مصر: بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف، و أنه سيف من سيوف الله لا كليل الظبه و لا نابى الضريبه- إلخ (١).

و أما خبر العشره المبشره فراويه سعيد بن زيد ابن عم عمر، و هو أحد العشره، و الباكون غير أمير المؤمنين عليه السلام- و لا يحتاج الى خبرهم- أبو بكر، و عمر، و عثمان، و طلحه، و الزبير، و ابن عوف، و سعد، و كيف يقبل شهادته لنفسه، و ان ضم معه غيره.

مع ان أحد العشره- و هو سعد بن أبى وقاص- قال: ان النبى صلى الله عليه و آله لم يشهد لأحد أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، ففى الاستيعاب: روى ابن وهب و أبو مسهر و جماعه عن مالك بن أنس عن أبى النضر عن عامر بن سعد ابن أبى وقاص عن أبيه قال: ما سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول لأحد يمشى على وجه الأرض أنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام.

قال: و هذا حديث ثابت صحيح لا مقال فيه لأحد (٢). مع ان سعدا تخلف عن بيعه أمير المؤمنين عليه السلام و حروبه، و هو كبيره موبقه.

و منهم طلحه و الزبير، و قد حاربا أمير المؤمنين عليه السلام، و استحلا دمه، و هو كنفس النبى صلى الله عليه و آله، و استحلا دم الحسن و الحسين عليهما السلام، و هما ابنا النبى صلى الله عليه و آله، و سيدا شباب أهل الجنة، و أهل بيت العصمه، و قتلا ألوف من المسلمين، و من المؤمنين المتفق على ايمانهم، و قد قال سبحانه: «وَمَنْ يَقْتُلْ»

ص: ٢٢٧

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٧٢ سنة ٣٨، و [١] النقل بتصريف فى اللفظ.

٢- ٢) الاستيعاب ٢: ٣٨٢. [٢]

«مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » (١) فالله تعالى يقول بخلودهما في النار، فكيف يقول نبيه بكونهما من المبشرة بالجنة، فلو قيل بكونهما من المبشرة بالنار كان أقرب الى الاعتبار.

و لعمر الله ان حديث العشرة المبشرة كحديث عمر في سته شورا ان النبي صَلَّى الله عليه و آله مات راضيا عنهم، مع قوله بعد ساعه في أحدهم ان النبي صَلَّى الله عليه و آله مات ساخطا عليه. فقال الجاحظ في عثمانيته: قال عمر ان النبي مات و هو راض عن هذه الستة من قريش، على، و عثمان، و طلحه، و الزبير، و سعد، و عبد الرحمن بن عوف، و قد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم.

ثم دعاهم، فدخلوا عليه و هو ملقى، فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدى؟ ثم أقبل على طلحه - و كان له مبغضا منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قاله في عمر - فقال له: أقول أم أسكت؟ قال له طلحه: قل فإنك لا تقول من الخير شيئا. قال: أما انى أعرفك منذ أصيبت اصبعك يوم احد بالباو الذى حدث لك، و لقد مات النبي ساخطا عليك، للكلمه التى قلتها يوم انزلت آيه الحجاب.

قال: ان كلمه طلحه هى انه لما انزلت آيه الحجاب قال طلحه بمحضر ممن نقل الى النبي صَلَّى الله عليه و آله: ما الذى يغنيه حجابهن اليوم، و سيموت غدا، فنكحهن.

قال: لو قال قائل لعمر أنت قلت ان النبي صَلَّى الله عليه و آله مات و هو راض عن الستة، فكيف تقول لطلحه الآن ان النبي مات ساخطا عليك للكلمه التى قلتها، لكان قد رماه بمشاقصه و لكن من الذى كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا، فكيف هذا (٢).

ص: ٢٢٨

[١ - ١] النساء: ٩٣. [١]

[٢ - ٢] بل قاله الجاحظ فى السفينيه كما فى شرح ابن أبى الحديد ١: ١٨٥ و ١٨٦. [٢]

و بالجمله هؤلاء العشره أكثرهم يكفر بعضهم بعضاً، و يستحل بعضهم دماء بعض، فكيف يعقل أن يقول نبيهم صلى الله عليه و آله أنهم مبشره بالجنه. أما يستحيون هؤلاء من الدهريه بأن يقولوا أظهر المليون المسلمون، و فى دينهم هذه التناقضات و التهافتات، و من أهل الكتاب أن يقولوا ان فى كتابكم «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (١) و اسلامكم شىء على خلاف العقول.

ألم يكونوا أصحاب أحداث، و قد تواتر عن النبي صلى الله عليه و آله قال: سيءاء رجال من امتى أعرفهم و يعرفونى، ثم يحال بينى و بينهم، و يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول امتى، فيقال أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، أنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدى و غير (٢).

ويحهم بدلوا الاثنى عشر أهل بيت العصمه و الطهاره باتفاق الامه بتسعه أجلاف استحبوا الحياه الدنيا على الآخره، و اتخذوا الههم هواهم «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ» (٣).

هذا، و فى تاريخ بغداد عن بعضهم قال: دخلت على محمد بن محمد الباغندى، فقال: لا تكتبوا عن ابني أحمد فإنه كذاب. ثم دخلت على ابنه، فقال: لا تكتبوا عن أبى فإنه كذاب - و كان الابن أوثق.

هذا، و كما كذب على النبي صلى الله عليه و آله كذب عليه عليه السلام و على أهل بيته، و روى (الكافى): ان معمر بن خيثم قال للباقر عليه السلام بلغنا عن على عليه السلام ان من اكننى و ليس له أهل فهو أبو جعفر. فقال: ليس هذا من حديث على، إنا لنكنى أولادنا فى

ص: ٢٢٩

١-١ (١) آل عمران: ١٩. [١]

٢-٢ (٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢:٢٣٣ و ٢٥٦ و ٣:١٢٧ و ١٦٠ و ٤:١٣٣، و مسلم فى صحيحه ٤:٢١٩٤ ح ٥٨ و غيرهما عن ابن عباس و روى أيضا عن ابن مسعود و أبى سعيد و حذيفه و جمع آخر من الصحابه.

٣-٣ (٣) إبراهيم: ٢٨. [٢]

صغرهم مخافه النبران يلحق بهم (١)، و الجعر النجو .

«فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه و لم يصدّقوا قوله، و لكنّهم قالوا صاحب رسول الله صلّى الله عليه و آله رآه و سمع منه و لقف» أي: أخذ «عنه» .

و المفساد التي حدثت في الاسلام كلّها من أولئك المنافقين الذين جعلوا أنفسهم مؤمنين، و إلا فمثل عبد الله بن أبي سلول أو عيينه بن حصن لم يحصل منهم فساد في الدين، فكان عيينه لما أسلم أقرّ أنه منافق، و لما ارتد في أيام طليحة فأسر و أدخل المدينة كان الصبيان يقولون له يا عدوّ الله أكفرت بعد إيمانك، فيقول لهم: ما آمنت بالله طرفه عين.

و من الغريب قولهم بعداله كلّ الصحابه، فقال أبو عمر في (استيعابه):

أجمع أهل السنه و الجماعه على أن الصحابه كلّهم عدول (٢).

و قال الجزري في كتابه: المجهول لا- تصحّ روايته، و الصحابه كلّهم عدول، لا- يتطرّق إليهم الجرح، لأن الله تعالى زكّاهم و عدّلهم- إلخ (٣).

و لم أفهم معنى اجماعاتهم، فإجماعهم هذا كإجماعهم في بيعه أبي بكر، كما ان عدالتهم هذه أي عداله لا ينقضها شيء، فمن صحابتهم المغيره بن شعبه الذي كان نفاقه لا ينكره أحد، حتى ان عثمان لما انكر عليه توليته فشقاق بنى اميه استند الى توليه عمر المغيره مع وضوح نفاقه، و لمّا صار عثمان خليفه و قال له المغيره لو بايعوا غيرك ما بايعناه قال له ابن عوف: يا أعور لو كان قد بويع غيره لبايعته و لقلت له هذا القول، و منهم عمرو بن العاص، و منهم معاويه بن أبي سفيان، و كانت أعمالهم عارا لعالم البشريه، و سوادا لوجه

ص: ٢٣٠

١-١) الكافي ١٩:٦ ح ١١. [١]

٢-٢) الاستيعاب ٩:١.

٣-٣) اسد الغابه ٣:١، و [٢] النقل بتلخيص.

التاريخ، و من بلغ كلامه هذه المرتبه لا تستحق المكالمه، و فى مثلهم قال تعالى: «فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ» (١).

و كيف يقولون بعد التهم، و من صحابتهم الوليد بن عقبه، و قد نص القرآن على فسقه فى قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» (٢) و فى قوله تعالى: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَسَبِّئُوهُ» (٣) باجماع المفسرين بإرادته.

«فياخذون بقوله» لغفلتهم عن نفاقه، و جهلهم بتعمد كذبه «و قد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك و وصفهم بما وصفهم به لك» من قوله تعالى: «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِن يَقُولُوا تَسْمِعَ لِقَوْلِهِمْ» (٤) و قوله تعالى: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (٥)، و قوله تعالى: «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمْدُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» (٦).

فكيف يكون الصحابه كلهم عدولا، و هؤلاء المنافقون الذين بين تعالى فى غير موضع من كتابه ذمهم و أوصافهم هم جمع من الصحابه.

و قد روى الحميدى فى (الجمع بين الصحيحين) من مسند سعيد بن

ص: ٢٣١

[١-١] المؤمنون: ٥٤. [١]

[٢-٢] السجده: ١٨. [٢]

[٣-٣] الحجرات: ٦. [٣]

[٤-٤] المنافقون: ٤. [٤]

[٥-٥] البقره: ٨-١٠. [٥]

[٦-٦] البقره: ١٤-١٦. [٦]

المسيب و من مسند عائشه و من مسند ام سلمه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ: بينما أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني و بينهم، فقال: هلموا. فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار و الله. قلت: ما شأنهم؟ قال: انهم ارتدوا بعدك على أديارهم القهقري. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني و بينهم، فقال:

هلموا، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار و الله. قلت: ما شأنهم؟ قال: انهم ارتدوا على أديارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم (١) «ثم بقوا بعده عليه و آله السلام» هكذا في (المصريه) و ليس في (ابن أبي الحديد) جملة التسليم و في (ابن ميثم) رمز (عليه السلام) (٢).

«فتقرّبوا إلى أئمة الضلالة و الدعاه إلى النار بالزور و البهتان فولوهم الأعمال» جزاء كذبهم لهم.

قال ابن أبي الحديد: فان قلت: من هم أئمة الضلالة الذين تقرب اليهم المنافقون الذين رأوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ صحبوه بالزور و البهتان، و هل هذا إلا- تصريح بما تذكره الإماميه، و تعتقده الإماميه؟ و قال: ليس الأمر كما ظننت و ظنوا، و إنما يعنى معاويه و عمرا و من شايعهما على الضلال، كالخبر الذي رواه من رواه في حق معاويه «اللهم قه العذاب و الحساب، و علمه الكتاب» و كروايه عمرو تقربا إلى معاويه «ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله و صالح المؤمنين»، و كروايه قوم في أيام معاويه أخبارا كثيرة من فضائل عثمان تقرّبا إلى معاويه بها، و لسنا

ص: ٢٣٢

١- ١) نقله عن الجمع بين الصيحين ابن طائوس في الطرائف ٢: ٣٧٦ و [١] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ١٤٢ عن سعيد بن المسيب عن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٧٩٤ ح ٢٨ و ٢٩ عن عائشه و ام سلمه و قد أخرجا هذا الحديث عن ابن عباس و ابن مسعود و ابى هريره و ابى سعيد و حذيفه و سهل بن سعد و أنس و اسماء بنت أبى بكر أيضا.

٢- ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٨، [٢] لكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٩ [٣] مثل المصريه.

نجحد فضل عثمان و سابقته، و لكننا نعلم أن بعض الأخبار الواردة فيه موضوع، كخبر عمرو بن مره-شامى له صحبه-فيه و هو مشهور، و ليس يجب من قولنا ان بعض الأخبار الواردة فى حق فاضل مفتعله أن تكون قاده فى فضله، فانا مع اعتقادنا ان عليا عليه السلام أفضل الناس نعتقد ان بعض الأخبار الواردة فى فضائله مختلق.

قال: و قد روى ان أبا جعفر محمد بن على الباقر قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، و تظاهروا علينا، و ما لقي شيعتنا و محبونا من الناس، ان النبى صلى الله عليه و آله قبض و قد أخبرنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر من معدنه، و احتجت على الأنصار بحقنا و حجتنا، ثم تداولتها قريش، و احد بعد واحد، حتى رجعت الينا، فنكثت بيعتنا، و نصبت الحرب لنا، و لم يزل صاحب الأمر فى صعود كؤود حتى قتل، فبويح ابنه الحسن عليه السلام، عوهد، ثم غدر به، و أسلم، و وثب عليه أهل العراق حتى طعن الخنجر فى جنبه، و انتهب عسكره، و عولجت خلاخيل امهات أولاده، فوادع معاويه، و حقن دمه و دماء أهل بيته، و هم قليل حق قليل، ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفا، ثم غدروا به، و خرجوا عليه، و بيعته فى أعناقهم، ثم لم نزل أهل البيت نستذل و نستضام، و نقصى و نمتهن، و نحرم و نقتل، و نخاف و لانأمن على دماننا و دمنا أوليائنا، و وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم و جحودهم موضعا يتقربون به الى أوليائهم و قضاه السوء و عمال السوء فى كل بلده، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعه المكذوبه، و رروا عنا ما لم نقله و ما لم نفعله ليبعثونا الى الناس و كان عظم ذلك و كبره زمن معاويه بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلده، و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنه، و كان من يذكر بحبنا، و الانقطاع الينا سجن، أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد و يزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل

الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج، فقتلهم كل قتلته، وأخذهم بكل ظنه و تهمة، حتى ان الرجل ليقال أنه زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال أنه من شيعة علي، و حتى صار الرجل الذي يذكر بخير، و لعله يكون ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عظيمه عجيبه من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، و لم يخلق الله تعالى شيئا منها، و لا- كانت، و لا وقعت، و هو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب و لا بقله ورع.

قال: و روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخه واحده الى عماله بعد عام الجماعة: ان برئت الذمه ممن روى شيئا من فضل أبي تراب و أهل بيته، فقامت الخطباء في كل كوره و على كل منبر يلعنون عليا عليه السلام، و يبرءون منه، و يقعون فيه، و في أهل بيته، و كان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي، فاستعمل عليهم زياد بن سميه و ضم إليه البصره، فكان يتبع الشيعة و هو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي، فقتلهم تحت كل حجر و مدر، و أخافهم، و قطع الأيدي و الأرجل، و سمل العيون، و صلبهم على جذوع النخل، و طردهم و شردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

و كتب معاوية الى عماله في جميع الآفاق: لا تجيزوا لأحد من شيعة علي و أهل بيته شهاده. و كتب اليهم: ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان و محبيه، و أهل ولايته و الذين يروون فضائله و مناقبه، فادنوا مجالسهم، و قربوهم، و اكرموهم، و اكتبوا إلي بكل ما يروى كل رجل منهم و اسمه و اسم أبيه و عشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان و مناقبه لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلات و الكساء و الحباء و القطائع، و يفيضه في العرب منهم و الموالي، فكثر ذلك في كل مصر، و تنافسوا في المنازل و الدنيا.

فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب الى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر و فشا

فى كلِّ مصر، و فى كلِّ وجه و ناحيه، فإذا جاءكم كتابى هذا، فادعوا الناس الى الروايه فى فضائل الصحابه و الخلفاء الأولين، و لا تتركوا خيرا يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب، إلا و أتونى بمناقض له فى الصحابه، فإن هذا أحبِّ إلىّ، و أقرّ لعينى، و أدحض لحجه أبى تراب و شيعته، و أشدّ عليهم من مناقب عثمان و فضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيره فى مناقب الصحابه مفتعله لا- حقيقه لها، و جدّ الناس فى روايه ما يجرى هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، و ألقى الى معلمى الكتاب، فعلموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه و تعلموه كما يتعلمون القرآن، و حتى علموه بناتهم و نساءهم و خدمهم و حشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخه واحده إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البيئه أنه يحب عليا و أهل بيته، فامحوه من الديوان و أسقطوا عطاءه و رزقه. و شفّع ذلك بنسخه اخرى: «من اتهمتموه بموالاه هؤلاء القوم، فنكلوا به و اهدموا داره»، فلم يكن البلاء أشد و لا اكثر منه بالعراق، و لا سيما بالكوفه، حتى ان الرجل من شيعة علىّ عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سره، و يخاف من خادمه و مملوكه، و لا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظه ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع و بهتان منتشر، و مضى على ذلك الفقهاء و القضاة و الولاه.

و كان أعظم الناس فى ذلك بليه القراء المرءون، و المستضعفون الذين يظهرن الخشوع و النسك، فيفتعلون الاحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم، و يقربوا مجالسهم، و يصيبوا به الاموال و الضياع و المنازل، حتى انتقلت تلك الاخبار و الاحاديث إلى يدى الديانين الذين لا يستحلّون الكذب و البهتان، فقبلوها و رووها، و هم يظنون أنها حق، و لو علموا أنها باطله لما رووها و لا تدينوا بها، فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علىّ عليه السلام، فازداد البلاء

و الفتنه، فلم يبق أحد من هذا القبيل الا و هو خائف على دمه، أو طريد فى الارض، ثم تفاقم الامر بعد قتل الحسين عليه السّلام، و ولى عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، و ولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك و الصلاح و الدين ببغض على، و موآله أعدائه، و موآله من يدعى قوم من الناس انهم أعداؤه، فأكثروا فى الروايه من فضلهم و سوابقهم و مناقبهم، و أكثروا من الغض من على و عيبه و الطعن فيه و الشنآن له، حتى ان انسانا وقف للحجاج- و يقال أنه جد الاصمعى عبد الملك بن قريب- فصاح به أيها الاميران أهلى عقونى فسمونى عليا، و انى فقير بائس، و انى إلى صله الامير محتاج، فتضحك له الحجاج و قال: للطف ما توصلت به قد وليتك موضع كذا.

و قال: و قد روى ابن عرفه المعروف بنفطويه- و هو من اكابر المحدثين و أعلامهم- فى تاريخه ما يناسب هذا الخبر.

و قال: ان أكثر الأحاديث الموضوعه فى فضائل الصحابه افتعلت فى أيام بنى اميه تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنف بنى هاشم، و لا يلزم من هذا أن يكون على يسوؤه ان يذكر الصحابه و المتقدمون عليه بالخير و الفضل، لان معاويه و بنى اميه كانوا يبنون الامر من هذا على ما يظنونه فى على عليه السّلام من أنه عدو من تقدم عليه، و لم يكن الامر فى الحقيقه كما يظنون، و لكن كان يرى انه أفضل منهم، و انهم استأثروا عليه بالخلافه من غير تفسيق منه لهم و لا براءه منهم (1).

قلت: أما قوله ليس الامر كما ظننت و ظنوا من كون المراد من قوله «فتقربوا إلى أئمه الضالاه» الثلاثه، و انما يعنى معاويه- إلخ، فغلط، لانه عليه السّلام لم يخبر عن الزمان الآتى بل سئل عليه السّلام عن اختلاف كان قد وقع، فأجاب بما

ص: ٢٣٦

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٤٢: ١١-٤٧. [١]

أجاب، و الرضى و ان أجمل فى قوله «سأله سائل عما فى أيدى الناس من اختلاف الخبر» إلا انك عرفت تفصيله من اسانيد، و ان السائل قال له: سمعت من شيعتك سلمان و المقداد و أبى ذر شيئا فى التفسير و أحاديث عن النبى صلى الله عليه و آله انت تصدقهم، و الناس لا- يقبلونها، و يروون خلافها، فهل كل احاديثهم افتراء على النبى؟ فأجابه عليه السلام بأن الاحاديث عن النبى أربعة اقسام:

احدها الافتراء، و بعضها و هم، و بعضها منسوخ، و غير ذلك. و كيف يحمله على زمان سلطنه معاويه بعده و بنى اميه بعد معاويه و قد قال عليه السلام قبله ان فى أيدى الناس حقا و باطلا- إلى قوله- و قد كذب على رسول الله صلى الله عليه و آله على عهده حتى قام خطيبا- إلخ. ثم كيف يحمل قوله عليه السلام «ثم بقوا بعد النبى، فتقربوا إلى أئمة الضلالة» على ما قال.

و ما رواه عن الباقر عليه السلام و المدائنى و ابن عرفه من كثره جعل الاخبار زمن معاويه و بعده فى عثمان، ثم فى أبى بكر و عمر، ثم فى باقى الصحابه، لا ينافى كون الاساس من زمن الثلاثه قبله عليه السلام، و مما وضع لهم تقريبا إليهم التلقيب بالصديق، و الفاروق، و أمين الامه، و أمين الارض و السماء، و الحوارى، و الستة التى مات النبى صلى الله عليه و آله راضيا عنهم، و العشره التى بشرهم بالجنه، و غير ذلك من كونهم خليفه الرسول و أمير المؤمنين.

و فى (خلفاء ابن قتيبه): فى كيفية بيعه على عليه السلام مع أبى بكر بعد ذكر اراده عمر حرق البيت على على و فاطمه لما تخلف هو و جمع معه، ثم خروج الجمع لما رأوا ذلك للبيعه، و تخلفه عليه السلام معتذرا بحلفه الا- يضع ثوبه على عاتقه حتى يجمع القرآن، فقال عمر لأبى بكر: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعه.

فقال أبو بكر لقنفذ- هو مولى له- ادع لى عليا، فذهب إليه فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفه رسول الله فقال على: لسريع ما كذبتم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرساله، فبكى أبو بكر طويلا، فقال عمر الثانيه: لا تمهل هذا

المتخلف عنك بالبيعه. فقال أبو بكر لقفذ عد إليه، فقل له: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ و أدى ما امر به، فرفع عليّ صوته و قال: سبحان الله لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً -الخبر في اخراج عمر له عليه السلام قهراً و فاطمه تصيح يا أبة يا رسول الله ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبي قحافة، و قول علي ان لم ابايع فمه، و قولهما له اذن و الله نضرب عنقك، و قوله اذن تقتلون أخا رسوله، و انكار عمر كونه أخا الرسول، و لحوق علي بقبر النبي و نداءه يا ابن ام ان القوم استضعفوني، و كادوا يقتلونى (١).

أو ليس المغيرة قال لعمر و كانوا يقولون له خليفه: ألسنا المؤمنين و انت أميرنا؟ قال: بلى. قال: فأنت أمير المؤمنين (٢).

و لعمر الله اذا كان المؤمنون مثل المغيرة، ففاروقهم أمير أولئك المؤمنين، فشكره عمر ذلك و لغيره، فولاه البصره، ثم لما زنا محصنا دافع عنه، و منع زيادا عن أداء الشهاده لثلاث - يثبت عليه الرجم، ثم ولّاه الكوفه ما دامت حياته، ثم تعهد لمعاويه اجراء مقاصده ان ولاه، كما اجرى لعمر مقاصده.

و فى تاريخ الطبرى: لما ولّى معاويه فى سنه (٤١) المغيره الكوفه قال له: أردت ايضاء ك بأشياء كثيره، فانا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضينى، و يسعد سلطانى، و يصلح به رعتى، و لست تاركها ايضاء ك بخصله، لا تتحمّ عن شتم على و ذمه، و الترحم على عثمان و الاستغفار له، و العيب على أصحاب على، و الاقصاء لهم، و ترك الاستماع منهم، و باطراء شيعه عثمان،

ص: ٢٣٨

١- (١) الامامه و السياسه ١: ١٣. [١]

٢- (٢) رواه المسعودى فى مروج الذهب ٢: ٣٠٥ [٢] بالمعنى.

و الادناء لهم، و الاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جربت و جربت، و عملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع و لا رفع و لا وضع -إلخ (١).

و ما ذكره من ان افتعال عمرو بن العاص ان النبي قال «ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء» كان تقريبا منه إلى معاوية، ليس كما قال: و كيف و قد قال شيخه النقيب -و لم يكن اماميا كما نقل في شرح قوله «لله بلاد فلان» -ان الرجل (أى عمر) ما اهمل أمر نفسه في دفع النص على علي، بل أعد أعذارا و اجوبه، و ذلك لانه قال لقوم عرضوا له بحديث النص: ان النبي رجع عن ذلك باقامه أبي بكر مقامه في الصلاة، و أوهمهم ان ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافه -إلى أن قال -ثم عاب عليا بخطبه بنت أبي جهل، فأوهم ان النبي كرهه لذلك، و أرضاه عمرو بن العاص، فروى حديثا افتعله و اختلقه على النبي، قال سمعته يقول «ان آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، انما وليي الله و صالح المؤمنين»، فجعلوا ذلك كالنسخ لقول النبي في علي عليه السلام «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» (٢).

كما أن كثره الافتعالات زمان معاوية و بعده منشؤها الافتعالات أيام الثلاثة، كما أن منشأ خلافه معاوية و من بعده خلافه الثلاثة، و كتب معاوية إلى محمد ابن أبي بكر -لما كان محمد قد كتب إليه: «رأيتك تسامى عليا، و أنت أنت، و هو هو» -فقد كنا و أبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، و قديم سوابقه، و قرابته إلى الرسول صلى الله عليه و آله، و مواساته اياه في كل هول و خوف، فلما اختار الله لنبيه ما عنده كان أبوك و فاروقه أول من ابتزه حقه. إلى أن قال: فخذ حذرک عن أن توازی من أبوك مهّد مهاده، و بنى له ملكه و شاده، فان يك ما نحن فيه

ص: ٢٣٩

١- (١) تاريخ الطبري ١٨٨: ٤-سنه ٥١. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨٨: ١٢ و ٩٠. [٢]

صواباً فأبوك استبد به، ونحن شركاؤه، ولو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلنا إليه، ولكننا رأينا أباك فعل به ذلك من قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أياك بما بدا لك أودع ذلك (١).

و أما قول ابن أبي الحديد: ولسنا نجحد فضل عثمان و سابقته، و لكننا نعلم ان بعض الأخبار الواردة فيه موضوع، فيقال له: ثبت له فضلا و سابقه غير الدفاع عن أعداء الاسلام كالمغيره بن أبي العاص، و ابن أبي سرح، و الحكم بن أبي العاص، و توليه دبره في الجهاد، لا- سيما في أحد، ففر الى جبل، و اختفى فيه ثلاث ليال، حتى قال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله «لقد ذهبت فيها عريضه طويله» (٢) و لواحقه معلومه.

و قوله: و ليس يجب من قولنا أن بعض الأخبار الواردة في حق فاضل مفتعله أن تكون قادحه في فضله، صحيح كبرى إلا- أن صغراه في مورد عثمان سابقه و لاحقه.

و أما قوله: أن أكثر الأحاديث الموضوعه في فضائل الصحابه افتعلت في أيام بنى اميه تقرّبا إليهم بما يظنون انهم يرغبون به أنف بنى هاشم، فقالوا: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، و هو عكس، و قال: انا الغائب أرى ما لم يروه.

و قوله: و لا- يلزم من هذا أن يكون على يسوؤه أن يذكر الصحابه و المتقدمون عليه بالخير و الفضل، فيه- بعد الغض عن عدم فضل لهم، فلم يذكر الثاني للأول يوم السقيفه إلا كونه صاحب الغار، و أمره بالصلاه، و لا يخفى ما فيهما من العوار- أنه لا يمكن أن يكتب معاويه الى محمد بن أبي بكر

ص: ٢٤٠

١- ١) رواه ابن مزاحم في وقعه صفين: ١١٨، و [١] المسعودى في المروج ٣: ١١، و [٢] البلاذرى في انساب الاشراف ٣٩٣: ٢. [٣]

٢- ٢) رواه الطبرى في تاريخه ط: ٢٠٣، سنه ٣.

بما لا يعرف من حال أبيه و صاحبه معه عليه السّلام، و قد عرفت مقداراً مما كتب إليه، و ممّا كتب إليه: ان أباك و صاحبه دعواه الى بيعتهما، فأبطأ عنهما، و تلكاً عليهما، فهما به الهموم، و أرادا به العظيم، ثم أنّه بايعهما، و سلّم لهما، و أقاما لا يشركانه أمرهما، و لا يطلعانه على سرّهما- إلخ (١).

و كيف لا- يسوؤه ما قال و هو أمر فطري، إلا ان هؤلاء ينكرون البديهيّات، و يجمعون بين المتناقضات، و معاويه و باقى بنى اميه و ان كانوا جابره و فجره كفره، الا انهم لم يكونوا سفهاء مثل هؤلاء يجمعون بينه عليه السّلام و بين الثلاثه، فتضاده معهم لا سيما الأخير كتضاد النبي صلّى الله عليه و آله مع أبى جهل، و كتضاده مع مسيلمه، و انما كانوا يتقون.

و كيف لا- و قد كتب معاويه الى الحسن عليه السّلام جواب كتابه فى الشكاية منهم «ذكرت تنازع المسلمين الأمر بعد النبي، فصرحت بتهمة ابى بكر الصديق، و عمر الفاروق، و أبى عبيده الأمين، و حوارى النبي، و صلحاء المهاجرين و الأنصار، فكرهت ذلك لك، أنّك امرؤ عندنا و عند الناس غير الظنين، و لا المسىء، و لا اللئيم، و أنا أحب لك القول السديد، و الذكر الجميل» (٢).

و قوله: و لم يكن الأمر فى الحقيقة كما يظنونه، و لكنه كان يرى أنّه أفضل منهم، و انهم استأثروا عليه بالخلافه من غير تفسيق منه لهم و لا- براه منهم، كلام غير معقول، فالخلافه ان كانت من الله كما هو معتقده عليه السّلام فقيام غيره بها يكون مثله مثل قيام مسيلمه فى قبال النبي صلّى الله عليه و آله، فهل يعقل أن يرضى به النبي، و ان كانت مجرد رئاسه و سلطنه- و يدعى الخصم خلافه، فقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لتعبيره عن أبى بكر بقوله له «صاحبك»،

ص: ٢٤١

١- ١) رواه ابن مزاحم فى وقعه صفين: ١٢٠ و [١] المسعودى فى المروج ٣: ١٢ و [٢] البلاذرى فى أنساب الأشراف ٣٩٦: ٢. [٣]

٢- ٢) رواه أبو الفرج فى مقاتل الطالبين: ٣٦. [٤]

فجعل ذلك ارتداداً منه، و ان غالط عمر يوم السقيفه فقال لأبى بكر:رضيك النبي لدينا بأمرك الصلاه،فلا نرضاك لدينا نجعلك خليفه (١)-فكيف يعقل الا يبرأ منهم بعد حصول هذه المفاصد فى الدين من قيام عثمان و معاويه و يزيد و باقى بنى اميه،و بعد حصول القتل و الأسر و الحبس له و لأهل بيته، و لوقوع شيعته فى تلك الشدائد،هل يعقل ذلك عند غيبى لو لا المكابره،و انما شىء نسه بنو اميه إليه عليه السلام كذبا تصديه لقتل عثمان.

قال ابن الحديد:و اعلم ان أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهه الشيعة،فانهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلقه فى صاحبهم حملهم على وضعها عداوه خصومهم نحو حديث السطل،و حديث الرمانه، و حديث غزوه البئر التى كان فيها الشياطين و يعرف-كما زعموا-بذات العلم، و حديث غسل سلمان الفارسى،و طى الأرض،و حديث الجمجمه،و نحو ذلك، فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابله هذه الأحاديث،نحو«لو كنت متخذاً خليلاً»فانهم وضعوه فى مقابله حديث «الاخاء»،و نحو«سد الأبواب»فأنه كان لعلى عليه السلام فقلبت البكرية الى أبى بكر، و نحو«إيتونى بدواه و بياض اكتب فيه لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه اثنان.ثم قال:يأبى الله و المسلمون إلا أبا بكر»فانهم وضعوه فى مقابله الحديث المروى عنه فى مرضه«إيتونى بدواه و بياض اكتب لكم ما لا تضلون بعده،فاختلفوا عنده،و قال قوم لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله»،و نحو حديث«أنا راض عنك فهل أنت راض عنى»و نحو ذلك،فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا فى وضع أحاديث،فوضعوا حديث الطوق الحديد الذى زعموا أنه قتله فى عنق خالد،و حديث اللوح الذى زعموا أنه كان فى غدائر الحنفيه أم محمد،و حديث

ص:٢٤٢

١-١) روى هذا المضمون الجوهري فى السقيفه:٦٣ و غيره. [١]

«لا يفعلن خالد ما أمر به»، و حديث الصحيحه التي علقته عام الفتح بالكعبه، و حديث الشيخ الذي صعد المنبر يوم بويج أبو بكر فسبق الناس الى بيعته، و أحاديث مكذوبه كثيره تقتضى نفاق قوم من أكابر الصحابه و التابعين الأولين و كفرهم و على أدون الطبقات و فسقهم، فقابلتهم البكريه بمطاعن كثيره فى على عليه السّلام و فى ولديه، و نسبوه تاره الى ضعف العقل، و تاره الى ضعف السياسه، و تاره الى حب الدنيا و الحرص عليها، و لقد كان الفريقان فى غنيه عمّا اكتسباه و اجترحاه، و لقد كان فى فضائل على عليه السّلام الثابته الصحيحه و فضائل أبى بكر المحققه المعلومه ما يغنى عن تكلف العصبيه لهما، فان العصبيه لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل الى ذكر الرذائل، و من تعديد المحاسن الى تعديد المساوى و المقايح، نسأل الله أن يعصمنا من الميل الى الهوى (١).

قلت: كلامه كلّه خلط و خبط، أما قوله: أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهه الشيعة، فمضحك، فهو قد نقل قول معاويه فى كتابه الى عماله «لا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب، ألا و أتونى بمناقض له فى الصحابه، فإن هذا أحبّ الىّ و أقرّ لعينى، و ادحض لحجّه أبى تراب و شيعته، و أشدّ إليهم من مناقب عثمان و فضله» (٢)، فتراه يعترف بأن أحاديث فضائله عليه السّلام روتها فرق المسلمين، و أمر بجعل أخبار فى الفضائل للشيخين ليدحضوا حجّه الشيعة بتفردّه عليه السّلام بالفضائل، فليتفرد بالإمامه بحسب الفطره و قضيه العقول.

ص: ٢٤٣

١-١ شرح ابن أبى الحديد ١١:٤٨. [١]

٢-٢ رواه المدائنى فى الأحداث كما فى شرح ابن أبى الحديد ١١:٤٥، و [٢] روى هذا الكتاب بفرق يسير سليم بن قيس فى كتابه: ٢٠٤، و الطبرسى فى الاحتجاج ٢:٢٩٥. [٣]

و قوله: حملهم على وضعها عداوه خصومهم، كلام بلا- معنى، و انما كان له معنى لو كان قد قال وضعوا أحاديث في مثالب الشيخين لعداوه خصومهم.

و قوله: نحو حديث السطل، خبط، فانه روته العامه، رواه أخطب خطباء خوارزم في (مناقبه) عن رجالهم عن أنس، و رواه ابن المغازلي في (مناقبه) و ابن منده الاصفهاني في كتابه، و رواه الكنجي الشافعي في (مناقبه) و قال بعده: «هذا حديث حسن عال، و غالب رواته الفقهاء الثقات»، و رواه ابن سويده التكريتي في كتاب (الإشراف على مناقب الأشراف) (١)، و لم يعلم روايه الشيعة له، و لا أنهم استصحوها من روايه العامه.

قوله: و حديث الرمانه، أيضا خبط، فانما روته العامه عن أنس، و لم تروه الشيعة (٢).

و أما قوله: و حديث غزوه البئر التي كان فيها الشياطين، فروته العامه و الخاصه، و انما أنكره ابن أبي الحديد لكونه معتزليا، و في الإرشاد للمفيد بعد نقل الخبر، و نقله الخوئي أيضا: المعتزله لميلها الى مذاهب البراهمه تدفعه، و لعبدها عن معرفه الأخبار، و هي سالكه في ذلك طريق الزنادقه فيما طعت به في القرآن، و ما تضمنه من أخبار الجن، و ايمانهم بالله و رسوله، و ما قص الله

ص: ٢٤٤

١- ١) رواه الخوارزمي في مناقبه: ٢١٥، و ابن المغازلي في مناقبه: ٩٤ ح ١٣٩ و الكنجي في كفايه الطالب: ٢٨٩، و [١] ابن منده في كتابه كما يظهر من اسناد ابن المغازلي و الصدوق و ابن سويده في الأشراف كما نقل عن الكنجي في الكفايه: ٢٩٥ و [٢] روى الحديث من الشيعة الصدوق في أماليه: ١٨٧ ح ٤، المجلس ٤٠، من طرق أهل السنه و بعض آخر بلا اسناد.

٢- ٢) هذا الحديث رواه السروي في مناقبه: ٢٣٠: ٢ و ٢٣١ عن أنس و ابى الحمراء و جاء بطرق عديده في كتب الشيعة عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام كما في الكافي: ٢٤٣: ١ ح ٣-١، و بصائر الدرجات: ٣١٢ و ٣١٣ ح ١-٥ و غيرهما.

من نبئهم فى القرآن فى سورة الجن، و قولهم «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ» (١)-الى آخر ما تضمنه الخبر عنهم فى هذه السوره. و إذا بطل اعتراض الزنادقه فى ذلك بتجويز العقول وجود الجن، و امكان تكليفهم، و ثبوت ذلك مع اعجاز القرآن، و الاعجوبه الباهره فيه، كان مثل ذلك ظهور بطلان طعون المعتزله فى الخبر الذى رويناه، لعدم استحاله مضمونه فى العقول، و فى مجيئه من طريقين مختلفين، و بروايه فريقين متباينين برهان صحته.

و ليس إنكار من عدل عن الانصاف فى النظر من المعتزله و المجره قدح فيما ذكرناه من وجوب العمل عليه، كما أنه ليس فى جحد الملاحده و أصناف الزنادقه، و اليهود و النصارى، و المجوس و الصابئين لما جاء صحته من الأخبار بمعجزات النبى صلى الله عليه و آله كانشقاق القمر، و حنين الجذع، و تسبيح الحصى فى كفه، و شكوى البعير، و كلام الذراع، و مجىء الشجر، و خروج الماء من بين أصابعه فى الميضاه، و اطعام الخلق الكثير من الطعام القليل، قدح فى صحتها و صدق رواتها و ثبوت الحجّه بها، بل الشبهه لهم فى دفع ذلك و ان ضعفت أقوى من شبهه منكرى معجزات أمير المؤمنين عليه السلام و براهينه، لما لاخفاء عليها و على أهل الاعتبار به مما لا حاجه بنا الى شرح وجوهه فى هذا المكان، و لا أزال أجد الجاهل من الناصبه و المعانده يظهر التعجب من الخبر بملاقاه أمير المؤمنين عليه السلام الجن، و كفه شرهم عن النبى صلى الله عليه و آله و أصحابه، و يتضحك لذلك، و ينسب الروايه الى الخرافات الباطله، و يصنع مثل ذلك فى الأخبار الوارده بسوى ذلك من معجزاته عليه السلام، و يقول انها من موضوعات الشيعه، و تخرص ممن افترى

ص: ٢٤٥

منهم للتكسب بذلك أو التعصب.

و هذا بعينه مقال الزنادقة كافة و أعداء الاسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجن و اسلامهم فى قوله تعالى: «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» (١) و فيما ثبت الخبر به عن ابن مسعود فى قصه ليله الجن و مشاهدته لهم كالزط (٢)، و فى غير ذلك من معجزات النبى صلى الله عليه و آله، و أنهم يظهرون التعجب من جميع ذلك، و يتصاحكون عند سماع الخبر به و الاحتجاج بصحته، و يستهزئون و يلغظون فيما يسرفون به من سب الاسلام و أهله، و استحماق معتقديه و الناصرين له، و نسبتهم إياهم الى العجز و الجهل و وضع الأباطيل، فلينظر القوم ما جنوه على الاسلام بعد اوتهم لأمر المؤمنين عليه السلام، و اعتمادهم فى دفع فضائله و آياته على ما يضاؤون به أصناف الزنادقة و الكفار مما يخرج عن طريق الحجاج الى أبواب الشغب و المسافهات (٣).

و أما قوله: و حديث غسل سلمان الفارسى، و طى الأرض، و حديث الجمجمه، و نحو ذلك، فالغسل و الجمجمه لم يرويا فى كتاب معتبر و لا فى سند معتبر، حتى ان الكشى من علماء الشيعة مع شهرته عندهم بروايه المراسيل عنون سلمان الفارسى فى كتابه و لم يذكر حديث الغسل (٤)، و أما طى الأرض فقد روته العامه، رواه ابن المغازلى فى (مناقبه) و الثعلبى فى (تفسيره) عن أنس قال: اهدى للنبي صلى الله عليه و آله بساط فقال لى: يا أنس ابسطه،

ص: ٢٤٤

١- ١) الجن: ١ و ٢. [١]

٢- ٢) رواه الجاحظ فى كتاب الفتيا عنه الفصول المختاره ١٦٤: ٢.

٣- ٣) الإرشاد: ١٨٠ و [٢] شرح الخوئى ٣١٨: ٦، و النقل بتلخيص.

٤- ٤) حديث غسل سلمان رواه الراوندى فى الخرائج عنه البحار ٢٢: ٣٦٨ ح ٧، و [٣] السروى فى مناقبه ٢: ٣٠١ و شاذان بن جبرئيل فى الفضائل: ٨٦، و حديث الجمجمه رواه السروى فى مناقبه ٢: ٣٣٦، و صاحب عيون المعجزات كما فى البحار ٤١: ٢١٥ و [٤] شاذان فى الفضائل: ٧٠ و ٧٢.

فبسطته، ثم قال ادع العشره فدعوتهم، فلما دخلوا عليه أمرهم بالجلوس على البساط، ثم دعا عليًا، فواجه طويلًا، ثم رجع، ثم قال: يا ريح احملينا، فاذا البساط يدفّ دفا، ثم قال: يا ريح ضعينا، ثم قال أ تدرّون في أى مكان أنتم؟ قلنا:

لا. قال: هذا موضع الكهف و الرقيم، قوموا فسلموا على اخوانكم. قال أنس:

فقمنا رجلا رجلا، فسلمنا، فلم يردوا علينا. فقام على عليه السّلام، فقال: السلام عليكم يا معشر الصديقين و الشهداء. فقالوا: و عليك السلام و رحمه الله و بركاته.

فقلت: ما بالهم ردوا عليك و لم يردوا علينا؟ فقال لهم: ما بالكم لا تردّون على اخوانى؟ فقالوا: أنا معشر الصديقين و الشهداء لا نكلّم بعد الموت إلاّ نبيا أو وصيا-الخبر (١). و لا نلتزم بصحته.

و يكفيننا تواتر صدور المعجزات عنه عليه السّلام كما عن النبي صلّى الله عليه و آله، و منها فى اخباره عليه السّلام بالغيوب التى رواها المخالف، و لا ننكر وضع جمع من الغلاه أحاديث له عليه السّلام.

قال شيخنا محمد بن على بن بابويه فى (فقيهه): أن روايات كون الشهاده بالولايه جزء الاذان من وضع الغلاه (٢).

و قال ابن شهر آشوب فى (مناقبه): روت الغلاه أنه عليه السّلام صعد الى السماء على فرس و ينظر اليه أصحابه، و روت الغلاه فى حصن ذات السلاسل انه عليه السّلام مر فى الهواء و الترس تحت قدميه، و نزل على الحائط، و ضرب السلاسل ضربه واحده فقطعها و سقطت الغزائر و فتح الحصن (٣). و وضع الغلاه فيه ليس نقصا فيه و لا فى شيعته، كوضع الغلاه فى عزيز أنه ابن الله،

ص: ٢٤٧

١- ١) أخرجه ابن المغازلى فى مناقبه: ٢٣٢ ح ٢٨٠ و الثعلبى فى تفسيره عنه الطوائف ١: ٨٣ و [١] أبو اسحاق القزوينى فى تفسيره عنه سعد السعود: ١١٢ و [٢] السروى بطرق فى مناقبه ٢: ٣٣٧.

٢- ٢) الفقيه ١: ١٨٨.

٣- ٣) مناقب السروى ٢: ٢٩٩.

و في المسيح أنه ابن الله.

و نحن نقلب عليه قوله: «ان أصل الأكاذيب كان من جهة الشيعة» ان الأصل فيها معاندوهم العامه تهجينا لهم، فقد قال الباقر عليه السلام- فيما روى عنه- ان أعداءنا رووا عَنَّا ما لم نقله و ما لم نفعله ليغضونا الى الناس (١).

و في (عيون ابن بابويه): ان إبراهيم بن أبي محمود قال للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ان عندنا أخبارا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام و فضلكم أهل البيت، و هي من روايه مخالفيكم، و لا نعرف مثلها عندكم، أفنديين بها؟ فقال: ان مخالفينا وضعوا أخبارا في فضائلنا، و جعلوها على ثلاثه أقسام: أحدها الغلو، و ثانيها التقصير في أمرنا، و ثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، و نسبوههم الى القول بربوبيتنا، و إذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، و إذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبوا بأسمائنا (٢).

و أما قوله: فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابل هذه الأحاديث نحو «لو كنت متخذًا خليلًا» فانهم وضعوه في مقابله حديث الاخاء، فالظاهر أنه لم يدر ما يقول. فهل حديث اخائه عليه السلام مما صنعت الشيعة، أو من الأخبار المتواتره التي صنفت فيه الكتب، و قد أخرجه أحمد ابن حنبل أحد أئمتهم الأربعة، و الترمذى صاحب أحد صحاحهم الستة (٣).

و قوله: و نحو سدّ الأبواب، فإنه كان لعلّى عليه السلام، فقلبت البكرية الى أبي بكر، عجيب، فإنه يثبت قول معاويه بوضع الفضائل للشيخين في مقابل كلّ

ص: ٢٤٨

١- ١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١١: ٤٣.

٢- ٢) عيون الأخبار ١: ٢٣١. [١]

٣- ٣) أخرجه أحمد في الفضائل كما في كفايه الطالب: ١٩٤، و الترمذى في سننه ٥: ٦٣٦ ح ٣٧٢.

فضيله له عليه السّلام، لا- قوله «لما رأَت البكريه ما صنعت الشيعة»، و كان عليه أن يقول: فلما رأَت البكريه ما صنع الله تعالى له أرادوا إطفاء نوره.

ثم ان الشيعة قالت سدّت الأبواب إلا باب على عليه السّلام لكونه كنفس النبي صلّى الله عليه وآله، و أما هم فلم خصوه بأبي بكر، فان كان هو الصديق فهو الفاروق، و كان أبو بكر في خلافته محتاجا الى عمر، فطلب من اسامه أن يخلفه عنده و ان كان النبي صلّى الله عليه وآله عيّنه مثله في جيشه و لعن المتخلف، و لم يكن عمر محتاجا اليه، فاستقل بالامور، فلم يستدع عمر كوه فلم يجب اليها، و في بعض أسانيده التي رواها ابن سعد الناصبي: ان الناس لما قالوا: أغلق أبو ابنا و ترك باب خليفه، قال النبي: انى أرى على باب أبي بكر نورا، و أرى على أبوابكم ظلمه (١). فلا- بد أن فاروقهم ممّن قال تعالى: «و الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (٢) فكيف صار فاروقا و صار خليفه.

و قد يضعون في مقابل الشيعة ان يضموا الى فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام و شيعته فضائل مجاعل لأئمتهم، نظير ما في (الاستيعاب): عن أبي سعيد الخدرى قال: قال النبي: ارحم امتى فيها أبو بكر، و أقواهم في دين الله عمر، و أصدقهم حياء عثمان، و أقضاهم على بن أبي طالب، و أفرضهم زيد، و أقرؤهم لكتاب الله ابى بن كعب، و أعلمهم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل، و أمين هذه الامه أبو عبيده بن الجراح، و أبو هريره و عاء للعلم، و عند سلمان علم لا يدرك، و ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء

ص: ٢٤٩

(١-١) طبقات ابن سعد ٢: [١] ق ٢٥٢.

(٢-٢) البقره: ٢٥٧. [٢]

من ذى لهجه أصدق من أبى ذر (١).

فهل كان من رحم أبى بكر أن يسلط خالد بن الوليد الذى كان صنعه صنع الجاهليه، كما ثبت من أيام النبى صَلَّى الله عليه وآله على المسلمين، حتى يقتلهم بغير حق و يزنى مع نسائهم و لا- يؤاخذه، فقتل خالد غير مالك بن نويرة عبد العزى بن أبى رهم النمري و لبید بن جرير، مع أنه كان معهما كتاب من أبى بكر باسلامهما. و فى (تاريخ الطبرى): كان عمر يعتمد على خالد- أى: فى جنایاته و خیاناته- بقتل عبد العزى و لبید مضافا الى قتل مالك بن نويرة، فيقول أبو بكر- أى: فى الاعتذار لخالد- كذلك يلقى من ساكن أهل الحرب فى ديارهم (٢).

و هل كان من قوه عمر فى الدين أن يمنع النبى صَلَّى الله عليه وآله عن الوصيه، و ينسبه فى استدعائه لما يكتب به وصيه الى الهجر و الهذيان، و ان يحرق أهل بيت نبيه حتى فاطمه بضعته، لو لم يخرجوا للبيعه مع صاحبه.

و هل كان من حياء عثمان ان أهل مصر لما فزعوا اليه من ابن أبى سرح المنافق الذى أباح النبى صَلَّى الله عليه وآله دممه، و كان قد ولّاه عليهم، أن يبذله بمحمد بن أبى بكر، أجابهم فى الظاهر، و كتب اليه فى السر أن يبقى على عمله، و ان يقتل أولئك الجماعه، و يسمل أعينهم، و يقطع أيديهم و أرجلهم.

و إذا كان زيد أفرضهم فلم مات أبو بكر و فى نفسه من ميراث الجد شىء، و قضى عمر فى الجد مائه قضيه مختلفه، ألم يرجع اليه فى ذلك حتى يخرجهما من الحيره.

و اذا كان أبى بن كعب أقرأهم لم حرق عثمان مصحفه.

و إذا كان معاذ أعلم بالحلال و الحرام فلم حرّم عمر ما حلله الله،

ص: ٢٥٠

١- ١) الاستيعاب ٨: ١. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٥٨١: ٢ سنة ١٢. [٢]

و أحلّ ما حرمه الله.

و أما أبو عبيده فصدق في كونه أميناً، إلا أنه لعمر الله كان أمين شيخى الامه لا أمين الامه.

و أما أبو هريره فان كان وعاء للعلم فلم ضربه عمر بالدره، و نسبه الى الوضع، و نسبه عائشه الى الكذب.

و هذا الضم أحد أنحاء تليساتهم في ترويح زيف نفودهم، و الأصل فيه عمر في شوره في حديثه ان النبي صَلَّى الله عليه و آله مات و هو راض عن هؤلاء الستة، و ابن عمه سعيد بن زيد في حديثه العشره المبشره، كما ان أحد أنحاءها وضعهم أحاديث غلو فيهم عليهم السّلام حتى يجعلوا ذلك دليل بطلانهم كما عرفت.

و مما وضعوا في مقابل خبر رواه بعض الشيعة - و رواه أعمم الكوفي منهم - أنه صَلَّى الله عليه و آله فوّض اليه عليه السّلام طلاق نسائه لو خالفنه فطلق عائشه (١) «ان النبي قال ان عائشه زوجتى في الدنيا و الآخرة» (٢).

و مما وضعوا في مقابل خبر اتباع النبي صَلَّى الله عليه و آله ناقيه من اعرابي، ثم أنكر بعد، و عدم عرفان شيخيهما الحكم فيه (٣) ما في (طبقات ابن سعد): ان النبي صَلَّى الله عليه و آله ابتاع بعيرا من رجل الى أجل، فقال الرجل: ان جئت فلم أجدك؟ قال:

فأت أبا بكر. قال: فان جئت فلم أجد أبا بكر؟ قال: فأت عمر. قال: فان جئت فلم

ص: ٢٥١

١ - ١) رواه أعمم الكوفي في الفتوح، و من الشيعة الصفار في البصائر: ٣١٤ ح ٩، و الصدوق في كمال الدين ٢: ٤٥٩ و السروي في مناقبه ٢: ١٣٣ و ١٣٤.

٢ - ٢) أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابه عنه منتخب كنز العمال ٥: ١١٧، عن ابن عباس عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و الحاكم في المستدرک ٤: ١٠ عن عائشه عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و روى أيضا عن ضميره بن حبيب و عيسى بن طلحه و مسلم البطين و أبي محمد مولى الغفاريين مرفوعا و عن علي عليه السّلام و عمّار موقوفا.

٣ - ٣) رواه السروي في مناقبه ٢: ٣٥٧.

أجد عمر؟ قال: ان استطعت أن تموت إذا مات عمر فمت (١). فما روه يدل على طمس نور ذى نورهم، و ان من أدرك زمانه يجب أن يموت.

و من العجيب أن صاحب (الاستيعاب) بدّل قول عثمان-لما قال ابن عوف لأهل الشورى: أيكم يخرج منها نفسه، و يتقلدها على أن يوليها أفضلكم، و لم يجبه أحد، فقال: انا انخلع منها-أنا أول من رضى، فإنى سمعت النبى يقول «أنت أمين فى الأرض، و أمين فى السماء» كما جاء فى (تاريخ الطبرى)، فنسبه الى على عليه السّلام، فقال فى كتابه: ان عبد الرحمن بن عوف قال لأصحاب الشورى: هل لى أن اختار لكم و انتفى منها. قال على عليه السّلام: أنا أول من رضى، فأتى سمعت النبى صلّى الله عليه و آله يقول: «أنت أمين فى أهل السماء و أمين فى أهل الأرض» (٢). فهذه شده صلابه الوجه فى الوضع، فان محاجاته عليه السّلام يوم الشورى مع ابن عوف و غيره ملأت ما بين السماء و الأرض.

و فى تاريخ الطبرى ان عثمان لما قال لابن عوف ما مر و قال القوم:

رضينا و على ساكت، قال له ابن عوف: ما تقول أنت؟ قال: اعطنى موثقا لتؤثرن الحق، و لا تتبع الهوى، و لا تخص ذا رحم، و لا تألو الامه-الى أن قال بعد بيعه ابن عوف لعثمان-قال على لابن عوف: حبوته حبو دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون. و الله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر اليك، و الله كلّ يوم هو فى شأن. فقال ابن عوف: يا على لا تجعل على نفسك سيلا-مهردا له بضرب عنقه ان خالف كما أمر عمر (٣)-فهل قلّه حياء أكثر من هذا.

ص: ٢٥٢

١- (١) طبقات ابن سعد ٢: [١] ق ٢٥٠٢.

٢- (٢) الاستيعاب ٣: ٣٩٥ و [٢] تاريخ الطبرى ٣: ٢٩٥ [٣] لسنة ٢٣.

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٣: ٢٩٥ و ٢٩٧، سنة ٢٣. [٤]

و من المضحك ان الإماميه لما رووا عن أسيد بن صفوان الصحابي حضور الخضر عليه السلام في وفاه أمير المؤمنين، و ثنائه عليه بما في خبره، و قد رواه محمد بن يعقوب الكليني في باب مولده (١)، بدله صاحب (الاستيعاب) بثنائه على أبي بكر عن أسيد ذاك، فقال روى أسيد عن علي حديثا حسنا في ثنائه على أبي بكر (٢)، و لا يكاد تعجبي ينقضى منه، فانه نهى الخبر في سنده و متنه، سنده من الثلاثة الأخيره، و متنه بتمامه، إلا أنه بدل «رجلا غاب» المراد به الخضر عليه السلام.

و من المضحك ما وضعوه على لسان الهواتف، ففي (طبقات ابن سعد):

ان النبي و أبا بكر لما نزلا- في هجرتهم خيمه أم معبد أصبح بمكة صوت عال بين السماء و الأرض يسمعونه و لا يرون من يقول، و هو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي ام معبد (٣).

فلم يقنعوا بكونه صاحبه، بل جعلوه معادله كرفيقين من باقي الطبقات يسافران معا.

و من المضحك ما رواه ابن سعد أيضا: ان النبي خرج و معه أبو بكر، فعرض له سراقه بن جعشم، فساخت فرسه، فقال: يا هذان ادعوا لي الله و لكما الا- أعود، فدعوا الله، فعاد، فساخت، فقال ادعوا الله لي و لكما الا- أعود، و عرض عليهما الزاد و الحملان، فقال: اكفنا نفسك. فقال: قد كفتكماها (٤).

فجعلوه شريكا للنبي صلى الله عليه و آله في المعجزه، فلم لا يقولون نشهد أن محمدا و أبا بكر رسول الله، فيخسوه حقه، الا أنهم ليضعوا ما شاءوا، و يجعلوه فوق

ص: ٢٥٣

١- (١) الكافي ١: ٤٥٤ ح ٤. [١]

٢- (٢) الاستيعاب ١: ٦٩. [٢]

٣- (٣) طبقات ابن سعد ٨: ٢١١. [٣]

٤- (٤) طبقات ابن سعد ١: [٤] ق ١٥٧١.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فقالوا ان النبي ركب خلف أبي بكر، و الناس في الطريق يعرفون أبا بكر لكونه شيخا و لا يعرفون النبي لكونه شابا، و يقولون له من هذا الغلام؟ فمع قطع النظر عن مقام النبوه جعلوا ابن ابى قحافه أعرف من ابن عبد المطلب، و كيف يعقل ألا يعرف من كان مضى من ادعائه النبوه ثلاث عشره سنه، و كيف لم يستحيوا في كذبهم و هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقت هجرته كان ابن ثلاث و خمسين سنه، بعث و هو ابن اربعين، و أقام بمكه ثلاث عشره سنه، ثم هاجر، يجعلونه هم شريك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و فوقه، و انَّ اللهُ تعالى أخرجه من الايمان في صحابته الغار، فخص النبي بإنزال السكينه في آيه الغار، مع انه قال في نبيه و في المؤمنين «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (١) و في المؤمنين: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ» (٢) «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ» (٣) فقال في آيه الغار: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيْدِيَهُمْ يُجْنُونَ لَمْ تَرَوْهَا» (٤).

بل أخرجه منه أيضا في قصه حنين، فإن الرجل لما رأى كثره جنود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حنين أعجبه كثرتهم فقال: لن نغلب اليوم من قله، ثم انهزم فيمن انهزم، و فر فيمن فر، و انما ثبت أمير المؤمنين عليه السلام مع جمع، فأنزل تعالى: «و يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ١.

ص: ٢٥٤

١-١ (١) الفتح: ٢٦. [١]

٢-٢ (٢) الفتح: ١٨. [٢]

٣-٣ (٣) الفتح التوبه: ٤. [٣]

٤-٤ (٤) ٤٠: ٤٠.

بل أخرجه منه أيضا فى قصه حنين، فإن الرجل لما رأى كثره جنود النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فى حنين أعجبتهم كثرتهم فقال: لن نغلب اليوم من قله، ثم انهزم فيمن انهزم، و فر فيمن فر، و انما ثبت أمير المؤمنين عليه السّلام مع جمع، فأنزل تعالى: «وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا (١)».

و أما قوله: و نحو «إئتوني بدواه و بياض اكتب فيه لأبى بكر كتابا لا- يختلف عليه اثنان، ثم قال يأبى الله و المسلمون إلا- أبا بكر» فانهم وضعوه فى مقابله الحديث المروى عنه فى مرضه «إئتوني بدواه و بياض اكتب لكم ما لا تضلون بعده، فاختلفوا عنده، و قال قوم لقد غلبه الوجد، حسبنا كتاب الله»، فكسابقه فى الخلو عن الربط، فإنه ليس منقبه مجعوله لأبى بكر فى مقابله منقبه مجعوله له عليه السّلام كما هو مدعاه، بل هى منقبه مجعوله لأبى بكر فى مقابله مثله محققه لعمر قد أطبق كتب صحاحهم و سيرهم و تواريخهم على نقلها، و كان ابن عباس يبكى بكاء الشكلى إذا ذكرها، و تجرى دموعه على وجهه، و يقول الرزیه كلّ الرزیه ان حيل بين نبينا و الوصيه.

و مثله فى الخلو عن الربط قوله: و نحو حديث «انا راض عنك يا أبا بكر، فهل أنت عنى راض» جعلوا الله مشفقا من أبى بكر ألا يرضى عنه، فيحصل الخلل فى ألوهيته، و لا أقل إلا يعبده اتباعه.

و أما قوله: فلما رأّت الشيعه ما قد وضعت البكریه أوسعوا فى وضع الأحاديث، فكسابقه فى الخلو عن المعنى، فلم يدر ما يقول، فالشيعه يخلون رواياتهم و يكفيهم كتاب فضائل أحمد بن حنبل أحد أئمتهم الأربعة، و تفسير الثعلبى امامهم فى التفسير، و يكفيهم فى وضع خصومهم كلام أئمه تاريخهم و سيرهم المدائنى، و الاسكافى، و غيرهما.

و أما قوله: فوضعوا حديث الطوق الحديد الذى زعموا أنه قتله فى عتق خالد، و حديث اللوح الذى زعموا أنه كان فى غدائر الحنفيه أم محمد، فنسبتهما الى الشيعه غلط، فليسا فى كتاب معروف و لا قال بهما معروف، فهل رأى

ص:

(١-١) روى هذا السبب فى نزول الآيه الواقدى فى مغازيه ٣:٨٩٠، و الآيتان ٢٥ و ٢٦ من سوره التوبه. [١]

شيئا منهما في كتب المفيد أو المرتضى أو غيرهما من المعروفين.

و أما قوله: و حديث «لا يفعلن خالد ما أمر به»، فقد روت ذلك العامه، ففي (مسترشد ابن رستم الطبرى) روى صناديدهم سفيان بن عيينه، و الحسن بن صالح بن حى، و وكيع بن الجراح، و عباد بن يعقوب الأسدى عن عمرو بن أبى المقدام عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ان أبا بكر قال لخالد ابن الوليد: إذا انصرف من الفجر فاضرب عتق على، فصلّى، ثم ندم، فجلس فى صلاته حتى كادت الشمس أن تطلع، ثم قال فى صلاته: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به - ثلاثا - فالتفت على، فإذا خالد مشتمل على السيف فى جانبه، فقال: يا خالد اذن كنت فاعلا. فقال: أى و الله لو لا أنه نهانى. فقال له:

كذبت أنت أضيع حلقه است من ذلك، أما و الذى فلق الحبه و برأ النسمة لو لا ما سبق به القضاء لعلمت أى الفريقين شر مكانا و أضعف جندا. فقيل لسفيان و ابن حى: ما تقولان فى ما كان من الأول فى ذلك؟ فقالا: كانت سبه لم تتم. ثم جعل سفيان هذا الفعل أصلا و قال فى الرجل: إذا أحدث قبل أن يسلم إذا فرغ من التشهد ان صلاته تامه. قال: فكره على عليه السلام أن يقدم عليه حتى استثبت و أوجب الحجّه عليه، فقال: أبعد قول رسول الله «من كنت مولاه فعلىّ مولاه»، و بعد قوله «أنت منى بمنزله هارون من موسى»، و بعد كذا و كذا - و عدد خصالا هذه سبيلها - قال: نعم، فقبض على صدره بيده، فجعل يرغو رغاء البعير، و نبغ بوله فى المسجد، و اجتمع الناس عليهما يمدونهما لتخليصه من يده، فراموا مراما صعبا، فناداهم الأول لو تمالأ عليه أهل الأرض ما استنقذوه منه، و لكن ناشدوه بحق صاحب القبر، فلما ناشدوه خلى عنه، و قال: لو عزمت على ما هممت به لشققتك شقّ الثوب - و رواه عن الحسن العرنى بطريق آخر.

و فيه: روى العرنى عن إسماعيل بن ابراهيم عن عمرو بن نصر قال:

سمعت خالد القسرى يثلب عليا عليه السّلام و يقول:و الله لو كان في أبى تراب خير ما أمر أبو بكر الصديق بقتله.و روى مثله الفضل بن شاذان في (ايضاحه) (١).

و نقل نفسه في موضع آخر عن أستاذه النقيب-و قال لم يكن إماميا- قال:روى ان رجلا جاء الى زفر بن الهذيل صاحب أبى حنيفه،فسأله عمّا يقول أبو حنيفه في جواز الخروج من الصلاه بأمر غير التسليم،نحو الكلام و الفعل الكثير.فقال:انه جائز قال أبو بكر في تشهده ما قال.فقال الرجل:و ما قال؟ قال:لا عليك،فأعاد عليه ثانيه و ثالثه،فقال:أخرجوه أخرجوه كنت أحدث أنّه من أصحاب أبى الخطاب (٢).

و ما ينكر ابن أبى الحديد من أن يأمر أبو بكر بقتله عليه السّلام خالدا،ثم يندم و يقول لا يفعلن خالد ما أمرته،و قد كتب معاويه الى محمد بن أبى بكر:ان الله لما اختار لنبىه ما عنده كان أبوك و فاروقه أوّل من ابتزه حقّه و خالفه،و على ذلك اتفقا و اتسقا،فهّمّا به الهموم،و أرادا به العظيم-إلخ (٣).فما معنى«هما به الهموم،و أرادا به العظيم»غير اراده قتله.

و أما قوله:و حديث الصحيحه التى علقت عام الفتح بالكعبه،فانما روت الشيعة أنّها كتبت فى الكعبه لا علقت عليها،و كان ذلك من أسرارهم،فكيف كانوا يعلقونها،و كيف يمكنهم تعليقها،و كان فى حياه النبى صلّى الله عليه و آله و سلطانه، و ما ينكر من كتابتها،ألم يأمر النبى بخروجهم فى جيش اسامه،و لعن المتخلف،و كرّر ذلك كلّما أفاق من مرضه،و لم يمتثلوا أمره،و كيف منعه من الوصيه حتى أخرجهم من عنده،و كيف تقدّموا للصلاه بالناس حتى اضطر

ص:٢٥٧

١-١) المسترشد:،و [١]الايضاح:٨٠.

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٣٠١:١٣. [٢]

٣-٣) رواه ابن مزاحم فى وقعه صفين: ١٢٠،و [٣]المسعودى فى المروج ٣:١٢،و [٤]البلاذرى فى أنساب الأشراف ٣٩٦:٢. [٥]

فى شدّه مرضه أن يخرج جارا رجليه معتمدا على نفرين حتى يؤخرهم، و كان اعتقاده أنهم خرجوا فى الجيش.

و ما ينكر من ذلك و قد قال عمر- كما فى (تاريخ الطبرى)- لابن عباس:

أ تدرى ما منع قومكم منكم بعد محمّد؟ كرهوا أن يجمعوا لكم النبوه و الخلافه، فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا، فاختارت قريش لأنفسها، فأصاب و وفقت، فقال: لو أن قريشا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز و جل لها لكان الصواب: بيدها، و أما قولك «أنهم كرهوا أن تكون لنا النبوه و الخلافه» فان الله تعالى وصف قوما بالكراهيه فقال «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» (١). فقال له عمر: بلغنى انك تقول انما صرفوها عنّا حسدا و ظلما.

فقال له ابن عباس: اما قولك «ظلما» فقد تبين للجاهل و الحليم، و اما قولك «حسدا» فإن إبليس حسد آدم، فنحن ولده المحسودون. فقال له عمر: هيهات أبت و الله قلوبكم يا بنى هاشم إلا حسدا ما يحول و غشا ما يزول. فقال له ابن عباس: مهلا لا تنسب قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا بالحسد و الغش، فان قلب رسول الله صلّى الله عليه و آله من قلوب بنى هاشم. فقال عمر: اليك عنى يا ابن عباس. فقال: افعل- إلخ (٢).

فهل هناك أدله أوضح من هذه؟ ألم تكن مكالمات عمر هذه تظهر باطنهم و خافيتهم و عداوتهم للنبيّ صلّى الله عليه و آله فضلا عن أهل بيته؟ ألم يكن مغزى قول عمر «ما منع قومكم منكم بعد محمد كرهوا ان يجمعوا لكم النبوه و الخلافه» على عدم اعتقاده بالنبيّ صلّى الله عليه و آله؟ ألم يكن مرمى كلامه «أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلا غشا ما يزول، و حسدا ما يحول» أن النبيّ صلّى الله عليه و آله كان كذلك كما

ص: ٢٥٨

[١-١] محمد: ٩. [١]

[٢-٢] تاريخ الطبرى ٣: ٢٨٩، سنه ٢٣. [٢]

أبداه ابن عباس؟ قال ذلك لأنَّه رأى ان النبي تاره يؤمّر مولاة زيدا عليهم، و اخرى مولاة اسامه عليهم، و يأمرهم بالخروج من المدينة الى غير ذلك، و كانوا أيضا قد طعنوا فى النبي فى حياته فى تأمير مولييه عليهم حتى خطب فيهم و قال: طعنتم فيهما و هما أهل للاماره عليكم (١).

و أما قوله: و حديث الشيخ الذى صعد المنبر يوم بويج أبو بكر، فسبق الناس الى بيعته، فانما ورد فى بعض كتب الشيعة و ليس من أخبارهم المتواتره (٢)، و مع ذلك فأى استبعاد فى صحته، و لم لا يفرح ابليس، و يكون الأول فى البيعه، و يبكى شوقا، مع ترتب تلك المفاسد على خلافته من سلطنه بنى اميه، و سلطنه يزيد، و قتل الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنه و ريحانه النبي، و اسر بنات النبي، بل و قتل امير المؤمنين و الحسن عليهما السلام، و قتل باقيهم و اسرهم و حبسهم، و لعب بنى اميه بدين النبي كما اعترف به أبو سفيان أيام عثمان مخاطبا لحمزه لما ضرب قبره برجله.

و قد رووا عن ابن عمر أنه قال: ما أبغضت أحدا كبغضى سلمان يوم السقيفه لما قال: أصبتم و أخطأتم، أصبتم سنه الأولين، و أخطأتم أهل بيت نبيكم، أما و الله لو وضعتموها حيث وضعها الله لأكلتم من فوق رؤوسكم، و من تحت أرجلكم رغدا، أما و الله حيث عدلتم بها عن آل بيت نبيكم ليطمعن فيه الطلقاء و أبناء الطلقاء، فقلت يريد شق عصا المسلمين، و وقوع الخلاف بينهم، و لا أحببت أحدا كحبي لسلمان يوم رأيت مروان بن الحكم على منبر النبي فقلت: رحم الله سلمان لقد طمع فيها الطلقاء و أبناء الطلقاء (٣).

ص: ٢٥٩

١- (١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢:٣٠٣، و مسلم فى صحيحه ٤:١٨٨٤ ح ٦٣ و ٦٤، و الترمذى فى سننه ٥:٦٧٦ ح ٣٨١٦.

٢- (٢) هذا الحديث رواه الكليني فى الكافي ٨:٣٤٣ ح ٨٠٤١ و سليم بن قيس فى كتابه: ٨٠.

٣- (٣) رواه الطوسى فى تلخيص الشافى ٣:٩٢.

و أما قوله: و أحاديث مكذوبه كثيره تقتضى نفاق قوم من أكابر الصحابه و التابعين الأولين و كفرهم و على أدون الطبقات فسقهم، فإن أراد بأكابر الصحابه الأشراف و من كان من قريش، و من نال السلطنه و الكبر الدينوى، فأى استبعاد فى فسقه و نفاقه، فالمترفون و الكبراء الدينويه فى كل عصر كانوا أعداء الدين و مخالفى رسل الله تعالى، و ان أراد من قطع على كبره و جلاله فى الدين كحمزه، و جعفر الطيار، و سلمان، و أبى ذر، و المقداد، و عمار، و حذيفه، و نظرائهم، فمعاذ الله أن يطعن فيهم الشيعه.

و قد تواتر من طريقهم فى أحاديث الذود عن الحوض أحداث جمع من صحابته بعده و ارتدادهم فى الدين (١).

و قال أبو المقدام للباقر عليه السلام: ان الناس يزعمون ان بيعه أبى بكر حيث اجتمع الناس عليها كانت رضى لله، و ما كان ليفتن امه محمد صلى الله عليه و آله بعده. فقال له: أو ما يقرءون كتاب الله، أو ليس الله يقول «و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (٢) فقال له: انهم يفسرونه على وجه آخر. فقال عليه السلام: أو ليس تعالى أخبر عن الذين من قبلهم انهم قد اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات حيث يقول «تَلَكَّ الرُّسُلُ» -الى أن قال- «و لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَيَّا افْتَتِلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَيَّا افْتَتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» (٣)، و فى هذا ما يستدل به على ان اصحاب محمد قد اختلفوا من بعده،

ص: ٢٦٠

١- ١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢: ٢٣٣ و ٢٥٦ و ٣: ١٢٧ و ١٦٠ و ٤: ١٣٣، و مسلم فى صحيحه ٤: ٢١٩٤ ح ٥٨ و جمع آخر.

٢- ٢) آل عمران: ١٤٤. [١]

٣- ٣) البقره: ٢٥٣. [٢]

فمنهم من آمن، و منهم من كفر (١).

ولا ريب أن الصحابه الذين وقعوا فى هول من نسبه الشيعة إليهم ما نسبوا، اختلفوا بعد النبى معه عليه السّلام فى أمر الخلافه بالضروره، فإما أن يكون هو كفر و هم آمنوا، أو بالعكس و التعيين معه.

و قال البراء بن عازب- و قد رواه نفسه فى موضع آخر- لم أزل لبني هاشم محبًا، فلما قبض النبى صلّى الله عليه و آله خفت أن تتمالأ قريش على اخراج هذا الأمر من بني هاشم، فأخذنى ما يأخذ الواله العجول مع ما بى من الحزن لوفاه النبى، فجعلت أتردد و أرمق وجوه الناس، و قد خلا- الهاشميون بالنبى لغسله و تحنيطه، و قد بلغنى الذى كان من قول سعد بن عباده و من اتبعه من اصحابه، فلم أحفل بهم و علمت أنّهم لا يؤلون الى شىء، فجعلت أتردد بينهم و بين المسجد و أتفقد وجوه قريش، فانى لكذلك إذ فقدت أبا بكر و عمر، ثم لم ألث حتى إذا أنا بأبى بكر و عمر و أبى عبيده قد أقبلوا فى أهل السقيفه، و هم محتجزون بالازر الصناعيه لا- يمر بهم أحد إلا- خبطوه، فإذا عرفوه مدوا يده على يد أبى بكر شاء أم أبى، فأنكرت عند ذلك عقلى جزعا منه، فخرجت مسرعا حتى أتيت المسجد، ثم أتيت بنى هاشم و الباب مغلق عليهم، فضربت الباب ضربا عنيفا و قلت: يا أهل البيت. فخرج إلى الفضل بن العباس. فقلت: قد بايع الناس أبا بكر. فقال العباس: قد تربت أيديكم منها الى آخر الدهر، أما انى قد حذرتكم. فمكثت اكابد ما فى نفسى، فلما كان الليل خرجت الى المسجد، فلما صرت فيه تذكرت انى كنت اسمع همهمه رسول الله صلّى الله عليه و آله بالقرآن، فانبعثت من مكانى فخرجت نحو الفضاء، فوجدت نفرا يتناجون، فلما دنوت منهم سكتوا، فانصرفت عنهم فعرفونى و ما عرفتهم، فدعونى فأتيهم و اذا

ص: ٢٤١

(١- ١) أخرجه الكليني فى الكافى ٨: ٢٧٠ ح ٣٩٨. [١]

المقداد و أبو ذر و سلمان و عمار و عباده ابن الصامت و حذيفه و الزبير، و حذيفه يقول «و الله ليفعلن ما أخبرتكم به فو الله ما كذبت و لا كذبت»، و اذا القوم يريدون أن يعقدوا شورى بين المهاجرين و الأنصار، فقال حذيفه:

انطلقوا بنا الى ابى بن كعب فقد علم مثل ما علمت، فانطلقنا إليه و ضربنا عليه بابه، فأتى حتى صار خلف الباب، ثم قال: من أنتم؟ فكلمه المقداد، فقال: ما جاء بك؟ قال: افتح فان الأمر الذى جئنا فيه أعظم من أن يجرى من وراء الباب.

فقال، ما أنا بفتاح بابى و قد علمت ما جئتم له، كأنكم أردتم النظر فى هذا العقد.

قلنا: نعم. قال: أ فيكم حذيفه؟ فقلنا: نعم. فقال: القول ما قال حذيفه، فأما أنا فلا أفتح بابى حتى يجرى على ما هو جار عليه، و ما يكون بعدها شرّ منها، و الى الله تعالى المشتكى.

فرجعوا ثم دخل ابى بيته و بلغ أبا بكر و عمر الخبر، فأرسلوا الى أبى عبيده و الى المغيرة بن شعبه فسألاهما الرأى، فقال المغيرة: أرى أن تنطلقوا الى العباس، فتطمعوه فى أن يكون له فى هذا الأمر نصيب يكون له و لعقبه من بعده، فتقطعوه بذلك عن ابن أخيه على بن أبى طالب، فان العباس لو صار معكم هان عليكم أمر على وحده، فانطلقوا حتى دخلوا على العباس فى الليله الثانيه من وفاه النبى صلى الله عليه و آله، فتكلم أبو بكر فقال: ان الله ابتعث محمّدا نبيا حتى اختار له ما عنده، و ترك للناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصلحتهم متفقين لا- مختلفين، فاختارونى عليهم واليا و ما أخاف و هنا، غير انى لا أنفك من طاعن يبلغنى فيقول بخلاف قول العامه، فيتخذكم لجا، فتكونون حصنه المنيع- الى أن قال- و قد جئناك و نحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيبا يكون لك و لعقبك إذ كنت عمّ النبى، و ان كان المسلمون قد رأوا مكانك من النبى و مكان أهلك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم، و على رسلكم

بنى هاشم، فان النبي منّا و منكم.

فاعترض كلامه عمر فقال: أى و الله و أخرى انا لم نأتكم حاجه اليكم و لكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاهم الخطب بكم و بهم، فانظروا لأنفسكم و للعامه. فتكلم العباس فقال: فان كنت بالنبي طلبت هذا الأمر فحقنا أخذت، و ان كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم. الى أن قال: فان كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنّا كارهين، و ما أبعد قولك «طعنوا عليك» من قولك «مالوا إليك»، و أما ما بذلت لنا فإن يك حقك أعطيتناه، فأمسكه عليك فلسنا محتاجين إليك، و ان كان حق المؤمنين، فليس لك ان تحكم فى حقهم، و ان كان حقنا فإننا لا نرضى منك ببعضه دون بعض.

و أما قولك ان النبي صلى الله عليه و آله منّا و منكم، فان النبي شجره نحن أغصانها و أنتم جيرانها، فنحن أولى به منكم، و أما قولك انا نخاف ان يتفاهم الخطب بكم، فهذا الذى فعلتموه أوائل ذلك. و الله المستعان (١).

و أما قوله: فقا بلتهم البكريه بمطاعن كثيره فى على و فى ولديه، و نسبه تاره الى ضعف العقل، و تاره الى ضعف السياسه، و تاره الى حب الدنيا و الحرص عليها، فكلام مختل، فلم ينسبه أحد الى ضعف العقل، و أما نسبه عليه السلام الى ضعف السياسه فان ذلك ليس مثله كما هو محل كلامه، بل من جلائل صفاته، و مصداق قوله تعالى: «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» (٢)، فأشار عليه المغيره بإقرار معاويه على الشام، و توليه طلحه البصره، و الزبير الكوفه، حتى يستقر امره كما أشار على أبى بكر و عمر يجعل نصيب للعباس حتى يقويا به على ابطال امره عليه السلام

ص: ٢٤٣

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢١٩: ١. [١]

٢- ٢) المائده: ٥٤. [٢]

و تضعيف جانبه، و ان لم يقبل منهما العباس كما عرفت، فلم يقبل عليه السّلام هذا الرأى من المغيره و قال: «و ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضْلِينَ عَضُدًا» .

و أما نسبته عليه السّلام الى حب الدنيا و الحرص عليها، فهو من فاروقهم لَمَّا عين سته الشورى، و ذكر مثالب الباين، جعل هذا مثله فيه (١)، فأخذه عنه، فدفعوه بذلك عن حقه و اختاروا عثمان.

و أما قوله: و لقد كان فى فضائل على الثابته الصحيحه و فضائل أبى بكر المحققه المعلومه ما يغنى عن تكلف العصبية لهما، مما يضحك الثكلى، فان المحقق من فضائل صديقهم ما استند إليه فاروقهم لإشاده ذكره، و استحقاقه للخلافه، من كونه صاحب الغار، و كون النبى صلّى الله عليه و آله أمره فى مرضه بالصلاه بالناس، مع انهما بالردائل أقرب الى الفضائل، فأما مصاحبه الغار فالنبى صلّى الله عليه و آله خرج وحده و تبعه الرجل، فظنّه النبى صلّى الله عليه و آله من تعاقبه لأخذه، فأسرع فى المشى حتى دमित رجله، و الصاحب فى السفر يكون أنيسا، لا سيما للخائف الهارب، و كان سببا لازدياد وحشته، لإظهاره الاضطراب و القلق، حتى قال صلّى الله عليه و آله له: لا تخف و لا تحزن (٢)، و قد عرفت أنه تعالى أخرج من الايمان حيث خص انزال السكينه فى الغار به دونه، و أما صلاته فلم تكن عن أمره، كما هو المستفاد من أخبارهم الصحيحه، و انما تضمن أمره اخبارهم المجعوله، كما لا يخفى على من تدبرها، و قد عزله بحضوره أخيرا، و إلا فأى معنى فى حضوره مع شدّه مرضه، هل أراد تعليمه الصلاه، أو أراد تعليمه إمامه الصلاه «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ»

ص: ٢٦٤

١- ١) رواه ابن قتيبه فى الامامه و السياسه ١: ٢٥.

٢- ٢) هذا مضمون الآيه التوبه: ٤٠. [١]

فلو كان له فضل آخر من علم مع عدم عرفانه معنى الأب، و حكم ارث الجده، أو جهاد مع كونه من القاعدين في بعض الغزوات، و الفارين في الأ-كثر، فليذكره حتى لا يجهل قدره، و لو كان قد قال لقد كان في مثالبه المحققه من عزله عن أداء سوره برائه، و فراره يوم خيبر كصاحبه، حتى قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي أمير المؤمنين عليه السلام معرضا بهما قولاً يقتضى كونهما ممن لا- يحب الله و رسوله، و لا- يجهما الله و رسوله، فضلا عن فرارهما، و تخلفه عن جيش اسامه مع لعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله المتخلف، الى غير ذلك- كفايه في عدم لياقته لما تصداه عند غير ذى مكابر لكان صوابا، و اجتنب جزافا.

و أما قوله: و في فضائله عليه السّلام ما يغنى، فلم أدر ما أراد، هل في استحقاقه الخلافة بعد الثلاثه كما زعموا فغلط، فقد كانت فضائله فضائل تسببت زعم جمع علوه على النبوه، و ادعوا له الألوهيه، و كيف لا يكون كذلك و قد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله له: لو لا- أن تقول طوائف امتى فيك ما قالت النصرارى في عيسى لقلت فيك مقالا لا تمر في مكان إلا أخذوا التراب من تحت قدميك (٢). و كان فيه عليه السّلام من الفضائل ما كان في الأنبياء كلهم، كيف لا و نبينا أفضلهم، و قد جعله تعالى نفسه، و هل كان فيه غير فضيله حتى تحتاج الشيعة الى الجعل له، و انما سعى فاروقهم لنحت نقص له- كما سعى في نحت فضل لصاحبه- فسّمى حسن خلقه عليه السلام دعا به، و بهته بخطبته بنت أبى جهل، فافتري شيئا لو فرض واقعيته كان طعنا للنبي لا فيه.

ص: ٢٤٥

(١ - ١) ق: ٣٧.

(٢ - ٢) أخرجه ابن أبى حاتم في علل الحديث ١: ٣١٣ و ابن المغازلى في مناقبه ٢٣٧ ح ٢٨٥، و الخوارزمى في مناقبه ٢٢٠، و الكليني في الكافي ٨: ٥٧ ح ١٨ و [١] الصدوق في أماليه: ٨٦ ح ١ المجلس ٢١. [٢]

و أما قوله: نسأله تعالى أن يجرينا على ما عودنا من حب الحق أين وجد فطريف، فلم نجد بدا من أن نقول كما علمنا الله تعالى «و إنا أو إياكم لعلی هدی أو فی ضلالٍ مبین» (١)، أو كما قيل بالفارسيه:

ما ز محبان علی و عمر هیچ نگوئیم ز خیر و ز شر

حشر محبان علی با علی حشر محبان عمر با عمر

هذا، و في (تاريخ خلفاء السيوطي): قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

لما ولي يزيد-أي: ابن عبد الملك-قال: سيروا بسيره عمر بن عبد العزيز، فأتى بأربعين شيخا، فشهدوا له ما على الخلفاء حساب و لا عذاب. و قال ابن الماجشون أقام يزيد أربعين يوما يسير بسيره عمر بن عبد العزيز، ثم عدل عن ذلك (٢).

و في (العقد): ان الوليد بن عبد الملك قال للزهري: يحدثنا أهل الشام ان الله إذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات، و لم يكتب عليه السيئات. فقال الزهري: حدثنا كل نبي خليفه أكرم على الله أم خليفه؟ قال: بل خليفه نبي. قال:

فان الله تعالى يقول لنبيه داود: «يا داود إنا جعلناك خليفه في الأرض فأحكّم بين الناس بالحقّ و لا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» (٣) فهذا وعيد لنبي خليفه، فما ظنك بخليفه غير نبي. فقال ان الناس ليغرونا عن ديننا.

«و جعلوهم حكّاما على رقاب الناس» هكذا في (المصريه) و الصواب:

«و جعلوهم على رقاب الناس» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

ص: ٢٦٦

١-١ (١) سبأ: ٢٨. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الخلفاء: ٢٤٦. [٢]

٣-٣ (٣) ص ٢٦.

٤-٤ (٤) في شرح ابن أبي الحديد ٣٨: ١١، و [٣] شرح ابن ميثم ٢٠: ٤ [٤] مثل المصريه.

«و أكلوا بهم الدنيا و انما الناس مع الملوک و الدنيا إلا- من عصم الله» لما نصب معاويه ابنه يزيد لولايه العهد أقعده فى قبه حمراء، فجعل الناس يسلّمون على معاويه، ثم يميلون الى يزيد، حتى جاء رجل، ففعل ذلك، ثم رجع الى معاويه و قال: اعلم أنّك لو لم تولّ هذا امور المسلمين لأضعتها، و الأ-حنف جالس، فقال له: ما بالك لا- تقول؟ فقال: أخاف الله إن كذبت، و أخافكم ان صدقت. فقال: جزاك الله عن الطاعه خيرا، و أمر له بألوف، فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب، فقال للأحنف: انى لأعلم ان شرّ من خلق الله هذا و ابنه، و لكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب و الأقفال، فلسنا نطمع فى استخراجها إلا بما سمعت.

فقال له الأحنف: يا هذا امسك، فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله و جيها.

و فى (الأغانى) فى مطيع: ان المنصور كان يريد البيعه للمهدى، و كان ابنه جعفر يعترض عليه فى ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضروا، و قام الخطباء فتكلموا، و قال الشعراء فأكثروا، و فيهم مطيع بن أياس، فلما فرغ من كلامه فى الخطباء و إنشاده فى الشعراء قال للمنصور: حدثنا فلان عن فلان قال: المهدى منّا محمّد ابن عبد الله، و امه من غيرنا، يملؤها عدلا كما ملئت جورا، و هذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم، مخافه من المنصور، فأمر الناس بالبيعه للمهدى، فلما انقضى المجلس قال العباس: أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله و رسوله حتى استشهدنى على كذبه، فشهدت له خوفا، و شهد كلّ من حضر بأنى كاذب. قال: و بلغ الخبر جعفرأ أخا المهدى و كان ماجنا فأخرج ايره، فقال: ان كان محمّدا أخى المهدى فهذا القائم من الآل.

هذا، و فى (تاريخ بغداد) فى عبد الله بن محمد المعروف بابن ابى شيبه قال ابن عرفه: و فى سنه (٢٣٤) أشخص المتوكل الفقهاء و المحدثين - و كان

فيهم مصعب الزبيري، و إسحاق بن أبي إسرائيل، و إبراهيم بن عبد الله الهروي، و عبد الله و عثمان ابنا محمد بن أبي شيبة -
فقسمت بينهم الجوائز، و أجريت عليهم الأرزاق، و أمرهم المتوكل أن يجلسوا و أن يحدثوا بالأحاديث في الرؤيه -أى: رؤيه الله.

هذا، و من كذابهم الخبيثين «السرى عن شعيب عن سيف» يكثر عنهم الطبرى في (تاريخه) لا سيما في حرب الجمل، و كذا في
حصر عثمان و قتله، و في قصة أبي ذر، و من أكاذيبهم الواضحه أن أبا ذر خرج بنفسه الى الربذه، و ان عثمان نهاه عن الخروج و
قال له: ان هذا تعزب بعد الهجره، و من أكاذيبهم الواضحه ان صاحبه كلاب الحوآب سلمى التى اعتقتها عائشه، قد رجعت الى
قومها، لا عائشه، كما ذكره الطبرى في رده هوازن في سنه (١١) (١).

و في (ادباء الحموى) -فى إبراهيم الفزارى- ان هارون أمر بضرب عنق زنديق أخذه، فقال له: لم تضرب عنقى؟ قال: لأن أريح الناس
منك. فقال له:

فأين أنت من ألف حديث وضعتها على النبي ما فيها حرف نطق به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

و في (رجال الكشى): قال العبيدى: قال بعض أصحابنا ليونس بن عبد الرحمن: ما أشدك في الحديث، و أكثر انكارك لما يرويه
أصحابنا، فما الذى يحملك على رد الأحاديث. فقال: حدّثنى هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تقبلوا علينا
حديثا إلا - ما وافق القرآن و السنه، أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمه، فان المغيره بن سعيد لعنه الله دس في كتب
أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبى، فاتقوا الله و لا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى و سنّه نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، فإنّا
إذا حدّثنا قلنا

ص: ٢٤٨

قال الله عز و جل، و قلنا قال رسول الله (١).

هذا، و فى (وزراء هلال الصابى): ان رجلا- من اليهود ادعى ان معه كتابا من النبى صلى الله عليه و آله، فأمره على بن محمد بن الفرات بإخراج الكتاب، فلما قرأه قال:

هذا مزور، لأن خبير افتتحت بعد تاريخ كتابك بسبعه و ستين يوما، و لكننا نحتمل عنك جزيتك إعظاما لحق من لجأت بالاعتصام به. قال قريب بن قريب:

فرجع الى كتب التاريخ، فوجد كما ذكره ابن الفرات.

هذا، و كما كان فى المحدثين كذابون، كذلك فى اللغويين، كما قالوا فى حق المبرد و أبى عمر الزاهد، و كذلك فى (الادباء)، فقالوا ان حماد الراويه كان يفتعل القصائد على العرب.

و فى (العقد الفريد): يقال ان الشعر المنسوب الى ابن اخت تأبط شرا:

ان بالشعب الى جنب سلع لقتيلا دمه ما يطلّ

لخلف الأحمر، و انما نحله إياه، فكان يقول الشعر و يحسن، و ينحله الشعراء، و كذلك حماد الراويه يحقق الشعر القديم، و يقول ما من شاعر إلا و قد حققت فى شعره أبياتا، فجازت عنه إلا الأعشى أعشى بكر، فانى لم أزد فى شعره غير بيت:

و أنكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

و كذلك كان بعضهم يفتري فى الكتب، و فى (التنبيه و الاشراف للمسعودى): كان الجاحظ يؤلف الكتاب الكثير المعانى، الحسن النظم، فينسبه الى نفسه، فلا يرى الاسماع تصغى اليه، ثم يؤلف ما هو أنقص رتبة، و أقل فائده، ثم ينحله ابن المقفع، أو سهل بن هارون، أو غيرهما ممن طارت

ص: ٢٦٩

اسماؤهم فى المصنفين، فيقبلون على كتبها و نسخها (١).

و كما كذب على النبى صلى الله عليه و آله كذب على على عليه السّلام، فروى مسلم أنّه عليه السّلام سمع ابن عباس يلين فى متعه النساء، فقال له: مهلا ان النبى نهى عنها يوم خبير و عن لحوم الحمر الانسيه (٢). فانه عليه السّلام انما كان يقول: لو لا ما سبقنى ابن الخطاب فى تحريم المتعه ما زنى إلا شقى (٣)، و حليتها من ضروريات مذهب أهل بيته.

«فهذا» أى: المنافق المظهر الايمان، المتصنع بالاسلام، غير المتأثم و المتحرج من الكذب متعمدا على النبى. «أحد الأربعة» من الآتين بالحديث .

«و رجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه» أى: اشتبه.

هكذا، و عن حمقاء ابن الجوزى: سأل المأمون رجلا- عن قاضى بلدهم فقال: لا- يفهم، و إذا فهم وهم. قال: ويحك كيف ذلك. قال: جاء رجل و ادعى على آخر بأربعة و عشرين درهما، فاعترف الرجل بها، فقال له القاضى: اعطه ماله، فقال للقاضى: ان لى حمارا اشتغل عليه بأربعة دراهم كل يوم، فجعلت اخبئ كل يوم درهمن، حتى جمعت مبلغ الدين فى اثنى عشر يوما، فذهبت الى هذا و بقى غائبا حتى اليوم، فإن رأيت أن تمسكه حتى اجمع له أربعة و عشرين درهما فأعطيها. فقال: ذلك لك، ثم حبس صاحب الحق حتى اعطاه ماله، فضحك المأمون و عزله.

«و لم يتعمد كذبا فهو فى يديه» معتقدا صحته (و يرويه) هكذا فى (المصريه) و الصواب: (يرويه) كما فى (ابن أبى الحديد

ص: ٢٧٠

١- ١) التنبيه و الاشراف: ٦٦. [١]

٢- ٢) صحيح مسلم ١٠٢٨: ٢ ح ٣١ و ٣٢.

٣- ٣) أخرجه ابو يعلى فى مسنده و أبو داود فى ناسخه و ابن جرير عنهم منتخب كنز العمال ٤٠٥: ٦.

و ابن ميثم و الخطيه) (١).

«و يعمل به و يقول: أنا سمعته من رسول الله، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه، و لو علم هو أنه كذلك لرفضه»
أى: تركه.

روى ابن سعد في (طبقاته) عن بكر المزني قال: سمعت أنسا يحدث قال: سمعت النبي صلى الله عليه و آله يلبى بالحج و العمره معا جميعا، فحدثت بذلك ابن عمر، فقال: لبي بالحج و حده، فلقيت أنسا، فحدثته يقول ابن عمر، فقال أنس: ما يعدوننا إلا كالصبيان، سمعت النبي يقول: لبيك عمره و حجًا معا (٢).

و في (تاريخ الطبري) عن ابن عمر قال: اعتمر النبي صلى الله عليه و آله ثلاث عمر، فبلغ عائشه فقالت: لقد علم أنه اعتمر أربع عمر منها عمرته التي قرن معها الحجّه.

و في خبر آخر عنه: اعتمر النبي صلى الله عليه و آله أربع عمر أحدهن في رجب، فقالت عائشه: ما اعتمر في رجب (٣).

و في (سنن أبي داود) عن سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: عجبت لاختلاف أصحاب النبي صلى الله عليه و آله في اهلاله حين أوجب. فقال: اني لأعلم الناس بذلك، انها انما كانت منه صلى الله عليه و آله حجّه واحده، فمن هناك اختلفوا، خرج حاجًا، فلما صلى في مسجده بذي الحليفه ركعتيه أوجب في مجلسه، فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه، فسمع ذلك منه أقوام، فحفظته عنه، ثم ركب، فلما استقلت به ناقته أهل و أدرك ذلك منه أقوام، و ذلك ان الناس كانوا يأتون ارسالا، فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل، فقالوا: انما استهل صلى الله عليه و آله حين

ص: ٢٧١

١- ١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩، و [١] شرح ابن ميثم ٢٠: ٤ [٢] مثل المصريه.

٢- ٢) طبقات ابن سعد ٢: [٣] ق ١٢٥١.

٣- ٣) تاريخ الطبري ٤١٠: ٢، سنه ١٠. [٤]

استقلت به ناقته، ثم مضى، فلما علا على شرف البيداء أهلّ و أدرك ذلك منه أقوام، فقالوا انما أهلّ حين علا على شرف البيداء، و ايم الله لقد أوجب في مصلاه، و أهلّ حين استقلت به ناقته، و أهلّ حين علا على شرف البيداء (١).

و فيه: بعد روايته عن حفص عن همام عن قتاده عن الحسن عن سمره عن النبي صلى الله عليه و آله «كلّ غلام رهينه بعقيقته تذبح عنه يوم السابع و يحلق رأسه و يدمى» فكان قتاده إذا سئل عن الدم كيف يصنع به، قال: إذا ذبحت العقيقه أخذت منها صوفه، و استقبلت به أوداجها، ثم توضع على يافوخ الصبي، حتى يسيل على رأسه مثل الخيط، ثم يغسل رأسه بعد و يحلق «و يدمى»، و هم من همام، و انما قالوا «يسمى»، فقال همام «يدمى»، قال سلام بن أبي مطيع عن قتاده: «و يسمى»، و قال اياس بن دغفل و اشعث عن الحسن: «و يسمّى» و رواه أشعث عن الحسن عن النبي «و يسمى» (٢).

قلت: و من الغريب أنه نقل تفسيراً لوهمه.

و روى (الكافي) عن زراره: كنت عند الباقر عليه السلام و عنده أنصاري، فمرت به جنازه، فقام الأنصاري و لم يقم هو عليه السلام، فقال له: ما أقامك؟ قال: رأيت الحسين يفعل ذلك. فقال: و الله ما فعله الحسين، و لا قام لها أحد من أهل البيت.

فقال الأنصاري: شككتني قد كنت أظن اني رأيت (٣).

هذا، و في أخبار (حكماء القفطى): قيل من جملة سعادة حنين العبادى صحبته حبيش بن الحسن له. كان حبيش من الناقلين من اليوناني و السرياني الى العربي، و أكثر ما نقله حبيش نسب الى حنين، كثيرا ما يرى

ص: ٢٧٢

١-١) سنن ابى داود ٢:١٥٠ ح ١٧٧٠. [١]

٢-٢) سنن ابى داود ٣:١٠٦ ح ٢٨٣٧. [٢]

٣-٣) الكافي ٣:١٩١ ح ١. [٣]

الجهال شيئاً من الكتب القديمه مترجماً بنقل حبش، فيظن الغر منهم ان الناسخ أخطأ في الاسم، و يغلب على ظنه أنه حين و قد صحف، فيكشطه و يجعله لحنين.

و قال ابن أبي الحديد: قال أصحابنا في الخبر الذي رواه عبد الله بن عمر «ان الميت ليعذب ببكاء أهله» ان ابن عباس لما روى له هذا الخبر قال: ذهل ابن عمر، انما مر النبي صلى الله عليه و آله على قبر يهودى، فقال: ان أهله ليكون عليه و انه ليعذب.

و قالوا أيضاً: ان عائشه أنكرت ذلك و قالت: ذهل ابن عمر كما ذهل في خبر قليب بدر، انما قال النبي انهم ليكون عليه و أنه ليعذب بجرمه.

قالوا: و موضع غلطه في خبر القليب أنه روى ان النبي صلى الله عليه و آله وقف على قليب بدر، فقال «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً». ثم قال: انهم يسمعون، فأنكرت عائشه ذلك و قالت: انما قال انهم يعلمون ان الذى كنت أقول لهم هو الحق، و استشهدت بقوله تعالى «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» (١).

قلت: ما ذكرته عائشه من غلط ابن عمر في خبر القليب غلط، فهو خبر صحيح روته الخاصه أيضاً، و استشهادها بقوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» كتنسيها أيضاً غلط، لأن المراد بالآيه أنك لا تسمع أحياء قلوبهم ميتة، فهو نظير قوله تعالى الآخر له صلى الله عليه و آله: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» (٢) و قوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» (٣) و لو كان المراد الأموات لما كان للكلام معنى، لأنه لا وجه

ص: ٢٧٣

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٤٧. و الآيه ٨٠ [١] من سورة النمل.

٢-٢) القصص: ٥٦. [٢]

٣-٣) النمل: ٨١. [٣]

لتخصيصه بذلك، فكّل الناس لا يسمعون الموتى. نعم تخطئتها له في خير تعذيب الميت يبكاء أهله صحيحه، إلا أن الأصل في وهمه أبوه عمر، فرووا أن عمر سمع صوت نائحه، فضربها حتى سقط خمارها، وقال: إنها تؤذى أمواتكم في قبورهم و أحياءكم في دورهم (١).

و روى (العيون) انه قيل للرضا عليه السلام: ان الناس يروون ان النبي صلى الله عليه وآله قال: ان الله خلق آدم على صورته. فقال: قاتلهم الله، لقد حذفوا أول الحديث. ان النبي مر برجلين يتسابان، فقال أحدهما لصاحبه: قبح الله وجهك و وجه من يشبهك، فقال النبي له: لا تقل هذا للرجل، فان الله تعالى خلق آدم على صورته (٢).

«و رجل ثالث سمع من رسول الله شيئاً يأمر به ثم أنه» هكذا في (المصريه) أخذنا من (ابن أبي الحديد) و ليس (أنه) في (ابن ميثم) (٣).

«نهى عنه و هو لا- يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به و هو لا- يعلم، فحفظ المنسوخ و لم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه» و قد عرفت أن روايه الكافي زادت في الخبر «فان أمر النبي مثل القرآن ناسخ و منسوخ» (٤).

«و آخر رابع لم يكذب على الله و لا على رسوله مبغض للكذب خوفا من الله» هكذا في (المصريه) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) بدل (من الله) «لله» (٥).

«و تعظيما لرسول الله و لم يهيم» أي: لم يحصل له وهم، مضارع و هم

ص: ٢٧٤

١-١) رواه ابن سعد في الطبقات ٣: ١٤٨١.

٢-٢) عيون الاخبار للصدوق ١: ٩٨ ح ١٢. [١]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩، و [٢] شرح ابن ميثم ٤: ٢٠. [٣]

٤-٤) الكافي ١: ٦٣. [٤]

٥-٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٩، و [٥] شرح ابن ميثم ٤: ٢٠ [٦] مثل المصريه.

بافتح الاشتباه في غير الحساب، وفيه يقال و هم بالكسر يوهم، كما أنه فيه يقال غلت و في غيره غلط.

«بل حفظ ما سمع علي وجهه فجاء به علي سمعه» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) و في (ابن ميثم) (علي ما سمعه) (١).

«لم يزد فيه و لم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به و حفظ المنسوخ فجنب عنه، و عرف الخاص و العام فوضع كلّ شيء موضعه، و عرف المتشابه و محكمه» .

و المتصفون بهذه الصفات في الاتيان بالحديث كما ينبغي هم شيعته الخواص من سلمان و أبي ذر و مقداد، فان السائل قال له عليه السلام سمع منهم أحاديث، و هو عليه السلام يصدقها، و في أيدي الناس أحاديث علي خلافها، و مقام الثلاثه و جلالهم عند الكلّ معلوم، و هم الذين أمر الله تعالى نبيه صلّى الله عليه و آله بحبهم كامامهم.

ففي (الاستيعاب) من حديث ابن بريده عن أبيه عن النبي صلّى الله عليه و آله: أمرني ربي بحبّ أربعة، و أخبرني أنه يحبهم: علي، و أبو ذر، و المقداد، و سلمان (٢).

و مما يشهد أنهم كانوا يضعون كلّ شيء موضعه ما رواه (الاستيعاب) عن أبي جحيفه: ان سلمان جاء يزور أبا الدرداء، فرأى ام الدرداء مبتذله فقال:

ما شأنك؟ قالت: ان أخاك ليس له حاجه في شيء من الدنيا. فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان و قرب له طعاما، فقال له سلمان: أطعم. قال: اني صائم.

قال: أقسمت عليك الا ما طعمت، اني لست بأكل حتى تطعم و بات سلمان عنده، فلما كان الليل قام أبو الدرداء، فحبسه سلمان و قال له: ان لربك عليك حقًا، و ان لأهلك عليك حقًا، و ان لجسدك عليك حقًا، فأعط لكلّ ذي حقّ حقه. فلما كان

ص: ٢٧٥

١-١) المصدر السابق. [١]

٢-٢) الاستيعاب ٥٩: ٢. [٢]

وجه الصبح قال: قم الآن، فقاما، فتوضّأ، ثم خرجا الى الصلاة، فلما صلّى النبي قام إليه أبو الدرداء و أخبره بما قال سلمان، فقال النبي مثل ما قال سلمان.

و فى روايه شاذان عن على عليه السّلام: سلمان الفارسى مثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول و الآخر، بحر لا يتزف، و هو ممّا أهل البيت (١).

و من متشابه حديث النبي صلّى الله عليه و آله قوله: «اختلاف امتى رحمه»، و قوله:

«مثل أصحابى فيكم كمثل النجوم» - الخبر، و قوله: «ان الله ليغض البيت اللحم» - الخبر.

فقال عبد المؤمن الأنصارى للصادق عليه السّلام: ان العامه روت ان النبي صلّى الله عليه و آله قال: «اختلاف امتى رحمه»، فقال: صدقوا. فقال عبد المؤمن: ان كان اختلافهم رحمه فاجتماعهم عذاب. فقال عليه السّلام: ليس حيث تذهب و ذهبوا، انما أراد النبي قوله تعالى: «فَأَمَّا لَآءِ نَفَرٍ مِّنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (٢)، أمرهم تعالى أن ينفروا الى رسوله و يختلفوا اليه و يتعلموا، ثم يرجعوا الى قومهم فيعلموهم، انما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافهم فى دين الله، انما الدين واحد (٣).

و روى عنه عليه السّلام أيضا: ان النبي صلّى الله عليه و آله و ان قال: «مثل أصحابى فيكم كمثل النجوم، بأيها أخذ اهتدى، و بأى أقاويل أصحابى أخذتم اهتديتم» إلا أنه فسّر أصحابه بأهل بيته، فقيل له: يا رسول الله من أصحابك؟ قال: أهل بيتى (٤).

فلو لم يفسر كلامه صلّى الله عليه و آله فى الخبرين بما فسّره عليه السّلام لكان مضمونهما

ص: ٢٧٦

١-١ (١) الاستيعاب ٥٩: ٢ و ٦٠: [١]

٢-٢ (٢) التوبه: ١٢٢. [٢]

٣-٣ (٣) أخرجه الصدوق فى معانى الأخبار: ١٥٧ ح ١.

٤-٤ (٤) أخرجه الصدوق فى معانى الأخبار: ١٥٦ ح ١.

خلاف مقتضى العقول، لا يمكن أن يتفوّه به ذو شعور، فكيف مثل الرسول، فالاختلاف في الدين له من المفاسد ما لا تحصى، و
امته صَلَّى الله عليه و آله بعده اختلفوا أشدّ الاختلاف، و وقع بينهم التباغض و التعاند، حتى سلوا السيوف، و سفك بعضهم دم
بعض، فمن أصحابه أمير المؤمنين عليه السّلام، و من أصحابه طلحه و الزبير، فاختلفوا يوم الجمل، فلو لم يكن المراد من أصحابه
أهل بيته الذين هم أصحابه في الحقيقة و من كلّ جهه، لكان من لحق به مهتديا، و من لحق بهما كان مهتديا، و من قتل أمير
المؤمنين في تلك الحرب لو كان ممكنا له مهتديا كان إذ كان أخذ بقول طلحه و الزبير، إلا ان جمعا منهم ذهبوا الى هذا
الرأى، و ان قتلى الفريقين في الجنّه، أف لهذا الدين المتناقض.

و من رأس أصحابه عندهم صدّيقهم و فاروقهم، و اختلفا في سيفهم، فالصدّيق جعله سيف الله، و الفاروق سيف الشيطان، فلم
تركوا قول الفاروق مع كونه في ذلك على الحقّ، و اتبعوا قول الصدّيق مع كون قوله عن هوى نفسه، و لِمَ لَمْ يجمعوا بينهما
بمقتضى خبرهم؟! و أما أهل بيته و هم أصحابه الذين كانوا من جنسه و من طينته، فكانوا يقولون ان ما قاله أو لنا يقوله
آخرنا، حتى قالوا يجوز لكم أن تنسبوا ما قاله آخرنا الى أولنا، لأن قولنا واحد، و قولنا قول الله و قول رسوله، و هم نجوم
الأرض، فبقول أيّهم أخذوا اهدوا كما يهتدون بنجوم السماء.

و روى أنّه قيل للصادق عليه السّلام أيضا: بلغنا أن النّبى صَلَّى الله عليه و آله قال «ان الله تعالى ليغض البيت اللحم و اللحم
السمين»، فقال عليه السّلام: عنى النّبى «بالبيت اللحم» البيت الذى يؤكل فيه لحوم الناس بالغيبه، و انا لناكل اللحم و نحبه (١).

و عنى صَلَّى الله عليه و آله باللحم السمين المتبختر المختال فى مشيته.

ص: ٢٧٧

١- ١) أخرجه الصدوق فى معانى الأخبار: ٣٨٨ ح ٢٤ و النقل بتصرف يسير.

و من متشابهه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «السعيد من سعد في بطن امه و الشقى من شقى في بطن امه»، فسأل ابن أبى عمير الكاظم عليه السّلام عن معناه، فقال معناه ان السعيد من علمه الله و هو في بطن امه انه سيعمل أعمال السعداء، و الشقى من علمه الله و هو في بطن امه انه سيعمل أعمال الأشقياء (١).

و منه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له» سأله عليه السّلام أيضا ابن ابى عمير عن معناه، فقال: ان الله عز و جل خلق الجن و الانس ليعبدوه، و لم يخلقهم ليعصوه، كما قال «وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (٢) فيسر كلا لما خلق له، فالويل لمن استحب العمى على الهدى (٣).

و كيف لا- يكون المعنى ما قاله عليه السّلام و الأصل فيه قوله تعالى: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» (٤).

هذا، و ممن كان حديثه صحيحا ثمانية عشر نفرا من أصحاب الباقر الى الرضا عليه السّلام، فقال الكشى: أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السّلام و انقادوا لهم بالفقه، فقالوا أفقه الأولين سته: زراره، و معروف بن خربوذ، و بريد، و أبو بصير الأسدى، و الفضيل بن يسار، و محمد بن مسلم الطائفى، و أفقههم زراره (٥).

و قال أيضا: أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح من هؤلاء و تصديقهم لما يقولون، و أفقروا لهم بالفقه من دون اولئك، و هم سته: جميل بن

ص: ٢٧٨

١-١) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٣٥٦ ح ٣.

٢-٢) الذاريات: ٥٦. [١]

٣-٣) أخرجه الصدوق فى التوحيد: ٣٥٦ ح ٣.

٤-٤) النجم: ٣٢. [٢]

٥-٥) اختيار معرفة الرجال: ٢٣٨.

دراج، و عبد الله بن مسكان، و عبد الله بن بكير، و حماد بن عثمان، و حماد بن عيسى، و ابان بن عثمان- إلخ (١). إلا ان الظاهر كون «ابن بكير» في نسخه الكشي مصحف «ابن سنان».

و قال أيضا: أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح من هؤلاء و تصديقهم، و أقرأ لهم بالفقه و العلم، و هم سته اخر: يونس بن عبد الرحمن، و صفوان بن يحيى، و محمد بن أبي عمير، و عبد الله بن المغيرة، و الحسن بن محبوب، و أحمد ابن محمد بن أبي نصر- إلخ (٢). و لا سيما الثالث.

و قال له ابو الفضل بن شاذان: لقيت مشايخ العامه فكيف لم تسمع منهم؟ قال: قد سمعت منهم غير أنى رأيت كثيرا من أصحابنا قد سمعوا علم العامه و علم الخاصه، فاختلط عليهم حتى كانوا يروون حديث العامه عن الخاصه، و حديث الخاصه عن العامه، فكرهت أن يختلط على فتركت ذلك و أقبلت على هذا (٣).

«و قد كان يكون من رسول الله الكلام له و جهان فكلام خاص» سئل الصادق عليه السلام كما روى (المعاني)- عن الوباء تكون في ناحيه المصر، فيحول الرجل الى ناحيه اخرى، أو يكون في مصر فيخرج منه الى غيره، فقال عليه السلام: لا بأس، إنما نهى النبي صلى الله عليه و آله عن ذلك لمكان ربيته كانت بحيال العدو، فوقع فيهم الوباء، فهربوا منه، فقال النبي: الفار منه كالفار من الزحف، كراهه أن يخلو مراكزهم (٤).

ص: ٢٧٩

١- ١) اختيار معرفه الرجال: ٣٧٥.

٢- ٢) اختيار معرفه الرجال: ٥٥٦.

٣- ٣) اختيار معرفه الرجال: ٥٩٠ ح ١١٠٥.

٤- ٤) جاء قريب منه في معاني الأخبار: ٢٥٤ ح ١، عن الكاظم عليه السلام لكن رواه بهذا اللفظ عن الصادق عليه السلام الكليني

في الكافي ج ٨: ١٠٨ ح ٨٥. [١]

و فى (النهج): سئل عليه السّلام عن قول النّبىّ صلّى الله عليه وآله غيروا الشيب، و لا تشبهوا باليهود. فقال: انما قال ذلك و الدين قل، فأما الآن و قد اتسع نطاقه، و ضرب بجرانه، فأمرؤ و ما اختار (١).

و كذلك أمر النّبىّ صلّى الله عليه وآله بالهروله فى الحديدية، و انما كان لأجل أن يرى كفار قريش منهم قوه، و أما روايه العامه انها و ان كان الأصل فيها ذلك إلا انها صارت سنّه فمن مجعولا تهم، فزعمه فاروقهم، ففى سنن ابى داود عنه قال:

فيم الرملاين و الكشف عن المناكب، و قد أظأ الله الاسلام و نفى الكفر و أهله، مع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد النّبى (٢).

و قد حقق ذلك ابن عباس، ففى (سنن ابى داود) أيضا عن أبى الطفيل قلت لابن عباس: يزعم قومك ان النّبى صلّى الله عليه وآله قد رمل بالبيت و ان ذلك سنّه. قال:

صدقوا و كذبوا. قلت: و ما صدقوا و كذبوا؟ قال: صدقوا قد رمل النّبى، و كذبوا ليس بسنّه، ان قريشا قالت زمن الحديدية دعوا محمدا و أصحابه حتى يموتوا موت النغف، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل، فيقيموا بمكه ثلاثه أيام، فقدم صلّى الله عليه وآله و المشركون من قبل قعقعان، فقال لأصحابه «ارملوا بالبيت ثلاثا و ليس بسنّه» (٣).

و مثله السعى راكبا، ففى خبره أيضا قلت له: يزعم قومك أنه صلّى الله عليه وآله طاف بين الصفا و المروه على بعير و ان ذلك سنّه. فقال: صدقوا و كذبوا.

صدقوا قد طاف بين الصفا و المروه على بعير، و كذبوا ليس بسنّه، كان الناس لا يدفعون عن النّبى و لا يصرفون عنه، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه

ص: ٢٨٠

١- (١) نهج البلاغه ٤:٥ حكمه ١٦. [١]

٢- (٢) سنن أبى داود ٢:١٧٨ ح ١٨٨٧. [٢]

٣- (٣) سنن أبى داود ٢:١٧٧ ح ١٨٨٥. [٣]

و لا يروا مكانه و لا تناله أيديهم (١).

(بيان) النعف: دود يكون في أنوف الابل و الشاه و في النواه.

و روى الصدوق: ان رجلا قال للصادق عليه السلام: بلغنا أن النبي صَلَّى الله عليه و آله قال:

«أيما رجل ترك دينارين فهما كى بين عينيه». فقال عليه السلام: أولئك قوم كانوا أضيافا على النبي، فإذا أمسى قال لأصحابه: يا فلان اذهب فعش هذا، فإذا أصبح قال: يا فلان اذهب فعش هذا، فلم يكونوا يخافون أن يصبحوا بغير غداء و لا عشاء، فجمع رجل منهم دينارين، فقال النبي فيه هذه المقالة، و للرجل أن يأخذ ما يكفيه و يكفى عياله من السنه الى السنه (٢).

و روى (سنن أبى داود): أن رجلا - سأل النبي صَلَّى الله عليه و آله عن المباشرة للصائم، فرخص له، و أتاه آخر فنهاه، فاذا الذى رخص له شيخ، و الذى نهاه شاب (٣).

و فى الفقيه عن خالد يباع القلانيس قلت للصادق عليه السلام: رجل أتى أهله و عليه طواف النساء. قال: عليه بدنه، ثم جاءه آخر، فسأله، فقال: عليه بقره، ثم جاءه آخر، فسأله، فقال: عليه شاه. فقلت له بعد ما قاموا: كيف قلت: عليه بدنه؟ قال: أنت موسر عليك بدنه، و على الوسط بقره، و على الفقير شاه (٤).

و فى (التهذيب) عنه عليه السلام ذكر أبو الخطاب فلعله ثم قال: انه لم يكن يحفظ شيئا، حدثته أن النبي صَلَّى الله عليه و آله غابت له الشمس فى مكان كذا و كذا، و صَلَّى المغرب بالشجره، و بينهما سته أميال، فأخبرته بذلك

ص: ٢٨١

١- ١) المصدر السابق. [١]

٢- ٢) أخرجه الصدوق فى معانى الأخبار: ١٥٢ ح ١.

٣- ٣) سنن أبى داود ٢: ٣١٢ ح ٢٣٨٧. [٢]

٤- ٤) الفقيه ٢: ٢٣١ ح ٧٥.

فى السفر، فوضعه فى الحضرة (١).

و روى الصدوق، ان رجلا سأل الصادق عليه السلام عما يحل من مال الابن.

فقال: قوته بغير سرف. فقال الرجل: فقول النبى: «انما أنت و مالك لأبيك» كيف؟ فقال عليه السلام: جاء رجل بأبيه الى النبى صلى الله عليه و آله و قال: ان أبى هذا قد ظلمنى ميراثى من امى. فأخبره الأب أنه قد أنفق عليه و على نفسه. فقال له: أنت و مالك لأبيك، و لم يكن عند الرجل شىء، أو كان النبى يحبس الأب بالابن (٢).

و قال الباقر عليه السلام: انما نهى النبى صلى الله عليه و آله عن أكل لحوم الحمر من أجل ظهورها مخافه أن يفنوها، و ليست الحمير بحرام، قال تعالى: «قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ» (٣) - الآية (٤).

«و كلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه» كلمه «سبحانه» أخذتها (المصريه) عن (ابن أبى الحديد)، و ليست فى (ابن ميثم) (٥).

«به و لا ما عنى رسول الله» هكذا فى (المصريه) و فيها سقط، و الأصل «به رسول الله» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٦).

«فيحمله السامع و يوجهه على غير معرفه بمعناه و ما قصد به و ما خرج من أجله» فى (المروج): روى أبو مسعود البدرى: ان النبى صلى الله عليه و آله قال: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مائه أحد إلا مات»، و استفاضت روايته، فجزع الأكثر، فأفضى ذلك الى على عليه السلام، فقال: صدق أبو مسعود فيما قاله و ذهب عنه

ص: ٢٨٢

١- ١) التهذيب ٢: ٢٥٨ ح ٦٥.

٢- ٢) أخرجه الصدوق فى الفقيه ٣: ١٠٩ ح ٢.

٣- ٣) الأنعام: ١٤٥. [١]

٤- ٤) أخرجه الصدوق فى علل الشرائع ٢: ٥٦٣ ح ٢. [٢]

٥- ٥) توجد الكلمه فى شرح ابن أبى الحديد ١١: ٣٩ و [٣] شرح ابن ميثم ٤: ٢١. [٤]

٦- ٦) كذا فى شرح ابن ميثم ٤: ٢١، [٥] لكن فى شرح ابن أبى الحديد ١١: ٣٩ [٦] مثل المصريه.

المراد بذلك، وإنما مراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ بَعْدَ رَأْسِ مَائِهِ مِمَّنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا مَاتَ (١).

و صدق عليه السَّلام، فكان آخر من مات ممن رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أبا الطفيل الكناني مات سنة مائه، وكان يقول ما بقى على وجه الأرض عين تطرف ممن رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غيرى.

و فى خبر آخر أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلام قال له لما روى ذلك: «أخطأت استك الحفرة، و غلظت فى أوّل ظنّك، إنما عنى من حضره يومئذ، و هل الرخاء إلا بعد المائة (٢).

قلت: و الظاهر أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلام أشار فى قوله «و هل الرخاء إلا بعد المائة» الى تزلزل أمر بنى اميه الذين كان الناس منهم فى غايه الشده، فبعد سنه مائه قام مبلغو العباسيين و دعاهم.

و روى (الكافى): أن الناس كانوا اذا مرت عليهم جنازه يقومون، سمعوا ان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مرت عليه جنازه فقام، و كان الحسين عليه السَّلام يوما جالسا، فمرت جنازه، فقام الناس و لم يقم عليه السَّلام، و قال: إنما مرت جنازه يهودى على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فقام لأنّه كره أن يعلو رأسه جنازه يهودى (٣).

و روت العامه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مر على شاه مهزوله ميته، فقال: «ما كان على أهلها إذ لم ينتفعوا بلحمها أن ينتفعوا باهابها»، فقالوا لروايتهم بطهاره اهاب الشاه الميته، فقال الصادق عليه السَّلام: تلك الشاه المهزوله الميته كانت شاه سوده بنت زمعه زوجته، فقال ما قال، و مراده بكلامه أنهم لم يذكوها حتى

ص: ٢٨٣

١- ١) رواه أحمد بطريقين فى مسنده ١: ٩٣ و جمع آخر و لكن لم اظفر عليه فى مروج الذهب. [١]
٢- ٢) رواه الاسكافى فى النقض عنه شرح ابن أبى الحديد ٤: ٧٦ و [٢] أحمد فى مسنده ١: ١٤٠، و الحاكم فى المستدرک ٤: ٤٩٨.

٣- ٣) الكافى ٣: ١٩٢ ح ٣. ٢. [٣]

ينتفعوا بأهابها اذ كان لحمها لا ينتفع به لهزالها، وليس مراده صَلَّى الله عليه و آله ما توهموا (١).

و روى (سنن أبي داود) عن أبي بكره: ان النبي صَلَّى الله عليه و آله قال: لا- يقولن أحدكم انى صمت رمضان كله، قمته كله. و قال: لا أدرى أكره التزكية، أو قال لا بد من نومه أو رقدته (٢).

و أقول: لم يرد صَلَّى الله عليه و آله واحدا مما قال، و انما أراد لا تقتصروا على قول «رمضان» بل قولوا «شهر رمضان»، لأن رمضان اسم من أسماء الله تعالى كما تبه على ذلك أهل بيته عليهم السلام (٣).

و روى (سنن أبي داود) عن غالب بن أبجر قال: أصابتنا سنه، فلم يكن فى مالى شىء أطعم أهلى، و قد كان النبي صَلَّى الله عليه و آله حرم لحوم الحمر الأهليه، فأتيت النبي و قلت له ذلك، فقال: اطعم أهلك من سمين حمرك، انما حرمتها من أجل جوال القرية- يعنى الجلاله (٤).

و روى (سنن أبي داود) فى باب الصلاه بجمع عن عمر: كان أهل الجاهليه لا- يفيضون حتى يروا الشمس على ثبير، فخالفهم النبي، فدفع قبل طلوع الشمس (٥).

قلت: سمع أن النبي صَلَّى الله عليه و آله خالف أهل الجاهليه فى الافاضه و لم يعرف مراده صَلَّى الله عليه و آله. روى الصدوق و الشيخ عن معاويه بن عمار عن الصادق عليه السلام

ص: ٢٨٤

١- ١) رواه الكليني فى الكافي ٦: ٢٥٩ ح ٧، و [١] الطوسى فى التهذيب ٩: ٧٩ ح ٧٠.

٢- ٢) سنن أبي داود ٢: ٣١٩ ح ٢٤١٥. [٢]

٣- ٣) روى هذا الكليني فى الكافي ٤: ٦٩ ح ٢، و [٣] الصدوق فى الفقيه ٢: ١١٢ ح ١١، و معانى الأخبار: ٣١٥ ح ١ عن الباقر عليه السلام و رواه الصدوق فى فضائل الأشهر الثلاثة: ٩٨ ح ٨٤ [٤] عن الرضا عليه السلام.

٤- ٤) سنن أبي داود ٣: ٣٥٦ ح ٣٨٠٩. [٥]

٥- ٥) سنن أبي داود ح ١٩٤ ٢: ١٩٣٨. [٦]

قال: كان أهل الجاهلية يقولون اشرق ثبير كيما نغير، و انما أفاض النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله خلاف أهل الجاهلية، كانوا يفيضون بايجاف الخيل و ابيضاع الابل، فأفاض النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله خلاف ذلك بالسكينة و الوقار و الدعاه (١).

و انما فى بعض الأخبار أفضليه الافاضه قبل الطلوع بقليل إذا لم يجز وادى محسر، و ان لم يعمل به إلا بعض اصحابنا و قد اجمعوا على الجواز بعده (٢).

فإن قيل: أى ربط لنقل فعل النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله مع قول أهل الجاهلية؟ قلت: انما ربطه انهم قالوا «كيما نغير» أى: نسرع فى السير بالايجاف و الايضاع، فخالفهم النبي فى ذلك لا فى انتظار اشراق ثبير بالشمس كما توهمه عمر.

و عنون (ميزان الذهبى) لسعده بن اليسع و قال: روى عن جعفر عن أبيه ان النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله كسا عليا عليه السّلام برده يقال لها «السحاب»، فأقبل و هى عليه، فقال النبي: هذا على قد أقبل فى السحاب. قال جعفر: فحرفها هؤلاء و قالوا على فى السحاب.

و قيل للصادق عليه السّلام: ان العامه رووا ان النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله قال: ان العرش اهتز لموت سعد بن معاذ. فقال عليه السلام: أراد النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله بالعرش السرير الذى كان عليه (٣).

و قيل للصادق عليه السّلام: ان العامه رووا ان النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله قال: «حدّث عن بنى اسرائيل و لا- حرج». قال عليه السّلام: نعم. قيل فنتحدث بما نسمع و لا حرج علينا؟ فقال: لا كيف و قد قالوا: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»، و انما مراد

ص: ٢٨٥

١-١) أخرجه الصدوق فى العلل ١: ٤٤٤ ح ١، و [١] الطوسى فى التهذيب ١٩٢: ٥ ح ١٤.

٢-٢) راجع وسائل الشيعة ٤٧: ١٠-٥٢ الأبواب ١٥-١٧، و المختلف: ٣٠٠.

٣-٣) أخرجه الصدوق فى معانى الأخبار: ٣٨٨ ح ٢٥.

النبي أن ما حكى القرآن أنه كان في بني إسرائيل فحدث انه كان في هذه الامه و لا حرج (١).

قلت: و صدق عليه السّلام، ففي الأخبار المستفيضه ان بني اسرائيل لو كانوا دخلوا جحر ضب لدخلته هذه الامه (٢)، و بنو اسرائيل افتتنوا بعد غيبه موسى، و عبدوا العجل، و أرادوا قتل خليفته هارون، فلا بد بمقتضى تلك الأخبار المتواتره و ذاك الخبر وقوع مثله في هذه الامه بعده، و الى ذلك أشار أمير المؤمنين عليه السّلام لما جاءوا به لبيعه أبي بكر و هددوه بالقتل، فلاذ عليه السّلام بقبر النبي صلى الله عليه و آله و قال: يا ابن أمّ ان القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني، كما روى ذلك ابن قتيبه في خلفائه (٣).

و نظيره ما رواه (الكافي) عن محمد بن مارد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

حديث روى لنا انك قلت: «إذا عرفت فاعمل ما شئت». فقال: قد قلت ذلك. قلت:

و ان زنوا، أو سرقوا، أو شربوا الخمر. فقال لي: انا لله و إنا إليه راجعون، و الله ما أنصفونا أن نكون أخذنا بالعمل، و وضع عنهم. انما قلت اذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير أو كثيره، فإنه يقبل منك (٤).

و قال عباد بن صهيب للصادق عليه السّلام: أنتم أفضل أم أبو ذر و قد قال النبي فيه «ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على ذى لهجه أصدق من أبي ذر»؟ فقال عليه السّلام: ان أبا ذر كان في قوم من الصحابه، فتذاكروا فضائل الامه، فقال أبو ذر: أفضلهم على بن أبي طالب صدّيقهم، و فاروقهم، و هو قسيم الجنه

ص: ٢٨٤

١- ١) أخرجه الصدوق في معاني الأخبار: ١٥٨ ح ١.

٢- ٢) أخرجه البخارى في صحيحه ٤: ٢٦٤، و مسلم في صحيحه ٤: ٢٠٥٤ ح ٦، و ابن ماجه في سننه ٢: ١٣٢٣ ح ٣٩٩٤ و غيرهم.

٣- ٣) الامامه و السياسه ١: ١٣. [١]

٤- ٤) الكافي ٢: ٤٦٤ ح ٥. [٢]

و النار، و حجه الله على الامه، فما بقى أحد منهم إلا أعرض عنه بوجهه، و أنكر على أبي ذر قوله و كذبه، فذهب أبو امامه الباهلي من بينهم الى النبي صلى الله عليه و آله، فأخبره بقول أبي ذر، و اعراضهم عنه، و تكذيبهم له، فقال النبي: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء- يعنى منكم يا ابا امامه- على ذى لهجه أصدق من أبي ذر.

و قال عليه السلام لعباد: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، كما ان شهر رمضان لا يقاس به شهر، و ان كان من الأربعة الحرم- أى شهر غيره- فان فيه ليله العمل فيها أفضل من ألف شهر (١).

قلت: و صدق عليه السلام، الخبر لا يستفاد منه أفضلية أبي ذر من أهل بيته عليهم السلام، حيث أنه صلى الله عليه و آله قال بالإضافة الى خصمائه من الصحابه، و انما يستفاد منه حقيقه أمر خلفائهم، فلما قال أبو ذر لعثمان- هو ابن عفان بن أبي العاص- انى سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول: «اذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا- اتخذوا مال الله دولا- و عباده خولا- و دينه دغلا» و كذبه عثمان، صدقه أمير المؤمنين عليه السلام بالحديث المتفق عليه من النبي فيه: «ما أظلت الخضراء»- الخبر (٢).

و روى سنن ابى داود عن أبى مره مولى ام هانى أنه دخل مع عبد الله بن عمرو بن العاص على أبيه، فقرب اليهما طعاما، فقال: انى صائم. فقال: كل فهذه الأيام التى كان النبي صلى الله عليه و آله يأمرنا بافطارها، و ينهانا عن صيامها، قال مالك: و هى أيام التشريق (٣). قلت: انما نهى صلى الله عليه و آله عن صيام تلك الأيام لمن كان

ص: ٢٨٧

١- ١) أخرجه الصدوق فى علل الشرائع ١: ١٧٧ ح ٢، و [١]النقل بتصريف فى العبارة.

٢- ٢) الحديثان مشهوران و القصه رواها الواقدي كما فى شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٨ [٢]

٣- ٣) سنن أبى داود ٢: ٣٢٠ ح ٢٤١٨ [٣]

بمنى، لا لمن كان فى سائر الأمصار.

و قال ابراهيم بن هاشم القمى: قالت امرأه لأبى عبد الله عليه السّلام: انى كنت أقعد فى نفاسى عشرين يوماً حتى أفتونى بثمانية عشر. فقال عليه السّلام لم أفتوك بثمانية عشر يوماً؟ فقال رجل: للحدث الذى روى ان النبى صلّى الله عليه وآله قال لأسماء بنت عميس حين نفست بمحمد بن أبى بكر ذلك. فقال: ان أسماء سألت النبى صلّى الله عليه وآله و قد أتى بها ثمانية عشر يوماً، و لو سألته قبل ذلك لأمرها أن تغتسل، و تفعل ما تفعله المستحاضه (١).

قلت: و مراده عليه السّلام بعد العشره.

و قد لا يتدبر السامع فى السؤال فلا يفهم الجواب. روى الشيخ عن أبى بصير أن رجلاً سأل الصادق عليه السّلام عن التكبير على الجنائز، فقال: خمس تكبيرات، ثم دخل آخر، فسأله عن الصلاه على الجنائز، فقال: أربع صلوات، فقال الأول له عليه السّلام: سألتك فقلت خمسا، و سألك هذا فقلت أربعاً. فقال عليه السّلام: أنك سألتنى عن التكبير، و سألتنى هذا عن الصلاه (٢).

و مراده عليه السّلام بالصلاه الدعاء، فبين الخمس تكبيرات أربعه أدعيه.

و نظير توجيه السامع كلام النبى صلّى الله عليه وآله على غير معرفه بمعناه، و ما قصد به، و ما خرج من أهله، توجيه السامع كلام الامام كذلك، فروى الشيخ عن الصفار عن العبيدى عن عثمان بن عيسى عن سماعة عن الصادق عليه السّلام قلت له: رجل قطع بعض لسان انسان، فأفصح ببعض، و لم يفصح ببعض.

قال: يقرأ المعجم، فما أفصح به طرح من الديه، و ما لم يفصح به لزم الديه. قلت:

كيف هو؟ قال: على حساب الجمل ألف ديته واحد، و الباء اثنان، و الجيم ثلاثه،

ص: ٢٨٨

١- ١) رواه الشيخ الحر فى وسائل الشيعة ٢: ٦١٤ ح ١١، و [١] المسئول عنه الباقر عليه السّلام.

٢- ٢) أخرجه الطوسى فى التهذيب ٣: ٣١٨ ح ١٢، و الاستبصار ١: ٤٧٦ ح ١١.

و الدال أربعة، و الهاء خمسة، و الواو ستة، و الزاي سبعة، و الحاء ثمانية، و الطاء تسعة، و الياء عشرة، و الكاف عشرون، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون، و النون خمسون، و السين ستون، و العين سبعون، و الفاء ثمانون، و الصاد تسعون، و القاف مائة، و الراء مائتان، و الشين ثلاثمائة، و التاء أربعمائة - و كل حرف تزيد بعد هذا من «الف ب ت ث» زدت له مائة درهم.

ثم قال: ما تضمن الخبر من الحساب يشبه ان يكون من كلام بعض الرواه من حيث سمعوا أنه قال «يفرق ذلك على حروف الجمل» ظنوا أنه على ما يتعارفه الحساب من ذلك، و لم يكن القصد ذلك، و انما كان القصد أن يقسم على الحروف كلها أجزاء متساوية، و يجعل لكل حرف جزء من جملتها (١).

و نظيره قول الصادق عليه السلام: «الام و البنت سواء»، و مراده أنه اذا ملك امرأه و بنتها، فله و طى أيهما شاء، فتحرم الاخرى.

و الشاهد على ان مراده عليه السلام ذلك ان أحمد بن محمد بن عيسى رواه في نوادره في باب الجمع بين الام و البنت في الملك، و توهم الشيخ أو مشايخ قبله غير ذلك، فرواه الشيخ و قال: يعني اذا تزوج المرأه، ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فانه ان شاء تزوج امها، و ان شاء ابنتها، و هو شاذ - إلخ (٢).

و على ما عرفت فليس بشاذ.

و روى الكشى عن الرضا عليه السلام قيل له: ان ابن بكير روى ان الصادق عليه السلام سئل أيام خروج محمد بن عبد الله عن الخروج، فقال: اسكنوا ما سكنت السماء و الأرض. فقال: ابن بكير اذا كان هكذا فما من خروج و ما من قائم. فقال عليه السلام:

ص: ٢٨٩

١- ١) أخرجه الطوسى فى التهذيب ٢٦٣: ١٠ ح ٧٦، و الاستبصار ٢٩٣: ٤ ح ٦.

٢- ٢) الحديث أخرجه أحمد بن محمد بن عيسى فى النوادر: ٩٩ و ١٠٠ ح ٢٣٩ و ٢٤١ فى باب «الرجل تموت امرأته أو يطلقها قبل أن يدخل بها فيتزوج امها أو ابنتها» و ما ذكره الشارح فى نقد الحديث مقتبس من كلام الشيخ الحر فى الوسائل ٣٥٦: ١٤. [١]

انما قال الصادق اسكنوا ما سكنت السماء من النداء، والأرض في الخسف بالجيش، وليس على ما تأوله ابن بكير (١).

و في الكافي في باب صومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد روايته عن سماعة و عن الحلبي عن الصادق عليه السلام أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صام شعبان، فأما الذي جاء في صوم شعبان انه سئل عليه السلام عنه فقال: ما صامه النبي و لا أحد من آبائي. قال ذلك لأن قوما قالوا ان صيامه فرض مثل شهر رمضان و ان الكفاره في افطاره كالكفاره في افطار شهر رمضان، أي: ما صاموه فرضا تكذيبا لهم (٢).

هذا، و قد يحمل فعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على غير مراده، ففي سنن أبي داود مسندا عن عائشه قالت: ما سبح النبي سبحه الضحى قط، و اني لأسبحها، و ان كان النبي ليدع العمل و هو يحب أن يعمل به خشيه أن يعمل به الناس فيفرض عليهم (٣).

فان ما قالتها مغالطه، فانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لا يداوم على المسنونات لثلا يظن كونها فرائض، و اما عدم فعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لصلاه مخصوصه أبدا، كما أقرت به، فدليل على عدم مشروعيتها، لا عدم وجوبها ٢. «و ليس كل أصحاب رسول الله من» هكذا في (المصريه) و كلمه «من» زائده، فليست في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

«كان يسأله و يستفهمه حتى ان كانوا ليجون ان يجيء الاعرابي و الطارئ» هكذا في (المصريه) و الصواب: «أو الطارئ» كما في (ابن أبي الحديد و ابن

ص: ٢٩٠

١- ١) رواه عن طريق الكشي أبو علي الطوسي في أماليه ٢:٢٦ جزء ١٤ و [١] رواه أيضا الصدوق في معاني الأخبار: ٢٦٦ ح ١.

٢- ٢) الكافي ٤:٩٠ و ٩١. [٢]

٣- ٣) سنن أبي داود ٢:٢٨ ح ١٢٩٣. [٣]

٤- ٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١:٣٩ لكن في شرح ابن ميثم ٤:٢١ [٤] مثل المصريه.

ميثم و الخطيه) (١).و في (القاموس):«طرا طروا»:اتي من مكان بعيد (٢)،و في الجمهوره:«طرات على القوم»إذا قدمت عليهم أو نزلت بهم و هم لا يعلمون فانا طارئ.

«فيسأله حتى يسمعوا» روى ان عمر خطب الناس فقال:اني لعلى أنهاكم عن أشياء تصلح لكم،و أمركم بأشياء لا تصلح لكم،و ان من آخر القرآن نزولا آيه الربا،و انه قد مات النبي صلى الله عليه و آله و لم يبينها لنا (٣).

قلت:فإذا كان اعترف بأن النبي صلى الله عليه و آله لم يبين له آيه الربا،و لا يدرى الصلاح و الفساد فيما يأمر و يزجر،فلم منع النبي صلى الله عليه و آله عن الوصيه و قال يكفيننا كتاب الله،و قد اعترف أيضا بعدم تبين ما قاله تعالى في القرآن أنه بينه من قوله في آخر سورة النساء: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» -الى- «يُيَسِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (٤).

بل لم يعرف لفظ القرآن فضلا عن معناه،فروى الثعلبي في تفسيره في قوله تعالى: «وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» (٥) يروى ان عمر بن الخطاب قرأ «و الأنصار» برفع الراء،و قرأ «الذين» بغير واو،فقال له ابى بن كعب انما هو «و الأنصار و الذين» بالواو- فعاودوه مرارا،فقال أبى:و الله لقد قرأتها على النبي «و الذين اتبعوهم باحسان»،و انك يومئذ تبيع القرص ببيع الغرق.فقال:صدقت حفظتم

ص:٢٩١

١-١) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١١:٣٩،و [١] شرح ابن ميثم ٤:٢١ [٢] مثل المصريه.

٢-٢) القاموس المحيط ٤:٣٥٦، [٣] ماده (طرا).

٣-٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢:٧٦٤ ح ٢٢٧٦،و أحمد في مسنده ١:٣٦ و ٤٩.

٤-٤) النساء:١٧٦. [٤]

٥-٥) التوبه:١٠٠. [٥]

و نسينا، و تفرغتم و شغلنا، و شهدتم و غبنا. ثم قال عمر لابي: أفيهم الأنصار؟ قال: نعم و لم يستأمر الخطاب و لا ابنه. فقال عمر: كنت أظن انا قد رفعا درجه لا يبلغها أحد بعدنا (١).

و كيف قال «يكفينا كتاب الله و الرجل يهجر»، و كان كثيرا ما يسأل باقي الصحابه عما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ففي الجمع بين الصحيحين قال أبو أوفى:

سألني عمر بن الخطاب عما قرأ به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوم العيد، فقلت: «أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ»، و «ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» (٢).

و في (تاريخ بغداد): سأل عمر الناس بمنى عن الديه، فقال الضحاك بن سفيان: كتب الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن أورث امرأه أشيم الضبابي من ديه زوجها.

و في (الجمع بين الصحيحين) في مسند أبي سعيد الخدري ان أبا موسى استأذن عليه عمر -ثلاثا- فلم يأذن له، فقال له عمر: فما حملك على ما صنعت؟ قال: كنا نؤمر بهذا. قال: لتقيمن على هذا بينه أو لأفعلن. فشهد له أبو سعيد الخدري بذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فقال عمر: خفي هذا علي من أمر النبي، ألهاني عنه الصفق بالأسواق (٣).

و روى ان عمر خرج الى الشام حتى اذا كان ببعض الطريق لقيه امرء الأجناد، فأخبروه ان الوباء قد وقع بالشام، فقال لابن عباس: ادع لي

ص: ٢٩٢

-
- ١- ١) رواه عن الثعلبي ابن طاوس في عين العبره: ١٧ و [١] عن جمع آخر السيوطي في الدر المنثور ٣: ٢٦٩. [٢]
- ٢- ٢) نقله عن الجمع بين الصحيحين ابن طاوس في الطرائف ٢: ٤٧٥، و [٣] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢: ٦٠٧ ح ١٤ و ١٥ و المسئول عنه أبو واقد الليثي و يعنى بالسورتين القمر و ق.
- ٣- ٤) نقله عن الجمع بين الصحيحين ابن طاوس في الطرائف ٢: ٤٧٦، و [٤] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤: ٨٨، و منسلم في صحيحه ٣: ١٦٩٤ و ١٦٩٥ ح ٣٣-٣٥، عن أبي سعيد لكن لفظ ابن طاوس الى حديث عبيد بن عمير عن أبي موسى الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٣: ١٩٦٥ ح ٣٦ أقرب من حديث ابي سعيد.

المهاجرين، فدهاهم، فسألهم، فاختلفوا، فجاء عبد الرحمن بن عوف، فقال: انى سمعت من النبى صلى الله عليه وآله اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه (١).

«وكان لا يمر بى من ذلك شىء إلا سألت عنه و حفظته» قال الشاعر:

أتاك المرجفون برجم غيب و جئتك بعد بالأمر المبين

صحيح ما اقول بفضل خبر و لا أقضى بمشبهه الظنون

فمن يك قد أتاك بزور قول فإنى قد أتيتك باليقين

و كيف لا و قد قال تعالى فيه: «و تَعِيَهَا أُنْذُنُ وَاَعْيَهَا» (٢) و قال النبى: أنا مدينة العلم و على بابها (٣)، و ان عنده علم ظاهر القرآن و باطنه (٤)، و لما قال عليه السلام أعلم كل آية نزلت فى قريش، قيل له: فما آيتك؟ قال: قوله تعالى:

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» (٥) فالنبى على بيته و أنا شاهد منه (٦).

و قال ابن أبى الحديد: كان عليه السلام مخصوصا من دون الصحابة بخلاوات كان يخلو بها مع النبى صلى الله عليه وآله لا يطلع الناس على ما يدور بينهما، و كان كثير السؤال للنبى صلى الله عليه وآله عن معانى القرآن و معانى كلامه، و إذا لم يسأل ابتداءه النبى بالتعليم و التثقيف، و لم يكن أحد من أصحاب النبى كذلك، بل كانوا أقساماء،

ص: ٢٩٣

١- ١) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ١٢: ٧٧.

٢- ٢) الحاقة: ١٢. [١]

٣- ٣) أخرجه جمع منهم الحاكم فى المستدرک ٣: ١٢٦ و ١٢٧ و [٢] الكلابى فى مسنده كما فى منتخبه: ٤٢٦ ح ٢.

٤- ٤) رواه الكنجى فى كفايه الطالب: ٢٩٢ عن ابن مسعود موقوفا.

٥- ٥) هود: ١٧. [٣]

٦- ٦) رواه ابن المغازلى فى مناقبه: ٢٧٠ ح ٣١٨، و ابن أبى حاتم و ابن مردويه و أبو نعيم فى المعرفة عنهم الدر المنثور ٣: ٣٢٤.

[٤]

منهم من يهابه أن يسأله، وهم الذين كانوا يحبون أن يجيء الاعرابي أو الطارئ، فيسأله وهم يسمعون، ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمم في النظر والبحث، ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم والمعاني بعباده أو دنيا، ومنهم المقلد الذي يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال، ومنهم المبغض الشائئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته بالسؤال عن دقائقه وغوامضه، وانضاف الى الأمر الخاص بعلي عليه السلام ذكاؤه وفطنته، وطهاره طينته و اشراق نفسه وضوؤها، و اذا كان المحل قابلا متهيئا، و كان الفاعل مؤثرا موجودا، و الموانع مرتفعه حصل الأثر على أتم ما يمكن، فلذلك كان علي - كما قال الحسن البصري - رباني هذه الامه و ذا فضلها، و لذا تسميه الفلاسفه امام الأئمه و حكيم العرب (١).

قلت: و من الخلوات التي قال خلوته صلى الله عليه و آله معه عليه السلام يوم الطائف، فأغضب الرجلين و غيرهما من نظرائهما. روى الترمذي مسندا عن جابر قال:

دعا النبي صلى الله عليه و آله عليا يوم الطائف فانتجاه طويلا، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فبلغ ذلك النبي فقال: ما انتجيته و لكن الله انتجاه. قال الترمذي:

معناه ان الله أمرني أن أنتجى معه (٢).

و كان هذا حال النبي صلى الله عليه و آله معه عليه السلام الى حين وفاته. روى أحمد ابن حنبل مسندا عن ام سلمه قالت: و الذي يحلف به ان كان علي ابن ابي طالب عليه السلام لأقرب الناس عهدا بالرسول صلى الله عليه و آله، مرض النبي مرض موته، فلما كان اليوم الذي قبض فيه دعا عليا، فناجاه طويلا و ساره كثيرا ثم قبض (٣).

ص: ٢٩٤

١-١ شرح ابن أبي الحديد ١١:٤٨. [١]

٢-٢ سنن الترمذي ٥:٦٣٩ ح ٣٧٢٦.

٣-٣ مسند أحمد ٦:٣٠٠ و [٢] النقل بتصريف في اللفظ.

ثم انه لم يذكر ان ائمة من أى قسم من الصحابه،فان أو لهم آسى حين احتضاره كما فى الخلفاء على امور،منها انه لیت سأل النبى عن ميراث بنت الأرخ و العمه،فإن فى نفسه من ذاك شيئا (١)؛و لم يكونوا ممن يهابوا النبى صلى الله عليه و آله ان يسألوه،فلما توفى عبد الله بن ابى و سأل ابنه النبى أن يصلّى عليه،فتقدّم للصلاه،جاء الثانى،فجذبه من خلفه و قال له-كما رووا- ألم ينهك الله أن تصلّى على المنافقين؟فقال النبى له:انى خيّرت فاخترت (٢).

و من المضحك انهم قالوا ان عمر قال للنبى: ألم ينهك الله عن الصلاه على المنافقين،ثم قالوا:أنزل الله تعالى تصديقا لعمر «و لا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ» (٣).

و لم يكونوا من قسم المقلده الذين يرون فرضهم السكوت و ترك السؤال،فاعترض الثانى على النبى صلى الله عليه و آله فى قبوله صلح الحديبيه،مع تصريح النبى صلى الله عليه و آله بأنه صلاح رآه الله تعالى بكونه دنيه فى الدين (٤).

و كيف كانوا من ذاك القسم و كانوا يجتهدون فى مقابل الله تعالى،فقال الثانى:متعتان كانتا على عهد رسول الله،و أنا أنهى عنهما،و اعاقب عليهما (٥).

فبقى ان يكونوا داخلين فى الأقسام الباقية،اما من البلدين فقال تعالى:

«و فَاحِشَهُ وَ أَبًا مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنعَامِكُمْ» (٦) فلم يفهم الأول المراد من الاب،مع

ص: ٢٩٥

١- ١) رواه ابن قتيبه فى الامامه و السياسه ١: ١٨، و [١] الطبرى فى تاريخه ٢: ٦١٩، سنه ١٣، و [٢] الجوهري فى السقيفه: ٣٩ و غيرهم.

٢- ٢) رواه مسلم فى صحيحه ٤: ٢١٤١ ح ٣ و ٤.

٣- ٣) التوبه: ٨٤. [٣]

٤- ٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢: ٢٠٥، و مسلم فى صحيحه ٣: ١٤١١ ح ٩٤.

٥- ٥) رواه ابو صالح كاتب الليث و الطحاوى عنهما منتخب كنز العمال ٦: ٤٠٤ و غيرهما.

٦- ٦) عبس: ٣٢. [٤]

قوله تعالى بأنه متاع لأنعامهم (١)، ولما شكت امرأه زوجها الى الثاني لم يفهم مرادها، حتى دله كعب بن سور القاضى (٢)، و أعطى الهرمزان الأمان، و لم يشعر حتى ذكر ذلك له أنس و غيره (٣)، و أما من المشغولين بطلب الدنيا فمره أنه قال لابي «تفرغتم و شغلنا» (٤)، و قال لأبي سعيد الخدرى «خفى هذا على من أمر النبى ألهانى عنه الصفق بالأسواق» (٥)، الا- انهم لم يكونوا من المبغضين بالوصف الذى ذكر من عدم حضورهم لصرف وقتهم بسؤال الدين، لأنهم كانوا من الأول ممن يجب الرئاسة على المسلمين.

هذا، و السؤال واجب. و فى بديع ابن المعتز عنه عليه السّلام: «العلم قفل مفتاحه السؤال» «فهذه» الامور التى ذكرت «وجوه ما عليه الناس فى اختلافهم» فى أحاديثهم «و علمهم» أى: عيوبهم «فى رواياتهم» من كذب بعضهم متعمدا، و وهم بعضهم لا قصدا، و عدم فهم بعضهم المراد بلاده.

هذا، و أما اختلاف أحاديث الشيعة فيزاد فيها على العلل الثلاث التقيه، فروى العيون عن الرضا عليه السّلام- فى خبر- أنا لم نرخص فيما لم يرخص فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله، و لا تأمر بخلاف ما أمر به رسول الله، إلاّ لعلّه خوف ضروره -الخبر (٦).

ص: ٢٩٤

١- (١) رواه ابو عبيد فى فضائله و عبد بن حميد فى مسنده عنهما الدر المنثور ٣١٧: ٦، و [١] الجاحظ فى كتاب الفتيا و الثعلبى فى تفسيره عنهما مناقب السروى ٢: ٣٥٧.

٢- (٢) رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣: ٣٠٣ و ٣٠٥ و [٢] ابن أبى شيبه فى المصنف و الزبير بن بكار فى المؤلفيات و ابن دريد فى الأخبار المنشوره عنهم الاصابه ٣: ٣١٥. [٣]

٣- (٣) رواه الطبرى فى تاريخه ٣: ١٨٣، سنه ١٧، و البلاذرى فى فتوح البلدان: ٣٧٤، و الثقفى و ابن أبى شيبه و على بن حجر عنهم الاصابه ٣: ٦١٨. [٤]

٤- (٤) رواه ابن طاوس فى عين العبره: ١٧، [٥] عن الثعلبى و السيوطى فى الدر المنثور ٣: ٢٦٩ عن جمع.

٥- (٥) رواه مسلم فى صحيحه ٣: ١٦٩٥ ح ٣٦.

٦- (٦) عيون الأخبار الصدوق ٢: ١٩ ح ٤٥. [٦]

ولذا قالوا فى الجمع بين الحديثين المختلفين بالأخذ بالحديث المخالف للعامه، و روى العلل عن الصادق عليه السّلام قال: أ تدرى لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقوله العامه؟ ان عليا عليه السّلام لم يكن يدين الله بدين إلا خالف عليه الامه الى غيره إرادته لإبطال أمره، و كانوا يسألونه عن الشىء الذى لا يعلمونه، فإذا أفتاهم جعلوا له ضدا من عندهم ليلتبسوا على الناس (١).

و من علل الحديث ان لا ينقل صدر الحديث أو ذيله الدالان على المراد، فيحمل على غير ما اريد به، فالكلام لا يصح الاستناد اليه إلا- بعد تمامه، فلو لم يراع ذلك يكون نظير ما قالوا ان المخبل السعدى و الزبرقان بن بدر توافقا للمهاجاه، و اجتمع الناس عليهما، فابتدأ المخبل، فقال:

نبئت ان الزبرقان يسبنى سفها و يكره ذو الخريز خصالى

الى أن أراد انشاده:

و أبوك بدر كان مشترط الخصى و أبى الجواد ربيعه بن قبال

فلما بلغ الى قوله «و أبى» انقطع عليه كلامه اما بشرق أو انقطاع نفس، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله «و أبى»، فسبقه الزبرقان قبل أن يتم و يبين، فقال: صدقت و ما فى ذاك ان كان شيخانا قد اشتركا فى صنعه، فغلبه الزبرقان، و ضحكوا من قوله، و تفرقوا و انقطع بالمخبل قوله، فترى جعل «و أبى» لعدم تمام الكلام عطفًا على «و أبوك»، فيكون الخبر «كان مشترط الخصى» لهما مع أنه كلام مستأنف.

ص: ٢٩٧

و من كلام له عليه السلام فى صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس لذلك بأهل:

إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ - رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ - فَهُوَ جَائِرٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ - مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعِهِ وَ دُعَاءِ ضَلَالِهِ - فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَتَنَ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ - مُضِلٌّ لِمَنْ افْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَ بَعْدَ وَفَاتِهِ - حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ - عَادٍ فِي أَعْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمَّ بِمَا فِي عَقْمِ الْهُدْنَةِ - قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ - بَكَرٌ فَاسِدٌ تَكْتُرُ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ - حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ وَ اِكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ - جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ - فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِخْدَى الْمُبْهَمَاتِ - هَيَأُ لَهَا حَشْوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ - فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسِجِ الْعَنْكَبُوتِ - لَا يَدْرِى أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ - فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ - وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ - جَاهِلٌ خَبَّاطٌ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَابُ عَشَوَاتٍ - لَمْ يَعْضُ عَلَى الْعِلْمِ بِضَمِّ رَسٍ قَاطِعٍ - يُدْرِى الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيْحِ الْهَشِيمِ - لَا مَلِيءٌ وَ اللَّهُ بِأَصْدَادِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ - وَ لَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ - لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ - وَ لَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِذْهَبًا لَغَيْرِهِ - وَ إِنَّ أَظْلَمَ أَمْرٌ اِكْتَمَّ بِهِ - لِمَا يَعْلمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ - تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءِ - وَ تَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ

إِلَى اللَّهِ أَشْكَو- مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالًا وَ يَمُوتُونَ ضَلَالًا- لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ- وَ لَا سَلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعًا- وَ لَا أَعْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ- وَ لَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَ لَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ أَقُول: قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي (عِيُونِ أَخْبَارِهِ ابْنِ قَتَيْبَةَ- عِيُونِ الْأَخْبَارِ-): حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهْيَعَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَبِيرَةَ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ذَمَّتْ رَهِينَهُ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ لِمَنْ صَرَحَتْ لَهُ الْعِبْرُ، لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى زَرْعُ قَوْمٍ وَ لَا يَظْمَأُ عَلَى التَّقْوَى سَنَخٌ أَصْلٌ، إِلَّا- وَ إِنْ أَبْغَضَ خَلَقَ اللَّهُ إِلَى اللَّهِ: رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا- غَارًا بِأَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمِيَاءَ بِمَا فِي عَقْدِ الْهَدَنَةِ، سَمَّاهُ أَشْبَاهَهُ مِنَ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَمْ يَعْزَمْ فِي الْعِلْمِ يَوْمًا سَالِمًا، بَكَرَ فَاسْتَكْرَهَ مَا قَلَّ مِنْهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ وَ اِكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ قَعَدَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ، إِنْ نَزَلَتْ بِهِ أَحَدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَأُ حَشَوَاتِهَا مِنْ رَأْيِهِ، فَهُوَ مِنْ قَطْعِ الشَّبَهَاتِ فِي مِثْلِ غَزْلِ الْعَنْكَبُوتِ، لَا- يَعْلَمُ إِذَا أَخْطَأَ لِأَنَّهُ لَا- يَعْلَمُ أَمْ أَخْطَأَ أَمْ أَصَابَ، خِبَاطُ عَشْوَاتِ، رِكَابُ جِهَالَاتِ، لَا يَعْتَذِرُ مِمَّا لَا يَعْلَمُ فَيَسْلَمُ وَ لَا يَعْضُ فِي الْعِلْمِ بِضَرَسٍ قَاطِعٍ يَذُرُّوهُ الرُّوَايَةَ ذُرُّوهُ الرِّيحِ الْهَشِيمِ، تَبْكِي مِنْهُ الدَّمَاءُ وَ تَصْرُخُ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ وَ يَسْتَحِلُّ بِقِضَائِهِ الْفَرْجَ الْحَرَامَ، لَا مَلِيءٌ وَ اللَّهُ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَ لَا أَهْلٌ لِمَا قَرَّظَ بِهِ.

وَ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ- شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ- ج ١ ص ٢٨٥ نَقَلَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي (غَرِيبِهِ ١ ابْنِ قَتَيْبَةَ- غَرِيبِ الْحَدِيثِ-) (١).

وَ رَوَاهُ بَابُ الْبَدْعِ وَ الرَّأْيِ مِنْ كِتَابِ الْعَقْلِ وَ الْجَهْلِ مِنَ الْكَافِي الْكَلِينِيِّ- الْكَافِي- كِتَابُ الْعَقْلِ وَ الْجَهْلِ بَابُ الْبَدْعِ وَ الرَّأْيِ ج ١ ص ٥٤٤ ح ٦ مَسْنَدًا وَ مَرْفُوعًا وَ مَرْسَلًا هَكَذَا.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ- وَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَارُونَ بْنِ

ص: ٢٩٩

مسلم عن مسعده بن صدقه عن أبي عبد الله عليه السلام، وعلی بن ابراهیم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ان من أبغض الخلائق الى الله تعالى لرجلين: رجل و كله الله الى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعه، قد لهج بالصوم و الصلاة، فهو فتنه لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به فى حياته و بعد موته، حمّال خطايا غيره رهن بخطيئته، و رجل قمش جهلا فى جهال الناس، عان بأغباش الفتنة، قد سمّاه أشباه الناس عالما، و لم يغن فيه يوما سالما، بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر، حتى اذا ارتوى من آجن و اكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، و ان خالف قاضيا سبقه لم يأمن من ان ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله، و ان نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات فى مثل غزل العنكبوت، لا يدرى أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم فى شىء مما أنكر و لا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهبا، ان قاس شيئا بشىء لم يكذب نظره، و ان أظلم عليه امر اکتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم و لا يعرض فى العلم بضرر قاطع فيغنم، يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكى منه المواريث و تصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام و يحرم بقضائه الفرج الحلال، لا ملئ باصدار ما ورد عليه و لا هو أهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق (١).

و فى (ارشاد الشيخ المفيد- الارشاد- ص ١٢٣ المفيد): و من كلامه عليه السلام فى أهل البدع و من قال فى الدين برأيه و خالف طريق أهل الحق فى مقاله ما رواه ثقات أهل النقل عند العامه

ص: ٣٠٠

و الخاصه فى كلام افتتاحه: الحمد لله و الصلاه على نبيه، أما بعد فذمتى بما أقول رهينه و أنا به زعيم، انه لا يهيج على التقوى زرع قوم و لا يظماً عنه سنخ أصل، و ان الخير كله فيمن عرف قدره و كفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره، و أن أبغض الخلائق الى الله تعالى رجل و كله الله الى نفسه جائز عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعه، قد لهج فيها بالصوم و الصلاه، فهو فتنه لمن افتتن به ضال عن يدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به حمال خطايا غيره رهن بخطيئته، قد قمش جهلاً فى جهال عشره غار بأغباش الفتنة عمى عن الهدى، قد سماه أشباه الناس عالماً، و لم يغن فيه يوماً سالماً، بكر فاستكثر مما قلّ منه خير مما كثر، حتى اذا ارتوى من آجن، و استكثر من غير طائل، جلس للناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، ان خالف من سبقه لم يأمن نقض حكمه من يأتى بعده كفعله بمن كان قبله، و ان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشواً من رأيه، ثم قطع عليه، فهو من لبس الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أصاب أم أخطأ، و لا يرى ان من وراء ما بلغ مذهبا، ان قاس شيئاً بشيء لم يكذب رأيه، و ان أظلم عليه أمر اکتتم به لما يعلم من نفسه من الجهل و النقص و الضروره كيلا يقال انه لا يعلم ثم أقدم بغير علم، فهو خائض عشوات ركاب شبهات خباط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، و لا يعرض فى العلم بضرر قاطع فيغنم. يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكى منه المواريث، و تصرخ منه الدماء، و يستحل بقضائه الفرج الحرام، و يحرم به الحلال، لا يسلم باصدار ما عليه ورد، و لا يندم على ما منه فرط.

أيها الناس عليكم بالطاعة و المعرفه بمن لا تعذرون بجهالته، فان العلم الذى هبط به آدم و جميع ما فضلت به النبيون الى نبيكم خاتم النبيين فى عتره نبيكم -الى أن قال- أما بلغكم ما قال فيهم نبيكم صلى الله عليه و آله فى حجه الوداع: «انى

تارك فيكم الثقيلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، ألا ان هذا عذب فرات فاشربوه، و هذا ملح اجاج فاجتنبوه (١).

و رواه (أمالى الشيخ الطوسى-أمالى- ج ١ ص ٢٤٠ جزء ٩ الشيخ) عن المفيد عن المراعى عن أحمد بن الصلت عن حاجب ابن الوليد عن الوصاف بن صالح عن أبى إسحاق عن خالد بن طليق عن على عليه السلام قال: ذمتى بما أقول رهينه-الى أن قال-غير ملىء و الله بإصدار ما ورد عليه، و لا- نادم على ما فرط منه، و أولئك الذين حلت عليهم النياحه و هم أحياء. فقام رجل فقال له عليه السلام: فمن نسأل بعدك، و على ما نعتمد؟ فقال:

استفتحوا بكتاب الله، فإنه امام مشفق، و هاد مرشد، و واعظ ناصح، و دليل يؤدي الى جنه الله عز و جل. و رواه الاحتجاج - الاحتجاج- ج ١ ص ٢٦٢ مع زياده الارشاد (٢).

و فى (تاريخ أحمد بن أبى يعقوب البغدادى يعقوبى-تاريخ يعقوبى- ج ٢ ص ٢١١): و قضى على عليه السلام على رجل بقضيه، فقال: قضيت على بقضيه هلك فيها مالى، و ضاع فيها عيالى.

فغضب حتى استبان الغضب فى وجهه ثم قال: يا قنبر ناد فى الناس الصلاه جامعه، فاجتمع الناس ورقى المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فذمتى رهينه، و أنا به زعيم، بجميع من صرحت له العبر أن لا يهيج على التقوى زرع قوم، و لا يظمأ على التقوى سنخ أصل، و ان الخير كله فيمن عرف قدره، و كفى بالمرء جهلا ألا يعرف قدره، ان من أبغض خلق الله الى الله-الى ان قال- و يستحل بقضائه الفرج الحرام، و يحرم بمرضاته الفرج الحلال، فأين يتاه بكم، بل أين تذهبون عن أهل بيت نبيكم؟ أنا من سنخ اصلاب السفينه، و كما نجا فى هاتيك من نجا ينجو فى هذه من ينجو. أنا رهين بذلك، و ويل لمن

ص: ٣٠٢

١- (١) الارشاد: ١٢٣، و [١] النقل باختلاف فى اللفظ.

٢- (٢) أمالى ابى على الطوسى ١: ٢٤٠ جزء ٩، و [٢] الاحتجاج ١: ٢٦٢. [٣]

تخلف عنهم، انى فيكم كالكهف لأهل الكهف، و انى فيكم باب حطه، من دخل منه نجا، و من تخلف عنه هلك، حجّه من ذى الحجّه، فى حجّه الوداع: انى قد تركت بين أظهركم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله و عترتى أهل بيتى (١).

ثم ان رواياتهم من ابن قتيبه و الكلينى و الطبرسى و (الإرشاد و الأمالى) و يعقوبى على اختلافهم فى الزيادة و النقصان خاليه من ذيل العنوان من قوله «الى الله أشكو» الى آخر العنوان، و انما روى الروضه جزء خطبته عليه السّلام فى ذى قار منه قوله: ثم أنّه سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فى ذلك الزمان شيء أخفى من الحق، و لا أظهر من الباطل، و لا أكثر من الكذب على الله و رسوله صلّى الله عليه و آله، و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعه أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته، و لا سلعه أنفق بيعا، و لا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، و ليس فى العباد و لا فى البلاد شيء هو أنكر من المعروف، و لا أعرف من المنكر، و ليس فيها فاحشه أنكر و لا عقوبه أنكى من الهدى عند الضلال فى ذلك الزمان، فقد نبذ الكتاب حملته، و تناساه حفظته - الخبر (٢).

قول المصنّف: (و من كلام له عليه السّلام فى صفه من يتصدى للحكم بين الامه و ليس لذلك بأهل) هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد)، و فى نسخه (ابن ٦٦ ميثم): «و من كلام له فى صفه من يتصدى من الامه للحكم و ليس لذلك بأهل» (٣).

و كيف كان ٦٦ فقال بعضهم فى عدم أهليه بعض المتصدىين للامور:

ص: ٣٠٣

١- ١) تاريخ يعقوبى ٢: ٢١١. [١]

٢- ٢) الكافى ٨: ٣٨٧ ح ٥٨٦. [٢]

٣- ٣) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٨٣، و [٣] شرح ابن ميثم ١: ٣١٠ مثل المصريه.

فديوان الضياع بفتح ضاد و ديوان الجراح بغير جيم

إذا ولي ابن عيسى و ابن موسى فما أمر الأنام بمستقيم

قوله عليه السّلام «ان أبغض الخلائق الى الله رجلان» لكثرة مفسدهما فى الاجتماع «رجل وكله الله الى نفسه» لعدم لياقته لأن يكالاه، قال تعالى فى ضربه مثلاً ما بعوضه فما فوقها: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» (١).

«فهو» لكلمته الى نفسه «جائر عن قصد السبيل» أى: مائل عنه، والأصل فيه قوله تعالى: «وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْهَا جَائِرٌ» (٢).

«مشغوف» يجوز بالعين و الغين يقال شعفه الحب، أى: احرق قلبه، و يقال شعغه الحب، أى: بلغ شعاف قلبه، أى: غلافه، و قرئ بهما قوله تعالى:

«قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا» (٣).

«بكلام بدعه و دعاء ضلاله» فى (الكافى) عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: أبى الله لصاحب البدعه بالتوبه. قيل: و كيف؟ قال: انه قد أشرب قلبه حبها (٤).

«فهو فتنه لمن افتتن به» فى (الكافى) عنهم عليهم السّلام: من أتى ذا بدعه فعظمه، فانما يسعى فى هدم الاسلام (٥).

ص: ٣٠٤

[١-١] البقره: ٢٦ و ٢٧. [١]

[٢-٢] النحل: ٩. [٢]

[٣-٣] يوسف: ٣٠: [٣] لفظ المصحف و مشهور القراءات بالغين المعجمه و روى عن الأئمه على و السجاد و الباقر و الصادق عليهم السّلام و عن يحيى بن يعمر و ابن محيى و فى روايه عن الحسن و قتاده و مجاهد القراءه بالعين المهمله راجع مجمع البيان ٢٢٨: ٥.

[٤-٤] الكافى ٥٤: ١ ح ٤. [٤]

[٥-٥] الكافى ٥٨: ١ ح ١٩. [٥]

«ضال عن هدى من كان قبله» في (الكافي) عنه عليه السلام: ما ابتدع أحد بدعه الا ترك بها سنّه (١).

«مضل لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام:

من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، و من دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله حيث أحل و حرم في ما لا يعلم (٢).

«حمال خطايا غيره» ممن اقتدى به فله مثل أوزار أعمالهم.

و في خبر: ان مبتدعا أراد التوبه، فقال له رسول زمانه: لا تقبل توبتك حتى تحيي من مات عاملا ببدعتك (٣).

«رهن بخطيئته» في (الكافي) عنه عليه السلام: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، و من دان الله بالرأى لم يزل دهره في ارتماس (٤).

«و رجل» هو الثاني من رجلين هما أبغض الخلائق الى الخالق «قمش» أي:

جمع من هنا و هناك «جهلا» و ان سمّاه علما. قال مسعر بن كدام التابعي «من أبغضني جعله الله محدّثا».

و قال ابن سلك الفالي:

تصدر للتدريس كل مهوس بليد يسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم ان يتمثلوا ببیت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها و حتى سامها كل مفلس

«موضع» من أوضع أي: مسرع «في جهال الائمة» لتعلم الأباطيل «عاد» هكذا في (المصريه)، و الصواب: ما في (الخطيه) «غاد»، و قال (ابن ميثم) و روى

ص: ٣٠٥

١-١) الكافي ١:٥٨ ح ١٩. [١]

٢-٢) الكافي ١:٥٧ ح ١٧. [٢]

٣-٣) رواه في ضمن حديث البرقي في المحاسن: ٢٠٧ ح ٧٠ و الصدوق في عقاب الأعمال: ٣٠٦ ح ١.

٤-٤) الكافي ١:٥٧ ح ١٧. [٣]

(غار) و(غاد) (١) من غدا يغدو أى: متعجل. قال امرؤ القيس:

و قد اغتدى و الطير فى وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل (٢)

«فى أغباش» جمع الغبش: ظلمه آخر الليل «الفتنه» أى: ما يوجب ضلال الناس «عم بما فى عقد الهدنه» الفقره ليست فى روايه الخاصه، و انما هى فى روايه ابن قتيبه فى كتابيه، و رواه الجزرى فى (النهايه) «عميانا فى غيب الهدنه» و قال أى لا يعرفون ما فى الفتنه من الشر، و لا ما فى السكون من الخير (٣)، و لا بد انه جعلها متصله بالفقره التى قبلها، فأشار الى معناهما.

و عن الزمخشري: ما لعلماء السوء جمعوا عزائم الشرع و دُونوها، ثم رخصوا فيها لامراء السوء و هُونوها، انما حفظوا و علقوا و صفقوا و حلقوا ليقمروا المال، و ييسروا و يفقروا الأيتام و ييسروا، أكمام واسعها فيها أصلال لاسعه، و أقلام كأنها أزلام، و فتوى يعمل بها الجاهل فيتوى .

«قد سمّاه أشباه الناس» فى الصوره الذين هم كالبهائم فى الحقيقه «عالما و ليس به» فكيف يكون من قمش جهلا عالما.

قال صاحب فى قابوس: «تسمى شمس المعالى و هو كسوفها».

«بكر» أى: أصبح «فاستكثر من جمع ما قل» بالضم و الرفع، أى: قليل، و لا يحتاج الى تكلفات ابن أبى الحديد و ابن ميثم (٤) «منه خير مما كثر» .

قد مر فى العنوان السابق عند قوله عليه السّلام «يكذب على رسول الله متعمدا» ان جمعا من طالبي حديث العامه من أهل البصره الذين كانوا يأخذون عن كلّ أحد، و رووا عن الصادق عليه السّلام و لا يعرفونه، فقال عليه السّلام لبعضهم: حدّثنى

ص: ٣٠٦

١-١ شرح ابن ميثم ١:٣١٥.

٢-٢ (٢) أورده فى ديوان امرؤ القيس: ١٩.

٣-٣ (٣) النهايه ٥:٢٥٢، [١] ماده (هدن).

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى لا حديد ١:٢٨٧ و شرح ابن ميثم ١:٣١٥. [٢]

ببعض ما سمعت من غيري. فقال: حدثني سفيان عن محمد بن علي أن من لم يمسح على خفيه فهو صاحب بدعه، و من لم يشرب النبيذ فهو مبتدع، و من لم يأكل الجريث و طعام أهل الذمه و ذبائحهم فهو ضال، مسح على الخف، و شرب النبيذ عمر، و أحل الذبائح على. و عن محمد بن المنكدر: ان عليًا قال:

من فضّلني على أبي بكر و عمر جلده حذ المفتري، و ان جعفرًا قال: حب أبي بكر و عمر ايمان، و ان عليا و د أنه بنخيلات ينبع يأكل من حشفهن، و لم يشهد يوم الجمل و لا- النهروان، و انه لما قتل أهل صفين بكى عليهم، و قال جمع الله بيني و بينهم في الجنة، و أنه عليه السلام قال له: لو قال لك جعفر الذي تروى عنه ان هذه الاحاديث كذب و لم أحدث أنا بها هل كنت تصدقه؟ قال: لا لأنه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عنق رجل لجاز قوله (١).

«حتى اذا ارتوى من ماء «آجن» أي: المتغير الطعم و اللون «و اكتنز» أي:

امتلاً «من غير طال» (٢) بالفتح أي: فائده.

نقل ابن قتيبة في (مختلفه): طعن متكلميهم في أهل حديثهم انهم مع افترائهم على الله تعالى في أحاديث التشبيه- كحديث عرق الخيل- قالوا حديثه أنه تعالى لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل، فأجراها حتى عرقت، فخلق نفسه من ذاك العرق- و زغب الصدر و نور الذراعين- قالوا: حديثه انه تعالى خلق الملائكة من شعر ذراعيه أو نورهما- و عياده الملائكة، و قفص الذهب على جمل أوراق عشيه عرفه، و الشاب الققط، و دونه فراش الذهب، و كشف الساق يوم القيامة اذا كادوا يباطشونه، و خلق آدم على صورته، و وضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثنودتي، و قلب المؤمن بين

ص: ٣٠٧

١- ١) رواه الكشي في معرفه الرجال اختياره: ٣٩٣ ح ٧٤١ و [١] النقل بتلخيص.

٢- ٢) مرّ في صدر هذا العنوان بلفظ «طائل».

و مع روايتهم كل سخافه تبعث على الاسلام الطاعنين، و تضحك منه الملحدين، و تزهد من الدخول فيه المريرين، و تزيد في شكوك المرتابين، كروايتهم في عجزه الحوراء انها ميل في ميل، و فيمن قرأ سورة كذا، كذا و كذا، و من فعل كذا و كذا أسكن من الجنة سبعين ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف مقصوره، في كل مقصوره سبعون ألف مهاده، على كل مهاده سبعون ألف كذا، و كروايتهم في الفاره انها يهوديه، و انها لا تشرب ألبان الابل كما ان اليهود لا تشربها، و في الغراب أنه فاسق، و في السنور انها عطسه الأسد، و في الخنزير أنه عطسه الفيل، و في الاربيانه انها كانت خياطه تسرق الخيوط فمسخت، و ان الضب كان يهوديا عاقا فمسخ، و ان سهيلا كان عشارا باليمن، و ان الزهره كانت بغيا عرجت الى السماء باسم الله الأكبر فمسخها الله شهابا، و ان الوزغه كانت تنفخ النار على ابراهيم، و ان العظايه تمج الماء عليه، و ان الغول كانت تأتي مشربه أبي أيوب كل ليله، و ان عمر صارع الجنى فصرعه، و ان الأرض على ظهر حوت، و ان أهل الجنة يأكلون من كبده أول ما يدخلون، و ان ذئبا دخل الجنة لأنه أكل عشارا، و اذا وقع الذباب في الاناء فامقلوه، فإن في أحد جناحيه سمًا و في الآخر شفاء، و أنه يقدم السم و يؤخر الشفاء، و ان الابل خلقت من الشيطان، مع أشياء كثيره يطول ذكرها.

و من عجيب شأنهم انهم ينسبون الشيخ الى الكذب، و لا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحذثون بقدرح يحيى بن معين و على بن المديني و أشباههما، و يحتجون بحديث ابي هريره فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابه، و قد أكذبه عمر و عثمان و عائشه، و يحتجون بقول فاطمه بنت قيس و قد أكذبها عمر و عائشه، و قالوا: لا ندع كتاب ربنا و سنّه نبينا لقول امرأه، و يبهرجون الرجل

بالقدر، فلا يحملون عنه كغيلان و عمرو بن عبيد و معبد الجهني و عمرو بن فائد، و يحملون عن أمثالهم من أهل مقاتلهم كقتاده و ابن أبي عروبه و ابن أبي نجيح و محمد بن المنكدر و ابن أبي ذئب، و يقدحون في الشيخ يسوى بين علي و عثمان أو يقدم عليا عليه، و يروون عن ابي الطفيل و جابر الجعفي و كلاهما يقول بالرجعه و هم مع هذا أجهل الناس بما يحملون، و أبخس الناس حظًا فيما يطلبون، و قالوا في ذلك:

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباغر

لعمر ك ما يدري البعير اذا غدا بأحماله أرواح، ما في الغرائر

قد قنعوا من العلم برسمه، و من الحديث باسمه، و رضوا بأن يقولوا فلان عارف بالطرق و روايه للحديث، و زهدوا في أن يقال عالم بما كتب أو عامل بما عمل، قالوا: و ما ظنكم برجل منهم يحمل عنه العلم و تضرب اليه أعناق الطي خمسين سنه أو نحوها سئل في ملا من الناس عن فأره وقعت في بئر فقال «البئر جبار»، و آخر سئل عن قوله تعالى: «رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ» (١) فقال:

هو هذا الصرصر، يعني صراصر الليل، و آخر حدّثهم عن سبعة و سبعين و يريد شعبه و سفيان، و آخر روى لهم: «يستر المصلى مثل أجره الرجل» يريد مثل آخره الرجل، و سئل آخر متى يرتفع هذا الأجل؟ فقال: الى قمرين - يريد شهرى هلال، و قال آخر: «يدخل يده في فيه، فيقضمها قضم الفجل» يريد قضم الفجل، و كلما كان المحدث أموق كان عندهم أنفق، و اذا كان كثير اللحن و التصحيف كانوا به أوثق - الخ .

«جلس بين الناس قاضيا» قال عليه السلام لشريح: قد جلست مجلسا ما جلسه

ص: ٣٠٩

(١ - ١) آل عمران: ١١٧. [١]

الانبي أو وصى نبي أو شقى (١).

و مر الباقر عليه السلام على محمد بن مسلم عند قاضى المدينه فقال له: و ما يؤمنك أن تنزل اللعنه عليه، فتعمك معه (٢).

و عن الصادق عليه السلام: ان النواويس شكت الى الله تعالى شده حرها، فقال لها اسكنى، فان موضع القضاء أشد حرا منك (٣).

«ضامنا لتخليص ما التبس» أى: اشتبه «على غيره» قال ابو محمد الواسطى فى بعضهم: و ما ذلك التيه و الصلف، إلا لأنه كلما جر جريرا اعتقد أنه قد جر جريرا، و كلما ركب الكميت ظن أنه قد ارتكب الكميت، و زعم أنه قد بلد لييدا، و عبد عبيدا .

«فان نزلت به احدى المبهمات هيا لها حشوا رثا» أى: ردلا باليا «من رأيه ثم قطع به» أى: يصير عنده أمرا مقطوعا به «فهو من لبس الشبهات فى مثل نسج العنكبوت» .

و فى روايه (الاحتجاج): فهو من رأيه فى مثل نسج غزل العنكبوت الذى إذا مرت به النار لم يعلم بها (٤).

«لا- يدرى أصاب أم أخطأ، فان» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (ان) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥) «أصاب خاف أن يكون قد أخطأ و ان أخطأ رجا أن يكون قد أصاب» و ذلك لعدم حصول علم له و يقين، بل حدس و تخمين.

قال ابن منذر فى خالد الخزاعى قاضى المهدي:

ص: ٣١٠

١- ١) أخرجه الكليني فى الكافى ٧: ٤٠٦ ح ٢، و [١] الصدوق فى الفقيه ٣: ٤ ح ٢، و الطوسى فى التهذيب ٦: ٢١٧ ح ١.

٢- ٢) أخرجه الصدوق فى الفقيه ٣: ٤ ح ١، و الكليني فى الكافى ٧: ٤١٠ ح ١، و [٢] الطوسى فى التهذيب: ٦: ٢٢٠ ح ١٢.

٣- ٣) أخرجه الصدوق فى الفقيه ٣: ٤ ح ٣.

٤- ٤) الاحتجاج ١: ٢٦٢. [٣]

٥- ٥) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٨٣، و [٤] شرح ابن ميثم ١: ٣١٠ [٥] مثل المصريه.

أصم أعمى عن سبيل الهدى قد ضرب الجهل عليه بالحجاب

يا عجباً من خالد كيف لا يخطئ فينا مره بالصواب

و قال أبو الأسود- كما فى (الأغانى)- فى جد عبيد الله بن الحسن قاضى البصره، الحصين بن أبى الحر العنبرى:

يصيب و ما يدرى و يخطى و ما درى و كيف يكون النوك الا كذلكا

فتقدم رجل مع خصم له الى عبيد الله القاضى، فخلط الرجل فى قوله، فتمثل عبيد الله بقول أبى الأسود فى جده، فقال له الرجل: ان أحقّ الناس بستر هذا الشعر لأنت، و قد علمت فيمن قيل، فتبسم عبيد الله، و غرم له ما كان خصمه يطالب به .

«جاهل خياط» من «خبط البعير» ضرب الأرض بيده لضعف بصرها، أو من «خبط الرجل» إذا طرح نفسه حيث كان لينام، أو من «خبطت الشجره» إذا ضربتها بالعصا ليسقط ورقها.

«جهالات» مضاف اليه لخباط «عاش» فى (الصحاح): العشوه ان تركب امرا على غير بيان، يقال «او طأتنى عشوه و عشوه» أى: أمرا ملتبسا، و ذلك اذا اخبرته بما أوقعته به فى حيره أو بليه «ركاب عشوات» أى: حيرات و ظلمات.

فى (مختلف ابن قتيبه) قال يحيى بن مخنف: جاء رجل من أهل المشرق الى أبى حنيفه بكتاب و هو بمكه، فعرضه عليه و قد جمعه مما سمعه منه، فرجع عن ذلك أبو حنيفه، فوضع الرجل التراب على رأسه ثم قال: يا معاشر الناس أتيت هذا الرجل عام أول فأفتانى هذا الكتاب، فهرقت به الدماء و أبحث به الفروج، ثم رجع عنه الآن. فقال أبو حنيفه: هذا رأى رأيت، و قد رجعت عنه.

فقال له الرجل: فتؤمنى ألا ترى من قابل شيئا آخر. قال: لا أدرى كيف يكون.

قال الرجل: لكنى أدرى أن من أخذ عنك فهو ضالّ.

و قال الجاحظ: قال النظام: رويت عن إسماعيل عن الشعبي ان قوما سألوا زيد بن ثابت عن شىء فكتبوه، فقال: و ما يدريكم لعلى قد أخطأت و انما اجتهدت لكم رأبى.

و عن المغيرة عن ابراهيم: ان عمر قضى بقضاء، فقال له رجل: أصبت و الله. فقال: و ما يدريك أنى أصبت، و الله ما يدرى عمر أصاب أم أخطأ.

و عن عمرو عن طاوس ان ابن عمر سئل عن شىء فقال: لا أدرى، فان شئت أخبرتك بالظن.

قال النظام: فقد أقرّ القوم على أنفسهم أنهم بالظن كانوا يريقون الدماء، و بالظن يبسون الفروج، و بالظن يحكمون بالأموال، و بالظن يوجبون العبادات، و قد نهى تعالى ان يحكموا بالظن و يشهدوا، فقال «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» (١)، فأمر بالعلم و اليقين، و خالف القوم، فعملوا بالظن، و علموا ان الناس منقادون لهم، و انهم ما قالوا من شىء حتم لا- مردّ له. و اذا كان هذا المذهب موجودا فى الأكاىر و الأصاغر من السلف، فما ظنك بالتابعين، ثم ما ظنك بالفرق التى تليهم، و اذا كان هذا ما أقرّوا به على أنفسهم، فما لم يقرّوا به- و رأوا ستره- أكثر (٢).

«لم يعضّ على العلم بضرر قاطع» كما قال بعضهم فى وصف بعض:

كان يغلط فى علمه من وجوه أربعة: يسمع غير ما يقال له، و يحفظ غير ما يسمع، و يكتب غير ما يحفظ، و يحدث غير ما يكتب.

هذا و لليزيدى فى الكسائى و اصحابه:

فهم من النحو و لو عمروا أعمار عاد فى أبى جاد

ص: ٣١٢

[١-١] الزخرف: ٨٦. [١]

[٢-٢] رواه عنه الشريف المرتضى فى الفصول المختارة ١٦٤: ٢ و ١٦٥. [٢]

و أنشد أبو دلامه يوما السفاح و الناس يستحسنونه، فقال له: و الله ما يدرون ما أقول، و انما يستحسنونه باحسانك، ثم أنشد:

أنعت مهرا كاملا في خلقه مركبا عجانه في ظهره

فاستحسنوه، فقال له: ألم أقل لك أنهم لا يحسنون شيئا، كيف يكون عجانه في ظهره؟ و قال البحترى:

جزل الرقاعه فدم يدعى أدبا و ليس يفرق بين التين و الطين

و قال بعضهم: رأيت ابن الجصاص يقبل المصحف و يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: أكلت اليوم مخيضا و بصلا مع النساء، ثم نظرت في المصحف فرأيته فيه: «و يَشْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ» (١)، فتعجبت من قدره الله كيف بين كل شيء في القرآن حتى المخيض و أكله مع النساء.

و عن ابن الراوندى: مررت بشيخ و بيده مصحف، و هو يقرأ «و لله ميزاب السماوات و الأرض» (٢)، فقلت: ما ميزابهما؟ قال: هذا المطر. قلت: انما هو «ميراث السماوات و الأرض». قال: أنا من أربعين سنة أقرأها هكذا.

هذا، و في العقد قال مساور العزاف في أهل القياس:

و كنا من الدين قبل اليوم في سعه حتى بلينا بأصحاب المقاييس

قاموا من السوق إذ قامت مكاسبهم فاستعملوا الرأي بعد الجهد و البؤس

فلقبه أبو حنيفة و قال له: هجوتنا نحن نرضيك، فبعث اليه بدراهم، فكف عنه و قال:

إذا ما الناس يوما قايسونا بمسأله من الفتيا ظريفه

ص: ٣١٣

١- ١) البقره: ٢٢٢، و [١]الأصل فيه «المحيض» بالحاء المهمله.

٢- ٢) آل عمران: ١٨٠ و [٢]الحديد: ١٠، و [٣]الأصل فيهما «ميراث».

أثناهم بمقياس صحيح بديع من طراز أبي حنيفة

إذا سمع الفقيه بها دعاها و أثبتها بحبر في صحيفه

«يذرى» من «أذريت الشيء» إذا ألقته كالفائك الحب للزرع «الروايات اذراء الريح الهشيم» أى:النبات اليابس المتكسر.

فى الكشى:ان سلمان كان يقول للناس:هربتم من القرآن الى الأحاديث، وجدتم كتابا دقيقا حوسبتم فيه على النقيير و القمطير،و الفتيل و حبه خردل، فضاقت عليكم ذلك،و هربتم الى الأحاديث التى اتسعت عليكم (١).

هكذا،وقال ابن أبى الحديد:قوله «يذروا الروايات»هكذا أكثر النسخ، و أكثر الروايات «يذرى»من أذرى،وقد أوضحه قوله «اذراء الريح»،و الاجود الروايه الاخرى «يذرو الروايات ذرو الريح»،كما نقله غريب حديث ابن قتيبه، قال تعالى: «فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ» (٢).

قلت:مثل ما نقله عن (غريب ابن قتيبه عيون ابن قتيبه)،ثم ما نقله عن (النهج)«يذرو الروايات اذراء الريح»ليس كما قال،فنقل ابن ميثم عنه«يذرى الروايات اذراء الريح»و نسخته بخط المصنف (٣).

كما ان ما قاله من أن «يذرى»من أذرى ليس بمتعين،انما يكون من أذرى اذا كان بضم الياء،و أما اذا كان بفتحها فمن «ذرا».قال الجوهري:«ذرت الريح التراب تذروه و تذريه ذروا و ذريا أى:سفته».قلت:و ذروا أحسن،قال تعالى: «وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا» (٤)و المراد بها الرياح.

و بالجمله(النهج)«تذرى اذراء»و كتابا ابن قتيبه«تذرو ذروا»

ص:٣١٤

١-١) اختيار معرفة الرجال:١٨ ح ٤٢.

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٨٥:١.و الآية ٤٥ [١] من سورة الكهف.

٣-٣) شرح ابن ميثم الذاريات ٣١٧:١.

٤-٤) (٤):١.

و(الكافي)و(الإرشاد)«يذرى ذروا» كما مر (١).

«لا ملئى و الله بإصدار ما ورد عليه» .

قال الشاعر:

هو لمن يأتيه جهلا به مثل سراب البید للصادى

فى (تاريخ بغداد):قدم الى أبى يوسف مسلم قتل ذميا، فأمر به ان يقاد به، و وعدهم ليوم، و أمر بالقاتل فحبس، فلما كان فى اليوم الذى وعدهم، حضر أولياء الذمى و جىء بالمسلم القاتل، فلما همّ أبو يوسف أن يقول:

أقيدوه، رأى رقعه قد سقطت، فتناولها صاحب الرقاع و حبسها، فقال: ما هذه التى حبستها، فدفعتها إليه، فإذا فيها أبيات شعر قالها ابو المضر جى:

يا قاتل المسلم بالكافر جرت و ما العادل كالجائر

يا من ببغداد و أطرافها من فقهاء الناس أو شاعر

جار على الدين أبو يوسف إذ يقتل المسلم بالكافر

فاسترجعوا و ابكوا على دينكم و اضطبروا فالأجر للصابر

فأمر بالقمطر، فشد و ركب الى الرشيد، فحدثه بالقصه و أقرأه الرقعه، فقال له الرشيد: اذهب فاحتل، فلما عاد ابو يوسف الى داره، و جاءه أولياء الذمى يطالبونه بالقود، قال لهم: ايتونى بشاهدين عدلين ان صاحبكم كان يؤدى الجزيه.

و فيه: قال سليمان بن فليح: حضرت مجلس هارون الرشيد و معه أبو يوسف، فذكر سباق الخيل، فقال ابو يوسف: سابق النبى صلى الله عليه و آله من الغايه الى بنيه الوداع. فقلت للرشيد: انه صحف، انما هو «من الغابه الى ثنيه الوداع»، و هو فى غير هذا أشدّ تصحيفا.

ص: ٣١٥

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ١:٢٨٥، [١] نقلا عن غريب ابن قتيبه و الكافى ١:٥٥ و الإرشاد: ١٢٤.

و فيه قال سعيد بن منصور: قال رجل لأبى يوسف: رجل صلّى مع الامام فى مسجد عرفه ثم وقف حتى دفع بدفع الامام ماله؟ قال: لا بأس به.

فقال له: سبحان الله، قد قال ابن عباس: من أفاض من عرفه فلا حجّ له، مسجد عرفه فى بطن عرفه. فقال: أنتم أعلم بالأحكام، ونحن أعلم بالفقه. فقال: اذا لم تعرف الأصل كيف تكون فقيها.

و فيه قال يحيى القطان: قال جار له: حدّثنا أبو يوسف عن أبى حنيفة عن جواب التيمى، فقال: مرجى عن مرجى عن مرجى.

و فيه قال عبد الله بن إدريس: كان أبو حنيفة ضالا مضلا، و أبو يوسف فاسق من الفاسقين.

و فيه قال ابو صخره الرياشى فى يحيى بن أكثم:

لا أفلحت امه و حق لها بطول مكس و طول تعاس

ترضى بيحيى ان يكون سائسها و ليس يحيى لها بسواس

قاض يرى الحدّ فى الزناء و لا يرى على من يلوط من بأس

قلت: لو كان قال:

قاض يرى الحدّ فى النكاح و لا يرى على من يلوط من بأس

كان أتم معنى و أكمل وصفا له، فكان المأمون أراد أن ينادى فى الناس بإباحه المتعه حسبما دل عليها الكتاب و السنه، فخوفه يحيى بالعامه، و ان عمر جعلها زنا، و جعل الرجم فيها.

و كان يستدل لعمله الذى كان مكبا عليه بقوله تعالى: «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا» (١).

هذا، و فى أخبار حكماء القفطى فى زكريا الطيفورى قال: كان يوسف

ص: ٣١٤

لقوه الكيمياءى يدخل على المأمون كثيرا و يعمل بين يديه،فقال له المأمون يوما:ويحك يا يوسف ليس فى الكيمياء شىء؟فقال:بلى الصيدلانى لا- يطلب منه شىء من الأشياء كان عنده أو لم يكن،إلا أخبر بأنه عنده،و دفع الى طالبه شيئا مما عنده،و قال هذا الذى طلبت،فان رأى الخليفه أن يضع اسما لا يعرف، و يوجه الى جماعه من الصيادله فى طلبه فليفعل،فقال المأمون:قد وضعت الاسم و هو شفتيا و شفتيا ضيعه من الضياع قرب بغداد-فسير المأمون جماعه الى الصيادله يسألهم عن شفتيا،فكل ذكر أنه عنده،و أخذ الثمن و دفع شيئا من حانوته،فصاروا الى المأمون بأشياء مختلفه،فمنهم من أتى بقطعه حجر،و منهم من أتى بقطعه وتد،و منهم من أتى ببعض البزور (١).

«و لا هو أهل لما فوّض اليه» هكذا فى (المصريه)،و هذه الجملة ليست فى (ابن ميثم و الخطيه)،و أما وجودها فى نسخه(ابن أبى الحديد)فالظاهر كونها من زيادات المحشين حيث قال فى شرح«لا ملء باصدار ما ورد عليه»:و فى كتاب ابن قتيبه تتمه هذا الكلام«و لا أهل لما قرظ به»قال:أى:ليس بمستحق للمدح الذى مدح به،و الذى رواه عن التتمه هو الصحيح الجيد،لأنه يستقبح فى العريبه ان تقول«لأزيد قائم»حتى تقول«و لا عمرو»أو«و لا قاعد» (٢).

قلت:الأمر كما قال من تكرر«لا»،فيجب تكراره اذا دخلت على الاسميه و اهملت،كقوله تعالى: «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» (٣)الا- ان قوله حتى يقول«و لا- عمرو»أو«و لا- قاعد»غلط،فبعد«لأزيد قائم»يتعين أن يقول«و لا عمرو»أو«و لا عمرو قاعد»،و انما يصح«و لا قاعد»

ص:٣١٧

١-١) اخبار الحكماء.

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٢:٢٨٥،و [١]شرح ابن ميثم ٣:١٧.

٣-٣) يس:٤٠. [٢]

إذا قيل «زيد لا قائم» نحو: «إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ» (١).

و كيف كان فالتكرار واجب، و النهج خال منه، و قد نقل التكرار غير ابن قتيبة الكليني و المفيد على اختلافهما في لفظ الفقرتين كما مر.

كما أن ما نقله عن ابن قتيبة من قراءة «قرظ» بالقاف و الظاء المعجمه، و تفسيره بالمدح غلط، و انما هو «فرط» بالفاء و الطاء المهمله، يقال «فرطتهم» أى: سبقتهم الى الماء، و الفرط بفتح التين الذى يتقدم الوارده، فيهيىء لهم الأرسان و الدلاء، و يمدر الحياض، و يستقى لهم، حيث قال عليه السلام «لا ملء باصدار ما ورد عليه» قال بمناسبتة «و لا أهل لما فرط به» بقاعده البلاغه، و الجمع بين الورد و الفرط فى كلام العرب كثير، قال القطامى:

فاستعجلونا و كانوا من صحابتنا كما تقدم فرّاط لورّاد

و قال الراجز:

و منهل وردته التقاطا لم ار اذ وردته فرّاطا (٢)

و من كلامهم «وردت قبل فرّاط القطا»

أى: متقدمات القطا الى الورد، و حينئذ فالمعنى «و لا هو أهل لما تقدم به، كالفرط الذى يتقدم القوم».

و أيضا لم يكن قبل الفقرات أن أحدا مدحه حتى يقال «و لا هو أهل لما قرظ به»، و انما ذكر قبله أو صافه الرذيله «لا يحسب العلم فى شىء مما أنكره» فى (مختلف ابن قتيبة): كان الأوزاعى يقول: انا لا ننقم على أبى حنيفة الرأى، و اننا كلنا نرى، و لكننا ننقم عليه أنه يجىء بالحديث عن النبى صلى الله عليه و آله فيخالفه الى غيره.

و فيه: و قال حماد بن زيد: شهدت أبا حنيفة و قد سئل عن محرم لم يجد

ص: ٣١٨

[١-١] البقره: ٦٨. [١]

[٢-٢] أورده لسان العرب ٣٦٦: ٧ و ٣٦٧، [٢] ماده (فرط).

أزارا، فلبس سراويل، فقال عليه الفديه، فقلت: سبحان الله، حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن يزيد عن ابن عباس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله في المحرم اذا لم يجد أزارا لبس سراويل، و اذا لم يجد نعلين لبس خفين. فقال: دعنا من حديث النبي، حدثنا حماد بن أبي مسلم عن ابراهيم النخعي قال: عليه الكفاره.

و روى على بن عاصم أنه حكى لأبي حنيفة قضيته عن ابن مسعود، فقال: هذا قضاء الشيطان .

«و لا- يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره» في (مختلف ابن قتيبه): روى أبو عاصم عن أبي عوانه قال: كنت عند أبي حنيفة، فسئل عن رجل سرق تمرا.

فقال: عليه القطع. فقلت: حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى عن رافع ابن خديج قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لا قطع في ممر و لا كثر. قال: ما بلغني هذا، و لو بلغني ما أفيتت بخلافه. قلت: فرد الرجل الذي أفيتته. فقال: دعته انما جرت به البغال الشهب .
«و ان أظلم أمر» هكذا في (المصريه) و الصواب: «و ان أظلم عليه أمر» «اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه» .

في (تاريخ بغداد): سئل قيس بن الربيع عن أبي حنيفة، فقال: انا أعلم الناس به، كان أعلم الناس بما لم يكن، و أجهلهم بما كان .
«تصرخ من جور قضائه الدماء و تعج» أي: تصيح «منه المواريث» قد عرفت ان ابن قتيبه و الكليني و المفيد زادوا في رواياتهم «و يستحل بقضائه الفرج الحرام» (١).

في (خلاف الشيخ): روى ابن المبارك عن أبي حنيفة ان امرأه شكت إليه زوجها، و آثرت فراقه، فقال لها: ارتدى، فيزول النكاح.

ص: ٣١٩

و فيه قال على بن عاصم: قال أبو حنيفة لزوج امرأه- في قصة معروفه- قبل امها بشهوه، فان نكاح زوجتك يفسخ.

و فيه قال محمد بن الحسن: لو أن رجلا- حضر عند الحاكم، فادعى «ان فلانة زوجتي» و هو يعلم أنه كاذب، و شهد له بذلك شاهدان زورا، فحكم الحاكم له بها، حلت له ظاهرا و باطنا (1).

و كذلك على قولهم ان رجلا تزوج بامرأه جميله، فرغب فيها أجنبي قبل دخول زوجها بها، فأتى هذا الأجنبي الحاكم، فادعى انها زوجته، و ان زوجها طلقها قبل الدخول بها، و شهد له بذلك شاهدان زورا، و حكم الحاكم بذلك، نفذ حكمه، و حرمت على الأول ظاهرا و باطنا، و حلت للمحتال ظاهرا و باطنا.

و في (تاريخ بغداد): جاء إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة الى أبي بكر بن عياش، فضرب ابن عياش يده على ركبتي إسماعيل و قال له: كم من فرج حرام قد أباحه جدك.

و فيه عن خالد بن يزيد بن أبي مالك: أحل أبو حنيفة الزنا، و أهدر الدماء، أما الدماء فقال لو ان رجلا ضرب رجلا بحجر عظيم فقتله، كان على العاقله ديه، و تكلم- و لم يحسن النحو- فقال: لو ضربه بأبا قبيس كان على العاقله- إلخ.

و لما مدح مساور أبا حنيفة بما مر في شرح «لم يعرض على العلم» أجابه بعضهم فقال:

إذا ذو الرأي خاصم في قياس و جاء ببدعه هنه سخيفه

اتيناهم بقول الله فيها و آثار مبرزه شريفه

فكم من فرج محصنه عفيف أحل حرامه بأبي حنيفة

ص: ٣٢٠

أحل أبو حنيفة بنت صلب تكون من الزنا عرسا صحيحه

هذا، و في (تاريخ بغداد): لما عزل إسماعيل بن حمّاد عن البصره، شيعوه فقالوا: عفت عن أموالنا و عن دماننا. فقال لهم: و عن أبنائكم - يعرض بيحيى ابن أكرم في اللواط.

و قال البحترى في ابن أبي الشوارب القاضي - و سمّاه ابن أبي الشوارب و السبال:

نصرت الأوصياء على اليتامى و قدمت النساء على الرجال

و أحرزت الوقوف فصرت أولى بهن من الكلاله و الموالى

«الى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالا - و يموتون ضلالا» ورد ابن أبي ليلى على الصادق عليه السلام، فقال له: أنت قاضى المسلمين؟ قال: نعم. قال: تأخذ مال هذا فتعطيه هذا، و تفرّق بين المرء و زوجته، لا تخاف فى ذلك أحدا؟ قال: نعم.

قال: فبأى شىء تقضى؟ قال: بما بلغنى عن النبى، و على، و أبى بكر، و عمر.

قال: فبلغك عن النبى صلّى الله عليه و آله ان عليا أقضاكم. قال: نعم. قال: فكيف تقضى بغير قضاء على، فما تقول اذا أخذ النبى صلّى الله عليه و آله بيدك فأوقفك بين يدي ربك فقال: يا رب ان هذا قضى بغير ما قضيت - فاصفرّ وجهه (1).

و لما ورد غيلان بن جامع المحاربى قاضى ابن هبيرة على الصادق عليه السلام قال عليه السلام له: ما أظن ابن هبيرة وضع على قضائه إلا فقيها. قال:

أجل. قال: تجمع بين المرء و زوجته، و تفرّق بينهما، و تقتل، و تضرب الحدود، و تحكم فى أموال اليتامى. قال: نعم. قال: و بقضاء من تقضى؟ قال: بقضاء عمر، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أقضى بشىء من قضاء على. قال عليه السلام:

ألستم تزعمون يا أهل العراق و تروون ان النبى صلّى الله عليه و آله قال: «على أقضاكم»؟

ص: ٣٢١

(١ - ١) أخرجه الكلينى فى الكافى ٧: ٤٠٨ ح ٥، و [١] الطوسى فى التهذيب ٦: ٢٢٠ ح ١٣.

قال: نعم. قال: فكيف تقول اذا جمع الله الأولين و الآخرين فى سعيد، ثم وجدك قد خالفت قضاء النبى صلى الله عليه و آله و على عليه السلام، فجعل غيلان ينتحب، فقال عليه السلام له:

أيها الرجل أقصد لشأنك (١).

و فى (يتمه الثعالبي): ان عمرو بن العاص غير الخاتم من يمينه الى شماله، فاقتدى العامه به الى يومنا هذا.

و قال السلامى: ان النبى صلى الله عليه و آله و الخلفاء كانوا يتختمون فى أيمنهم، فنقلها معاويه الى اليسار، و أخذ الناس بذلك. قال الثعالبي:

سنّ التختم فى اليمين محمد للقائلين بدعوه الاخلاص

فسعى ابن هند فى إزاله رسمه و أعانه فى ذلك ابن العاص (٢).

«ليس فيهم سلعه» أى: متاع «أبور» أى: أكسد «من الكتاب اذا تلى حق تلاوته» .

فى (الحليه) فى أبى سالم الدباغ قال: رأيت النبى صلى الله عليه و آله فى المنام، فقلت:

اقرأ عليك يا رسول الله؟ فقال: نعم، فاستفتحت و استعدت، و قرأت عليه فاتحه الكتاب، و عشرين آيه من أول سوره البقره، فلم يردّ على شيئاً، فقلت: يا رسول الله لم تردّ علىّ شيئاً أحبّ أن تأخذ علىّ كما أنزل. فقال: لو أخذت عليك كما أنزل رجمك الناس بالحجاره .

«و لا سلعه أنفق بيعاً» أى: أروج «و لا أغلى ثمناً من الكتاب اذا حرّف عن موضعه» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (مواضعه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٣).

ص: ٣٢٢

١-١) أخرجه الكلينى فى الكافى ٧: ٤٢٩ ح ١٣. [١]

٢-٢) نقله عنه الشارح فى كتاب الأوائل: ٤، أيضاً [٢] لكن لم أظفر به فى يتمه الدهر.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٨٤، و [٣] شرح ابن ميثم ١: ٣١١. [٤]

و في (العقد): ان عائشه لما كتبت الى زيد بن صوحان «ثيِّط الناس عن علي»، كتب اليها انك امرت بأمر و أمرنا بغيره، امرت ان تقرى في بيتك، و امرنا ان نقاتل الناس حتى لا تكون فتنه، فتركت ما أمرت به، و كتبت تنهانا عمّا أمرنا به.

و في (تاريخ الطبرى): أقبل زيد و معه كتاب من عائشه اليه خاصه، و كتاب منها الى أهل الكوفه عامه تشبطهم عن نصره على عليه السّلام، و تأمرهم بلزوم الأرض. فقال: أيها الناس انظروا الى هذه امرت أن تقرّ في بيتها، و أمرنا نحن أن نقاتل حتى لا تكون فتنه، فأمرتنا بما أمرت به، و ركبت ما أمرنا به.

فقام اليه شبث بن ربعى فقال له: و ما أنت و ذاك أيها العماني، سرقت أمس بجلولاء، فقطعك الله و تسب ام المؤمنين (١).

انظروا الى أن امهم أمرت بالمنكر، و نهت عن المعروف، و حرّفت الكتاب، و ابنها شبث الجافى الجلف و قاتل الحسين عليه السّلام أنكر على زيد إنكاره عليها مخالفه كتاب الله، و كان زيد قطع يده فى سبيل الله تعالى، فسّمى الخبيث قطع يده فى سبيل الله سرقه، و كان النبي صلّى الله عليه و آله قد أخبر زيدا بأن يده تقطع فى سبيل الله، ثم يتبع الله آخر جسده بأوله (٢)، و صار كما قال، فاستشهد فى الجمل، و قال قبل قتله: ما أرانى إلا مقتولا رأيت يدي نزلت من السماء و هى تستشيلنى - اف لهم و لدينهم.

و فى (تاريخ بغداد) عن الشافعى: نظرت فى كتب لأصحاب أبى حنيفه، فإذا فيها مائه و ثلاثون ورقه، فعددت منها ثمانين ورقه خلاف الكتاب و السنه.

ص: ٣٢٣

١- ١) تاريخ الطبرى ٣: ٤٩٨، سنه ٣٦. [١]

٢- ٢) أخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب ١: ٥٦٠، و أبو يعلى و ابن منده عنهما الاصابه ١: ٥٨٢ و ٥٨٣ و ابن عدى الخطيب و ابن عساكر عنهم منتخب كنز العمال ٥: ١٨٧، و اسد الغابه ٢: ٢٣٤. [٢]

و فى (الاستيعاب) عن الحسن: كتب زياد الى الحكم بن عمرو الغفارى و هو على خراسان ان معاويه كتب الى ان تصطفى له البيضاء و الصفراء، فلا- تقسم بين الناس ذهباً و لا- فضه، فكتب اليه الحكم: انى وجدت كتاب الله قبل كتاب معاويه. ثم قال للناس: اعدوا على مالكم، فقسمة بينهم، ثم قال: اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك- فمات بخراسان بمرو (١).

و فى (عيون ابن قتبيه) عن سديف مولى اللهيين انه كان يقول: اللهم اشترت المعازف و الملاهى بسهم الايتام و الأرمله، و حكم فى أبشار المسلمين أهل الذمه، و تولى القيام بامورهم فاسق كل محله. اللهم و قد استحصد زرع الباطل، و بلغ نهايته، و اجتمع طريده، اللهم فأتح لهم من الحق يدا حاصده تبدد شمله، و تفرق أمره.

و ذكر رجل قوما فقال: يصومون عن المعروف و يفطرون على الفحشاء.

و سأل الحلبي الصادق عليه السلام عن الحج فقال له: تمتع. ثم قال له: إننا اذا وقفنا بين يدى ربنا قلنا يا رب أخذنا بكتابك و سنّه نبيك، و قال الناس رأينا رأينا (٢).

كانوا كما قيل فى البر مكيين، و كما قيل فى بشر بن الوليد قاضى المأمون:

اذا ذكر الشرك فى مجلس أنارت وجوه بنى برمك

و ان تليت عندهم آيه اتوا بالأحاديث عن مزدك

ينفى شهاده من يدين بما به نطق الكتاب و جاءت الآثار

ص: ٣٢٤

[١- ١] الاستيعاب ٣١٥: ١. [١]

[٢- ٢] أخرجه الطوسى فى التهذيب ٥: ٢٦ ح ٥، و الاستبصار ح ١٥٠: ٢٢.

هذا، و عن عوانه: خطبنا عتبه بن النهاس العجلي، فقال: ما أحسن ما قال تعالى في كتابه:

ليس حى على المنون بباق غير وجه المسيح الخلاق

فقمتم اليه فقلت: أيها الرجل ان الله عز و جل لم يقل هذا، انما قاله عدى ابن زيد، فنزل عن المنبر.

و عنه اتى عتبه بامرأه من الخوارج، فقال: يا عدوّه الله ما خروجك على الخليفه، ألم تسمعى قول الله:

كتب القتل و القتال علينا و على المحصنات جر الذبول

فحركت رأسها و قالت: يا عدو الله، حملنى على الخروج جهلكم بكتاب الله عز و جل .

«و لا- عندهم أنكر من المعروف و لا- أعرف من المنكر» فى الخبر عن النبى صَلَّى الله عليه و آله: يأتى بعدى زمان لا- يأمرن بالمعروف، و لا- ينهون عن المنكر، فعجبوا، فقال: يأتى زمان يأمرن بالمنكر و ينهون عن المعروف، فعجبوا أكثر، فقال: يأتى زمان يصير المعروف عندهم منكرا، و المنكر معروفا (١).

و فى الحليه فى أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك: ما أعرف اليوم شيئا مما كُنّا عليه على عهد النبى صَلَّى الله عليه و آله، قيل: فأين الصلاة؟ قال: أو لم تضعوا فى الصلاة ما قد علمتم.

هذا، و يأتى فى فصل القرآن قوله عليه السّلام: و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعه أبور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته، و لا أنفق اذا حرّف عن مواضعه، و لا فى البلاد شيء أنكر من المعروف، و لا أعرف من المنكر (٢).

ص: ٣٢٥

١- ١) أخرجه الكلينى فى الكافى ٥٩: ٥ ح ١٤، و [١] الطوسى فى التهذيب ١٧٧: ٦ ح ٨، و الحميرى فى قرب الاسناد ٢٦. [٢]

٢- ٢) يأتى فى العنوان ١٢ من الفصل الحادى و الأربعين.

بعد ذكر العالم العارف:

وَ آخَرَ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ - فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَالٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ - وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ شُرَكَاءَ مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَ قَوْلِ زُورٍ - قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ - وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ - يُؤْمِنُ مِنَ الْعُظَائِمِ وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ - يَقُولُ أَقِفْ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَ فِيهَا وَقِفْ - وَ اعْتَرِضْ الْبِدَعَ وَ بَيْنَهَا اضْطَجِعْ - فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَ الْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ - لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ - وَ لَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ وَ ذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ (وَ آخِرُ) غير عبد أعانه الله على نفسه مع سائر محامده «قد تسمى عالما و ليس به» هو نظير قوله عليه السلام في سابقه «قد سماه أشباه الناس عالما و ليس به».

فممن تسمى عالما و ليس به من أئمتهم الأربعة مالك بن أنس الذى كان مغنيا من تلامذه طويس المغنى - كما فى (الأغانى) - و كان قبيح الوجه، فأشارت امه اليه بطلب الفقه فصار امام ضلال، كان يقول - كما فى العقد - و الله ما اقتتل على و عثمان و طلحه و الزبير إلا على الثريد الأعفر.

و منهم سفيان الثورى، كان فى شرطه هشام بن عبد الملك، و شهد قتل زيد بن على، و كان من الكذابين فى الحديث.

و منهم مسروق بن الأجدع، أوصى أن يدفن فى مقابر اليهود ليخرج من قبره، و ليس هناك من يؤمن بالله و رسوله غيره .

«فاقتبس» أى: اكتسب «جهائل» جمع الجهاله «من جهال و أضاليل من ضلال» .

فى (المسترشد): روى أبو أيوب الشاذكونى قال: حدّثنا معاذ بن أعصف سمعت شعبه يقول: قد أخذت من أربعمائه شيخ، ثلاثمائه و ثمانيه و تسعون مدلسون، إلا رجلين أبو عون و عمرو بن مره.

و فى (تاريخ بغداد) عن أبى بكر بن أبى داود: جميع ما روى أبو حنيفه من الحديث مائه و خمسون حديثاً، أخطأ فى نصفها.

و فيه عن النضر بن شميل: فى كتاب (حيل أبى حنيفه) كذا كذا مسأله كلّها كفر، و قال عبد الله بن المبارك: من نظر فى كتاب حيله أحل ما حرم، و حرّم ما أحل. و قيل له: ما وضع كتاب الحيل إلا شيطان؟ فقال: بل كان الذى وضعه أشرّ من الشيطان، و كان حمّاد بن سلمه يكتّبه أبا جيفه .

«و نصب للناس شركاً» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «أشراكاً» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (1)، و الاشراك: جمع الشرك بفتحيتين حباله الصائد.

«من حبال» جمع حباله، و فى (ابن ميثم و الخطيه) (من حبال) (2) «غرور و قول زور» أى: الكذب و الباطل.

قال الصادق عليه السّلام قال النبى صلّى الله عليه و آله: من عمل بالمقاييس فقد هلك و أهلك، و من أفتى الناس و هو لا يعلم الناس من المنسوخ، و المحكم من المتشابه فقد هلك و أهلك.

قال ابن شبرمه: ما ذكرت هذا الحديث من جعفر بن محمد الا

ص: ٣٢٧

١- ١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٣٧٢:٦، لكن فى شرح ابن ميثم ٢٩٧:٢ [١] مثل المصريه.

٢- ٢) شرح ابن ميثم ٢٩٧:٢.

كاد أن يتصدع له قلبي (١).

«قد حمل الكتاب على آرائه و عطف الحق على أهوائه» في (تاريخ بغداد): قال شريك: كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله، قال تعالى: «وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَ ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» (٢) و «لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ» (٣)، و زعم أبو حنيفة ان الايمان لا يزيد و لا ينقص، و زعم ان الصلاة ليست من دين الله.

قلت: بل بثلاثه آيات، فلما سألو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بعد تحويل القبلة عن صلواتهم الاولى نزل «وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» (٤).

و فيه: قيل لأبي حنيفة: ما تقول في رجل قتل أباه، و نكح امه، و شرب الخمر، في رأس أبيه؟ فقال: مؤمن.

و فيه: سئل ابو حنيفة عن رجل لزم غريما له، فحلف له بالطلاق ان يعطيه حقه غدا، الا ان يحول بينه و بينه قضاء الله، فلما كان من الغد جلس على الزنا، و شرب الخمر. قال: لم يحنث .

«يؤمن من العظام و يهون كبير الجرائم» في (تاريخ بغداد) عن مالك بن أنس: كانت فتنة أبي حنيفة أضمر على هذه الامه من فتنة ابليس في الوجهين جميعا، في الأرجاء، و ما وضع من نقض السنن.

و في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: اتقوا المحقرات من الذنوب، فان لها طالبا، يقول أحدكم: اذنب و استغفر، ان الله تعالى يقول: «وَ نَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» (٥) و قال تعالى: «إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ»

ص: ٣٢٨

١- ١) أخرجه الكليني في الكافي ١: ٤٣ ح ٩. [١]

٢- ٢) البيهقي: ٥. [٢]

٣- ٣) الفتح: ٤. [٣]

٤- ٤) البقره: ١٤٣. [٤]

٥- ٥) يس: ١٢. [٥]

«مَنْ خَزَدَلِ فَتَكَرَّنْ فِي صَخْرِهِ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» (١).

«يقول أصف عند الشبهات وفيها وقع» «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتِدُنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» (٢).

«واعتزل» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «و يقول اعتزل» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣) «البدع و بينها اضطجع» بعد كون أقواله و أعماله بدعا غير السنن، و بتسميته بدعه السنن لا تنقلب عن حقيقتها .

«فالصوره صورته انسان و القلب قلب حيوان» «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (٤) «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» (٥) «بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ» (٦).

«لا- يعرف باب الهدى فيتبعه» و الاتباع فرع العرفان «و لا باب العمى فيصدد عنه» فكانوا لا يفرقون بين أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله الذين قال فيهم: «مثل أهل بيتي كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها هلك» (٧)، و قال فيهم: «انى

ص: ٣٢٩

١- ١) الكافي ٢: ٢٧٠ ح ١٠ و [١] الآية ١٦ من سوره لقمان. [٢]

٢- ٢) التوبه: ٤٩. [٣]

٣- ٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٧٢، [٤] لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٩٧ [٥] مثل المصريه.

٤- ٤) الاعراف: ١٧٩. [٦]

٥- ٥) الفرقان: ٤٤. [٧]

٦- ٦) المؤمنون: ٦٣. [٨]

٧- ٧) هذا حديث السفينه له طرق كثيره منها ما أخرجه الحاكم في المستدرک ٣: ١٥٠، و [٩] الخطيب في تاريخ بغداد ١٢: ٩١، و ابو نعيم في حليه الأولياء ٤: ٣٠٦، و صاحب صحيفه الرضا عليه السلام فيه: ٥٧ و ٧٦.

تارك فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا، كتاب الله، و أهل بيتي» (١) و بين مخالفيهم، فتركوا أهل بيته و اتبعوا أعداءه، كما أن من لم يعرف الطريق يدع الصراط و يسلك التيه .

«فذلك ميت الأحياء» و قد قال تعالى لنبية: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَ مَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (٢) «و ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» (٣).

٥

الحكمه (١٨٣)

و قال عليه السلام:

مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً أَقُول: فان غير ذلك غير معقول، لاستحاله اجتماع الضدين و النقيضين في العقول.

و من الغريب ان العامه لم تقنع بقولهم بذلك، بل نسبته الى الله تعالى و الرسول، فمنهم عبيد الله بن الحسن المتكلم، و كان ولى قضاء البصره.

قال ابن قتيبه في (مختلفه): كان عبيد الله يقول: ان القرآن يدل على الاختلاف، فالقول بالقدر صحيح و له أصل في الكتاب، و القول بالاجبار صحيح و له أصل في الكتاب، و من قال بهذا فهو مصيب، و من قال بهذا فهو

ص: ٣٣٠

١- ١) هذا حديث الثقلين [١] له طرق كثيره منها ما أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٧٣ و ١٨٧٤ ح ٣٦ و ٣٧، و الترمذى في سننه ٥: ٦٦٢ و ٦٦٣ ح ٣٧٨٦ و ٣٧٨٨، و الحاكم في المستدرک ٣: ١٤٨، و [٢] صاحب صحيفه الرضا عليه السلام فيه: ٥٧: ح ٧٦.

٢- ٢) النمل: ٨١. [٣]

٣- ٣) فاطر: ٢٢. [٤]

مصيب، لأن الآيه الواحده ربما دلت على وجهين مختلفين، و احتملت معنيين متضادين.

و سئل يوما عن أهل القدر و أهل الإجبار، فقال: كل مصيب، هؤلاء قوم قد عظموا الله، و هؤلاء قوم قد نزهوا الله.

و فيه: قال عبيد الله: كل من سمى الزانى مؤمنا فقد أصاب، و من سمّاه كافرا فقد أصاب، و من قال هو كافر و ليس بمشرك فقد أصاب، و من قال هو كافر مشرك فقد أصاب، لأن القرآن قد دل على كل هذه المعاني.

و فيه: قال عبيد الله: القول بالقرعه و خلافه كل منهما صواب، و القول بالسعايه و خلافه كل منهما صواب، و كذلك قتل المؤمن بالكافر و الا يقتل مؤمن بكافر، بأيهما أخذ الفقيه فهو مصيب. و لو قال قائل: ان القاتل فى النار كان مصيبا، و لو قال: هو فى الجنة كان مصيبا، و لو وقف فيه و أرجأ أمره كان مصيبا، إذ كان انما يريد بقوله ان الله تعالى تعبده بذلك، و ليس عليه علم الغيب.

و كان يقول فى قتال على لطلحه و الزبير و قتالهما له: ان ذلك كله طاعه لله.

قال ابن قتيبه: و فى هذا القول من التناقض و الخلل ما ترى.

قلت: و كيف افترى على القرآن بما نسب اليه من الجمع بين المتضاد، و أى باطل أبطل منه و قد قال تعالى: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (١)، و كيف نسب الاختلاف الى القرآن و امتيازه من الكتب لكونه كتاب الله تعالى بعدم وقوع اختلاف فيه أصلا، «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ»

ص: ٣٣١

«غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (١).

و أما ما توهمه فانما هو لأن القرآن فيه «آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» (٢)، وهو لزيغ قلبه اتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، كما أنه لزيغه ترك الراسخين في العلم، واتبع الثابتين في الجهل.

و من الغريب ان شيخ تاريخهم الطبرى يأتى فى كتابه كثيرا من هذا المتضاد من روايات سيف الخبيثه، فروى عنه أن بعد الجمل قالت عائشه و على كل منهما: وددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنه، و كان قولهما واحدا (٣).

و روى عنه أنه قال بعد الجمل: كلما نعى الى عائشه من كان معها و من كان عليها قالت يرحمه الله، فقال لها رجل من أصحابها: كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال النبي فلان فى الجنة و فلان فى الجنة. و قال على أيضا يومئذ: انى لأرجو ألا يكون أحد من هؤلاء نقى قلبه إلا- أدخله الله الجنة، و ان عليا صلى على قتلى الكوفه و على قتلى البصره، و صلى على قريش من هؤلاء و هؤلاء.

و ان رجلا من أصحاب على قال لعائشه: جزيت عنا انا عقوقا، و آخر منهم قال لها: يا انا توبى فقد خطت. فقال على للقعقاع بن عمرو: اضرب أعناقهما.

ثم قال: لانهنكهما عقوبه فضربهما مائه مائه مجردين (٤).

أف منهم و من هذه الأكاذيب الأعاجيب، و من هذه التناقضات و التهافتات.

ص: ٣٣٢

١- (١) النساء: ٨٢. [١]

٢- (٢) آل عمران: ٧. [٢]

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٣: ٥٤١ سنة ٣٦. [٣]

٤- (٤) تاريخ الطبرى ٣: ٥٤٢ سنة ٣٦. [٤]

و أغرب من ذلك أن أبا المعالى الجوينى منهم-و كان بالتكنيه بأم السفالى أولى منه بأبى المعالى-أنكر المتواترات و البديهيات،و قال ما كان بينهم اختلاف رأسا،و قال ما كان القوم إلا كبنى ام واحده،و لم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط،و لا وقع بينهم اختلاف و نزاع (١).

ثم ليس تكميلهم للدين بزعمهم نقصه منحصرًا بإمام فروع بعضهم، بل كان كذلك أئمة أصول كلهم و فروع كلهم،فقال فاروقهم:«متعتان كانتا على عهد رسول الله،و أنا أنهى عنهما،و اعاقب عليهما» (٢).

٦

الخطبه (١٨)

و من كلام له عليه السلام فى ذم اختلاف العلماء فى الفتيا:

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ - فَيُحْكَمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ - ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ - فَيُحْكَمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ - ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ - فَيَصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا وَ الْهَيْئَةَ وَاحِدًا - وَ نَبِيَّهُمْ وَاحِدًا وَ كِتَابَهُمْ وَاحِدًا - أَمَّا رَبُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ - أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا نَاقِصًا - فَاسْتَبَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ - أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى - أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا - فَفَصَّرَ؟ الرَّسُولُ ص؟ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَ أَدَائِهِ - وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ «مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» - وَ قَالَ وَ فِيهِ تَبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ - وَ ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا - وَ أَنَّهُ لَا إِخْتِلَافَ فِيهِ - فَقَالَ سُبْحَانَهُ «وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرٍ»

ص: ٣٣٣

١- (١) نقل كلامه ابن أبى الحديد فى شرحه ٢٠: ١٢.

٢- (٢) أخرجه ابو صالح كاتب الليث و الطحاوى عنهما منتخب كنز العمال ٤٠٤: ٦.

«اللَّهُ لَوْحِدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا» - وَ إِنَّ الْقُرْآنَ؟ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ - لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تُكْشَفُ الظَّلْمَاتُ إِلَّا بِهِ قول المصنّف: «و من كلام له عليه السّلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا» تعبيره عنهم بالعلماء غير حسن، فان العلم لا اختلاف فيه حتى يصدق اختلاف العلماء، و كان عليه أن يقول «اختلاف الناس» أو يقول «اختلافهم» مثله عليه السّلام، فانه قال «ترد على أحدهم القضية» - إلخ و لم يقل «على أحد العلماء»، و لو كان قد قال: «في ذم اختلاف علمائهم» لا «العلماء» مطلقا لم يكن أبعد كثيرا.

و كيف كان ففي (تاريخ بغداد): حجّ الأعمش من الكوفة، و مالك بن أنس من المدينة، و عثمان البتي من البصرة، فجلسوا في المسجد الحرام يفتون و يخالف بعضهم بعضا، فقال رجل للأعمش: أ تخالف أهل المدينة؟ فقال:

قدما اختلفنا و إياهم، فرضينا بعلماننا و رضوا بعلمائهم.

قوله عليه السّلام (ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه) هكذا في (المصريه) و الصواب: «بخلاف قوله»، كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (1).

روى ابن الشيخ في (أماليه) عن عبد الوارث بن سعيد قال: قدمت مكة، فوجدت فيها أبا حنيفه، و ابن أبي ليلى، و ابن شبرمه، فسألت أبا حنيفه، فقلت:

ما تقول في رجل باع يبع، و شرط شرطا؟ قال: البيع باطل، و الشرط باطل، ثم أتيت ابن أبي ليلى، فسألته، فقال: البيع جائز، و الشرط باطل، ثم أتيت ابن شبرمه، فسألته، فقال: البيع جائز، و الشرط جائز. فقلت: سبحان الله، ثلاثه من

ص: ٣٣٤

(١-١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢٨٨:١، [١] لكن في شرح ابن ميثم ٣٢٠:١ [٢] مثل المصريه.

فقهاء أهل العراق اختلفتم على في مسأله واحده، فأتيت أبا حنيفه، فأخبرته فقال: ما أدري ما قال، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صَلَّى الله عليه و آله نهى عن بيع و شرط، البيع باطل، و الشرط باطل. ثم أتيت ابن أبي ليلى، فأخبرته، فقال: ما أدري ما قال، حدثني هشام عن عروه عن عائشه قالت:

أمرني النبي صَلَّى الله عليه و آله ان اشترى بريره، فأعتقها، البيع جائز، و الشرط باطل. ثم أتيت ابن شبرمه، فأخبرته، فقال: ما أدري ما قال، حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن دثار عن جابر بن عبد الله قال: بعث النبي ناقة شرط لى حلابها، البيع جائز، و الشرط جائز (١).

قلت: و الكل اخطئوا، و الصواب: ما قاله أهل بيت النبي عليه السلام الذين هم أدري بما فى البيت من التفصيل فى الشرط، من جواز الشرط الا ما أحل حراما، أو حرم حلالا، المعتق للمعتق، و شرطه للبائع من المعتق من المستثنى، كما فى خبر ابن أبي ليلى، و كان فى النسخه نقص ليس الخبر تمامه، و شرط الحلاب من المستثنى منه، كما فى خبر ابن شبرمه، و خبر أبي حنيفه مجمل لا يحل العمل به، و يحمل على المفصل .

«ثم يجتمع القضاء بذلك عند الامام الذى استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا» و هو أمر منكر مخالف لفطر البشر.

و من كتاب طويل كتبه ابن المقفع للمنصور- و قد نقله فى اختيار المنظوم و المنشور- و مما ينظر الخليفه فيه من أمر هذين المصرين، و غيرهما من الامصار و النواحي اختلاف هذه الاحكام المتناقضه التى قد بلغ اختلافها أمرا عظيما فى الدماء و الفروج و الاموال، فيستحل الدم و الفرج بالحيره، و هما يحرمان بالكوفه، و يكون مثل ذلك الاختلاف فى جوف الكوفه، فيستحل فى

ص: ٣٣٥

ناحية منها ما يحرم في ناحيه أخرى، غير انه على كثره ألوانه نافذ على المسلمين في دمائهم و حرمهم، يقضى به قضاءه جائز أمرهم و حكمهم، مع أنه ليس ممن ينظر في ذلك من أهل العراق و أهل الحجاز فريق الا- قد لَجَّ بهم العجب بما في أيديهم، و الاستخفاف بمن سواهم، فأقحمهم ذلك في الامور التي يتبغ بها من سمعها من ذوى الالباب، أما من يدعى لزوم السنّه منهم فيجعل ما ليس له سنّه حتى يبلغ ذلك به الى أن يسفك به الدم بغير بينه و لا حجّه على الأمر الذي يزعم انه سنّه، و إذا سئل عن ذلك لم يستطع أن يقول اهرق فيه دم على عهد النبي صَلَّى الله عليه و آله أو أئمه الهدى من بعده، و إذا قيل له أى دم سفك على هذه السنّه التي تزعمون؟ قالوا: فعل ذلك عبد الملك بن مروان، او أمير من بعض أولئك الامراء، و انما يأخذ بالرأى، فيبلغ به الاعتزام على رأيه أن يقول في الامر الجسيم من أمر المسلمين قولاً لا- يوافقه عليه أحد من المسلمين، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك، و امضائه الحكم عليه، و هو مقرّ أنه رأى منه لا يحتج بكتاب و لا سنّه، فلو رأى الخليفة أن يأمر بهذه القضيه، و السنن المختلفه، فترفع إليه في كتاب، و يرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنّه أو قياس، ثم نظر الخليفه في ذلك، و أمضى في كل قضيه رأيه الذي يلهمه الله، و يعزم له عليه، و ينهى عن القضاء بخلافه، و كتب بذلك كتاباً جامعاً عزماً لرجونا الله أن يجعل أمر هذه الاحكام المختلفه الصواب بالخطأ حكماً واحداً صواباً- إلخ.

الا- أن الأصل في اختلاف القضاء اختلاف الإمام الذي استقضاهم في آرائه، فما دام لم يكن له علم لا بد له أن يصوّب آراءهم صواباً كانت ام خطأ.

ففي (الاستيعاب)- في عبد الرحمن بن سهل الأنصاري- جاءت جدتان الى أبي بكر، فأعطى ام الام السدس دون ام الاب، فقال له عبد الرحمن: أعطيت التي

لو ماتت لم يرثها، و تركت التي لو ماتت ورثها، فجعله أبو بكر بينهما (١).

و روى ابن سعد في (طبقاته) عن إسماعيل الأسدی عن أيوب عن محمد قال: سألت عبيده عن شيء من ميراث الجدة، فقال: ما تريد إليه، لقد حفظت فيه مائة قضيه عن عمر. قلت: كلها عن عمر؟ قال: كلها عن عمر (٢).

و في (مروج المسعودی) - في دخول رجلين من الخوارج على عمر بن عبد العزيز - فقال أحدهما له: رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك، و سميتها المظالم، و سلكت غير سبيلهم، فان زعمت انك على هدى و هم على ضلال فالعنهم، و تبرأ منهم، فهذا الذي يجمع بيننا و بينك أو يفرق. فقال لهما: أرأيتما أبا بكر و عمر، أ ليسا من اسلافكم، و من تتولونهما، و تشهدون لهما بالنجاه؟ قال: بلى. قال: فهل علمتم ان ابا بكر حين قبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ ارتدت العرب قاتلهم، فسفك الدماء، و أخذ الاموال، و سبى الذراري؟ قال: نعم. قال: فهل علمتم أن عمر حين قام بعد أبي بكر رد تلك السبايا الى أصحابها؟ قال: نعم.

قال: فهل برىء عمر من أبي بكر؟ قال: لا - الخ (٣).

قلت: ان الخوارج حيث كانوا طالبيين للحق - و اخطئوه - كانوا قد يتكلمون بمقتضى أدله العقول، و الفطره التي فطر الناس عليها من عدم امكان كون الحق في جهتين، و عدم امكان كون عمر بن عبد العزيز و باقى بنى اميه على الحق، مع اختلافه معهم في العمل، كعدم امكان كون عبد الملك في اليوم الآخر من خلفه ابن الزبير عدو الله ملعونا، و في غده الذي تسلط على العراق و بايعه أهلها وليا لله و خليفه له واجب الاطاعه، و انه لا حكم الا لله في اختيار

ص: ٣٣٧

١- ١) الاستيعاب ٢: ٤٢٠. [١]

٢- ٢) الطبقات ج ٢ ق ١٠٠: ٢.

٣- ٣) مروج الذهب ٣: ١٩١. [٢]

الخليفه دون الناس فى قصه حرب الخوارج مع المهلب من قبل ابن الزبير أولا-الا- أنه لما كان أساسهم على أحقيته خلافه الشيخين كانوا يلزمونهم بعدم الضرر بذلك استنادا الى فعلهما و خلافتهما، مع أن جميع هذه الاختلافات فى أصول الدين و فروعه متفرعه من ذاك الاصل، و كل مفسده حصلت من سفك الدماء، و نهب الاموال، و هتك الاعراض و النواميس مبتن على ذاك الاساس، فالرجلان و ان قبلا- عدم ضرر اختلاف الرجلين، الا- أن العقل السليم و الفطره المستقيمه لا يقبلان ذلك، و لو نازعونا فى ذلك لحاكمهم اليهما العقل و الفطره .

«و الههم واحد و نبهم واحد و كتابهم واحد» فكيف يحكم كل قاض برأى، و كيف يصوب امامهم جميع آرائهم.

روى (الكافى) عن القمى عن ابيه عن ابن أبى عمير عن عمير بن اذينه عن الفضيل بن يسار قلت لابي عبد الله عليه السلام: ان الناس يقولون ان القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال: كذب أعداء الله، و لكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد (١).

«ا فأمرهم الله تعالى» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «سبحانه» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢)، و لان الأمر بالاختلاف نقص من الأمر، فالمناسب تنزيهه تعالى عنه.

«بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه» و ليس الاول، فلا بد من الثانى. و كيف لا و قد ذم الاختلاف، فقال: «وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ»

ص: ٣٣٨

١- (١) الكافى ٢:٦٣٠، ح ١٣. [١]

٢- (٢) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١:٢٨٨ و شرح ابن ميثم ١:٣٢٠ مثل المصريه.

«وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» (١) «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» (٢).

«أم أنزل الله ديننا ناقصاً، فاستعان بهم على اتمامه» وقد قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» (٣).

لكن روى الخطيب عن يوسف بن اسباط قال: قال أبو حنيفة: لو أدركنى النبي و أدركته لاخذ بكثير من قولى.

و عن أبى إسحاق الفزارى: سألت ابا حنيفة عن مسأله فأجاب فيها، فقلت له: ان هذا يروى فيه عن النبى صلى الله عليه و آله كذا و كذا. فقال: حك هذا بذنب خنزير.

و عن بشر بن مفضل: قلت لابي حنيفة ان النبى صلى الله عليه و آله قال: البيعان بالخيار ما لم يفترقا. فقال: هذا رجز.

و عن يحيى بن آدم: ذكر لأبى حنيفة ان النبى صلى الله عليه و آله قال: الوضوء نصف الايمان. فقال: لتتوضأ مرتين حتى تستكمل الايمان.

قال يحيى: و معنى الحديث انه تعالى سمى الصلاه ايمانا فى قوله «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» (٤) و لا تقبل صلاه الا بطهور.

و عن الفضل بن موسى السينانى قال أبو حنيفة: من أصحابى من يبول قلتين، يردّ على النبى صلى الله عليه و آله قوله: إذا كان الماء قلتين لم ينجس.

و عن يوسف بن أسباط: ردّ أبو حنيفة على النبى صلى الله عليه و آله أربعمائى حديث او أكثر، قيل له: مثل ما؟ قال النبى: للفرس سهمان، و للرجل سهم، و قال

ص: ٣٣٩

١-١ (١) البقره: ٢٥٣. [١]

٢-٢ (٢) آل عمران: ١٩. [٢]

٣-٣ (٣) المائده: ٣. [٣]

٤-٤ (٤) البقره: ١٤٣. [٤]

أبو حنيفه: انا لا اجعل سهم بهيمه اكثر من سهم مؤمن. و اشعر النبي البدن، و قال أبو حنيفه: الاشعار مثله، و قال: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، و قال أبو حنيفه: إذا وجب البيع فلا- خيار، و كان النبي يقرع بين نسائه إذا أراد أن يخرج في سفر، و قال أبو حنيفه: القرعه قمار .

«أم كانوا شركاءه» هكذا في (المصريه) و الصواب: «شركاء له»، كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (١).

«فلهم أن يقولوا و عليه ان يرضى» و قد قال تعالى: «و رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» (٢).

«أم انزل الله سبحانه» هكذا في (المصريه) و ليست الكلمه في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣) «دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه و أدائه» و لا يمكن ذلك في حقه «و الله سبحانه يقول «ما فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» و الآيه ٣٨ من الأنعام .

«و قال فيه» هكذا في (المصريه) و الصواب: «و فيه»، كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٤) مع زياده كلمه (و قال) «تبيان لكل» و هكذا في (المصريه) و الصواب: (كل) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٥) «شيء» قال تعالى:

«و نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ» (٦)،

ص: ٣٤٠

١- ١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ [١] لكن في شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ [٢] مثل المصريه.

٢- ٢) القصص: ٦٨. [٣]

٣- ٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ و [٤] شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ [٥] مثل المصريه.

٤- ٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ لكن في شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ مثل المصريه.

٥- ٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٨٨ لكن في شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ [٦] مثل المصريه.

٦- ٦) النحل: ٨٩. [٧]

ف قوله عليه السّلام: «فيه تبيان كل شيء» اشاره الى الآيه، لا انه آيه كما جعله (المصريه)، و الأصل في الوهم (ابن أبي الحديد) كما يأتي كلامه.

قال الباقر عليه السّلام: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني انه أين من كتاب الله تعالى. ثم قال في حديثه: ان الله تعالى نهى عن القيل و القال، و افساد المال، و كثره السؤال. فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله تعالى؟ قال:

قوله عز و جل: «لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقِهِ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِضْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» (١)، و قال: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا» (٢)، و قال تعالى: «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ» (٣).

«و ذكر» الله تعالى «ان الكتاب» أي: القرآن «يصدق بعضه بعضا و انه لا- اختلاف فيه» بخلاف باقى الكتب «فقال سبحانه» (و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) « و الآيه ٨٢ من النساء و قبله «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ» .

هذا و قال ابن أبي الحديد فى شرح كلامه عليه السّلام من قوله «و الههم واحد-الى- لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»: و تلخيص الاحتجاج من خمسه أوجه:

الأول- انه لما كان الاله واحدا، و الرسول واحدا، و الكتاب واحدا، و يجب أن يكون الحكم فى الواقعه واحدا، كالملك الذى يرسل الى رعيته رسولا بكتاب يأمرهم فيه بأوامر يقتضيها ملكه و امرته، و لا يجوز أن تتناقض، و الا لنسب الى السفه و الجهل.

الثانى- لا يخلو الاختلاف الذى ذهب إليه المجتهدون اما أن يكون

ص: ٣٤١

[١- ١] النساء: ١١٤. [١]

[٢- ٢] النساء: ٥. [٢]

[٣- ٣] أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٦٠، ح ٥. و الآيه ١٠١ [٣] من سوره المائده.

مأمورا به أو منهيًا عنه، و الأول باطل، لأنه ليس في الكتاب و السنه ما يمكن الخصم أن يتعلق به في كونه مأمورا به، و الثاني حق و يلزم منه تحريم الاختلاف.

الثالث- اما أن يكون دين الاسلام ناقصا أو تاما، فان كان الاول و كان الله قد استعان بالمكلفين على اتمام شريعته ناقصه أرسل بها رسوله فهو كفر، و ان كان الثاني فاما أن يكون الرسول قد قصّر في التبليغ أن يكون قد أبلغه على كماله، فان كان الاول فهو كفر، و ان كان الثاني فقد بطل الاجتهاد، لان الاجتهاد انما هو فيما لم يتبين، و ما بين فلا مجال للاجتهاد فيه.

الرابع- الاستدلال بقوله تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» (١) و قوله: «فيه تبيان كل شيء» و قوله سبحانه: «و لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين» (٢).

الخامس- قوله تعالى: «و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» (٣)، فجعل الاختلاف دليلا على أنه ليس من عند الله، لكنه من عنده تعالى بالادله القاطعه على صحه النبوه، فوجب ألا يكون فيه اختلاف.

قال ابن الحديد- بعد ما مر-: و اعلم أن هذه الوجوه هي التي تتعلق بها الاماميه، و نفاه القياس و الاجتهاد في الشرعيات، و قد تكلم عنها أصحابنا في كتبهم، و قالوا انه عليه السلام كان يقيس و يجتهد، و ادعوا اجماع الصحابه على صحه الاجتهاد و القياس، و دفعوا صحه هذا الكلام المنسوب في هذا الكتاب إليه عليه السلام، و قالوا انه من روايه الاماميه، و هو معارض بما ترويه الزيديه عنه

ص: ٣٤٢

[١-١] الانعام: ٣٨. [١]

[٢-٢] الانعام: ٥٩. [٢]

[٣-٣] النساء: ٨٢. [٣]

و عن أبنائه عليهم السّلام فى صححه القياس و الاجتهاد، و مخالطه الزيديه لأئمّه أهل البيت كمخالطه الاماميه لهم، و معرفتهم بأقوالهم و أحوالهم و مذاهبهم كمعرفه الاماميه، لا- فرق بين الفئتين فى ذلك، و الزيديه قاطبتها، جاروديتها، و صالحيتها تقول بالقياس و الاجتهاد، و ينقلون فى ذلك نصوصا عن أهل البيت، و إذا تعارضت الروايتان تساقطتا- إلخ (١).

قلت: أما ما قاله من دفع أصحابه أن تكون هذه الجمل من كلامه عليه السّلام و انه من روايه الاماميه فهب انه كلام أعرأبى أو رجل من الاماميه، أليس دليلا- عقليا و برهانا قطعيلا يحتاج قائله الى العصمه، و كون مطلق كلامه الحجه، فهى نظير قوله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» (٢).

و أما ما ذكره من أن أصحابه ادعوا اجماع الصحابه على صححه الاجتهاد و القياس، فهو نظير ادعائهم اجماع الامه على بيعه أبى بكر ببيعه عمر و أبى عبيده المتواطئين معه، و قد قال النظام: نحن لا- نزع من أصحاب النّبى صلّى الله عليه و آله أطبقوا على الرأى، و لما كان فيهم عمر و عثمان، و معهم سلطان الرعيه و الرهبه، شاع لهم ذلك فى الدنيا، و انقادت لهم العوام، و جاز للباقيين السكوت على التقيه، و انهم قد علموا أنه غير مقبول منهم و لا مسموع منهم (٣).

و أما ما ذكره من أن الزيديه رووا عنهم عليهم السّلام صححه القياس و الاجتهاد، و الزيديه كالاماميه كانوا مخالطين لهم، فكلام باطل، فالزيديه كالعامه أعداء الأئمه عليهم السّلام، و الاماميه كانوا يتقون منهم كما كانوا يتقون من العامه، و هذا أمر واضح لا مريه فيه لمن له اطلاع عن الفريقين، قال الصادق عليه السّلام كما فى

ص: ٣٤٣

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٩٠: ١. [١]

٢- ٢) الانبياء: ٢٢. [٢]

٣- ٣) نقله عنه الشريف المرتضى فى الفصول المختاره ١٨٩: ٣. [٣]

خبر عمر بن يزيد: الزيديه هم النصاب، وقال عليه السلام: لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء ان استطعت (١).

وقال أبو بصير: ذكر أبو عبد الله عليه السلام كثير النوا، وسالم بن أبي حفصه، و ابا الجارود- وهم من رؤساء الزيديه- فقال: هم كذابون مكذبون، كفار عليهم لعنة الله، يأتونا فيخبرون انهم يصدقونا وليس كذلك، ويسمعون حديثنا و يكذبون به (٢).

وفي (رجال الكشي): ان الصادق عليه السلام قال لأبي الجارود بمنى فى فسطاطه-رافعا صوته- كان أبى و الله امام أهل الأرض حيث مات لا يجهله إلا ضالاً، وقال له فى العام المقبل مثل ذلك، فقل له بعد ذلك بالكوفه: أما سمعت ما قال لك أبو عبد الله مرتين؟ فقال: انما يعنى أباه عليا (٣).

وفيه قيل للصادق عليه السلام: ان سالم بن أبى حفصه يروى عنك انك تتكلم على سبعين وجها لك عن كلها المخرج. فقال: ما يريد سالم منى، يريد أن أجيء بالملائكة فما جاء بها النبيون، ولقد قال إبراهيم «إِنِّي سَقِيمٌ» (٤) و ما كان سقيما و ما كذب، وقال: «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا» (٥) و ما فعله الكبير و ما كذب، ولقد قال يوسف: «إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ» (٦) و ما كانوا سارقين و ما كذب (٧)- الى غير ذلك من الاخبار.

ص: ٣٤٤

١- ١) اختيار معرفه الرجال ٤٠٩: ٢٢٨. [١]

٢- ٢) اختيار معرفه الرجال ٤١٦: ٢٣٠.

٣- ٣) اختيار معرفه الرجال ٤١٧: ٢٣٠.

٤- ٤) الصافات: ٨٩. [٢]

٥- ٥) الانبياء: ٦٣. [٣]

٦- ٦) يوسف: ٧٠. [٤]

٧- ٧) اختيار معرفه الرجال ٤٢٥: ٢٣٤. [٥]

و كيف شرّك الزيديه مع الاماميه مع اختلاف مبناهما، فالاماميه انما قالوا بنفى القياس و الاجتهاد لوجود امام معصوم فى كل عصر يعلم جميع الاحكام مثل النبى صلى الله عليه و آله بالالهام من الله تعالى، و الزيديه غير قائلين بذلك، فلا بد أن يقولوا بها كالعامة.

و لم يكن النقل عنه عليه السلام بالقول بالقياس و الاجتهاد منحصرًا بالزيديه، فقد قال بنسبتهما إليه النظام على ما حكى عنه تلميذه الجاحظ، فقال: اختلف قول على فى امهات الأولاد، فقال بشىء، ثم رجع عنه، و قد حكى عن عبيده السلماني انه قال: سألت عليا عن بيع امهات الأولاد، فقال: كان رأى و رأى عمر الا يعن، و انا الآن أرى أن يعن. فقلت: رأىك مع رأى عمر أحب إلينا من رأىك وحدك.

و قضى فى الجدل بقضايا مختلفه، و ندم أيضا على احراق المرتد بعد الذى كان بلغه من فتيا ابن عباس، و ودى رجلا جلده فى الخمر ثمانين فمات، و قال انما وديته لان هذا شىء جعلناه بيننا، و رأى الرجم على مولاه حاطب فلما سمع قول عثمان تابعه، و نازعه زيد بن ثابت فى المكاتب فأفحمه، و قال فى امر الحكيمين:

لقد عثرت عثره لا انجبر سوف اكيس بعدها و استمر

و اجمع رأى الشتيت المنتشر

(١) و نقل فى الجواب كلام شيخنا محمد بن محمد بن النعمان المفيد، ففیه مقنع و كفايه فى الباب، قال- بعد خبر بيع أمهات الاولاد- هذا خبر قد أطبق الفقهاء و نقاد الآثار على بطلانه، و من صححه منهم فلم يثق بهذه الحكايه من عنده و قال تخرصها ليتجمل بالكذب فيما ادعاه، لان امير المؤمنين عليه السلام كان

ص: ٣٤٥

(١-١) نقله عنه الشريف المرتضى فى الفصول المختاره ١٦٧:٢-١٧١. [١]

أعظم فى نفوس المهاجرين و الانصار من أن يقدموا عليه فى حكم حكم به هذا الاقدام، فكيف بعبده مع صغر سنّه فى الحال وضعه قدره، و لم يكن عبده و لا أضرابه من الذين يتجاسرون على الإمام عليه السّلام بهذا المقال، و لو كان عبده صادقاً لما أخل ذلك بما قلنا من عصمته عليه السّلام من قبل انه كان رأيه فى أيام عمر الا يخالفه فى الفتيا خوفاً من انتشار الكلمه و وقوع الفساد، و ذلك هو الذى توجه الحكمة فى تدبير الدين و استصلاح الأنام، فلما أفضى الأمر إليه زال ما كان يخافه فيما سلف من اظهار الخلاف، فحكم بما لم يزل يعتقد، كما كان رأى النبى صلّى الله عليه و آله فى عام الحديبيه امضاء أحكام الكفار و الكفّ عن حربهم، ثم زالت العله الموجهه لذلك عام الفتح، فرأى حربهم و خلاف ما كان رآه قبل.

فأما اعتراض عبده فى قوله بالردّ، فهو نظير ردّ الخوارج عليه فى التحكيم، و حرب طلحه و الزبير و معاويه اهل الشام له عليه السّلام، و لم يخل ذلك بكمال عصمته عليه السّلام، كما لم يقدح خلاف المشركين للنبى صلّى الله عليه و آله و ردهم عليه و حربهم له فى نبوته و عصمته. و من اعتمد على ما اعتمد عليه الجاحظ و استاده و اشياعهما فى هذا الباب فقد وضح جهله و بان عجزه (١).

و قال- و فى الجواب عن قوله بقضائه فى الجدل مختلفاً- بأنه تخرص منه لاختفاء به، فلا يحفظ عنه عليه السّلام فى الجدل الاقول واحد، و لم يختلف من أهل النقل عنه فى ذلك اثنان، و من اعتمد على البهت هان امره (٢). قلت: لعله غلط فيما سمعه من عمر فنسبه إليه عليه السّلام.

و قال فى الجواب عن خبر الاحراق بأنه من أطرف شىء سمع و أعجبه، و ذلك أن ابن عباس أحد تلامذته و الآخذين العلم منه، و هو الذى كان يقول:

ص: ٣٤٦

١- ١) الفصول المختاره ١٦٨: ٢. [١]

٢- ٢) الفصول المختاره ١٦٩: ٢. [٢]

يجلس أمير المؤمنين عليه السّلام بيننا كأحدنا يداعبنا و يبسطنا، و الله ما ملأت طرفي قط منه هيبه له، فكيف يجوز من مثل ما وصفناه التقدم عليه عليه السّلام في الفتيا، و اظهار الخلاف عليه في الدين، لا- سيما في الحال التي هو مظهر له فيها الاتباع و التعظيم و التبجيل.

و قال: و كيف يكون ما حكاه إبراهيم النظام من ندمه عليه السّلام على احراق المرتدّ حقا، و قد احرق في آخر زمانه الأحد عشر الذين ادعوا الربوبية فيه، افتراه ندم على ندمه الأول، كلا و لكن الناصبه تتعلق بالهباء المنثور (١).

قلت: انما ندم أبو بكر على احراقه الفجاء السلمى، و تمنى وقت موته ترك ذلك (٢)، فنسب فعله إليه عليه السّلام كما نسب اختلاف آراء عمر في الجد إليه عليه السّلام بدون موافقه موافق أو مخالف له.

و قال في خبر وديه من مات في الحد بأنه شيء لم يسمع به الا من هذه الجهة، و لا رواه أحد من أهل الآثار، فكيف و هو عليه السّلام كان يقول «من ضربناه حدا في حق من حقوق الله، فمات، فلا- ديه له علينا، و من ضربناه حدا في حق من حقوق المخلوقين، فمات، فديته علينا» و لا خلاف أن حد الخمر من حقوق الله تعالى خاصه، و لكنى أظن ان النظام أراد أن يدخل حد القذف، فغلط بحد الخمر لاتفاقهما في العدد (٣).

قلت: انما روت الخاصه و العامه وقوع مثل ذلك عن عمر، و لفظ العامه فيه هكذا: استدعى عمر امرأه ليسألها عن امر- و كانت حاملا- فلشده هيبته ألقته ما في بطنها، فأجهضت به جنينا ميتا، فاستفتى أكابر الصحابه في ذلك،

ص: ٣٤٧

١-١) الفصول المختاره ٢:١٦٩. [١]

٢-٢) رواه الطبري في تاريخه ٢:٦١٨، سنه ١٣ و المسعودي في المروج ٢:٣٠١ و الجوهري في السقيفه: ٤٠.

٣-٣) الفصول المختاره ٢:١٦٩. [٢]

فقالوا: لا شيء عليك، إنما أنت مؤدب. فقال له على عليه السلام: إن كانوا راقبوك فقد غشوك، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد اخطأوا، عليك غره - يعني عتق رقبه - فرجع عمر و الصحابه الى قوله (١). و كأن النظام التزم ان يشركه عليه السلام فى عيوبهم.

و قال فى قوله تابع عثمان و أفحمه زيد فى المكاتب، هذا كذب ظاهر، لان الاتفاق حاصل على أنه عليه السلام كان أعلم القوم، و انهم كانوا يرجعون إليه، و لا يرجع الى احد منهم، و كيف يكون ما رواه حقا، و الخبر المستفيض عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال: «على افضاكم»، و ليس يصح أن يكون اقضى الامه من أفحمه زيد بن ثابت فى المكاتب، فان كان قد أفحمه على ما قال النظام، فقد أكذب النبى فى قوله، و ليس المكاتب من الفرائض فى شيء، فيتعلق بالخبر الذى يروونه «زيد أفضكم»، مع أن الاجماع موجود على مذهبه عليه السلام فى الرجم و المكاتب خلاف قول عثمان و زيد، و هذا دليل على بطلان ما ادعاه (٢).

و قال فى الجواب عن شعر الحكمين: انه لا يضاف إليه بالضروره، لأننا نعلم بالضروره انه عليه السلام كان يظهر التدين بصوابه فى التحكيم، و تضليل من خطأه فى ذلك، حتى قتل أربعة آلاف على تخطئتهم له فى التحكيم، فكيف يسوغ من عاقل أن يضرب الرقاب على قول قيل فيه، و هو يشهد به على نفسه، هذا ما لا يتوهمه الا مؤف العقل غير معدود فى جملة المكلفين، و كيف يصح ذلك مع أن الخوارج انما ساموه ان يعترف لهم بالخطأ فيما صنعه فى باب الحكمين ليرجعوا الى ولايته، فردّ عليهم ذلك، و وجهه بابن عباس لمناظرتهم فيه، و لو كان قد قال هذا الشعر كما حكاه إبراهيم لكان الغايه فى بغيه القوم

ص: ٣٤٨

١- ١) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ١: ١٧٤ و المفيد فى الارشاد: ١٠٩. [١]

٢- ٢) الفصول المختاره ١٧٢: ٢. [٢]

منه، و لرضوا به، و لدخلوا فى ولايته، اذ صريحه شهاده منه على نفسه بالخطأ، و الندم على صنعه.

قال: و الذى يدل على بطلان جميع ما حكاه هذا الرجل عنه أنه لو كان له اصل لكان أوكد الحجج لاعدائه من الخوارج و غيرهم، ممن رأى حربته بالبصره أو صفين، و من قعد عن نصرته، و لشيعة عثمان خاصه، حتى كانوا يحتجون به عليه فى المقامات، و يشنعون به على رءوس الجماعات، و قد احطنا علما باحتجاج جميع من خالفه، أو قعد عنه أو نازعه و حاربه، فلم نجد فيه أنهم قالوا له: تناقضت أحكامك، و اختلفت آراؤك، و لا- فضل لك فى العلم، لان زييدا نازعك فأفحمك، و عثمان خالفك فأسكتك، و تحكم بشيء ثم تندم عليه، و تخطئ فى أمر و تعترف بخطئك فيه، ثم تقيم عليه، بل وجدنا جماعه من ذكرنا معترفين بفضله عليه السلام فى العلم و الشجاعه و الحكم و القرابه بالنبي و الزهد، و انما كان بعضهم يتعلق عليه بايوائه قتله عثمان- و هم أهل البصره و الشام- و بعضهم بتحكيم الرجال- و هم أهل النهروان- و بعضهم بقتال أهل القبله- و هم المعتزله للقتال- و قد اجتهدت بنو اميه السفينيه و مروانيه فى نحت مثالب له عليه السلام، فلم يحفظ عن أحد منهم فى سلطانه سقط له فى العلم، و لا- تجهيل فى الاحكام، و اكثر ما كانوا يخبطون به فى ذلك، و يشبهون على الاغفال خذلانه لعثمان، و نصرته لقتلته، و الاستبداد بالامر دون الرجال، و ما أشبه ذلك، و لو كان شيء مما حكاه إبراهيم عنه عليه السلام محفوظا لنشره من ذكرناه، و فى عدول الكافه عنه سيما الخوارج- و قد جرت بينه و بينهم المناظرات- دليل على وقاحه إبراهيم و بهته و عناده- إلخ (1).

قلت: و لا سيما الراوى عن الجاحظ، و لعله هو الاصل فى الافتراء، فان

ص: ٣٤٩

مثله منه كثير، كما لا يخفى على من راجع كتابيه المروانيه و العثمانيه، و قد نقضهما و بين كثيرا من افتراءاته جمع من علمائهم و منهم الاسكافي، و قد صرح المسعودي بأن الجاحظ كان يصنف الكتب فاذا لم يراقبالا عليها ينسبها الى ابن المقفع و سهل خازن كتب حكمه المأمون لاشتهارهما في التصنيف (١).

ثم كيف ينسب ابن أبي الحديد الى اهل البيت عليهم السلام القول بالرأى و قد سئل الباقر عليه السلام عن الحديث يرسله و لا يسنده، فقال: إذا حدثت الحديث و لم اسنده، فسندى فيه «أبي عن جدي عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه و آله عن جبرئيل عن الله عز و جل» (٢).

و قال سالم بن أبي حفصه -و كان من الزيديه البتريه- لما هلك أبو جعفر محمد بن علي قلت لأصحابي: انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر ابن محمد، فأعزیه بأبيه، فدخلت عليه، فعزيت به: ثم قلت: أنا لله و أنا إليه راجعون، ذهب و الله من كان يقول «قال رسول الله»، فلا- يسأل عمن بينه و بينه، لا- و الله لا- يرى مثله، فسكت أبو عبد الله ساعه، ثم قال: قال الله تعالى: «ان من عبادي من يتصدق بشق تمره، فأربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتى أجعلها له مثل جبل أحد»، فخرجت الى اصحابي، فقلت لهم: ما رأيت أعظم من هذا: كنا نستعظم قول أبي جعفر «قال رسول الله» بلا واسطه، فقال أبو عبد الله «قال الله» بلا واسطه (٣).

و بالجمله الوجوه الخمسه في كلامه عليه السلام لعدم جواز الاختلاف في

ص: ٣٥٠

١- ١) التبيه و الاشراف: ٦٦.

٢- ٢) رواه المفيد في اماليه: ٤٢، ح ١٠، مجلس ٥.

٣- ٣) رواه المفيد في اماليه: ٣٥٤، ح ٧، مجلس ٤٢ و أبو علي الطوسي في اماليه ١: ١٢٥، جزء ٥. [١]

الدين براهين عقلية تبطل كل نحله و مله من الفرق الاسلاميه الا الاماميه .

«و ان القرآن ظاهره أنيق» أى:حسن معجب «و باطنه عميق» قال الباقر عليه السلام:ما يستطيع أحد يدعى انه عنده جميع القران كله ظاهره و باطنه غير الاوصياء (١).

و عنه عليه السلام:ظهر القرآن الذين نزل القرآن فيهم،و بطنه الذين عملوا بمثل اعمالهم (٢).و فى معنى الظهر و البطن،و التنزيل و التأويل كان النبى صلى الله عليه و آله فى غزواته يقاتل على ظاهر القرآن و تنزيله،و كان امير المؤمنين عليه السلام يقاتل فى حروبه الجمل و صفين و النهروان على باطن القران و تأويله.

و فى (صفين نصر)-فى حديث قتل عمار-و قال عمار حين نظر الى رايه عمرو بن العاص:و الله ان هذه الرايه قاتلتها ثلاث عركات،و ما هذه بأرشدهن،ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق الى سبيله

ثم استسقى -و قد اشتد ظمأه-فاته امرأه طويله اليدين بضياح من لبن،فقال حين شرب:

الجنه تحت الاسنه اليوم القى الاحبه

محمددا و حزبه (٣)

«لا تفنى عجائبه» هكذا فى (المصريه)و فيها سقط،ففى (ابن أبى الحديد

ص: ٣٥١

١- ١) اخرج الكلىنى فى الكافى ١:٢٢٨، ح ٢. [١]

٢- ٢) اخرج الصدوق فى معانى الاخبار:٢٥٩، ح ١.

٣- ٣) وقعه صفين: ٣٤٠ و ٣٤١. [٢]

و ابن ميثم و الخطيبه (١) «لا تفنى عجائبه و لا تنقضى غرائبه».

و فى (الكافى) عن ابن السكيت قال للهادى عليه السّلام: لم بعث الله موسى بالعصا و آله السحر، و عيسى بآله الطب، و محمّدا بالكلام و الخطب؟ فقال عليه السّلام له: كان الغالب على أهل عصر موسى السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن فى وسعهم، و كان عيسى فى وقت قد ظهرت فيه الزمانات، و احتاج الناس الى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله من احياء الموتى، و ابراء الـكمه و الـابرص، و كان الغالب على عصر محمد الخطب و الكلام الفصيح و الشعر، فأتاهم من عند الله من مواظبه و حكمه ما ابطل به قولهم، و أثبت به الحجّه عليهم. فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط، فما الحجّه على الخلق اليوم؟ فقال عليه السّلام: العقل يعرف به الصادق على الله فتصدقه، و الكاذب على الله فتكذبه. فقال ابن السكيت: هذا و الله هو الجواب (٢).

و فى (العيون): سأل رجل ابا عبد الله عليه السّلام: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر و الدرس الاغضاضه؟ فقال: ان الله تعالى لم ينزله لزمان دون زمان، و لا لناس من دون ناس، فهو فى كل زمان جديد، و عند كل قوم غض الى يوم القيامة (٣).

«و لا- تكشف الظلمات الا- به» روى (الكافى): أن النبى صلّى الله عليه و آله قال فى خطبته بمنى أو مكه: ما جاءكم عنى يوافق القرآن فأنا قلته، و ما جاءكم عنى لا- يوافق القرآن فلم أقله. و ان الصادق عليه السّلام قال: كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف (٤).

ص: ٣٥٢

١- ١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٨٨، [١] لكن فى شرح ابن ميثم ١: ٣٢٠ [٢] مثل المصريه.

٢- ٢) الكافى ١: ٢٤، ح ٢٠. [٣]

٣- ٣) عيون الاخبار للصدوق ٢: ٨٥، ح ٣٢. [٤]

٤- ٤) الكافى ١: ٦٩، ح ٣-٥. [٥]

و قال عليه السّلام:

كُلُّ وَعِيَاءٍ يَضِيْقُ بِمَيِّا جُعِلَ فِيهِ- إِلَّا وَعِيَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ أَقْوَالُ: و نظيره قوله عليه السّلام أيضا- كما رواه أبو هلال العسكري في (صناعته)- كل شيء يعز إذا نزر ما خلا العلم فانه يعز إذا غزر.

في (المروج): ان الاسكندر لما قتل فورا من ملوك الهند، و انقاد إليه جميعهم، بلغه أن في أقاصي أرضهم ملكا ذا حكمه و سياسه يقال له كند- الى أن قال- فكتب كند الى الاسكندر: ان عنده فيلسوفا يخبره بمراده قبل أن يسأله لحدده مزاجه، و حسن قريحته، و اعتدال بنيته، و اتساعه في علمه، و ان الاسكندر أراد اختبار الفيلسوف، فدعا بقدح، فمأه سمنًا، و أدهقه، و لم يجعل للزيادة عليه سبيلا، و دفعه الى رسول له، و قال له: امض به الى الفيلسوف، و لا تخبره بشيء، فلما رود الرسول بالقدح قال الفيلسوف بصحه فهمه: لا امر ما بعث هذا الملك بهذا السمن الى، و أجال فكره، ثم دعا بنحو ألف ابره، فغرز أطرافها في السمن، و انفذها الى الاسكندر- الى أن قال بعد ذكر التلاقي بينهما- قال الاسكندر للفيلسوف: ما بالك حين أنفذت اليك قدحا مملوءا سمنًا غرزت فيه ابرا و رددته الى؟ فقال الفيلسوف: علمت أيها الملك انك تقول ان قلبي قد امتلأ علما كامتلاء هذا الاناء من السمن، فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد، فأخبرت الملك ان علمي يستزيد في علمه و يدخل فيه دخول هذه الابر في هذا الاناء (١).

هذا، و شبه علم عند عالم سوء بمتاع جيد في وعاء سوء، ففي كتاب زيد

ص: ٣٥٣

الزرد عن أبي جعفر عليه السّلام قال: ان لنا أوعيه نملؤها علما و حكما و ليست لها بأهل، و ما نملؤها إلا لتنقل الى شيعتنا، فانظروا الى ما فى الأوعيه، فخذوها، ثم صفّوها من الكدر تأخذونها بيضاء نقيه صافيه، و اياكم و الأوعيه، فانها وعاء سوء فتنكبوها.

و عن أبي عبد الله عليه السّلام: ذهب العلم و بقى غبرات العلم فى أوعيه سوء، فاحذروا باطنها فان فى باطنها الهلاك، و عليكم بظاهرها فان فى ظاهرها النجاه (١).



الحكمه (٣٣٨)

و قال عليه السّلام:

الْعِلْمُ عِلْمَانِ مَطْبُوعٌ وَ مَشْمُوعٌ - وَ لَا يَنْفَعُ الْمَشْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ أَقُول: و عن النبي صلّى الله عليه و آله تقسيمه من حيث آخر، ففى كثر الكراجكى قال النبي: العلم علمان، علم فى القلب، فذلك العلم النافع، و علم فى اللسان، فذلك حجّه على العباد (٢)، كما أنّ عنه عليه السّلام: تقسيم العقل كالعلم، ففى مطالب سؤال ابن طلحه الشافعى قال على عليه السّلام: العقل عقلان، عقل الطبع، و عقل التجربه، و كلاهما يؤدى الى المنفعه (٣).

و كيف كان فالمراد بالعلم المطبوع فى العنوان العقل، و بالعلم المسموع ظاهره، و معلوم أنّه ما دام لم يكن للانسان عقل لم ينفعه ما اكتسبه من العلم.

ص: ٣٥٤

١- ١) أصل زيد الزرد: ٤.

٢- ٢) كثر الفوائد: ٢٣٩. [١]

٣- ٣) مطالب السؤل: ٤٩. [٢]

قالوا: أراد رجل أن يتعلم من الخليل علم العروض، واشتغل عليه مده، فأعياه، فقال له: كيف تقطع بيت عمرو بن معد يكرب:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه و جاوزه الى ما تستطيع

فترك الحضور، فعجب الخليل من فهمه مراده.

وقيل لحكيم: متى يكون الأدب شراً من عدمه. قال: إذا كثر الأدب، و نقصت القريحه.

٩

الحكمه (٩٢)

و قال عليه السلام:

أَوْضِعَ الْعِلْمَ مِثْلَ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ - وَ أَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَ الْأَرْكَانِ أَقُولُ: هَكَذَا فِي (المصريه) في العدد، و هو محرف عن موضعه، ففي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) هذا قبل حكمه (٩١) «ان هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان».

و كيف كان فهذا نظير ما مر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: العلم علمان، علم في القلب، فذلك العلم النافع، و علم في اللسان، فذلك حجه على العباد (١).

أما علم وقف على اللسان، فكونه أوضع علم لأن صاحبه كالكلاب و القرده، و الحمير و البعير، قال تعالى: «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ»

ص: ٣٥٥

«إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ» (١).

و فى الخبر عن الصادق عليه السّلام: كان لموسى جليس قد وعى علما كثيرا، فاستأذنه لزياره أقاربه، فقال عليه السّلام: ان الله قد حملك علما فلا تضيعه. فقال: لا يكون إلا خيرا، و مضى، فطالت غيبته، فسأل موسى عنه، فلم يخبره عنه أحد، فسأل جبرئيل عنه، فقال له: هو ذا على الباب قد مسخ قردا فى عنقه سلسله، ففزع موسى و قال: يا ربّ صاحبى و جليسى، فأوحى إليه لو دعوت حتى تنقطع ترقوتاك ما استجيب لك فيه، انى حملته علما، فضيعه و ركن الى غيره (٢).

و قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» (٣) أى: كذبوه عملا، و ان صدقوه لسانا، و قال الشاعر:

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباغر

لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما فى الغرائر

و كيف لا يكون ذاك العلم أوضع علم، و صاحبه اسوأ حالا من الجاهل، و عن الصادق عليه السّلام: يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنبا واحد (٤). و عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: «فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمُنَافِقَةُ وَ الْمُنَافِقُونَ» (٥) هم قوم و صفوا عدلا بألسنتهم، ثم خالفوه الى غيره (٦).

ص: ٣٥٦

١- ١) الاعراف: ١٧٥ و ١٧٦. [١]

٢- ٢) رواه الشهيد الثانى فى منيه المرید [٢] عنه البحار ٢: ٤٠ ح ٧٠. [٣]

٣- ٣) الجمعة: ٥. [٤]

٤- ٤) أخرجه الكلينى فى الكافى ١: ٤٧ ح ١، و [٥] القمى فى تفسيره ٢: ١٤٦. [٦]

٥- ٥) الشعراء: ٩٤. [٧]

٦- ٦) أخرجه الكلينى فى الكافى ١: ٤٧ ح ٤، و [٨] الأهوازى فى الزهد: ٦٨ ح ١٨١. [٩]

و فى الخير: ان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه (١).

و قال عيسى عليه السلام: ويل لعلماء سوء، كيف تلظى عليهم النار (٢).

و أما كون علم ظهر فى الجوارح و الأركان أرفع علم فلأنه الذى قال تعالى فى صاحبه: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (٣) و قال الصادق عليه السلام فيه: ان العلماء ورثه الأنبياء، و ذلك ان الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما، و انما ورثوا أحاديث، فمن أخذ منها أخذ بحظ وافر (٤).

و قال النبى صلى الله عليه و آله فى صاحب ذلك العلم: اللهم ارحم خلفائى، اللهم ارحم خلفائى، اللهم ارحم خلفائى. قيل: و من هم؟ قال: الذين يتعلمون حديثى و سنتى، ثم يعلمونها امتى (٥).

و قال الصادق عليه السلام: من تعلم العلم، و عمل به، و علم لله، دعى فى ملكوت السماوات عظيما، فقيل: تعلم لله، و عمل لله، و علم لله (٦).

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: يا طالب العلم، ان العلم ذو فضائل كثيرة، فأرأسه التواضع، و عينه البراءة من الحسد، و اذنه الفهم، و لسانه الصدق، و حفظه الفحص، و قلبه حسن النية، و عقله معرفه الأشياء و الامور، و يده الرحمة، و رجله زيارة العلماء، و همته السلامة، و حكمته الورع، و مستقره

ص: ٣٥٧

١- ١) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٤٤ ح ١. [١]

٢- ٢) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٤٧ ح ٢. [٢]

٣- ٣) المجادله ١١. [٣]

٤- ٤) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٣٢ ح ٢، و [٤] الصفار فى البصائر: ٣٠ و ٣١ ح ١ و ٣. [٥]

٥- ٥) أخرجه الصدوق فى معانى الأخبار: ٣٧٤ ح ١، و الفقيه ٤: ٣٠٢ ح ٩٥، و أماليه: ١٥٢ ح ٤، مجلس ٣٤، و [٦] عيون الأخبار ٢: ٣٦ ح ٩٤، و [٧] الخطيب فى شرح أصحاب الحديث: ٣٠ ح ٥٨، و الطبرانى فى المعجم الأوسط و الرامهرمزى فى المحدث الفاضل و ابن النجار فى تاريخه، عنهم كنز العمال ١٠: ٢٢٩ ح ٢٩٢٠٨.

٦- ٦) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٣٥ ح ٩، و [٨] القمى فى تفسيره ١: ١٤٦ ح ٢. [٩]

النجاه، وقائده العافيه، و مركبه الوفاء، و سلاحه لين الكلمه، و سيفه الرضا، و قوسه المداراه، و جيشه محاوره العلماء، و ماله الأدب، و ذخيره اجتناب الذنوب، و زاده الموادعه، و دليله الهدى، و رفيقه محبه الأختيار (١).

١٠

الحكمه (٣٦٦)

و قال عليه السلام:

الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمَلًا - وَ الْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ - فَإِنْ أَحْبَبَهُ وَ إِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ أَقُولُ: نسبه باب استعمال (علم الكافي ٣ الكليني - الكافي - باب استعمال علم ج ١ ص ٤٤ ح ٢) الى الصادق عليه السلام، رواه عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن سنان عن إسماعيل بن جابر عنه عليه السلام، و زاد بعد «فمن علم عمل» «و من عمل علم» (٢)، و كيف كان فالزيادة ساقطه من النهج لاقتضاء الكلام لها .

«العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل» روى (الخصال): ان رجلا جاء الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فقال: ما حق العلم؟ قال: الانصات له. قال: ثم مه؟ قال: الاستماع له.

قال: ثم مه؟ قال: الحفظ له. قال: ثم مه؟ قال: العمل به. قال: ثم مه؟ قال: نشره (٣).

و روى (العيون) عنه عليه السلام: الدنيا كلها جهل إلا - مواضع العلم، و العلم كله حجه إلا ما عمل به، و العمل كله رياء إلا ما كان مخلصا، و الاخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختتم له (٤).

و روى (كنز الكراچكى) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: من ازداد فى العلم رشدًا، فلم

ص: ٣٥٨

١- ١) أخرجه الكليني فى الكافي ١: ٤٨ ح ٢، و [١] ابن شعبه فى تحف العقول: ٢٠٠.

٢- ٢) الكافي ١: ٤٤ ح ٢. [٢]

٣- ٣) الخصال ١: ٢٨٧ ح ٤٣، و الكافي ١: ٤٨ ح ٤. [٣]

٤- ٤) عيون الأخبار للصدوق ١: ٢١٩ ح ٢٥. [٤]

يزدد فى الدنيا زهدا، لم يزد من الله إلا بعدا (١).

و روى (المنيه) عن النبى صلى الله عليه و آله: العلم الذى لا يعمل به كالكنز الذى لا ينفق منه، أتعب صاحبه نفسه فى جمعه، و لم يصل الى نفعه (٢).

«و العلم يهتف» أى: يصيح «بالعمل فان أجابه و إلا ارتحل عنه» فى (تفسير القمى و الكافى): ان رجلا جاء الى على بن الحسين عليه السلام، فسأله عن مسائل، ثم عاد ليسأل عن مثلها، فقال عليه السلام: مكتوب فى الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، و ما عملتم بما علمتم، فان العلم إذا لم يعمل به لم يزد من الله إلا بعدا (٣).

١١

الحكمه (٩٨)

و قال عليه السلام:

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايه و اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايه و اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايه و اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايه . يعبر عنه بالدرايه «لا عقل روايه» .

و فى (كنز الكراچكى) عنه عليه السلام: عليكم بالدرايات لا بالروايات، همّ السفهاء الروايه، و همّ العلماء الدرايه (٤).

«فان رواه العلم كثير و رعاته قليل» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: رواه الكتاب كثير، و رعاته قليل، و كم من مستصح للحديث مستغش للكتاب، فالعلماء يحزنهم ترك الرعايه، و الجهال يحزنهم حفظ الروايه، فراع يرمى

ص: ٣٥٩

[١- ١] كنز الفوائد: ٢٣٩. [١]

[٢- ٢] لم يوجد فى منيه المرید [٢] بل رواه ابن فهد فى عده الداعى [٣] عنه البحار ٢: ٣٧ ح ٥٥. [٤]

[٣- ٣] تفسير القمى [٥] عنه البحار ٢: ٢٨ ح ٦، و [٦] الكافى ١: ٤٤ ح ٤. [٧]

[٤- ٤] كنز الفوائد: ١٩٤. [٨]

حياته، وراع يرمى هلكته، فعند ذلك اختلف الراعيان، و تغاير الفريقان (١).

و أكثر رواه العامه كما قال عليه السلام غير أهل درايه، روى الكشى عن ميمون بن عبد الله قال: أتى قوم أبا عبد الله عليه السلام يسألونه الحديث- وكانوا لا يباليون ممن أخذوا- فقال لرجل منهم: هل سمعت من غيري؟ قال: نعم. قال:

فحدثني ببعض. فقال: حدثني سفيان الثوري عن جعفر بن محمد قال: النبيذ كله حلال إلا الخمر- إلى أن قال- فقال عليه السلام له: هذا الذي تحدث عنه و تذكر اسمه جعفر بن محمد هل تعرفه؟ قال: لا. قال: هل سمعت منه شيئاً قط؟ قال:

لا. قال: فهذه الأحاديث عندك حق؟ قال: نعم أحاديث أهل مصرنا منذ دهر لا يمترون فيها. فقال عليه السلام له: لو رأيت هذا الرجل الذي تحدث عنه فقال لك هذه الأحاديث التي ترويها عنى كذب لا أعرفها و لم أحدث بها، هل كنت تصدقه؟ قال: لا. قال: و لم؟ قال: لأنه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عنق رجل لجاز قوله- الخبر (٢).

هذا، و فى الكافى عنه عليه السلام قال: إذا حدثتم بحديث فاسندوه الى الذى حدثكم، فان كان حقاً فلكم و ان كان كذباً فعليه (٣).

١٢

الحكمه (٣٧٢)

و قال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصارى:

يَا جَابِرُ؟ قَوَائِمُ الدِّينِ وَ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ - عَالِمٌ مُسْتَعْمِلٌ عِلْمَهُ - وَ جَاهِلٌ لَا يَسْتَتَكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ - وَ جَوَادٍ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ - وَ فَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ

ص: ٣٦٠

[١- ١] الكافى ١: ٤٩ ح ٦. [١]

[٢- ٢] اختيار معرفه الرجال: ٣٩٣ ح ٧٤١. [٢]

[٣- ٣] الكافى ١: ٥٢ ح ٧. [٣]

بِدُنْيَاهُ- فَمَا إِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ- اسْتِنكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ- وَإِذَا بَخَلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ- بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ- يَا جَابِرُ؟ مَنْ كَثُرَتْ نِعْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ- كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ- فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَضًا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ وَ مَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَضًا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ أَقُولُ: رواه ابن بابويه في (توحيد الشيخ الصدوق- التوحيد- ص ٣٠٦) مسندا عن الأصمغ مع اختلاف و زياده و نقصان هكذا: قال لما جلس على عليه السلام في الخلافه و بايعه الناس خرج الى المسجد متعمما بعمامة النبي- الى أن قال- ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئا على عصاه فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه، فقال له عليه السلام: دلّني على عمل إذا عملته نجاني الله من النار. قال له: اسمع يا هذا ثم افهم ثم استيقن قامت الدنيا بثلاثه: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، و بغنى لا يبخل بماله على أهل دين الله، و بفقير صابر، فإذا كتم العالم علمه، و بخل الغنى، و لم يصبر الفقير، فعندها الويل و الثبور، و عندها يعرف العارفون بالله ان الدار قد رجعت الى بدئها- أى: الكفر بعد الايمان- أيها السائل فلا تغترن بكثرة المساجد و جماعه أقوام أجسادهم مجتمعهم و قلوبهم شتى، أيها الناس انما الدنيا ثلاثه، زاهد و راغب و صابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه و لا يحزن على شيء منها فاته، و أما الصابر فيتمناها بقلبه، فان أدرك منها شيئا صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، و اما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام. فقال له عليه السلام:

فما علامه المؤمن في ذلك الزمان. قال: ينظر الى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه و ينظر الى ما خالفه فيتبرأ منه و ان كان حميما قريبا. قال: صدقت و الله يا أمير المؤمنين. ثم غاب الرجل فلم نره، فطلبه الناس فلم يجدوه،

فتبسم عليه السّلام و قال:مالكم هذا أخى الخضر (١).

و رواه فى (خصاله الشيخ الصدوق-الخصال-ج ١ ص ١٩٧ ح ٥) فى الصحيح عن أبى جعفر عليه السّلام قال:قال أمير المؤمنين:قوام الدنيا بأربعة:بعالم ناطق مستعمل له،و بغنى لا يبخل بفضله على أهل دين الله،و بفقير لا يبيع آخرته بدنياه،و بجاهل لا يتكبر عن طلب العلم.فإذا كتم العالم علمه،و بخل الغنى بماله،و باع الفقير آخرته بدنياه، و استكبر الجاهل عن طلب العلم،رجعت الدنيا الى ورائها القهقري، فلا- يغرنكم كثرة المساجد،و أجساد قوم مختلفه قلوبهم.قيل له:كيف العيش فى ذلك الزمان؟فقال:خالطوهم بالبرانيه-يعنى فى الظاهر-و خالفوهم فى الباطن،و للمرء ما اكتسب،و هو مع من أحب،و انتظروا مع ذلك الفرغ من الله عز و جل (٢).

قول المصنف(و قال عليه السّلام لجابر بن عبد الله الأنصارى)أقول:قد عرفت من خبر التوحيد أنّه عليه السّلام قال ذلك للخضر،و أما خبر الخصال فساكت عن المسئول له،فلا بد أن المصنف وقف عليه فى خبر آخر.

و كيف كان ففى ذيل الطبرى:شهد جابر العقبة فى السبعين من الأنصار الذين بايعوا النبى عندها،و كان أصغرهم يومئذ،و أراد شهود بدر، فخلفه أبوه على اخواته و كن تسعا،و خلفه أيضا حين خرج الى احد،و شهد جابر باقى المشاهد.

و روى عنه ان النبى صلّى الله عليه و آله غزا سبعا و عشرين غزوه،و غزوت معه ست عشره غزوه،و لم أقدر أن أغزو حتى قتل أبى باحد،فكان أول غزوه غزوتها معه حمراء الأسد.

ص:٣٦٢

١-١) التوحيد:٣٠٦.

٢-٢) الخصال ١٩٧:١ ح ٥.

مات جابر سنة (٧٤) و هو ابن (٩٤)، و كان قد ذهب بصره (١). و فى تاريخه: ولى عبد الملك سنة (٧٤) الحجاج المدينه، فاستخف بأصحاب النبى، و ختم فى أعناقهم، و رثى جابر مختوما فى يده (٢).

قوله عليه السّلام «يا جابر قوام الدين و الدنيا» هكذا فى (المصريه) أخذنا من (ابن أبى الحديد)، و الصواب: ما فى (ابن ميثم): (يا جابر قوام الدنيا) (٣) «بأربعة عالم مستعمل» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (يستعمل) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٤) (علمه) فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: من تعلم العلم، و عمل به، و علّم لله، دعى فى ملكوت السماوات عظيما، فقيل: تعلّم لله، و عمل لله، و علّم لله (٥).

«و جاهل لا- يستنكف ان يتعلم» فى (الكافى) عن السجاد عليه السّلام: أوحى الله تعالى الى دانيال ان أمقت عبيدى التى الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للإقتداء بهم، و أن أحب عبيدى إلى التقى الطالب للثواب الجزيل، اللّازم للعلماء، القابل عن الحكماء (٦).

«و جواد لا- يبخل» الصواب: ما فى روايتى الصدوق «و غنى لا يبخل» (٧) فالغنى قد يبخل، و قد لا يبخل، و اما الجواد فلا يمكن ببخله.

«بمعروفه» قد عرفت ان روايه (التوحيد) «بماله»، و روايه (الخصال)

ص: ٣٦٣

١-١) منتخب ذيل المذيل: ٢٩.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٣٥:٥، سنة ٧٤. [١]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٣٠٣:١٩، و [٢] شرح ابن ميثم ٤٢٦:٥. [٣]

٤-٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٣٠٣:١٩، [٤] لكن فى شرح ابن ميثم ٤٢٦:١ [٥] مثل المصريه.

٥-٥) الكافى ٣٥:١ ح ٦. [٦]

٦-٦) الكافى ٣٥:١ ح ٥. [٧]

٧-٧) التوحيد: ٣٠٦، و الخصال ١٩٧:١.

«بفضله» (١)، أى: بفضل ماله، و هما أحسن.

فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: ان من بقاء المسلمين و بقاء الاسلام ان تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق، و يصنع فيها المعروف، و ان من فناء الاسلام و فناء المسلمين أن تصير الأموال فى أيدي من لا يعرف فيها الحق، و لا يصنع فيها المعروف.

و عن أبى جعفر عليه السّلام ان الله تعالى جعل للمعروف أهلا- من خلقه حب اليهم فعالة، و وجه لطلاب المعروف الطلب اليهم، و يسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيب للأرض المجدبه ليحييها و يحيى به أهلها، و ان الله تعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف، و بغض اليهم فعالة، و حظر على طلاب المعروف الطلب اليهم، و حظر عليهم قضاءه كما حظر الغيث على الأرض المجدبه ليهلكها و يهلك أهلها (٢).

«و فقير لا- يبيع آخرته بدنياه» فى (الكافى) عن النبى صلّى الله عليه و آله قال تعالى: ان من أغبط أوليائى عندى رجلا خفيف الحال، ذا حظ من صلاه، أحسن عبادته ربه بالغيب، و كان غامضا فى الناس جعل رزقه كفافا، فصبر عليه و عجلت منيته، فقلّ تراثه و قلّ بواكيه.

و عن الصادق عليه السّلام: جاء رجل موسر نقى الثوب الى النبى، فجلس، فجاء رجل معسر درن الثوب، فجلس الى جنب النبى بجنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه، فقال له النبى: أخفت أن يمسك من فقره شىء؟ قال: لا. قال: فخفت أن يصيبه من غناك شىء؟ قال: لا. قال: فخفت أن يوسخ ثيابك؟ قال: لا. قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: ان لى قرينا يزين

ص: ٣٦٤

١-١) المصدر السابق.

٢-٢) الكافى ٤:٢٥ [١] ح و ٢١.

لى كلّ قبيح، و يقبيح لى كلّ حسن، و قد جعلت له نصف مالى. فقال النبى للمعسر: أتقبل؟ قال: لا. قال الرجل: و لم؟ قال: أخاف أن يدخلنى ما دخلك (١).

«فاذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: ان العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا.

و عنه عليه السّلام: قضم ظهرى رجلا ن: عالم متهتك، و جاهل متنسك، هذا ينفرّ الناس بتهتكه، و هذا يضلّ الناس بتنسكه.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام: ان أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه.

و قال عيسى بن مريم عليه السّلام: ويل لعلماء السوء كيف تظلى عليهم النار.

و عنهم عليهم السّلام: يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد (٢).

«و إذا بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: يأتى على الناس زمان من سأل الناس عاش، و من سكت مات (٣).

«يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه» لامتحان شكره «فمن قام لله فيها بما يجب فيها» هكذا فى (المصريه)، و لكن فى (ابن أبى الحديد):

(فمن قام بما يجب لله فيها)، و فى (ابن ميثم) و كذا (الخطيبه) (فان أقام بما يجب

ص: ٣٦٥

١-١) الكافى ٢:١٤٠ ح ١ و ٢٦٢ ح ١١. [١]

٢-٢) الكافى ١:٤٤ ح ١ و ٣، [٢] لكن الحديث الثانى لم يوجد فيه بل رواه الشهيد الثانى فى منيه المريد: ٧٤، و الصدوق فى الخصال ١:٦٩ ح ١٠٣.

٣-٣) الكافى ٤:٤٦ ح ١. [٣]

لله فيها) (١) «عرضها للدوام و البقاء» هكذا في (المصريه)، و الصواب: (عرض نعمه الله لدوامها) كما في (ابن أبي الحديد) و كذا (ابن ميثم) (٢).

«و من لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال و الفساد» هكذا في (المصريه)، و الصواب: (و من ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣)، و لكن في نسخه الثاني (و ان ضيع).

و كيف كان ففي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: ان الشمس لتطلع و معها أربعة أملاك: ملك ينادى يا صاحب الخير أتم و أبشر، و ملك ينادى يا صاحب الشر انزع و اقصر، و ملك ينادى اعط منفا خلفا و آت ممسكا تلفا، و ملك ينضحها بالماء و لو لا ذلك اشتعلت الأرض.

و عن الرضا عليه السلام: ان النعم كالابل المعتقله في عطفها على القوم ما أحسنوا جوارها، فإذا أساءوا معاملتها نفرت عنهم.

و عن الصادق عليه السلام: من عظمت عليه النعمه اشتدت مؤنه الناس عليه، فان هو قام بمؤنتهم اجتلب زياده النعمه عليه من الله، و ان لم يفعل فقد عرض النعمه لزوالها (٤).

١٣

الحكمه (٤٥٧)

و قال عليه السلام:

مَنْهُوَ مَيَّانٍ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَ طَالِبُ دُنْيَا أَقُولُ: رَوَى الْكَافِي ١٣ الْكَلِينِي - الْكَافِي - ج ١ ص ٤٦ ح ١ عن سليم بن قيس عنه عليه السلام قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله

ص: ٣٦٦

١-١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩:٣٠٣، [١] لكن في شرح ابن ميثم ٥:٤٢٦ مثل المصريه.

٢-٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩:٣٠٣، [٢] لكن في شرح ابن ميثم ٥:٤٢٧ [٣] مثل المصريه.

٣-٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩:٣٠٣، [٤] لكن في شرح ابن ميثم ٥:٤٢٧ [٥] مثل المصريه.

٤-٤) الكافي ٤:٤٢ ح ١ و: ٣٨ ح ١ و: [٦] ٣٧ ح ١.

منهومان لا يشبعان طالب دنيا و طالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم، و من تناولها من غير حلها هلك، الا ان يتوب و يراجع، و من أخذ العلم من أهله و عمل به نجا، و من أراد به الدنيا فهي حظّه (١).

«منهومان» أى: مولعان «لا يشبعان» و فى الخبر: أربعة لا يشبعن من أربعة: الأرض من المطر، و العين من النظر، و الاثنى من الذكر، و العالم من العلم (٢).

«طالب علم» روى الخطيب عن عبد الرحمن بن يوسف بن خراش أنه شرب بوله فى طلب الحديث خمس مرات، قال: أحسبه فعل ذلك فى السفر عند عدم الماء.

و عن محمد بن جعفر بن رميس القصرى قال: بعث صف الحدادين ببغداد بثلاثة آلاف دينار، فأنفقتها كلها على الحديث.

و فى (عيون القتيبي): قيل لبزر جمهر: بم أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: ببيكور كبكور الغراب، و حرص كحرص الخنزير، و صبر كصبر الحمار.

و حكى عن أبى ریحان البيرونى: ان بعض العلماء دخل عليه و هو وجود بنفسه، فقال له فى تلك الحال: كيف قلت لى يوما حساب الجدات؟ فقال: أفى هذه الحال. فقال: أودع الدنيا و أنا عالم بها خير من أن اخليها و أنا جاهل بها، فذكرها له و خرج، فسمع الصراخ عليه.

و قال أبو الجوائز:

رويت و ما رويت من الروايه و كيف و ما انتهيت الى نهايه

و للأعمال غايات تنهى و ان طال و ما للعلم غايه

ص: ٣٦٧

١-١ (١) الكافي ١:٤٦ ح ١. [١]

٢-٢ (٢) أخرجه الصدوق فى الخصال ١:٢٢١ ح ٤٧ و ٤٨.

وقال ابن أبي الحديد: مات الجاحظ و الكتاب على صدره، وكان أبو علي في النزاع و هو يملى على ابنه أبي هاشم مسائل في علم الكلام، وكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد يأخذ الكتاب في خفه و هو راكب، فإذا جلس في دار الخليفة اشتغل بالنظر فيه الى ان يجلس الخليفة، و ما فارق الكتاب قط إلا في الخلاء.

و أعرف انا في زماننا من مكث نحو خمس سنين لا ينام إلا وقت السحر صيفا و شتاء مكبا على كتاب، و كانت و سادته التي ينام عليها الكتاب (١).

«و طالب دنيا» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا مثل دوده القز، كلما ازدادت من القز على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غما (٢).

و عن أبي عبد الله عليه السلام: مر عيسى على قرية قد مات أهلها و طيرها و دوابها، فقال: أما إنهم لم يموتوا إلا بسخط، و لو ماتوا متفرقين لتدافنوا. فقال الحواريون: يا روح الله ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها. فدعا عيسى ربه، فنودي من الجو نادهم، فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض، فقال: يا أهل هذه القرية، فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله. فقال: و يحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عباده الطاغوت، و حب الدنيا مع خوف قليل، و أمل بعيد، و غفله في لهو. فقال: كيف كان حكمك للدنيا؟ قال:

كحب الصبي لأمه، إذا أقبلت علينا فرحنا، و إذا أدبرت عنا حزنا - الخبر (٣).

وقال ابن أبي الحديد: كان في القرآن آية أنزلت ثم رفعت: لو كان لابن آدم و اديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا، و لا يملأ عين ابن آدم إلا

ص: ٣٦٨

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٧٤: ٢٠. [١]

٢- ٢) الكافي ١٣٤: ٢ ح ٢٠. [٢]

٣- ٣) الكافي ٣١٨: ٢ ح ١١. [٣]

و قال عليه السلام:

مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا - حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا أقول: في (تفسير الطبرسي الطبرسي -مجمع البيان- ج ٢ ص ٥٥٢) عن الثعلبي باسناده عن الحسن بن عماره قال: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث، فقلت: رأيت أن تحدثني. فقال: أما علمت اني تركت الحديث. فقلت: اما ان تحدثني و اما أن احديثك. فقال: حدثني.

فقلت: حدثني الحكم بن عيينه عن نجم الجزار قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا - فحدثني بأربعين حديثا (٢).

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في كتاب علي عليه السلام: ان الله تعالى لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل (٣).

و في (المروج): دخل أبو حازم الأعرج على سليمان بن عبد الملك، فقال له سليمان: عطني و أوجز. فقال له: نزه ربك، و عظمه ان يراك حيث ما نهاك، أو يفقدك حيث أمرك به. فبكي سليمان، فقال له بعض جلسائه:

أسرفت عليه. فقال له أبو حازم: اسكت، فان الله تعالى أخذ الميثاق على

ص: ٣٦٩

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١٧٤: ٢٠. [١]

٢-٢ (٢) مجمع البيان ٥٥٢: ٢.

٣-٣ (٣) الكافي ١: ٤١ ح ١. [٢]

العلماء لبيئته للناس و لا يكتمونهُ (١).

و مراده عليه السّلام بالأخذ على العالم التعليم قبل الأخذ على الجاهل التعلّم فيما إذا كان الجاهل قابلاً و أهلاً- لا مطلقاً، فروى (الكافي) ان رجلاً قال لأبي جعفر عليه السّلام ان الحسن البصرى يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذى ربح بطونهم أهل النار. فقال عليه السّلام: فهلك اذن مؤمن آل فرعون، ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله تعالى نوحاً، فليذهب الحسن يمينا و شمالاً، فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا.

و روى ان عيسى عليه السّلام قام خطيباً فى بنى اسرائيل فقال: لا تحدثوا بالحكمه الجهّال فتظلموها، و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم (٢).

هذا، و فى (أذكياء ابن الجوزى) عن الحميدى قال: كُنّا عند سفيان بن عيينه، فحدثنا بحديث زمزم أنّه لما شرب له، فقام رجل من المجلس، ثم عاد فقال لسفيان: أليس الحديث الذى حدثنا أن زمزم لما شرب له بصحيح؟ قال:

بلى. فقال: انى قد شربت الآن دلوا من زمزم على أن تحدثنى بمائه حديث. فقال له سفيان: أقعد فحدثه بمائه حديث.

و عن ابن أبى ذر قال: كان إذا ورد الحاج إذا ورد جلس سفيان بن عيينه بباب بنى هاشم على موضع عال ليرى الناس، فجاء رجل من أصحاب الحديث، فقعد بين يديه، فقال له: حدثنى، فحدثه أحاديث، فقال: زدنى، فزاده، فقال: زدنى، فزاده، فقال: زدنى، فدفغ فى صدره، فوقع الى الوادى، فتفأشى ذلك، فاجتمع الحاج و قالوا: سفيان بن عيينه قتل رجلاً- من الحاج، فلما كثر ذلك أشفق سفيان، فنزل الى الرجل، فوضع رأسه فى حجره و قال له: مالك أئى

ص: ٣٧٠

١-١) مروج الذهب ١٧٧:٣. [١]

٢-٢) الكافي ١:٥١ ح ١٥:٤٢ ح ٤. [٢]

شئ أصابك، فلم يزل يركض رجله و يزيد من فيه -و كثر الضجيج: «سفيان بن عيينه قتل رجلاً»، فقال له: قم و يلك أما ترى الناس يقولون، فقال له -و هو يخفى صوته- لا و الله لا أقوم حتى تحدثني مائه حديث عن الزهري و عمرو بن دينار، ففعل فقام.

١٥

الحكمه (٤)

و قال عليه السلام:

نَعِيمُ الْقَرِينِ الرَّضَى وَ الْعِلْمُ وَرِاثَةُ كَرِيمِهِ وَ الْآدَابُ حُلْمٌ مَجْدِدَةٌ - وَ الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ أَقُولُ: جعل العنوان الرابع على ما فى (المصريه)، و لكن فى (ابن ميثم و الخطيه) جعل من الثانى الى السادس الخمسه واحدا (١)، و اما ابن أبى الحديد فلم يعلم الأصل فيه، حيث أنه قد يقطع العنوان الواحد المقطوع، إلا -أنه جعل هنا أول العنوان «و العلم وراثه كريمه»، و جعل «نعم القرين الرضى» جزء السابق (٢)، و يمكن تأييده بأن (أمالى الشيخ المفيد -الامالى- ص ٣٣٦ ح ٧، مجلس ٣٩ المفيد) رواه عنه عليه السلام هكذا: «العلم وراثه كريمه، و الآداب حلل حسان، و الفكر مرآه صافيه، و الاعتبار منذر ناصح، و كفى بك أدبا لنفسك تركك ما كرهته من غيرك» (٣).

«نعم القرين الرضى» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: ان أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله.

و قيل له عليه السلام: بأى شئ يعلم المؤمن؟ قال: بالتسليم لله، و الرضى فيما

ص: ٣٧١

١-١ (١) شرح ابن ميثم ٢٣٨:٥. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩٠:١٨ و ٩٣. [٢]

٣-٣ (٣) أمالى المفيد: ٣٣٦ ح ٧، مجلس ٣٩.

ورد عليه من سرور أو سخط.

و عنه عليه السلام: لم يكن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله يقول لشيء قد مضى لو كان غيره.

و أوحى اللهُ تعالى الى موسى: ما خلقت خلقا أحب إليّ من عبدى المؤمن، و انى ابتليه لما هو خير له، و اعافيه لما هو خير له، و أزوى عنه ما هو شر له، لما هو خير له، و أنا أعلم بما يصلح عليه عبدى، فليصبر على بلائى، و ليشكر نعمائى، و ليرضى بقضائى، اكتبه فى الصدّيقين عندى، إذا عمل برضائى و أطاع أمرى (١).

و قال ابن أبى الحديد: كان يقال: من سخط القضاء طاح، و من رضى به استراح، و كان يقال: عليك بالرضا، و لو قلبت على جمر الغضى، و عن النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله قال تعالى: من لم يرض بقضائى فليتخذ ربا سوائى (٢).

«و العلم وراثه كريمه» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليله البدر، و ان العلماء ورثه الأنبياء، انّ الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما، و لكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر (٣).

و فى (المعجم) فى حديث سعيد بن العاص قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله: ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن.

و يكفى العلم وراثه كريمه قوله تعالى: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ» (٤) فقرن صاحب العلم بذاته تعالى و بملائكته.

ص: ٣٧٢

١- (١) الكافى ٢: ٦٠-٦٣ ح ٢ و ٧ و [١] ١٢ و ١٣.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٩٢. [٢]

٣- (٣) الكافى ١: ٣٤ ح ١. [٣]

٤- (٤) آل عمران: ١٨. [٤]

و فى (طرائف المقدسى) قال على عليه السلام: كفى بالعلم شرفاً أنه يدعى من لا يحسنه، و يفرح إذا نسب إليه.

و يقال: العلماء فى الأرض كالنجوم فى السماء، و لو لا العلم لكان الناس كالبهائم.

و قال بعض الحكماء: العلم حياه القلوب و مصباح الأبصار.

و فى (تاريخ بغداد): جلس ابن معروف يوماً للحكم فى جامع الرصافه، فاستدعى أصحاب القصص إليه، فتتبعها و وقع على أكثرها، ثم نظر فى بعضها، فإذا فيها ذكر له بالقبيح و وضاعته و سقوط أصله، فقلب الرقعه و كتب على ظهرها:

العالم العاقل ابن نفسه أغناه جنس علمه عن جنسه

كن ابن من شئت و كن كيساً فانما المرء بفضل كيسه

كم بين من تكرمه لغيره و بين من تكرمه لنفسه

من انما حياته لغيره فيومه أولى به من أمسه

و عن أبى الأسود:

العلم زين و تشریف لصاحبه فاطلب هديت فنون العلم و الأدبا

كم سيد بطل آباؤه نجب كانوا فأضحى بعدهم ذنبا

و مقرف حامل الآباء ذى أدب نال المعالى بالآداب و الرتبا

و لآخر:

يعد رفيع القوم من كان عالماً و ان لم يكن فى قومه بحسيب

و ان حل ارضاعاً عاش فيها بعلمه و ما عالم فى بلده بغريب

و لابن جنى:

فان أصبح بلا نسب فعلمى فى الورى نسبى

و فى (المروج): سئل انوشيروان ما أعظم الكنوز قدرا، و أنفعها عند الاحتياج اليها؟ فقال: معروف أودعته الأحرار، و علم تورثه الأعباب.

و قيل له: من أطول الناس عمرا؟ فقال: من كثر علمه فتأدب به من بعده (١).

«و الآداب حلل مجده» قال عليه السلام أولًا: «العلم وراثه كريمه»، و ثانيا:

«و الآداب حلل مجده»، و بين العلم و الأدب عموم و خصوص.

و فى (المعجم) قالوا: الفرق بين الأديب و العالم ان الأديب من يأخذ من كل شىء أحسنه فيؤلفه، و العالم من يقصد بفن من العلم فيتعلمه، و لذا قال على عليه السلام: «العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شىء أحسنه»، و قال عبد الله بن المبارك: تعلموا العلم شهرا و الأدب شهرين.

و فى تاريخ بغداد فى أبى تمام عنه:

أو يفترق نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

و روى الزبير بن بكار عن النضر بن شميل قال: دخلت على المأمون بمر و على أطمار، فقال: يا نضر تدخل على فى مثل هذه الثياب، قلت: ان حر مرو شديد لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق. قال: بل أنت رجل متقشف. ثم تجارينا الحديث، فأجرى ذكر النساء، فقال: حدثنى هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه و آله قال «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها و جمالها كان فيه سداد- و فتح السين- من عوز» فقلت: صدقوك، و حدثنى عوف الاعرابى عن الحسن عن على عليه السلام عن النبى «إذا تزوج المرأة لدينها و جمالها كان فيه سداد- و كسرت السين- من عوز»، و كان المأمون متكئا، فاستوى جالسا و قال: سداد لحن عندك؟ قلت: نعم هاهنا. قال: أو تلحننى؟

ص: ٣٧٤

قلت: انما لحن هشيم، و تبعت لفظه. فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السداد-أى:

بالفتح-القصد فى الدين و الطريقه و الأمر، و السداد-أى: بالكسر-البلغه، و كل ما سددت به شيئا فهو سداد، قال العرجى:

أضاعونى و أى فتى أضاعوا ليوم كريبه و سداد ثغر

فأطرق مليا، ثم قال: قبح الله من لا أدب له، ثم أخذ قرطاسا، و أنا لا أدرى ما يكتب، و كتب فيه شيئا، ثم قال: كيف تقول إذا أمرت من يترب الكتاب. قلت:

أتربه. قال: فهو ما ذا؟ قلت: فهو مترب. قال: فمن الطين؟ قلت: طنه. قال: فهو ما ذا؟ قلت: فهو مطين. قال: هذه أحسن من الاولى. ثم قال: يا غلام أتربه وطنه و ابلغ معه الى الفضل بن سهل، فلما قرأ الفضل الكتاب قال: امر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب، فأخبرته فقال: لحنته؟ قلت: كلا، انما لحن هشيم- و كان لحنا-فتبع لفظه، فأمر لى الفضل بثلاثين ألف درهم، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف أستفيد منى (1).

و فى (المعجم) عن الشعبى قال: حلى الرجال العرييه و حلى النساء الشحم.

و قال الأصمعى: كنت عند الرشيد إذ دخل رجل و معه جاريه للبيع، فتأملها، ثم قال له: خذ جاريتك، فلو لا كلف فى وجهها، و خنس فى أنفها لا شترتها. فانطلق بها، فلما بلغت الستر قالت لهارون: أرددنى اليك أنشدك بيتين حضرانى، فردها، فأنشأت تقول:

ما سلم الظبى على حسنه كلا و لا البدر الذى يوصف

ص: ٣٧٥

١ - ١) رواه الزبير بن بكار فى الموفقيات، و رواه أيضا النووى فى تهذيب الأسماء ٢: ١٢٧، و [١] ابن الانبارى فى نزهه [٢] الاولياء: ٥٧، و الشيرازى فى الألقاب [٣] عنه الجامع الصغير ١: ٢٣.

الطبي فيه خنس بين و البدر فيه كلف يعرف

فأعجبته بلاغتها،فاشترها و قرّب منزلتها،و كانت أحظى جواريه.

و فيه:قيل لما عرضت الخيزران على المهدي قال:و الله يا جاريه،انك لعلى غايه المنى،غير انك حمشه الساقين.فقالت:انك أحوج ما تكون اليهما لا تراهما.فقال:اشتروها،فحظيت عنده،فأولدها موسى و هارون.

و في (المعجم):قال إبراهيم الصابي:كنت في مجلس الوزير المهلبى في بعض أيام الحدائه جالسا في مجلس أنسه،و بين يديه أبو الفضل بن الحسين، و أبو أحمد بن عبد الرحمن،و أبو على الأنبارى،و أبو الفرج بن أبي هشام، و غيرهم من كتّابه،و قد أخذ الشراب منهم،و زاد بهم على حد النشوه،إذ حضر رسول معز الدوله يذكر أن معه أمرا مهمّا،فقال الوزير فليدخل،فدخل و قال:الأمير يقول تكتب عنى الساعه الى محمد بن الياس صاحب كرمان تخطب فيه ابنته لبختيار.فقال الوزير:هذا كتاب يحتاج فيه الى تثبت،و ما فى الكتاب مع السكر من فيه فضل،ثم التفت الى أبي على الأنبارى و قال له:تتمكن من كتابته؟قال:اما الليله فلا،و رآنى الوزير مصغيا فقال:تكتبه يا إبراهيم؟ قلت:نعم.قال:افعل فقامت الى صفه يشاهدنى فيها،و استدعيت دواتى،و كتبت كتابا اقتضسته بغير رويه،و لا- نسخه،و الوزير و الحاضرون يلا-حظوننى، و يعجبون من اقدامى،ثم اقتضابى و اطالنى،فلما فرغت منه و حملته إليه، وقف عليه و وجهه متهلل،ثم قال للجماعه:هذا كتاب حسن دال على الكفايه المبرزه،و لو كتبه صاحبا مرويا لكان عجا،فكيف إذ يكتبه منتشيا مقتضيا،قم يا أبا إسحاق و اجلس حيث أجلستك الكفايه-أو ما الى جانب ابنه أبي الغنائم.

و في (الأغانى)عن أبي هفان:كان العتابى ذات يوم جالسا ينظر فى

كتاب، فمر به بعض جيرانه فقال: أيش ينفع العلم و الأدب من لا مال له. فقال العتابي:

يا قاتل الله أقواما إذا نقموا ذا اللب ينظر في الأدب و الحكم

قالوا و ليس بهم إلا نفاسته أ نافع ذا من الاقتار و العدم

و ليس يدرون ان الحظ ما حرموا لحاهم الله من علم و من فهم

و قال ابن أبي الحديد: روى الهيثم عن سعيد الجدلى قال: لما قدم عبد الملك الكوفه بعد قتل مصعب، دعا الناس يحرضهم على فرائضهم، فحضرنا بين يديه فقال: من القوم؟ قلنا: جديله. فقال: جديله عدوان؟ قلنا: نعم، فانشد:

عذير الحى من عدوان كانوا حيه الأرض

بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض

و منهم كانت السادات و الموفون بالقرض

و منهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى

و منهم من يجيز الناس بالسنة و الفرض

ثم أقبل على رجل منّا و سيم جسيم قدمناه أمامنا، فقال: أيكم يقول هذا الشعر؟ قال: لا أدري. فقلت أنا من خلفه: يقول ذو الأصبع - فتركنى و أقبل على ذلك الرجل الجسيم، فقال: ما كان اسم ذى الأصبع. قال: لا أدري. فقلت من خلفه اسمه حرثان - فتركنى و أقبل عليه، فقال له: و لم سمى ذا الأصبع؟ قال: لا أدري، فقلت أنا من خلفه نهشته حيه فى أصبعه - فأقبل عليه و تركنى، فقال:

من أيكم كان ذو الأصبع؟ قال: لا أدري، فقلت أنا من خلفه من بنى ناج الذين قيل فيهم:

فأما بنو ناج فلا تذكرهم و لا تتبع عيناك من كان هالكا

فأقبل على الجسيم فقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائه درهم. ثم أقبل على

و قال: كم عطاؤك؟ قلت: أربعمائه. فقال، يا أبا الزعزعة، حط من عطاء هذا ثلاثمائه، وزدها في عطاء هذا، فرحت و عطائي سبعمائه و عطاؤه أربعمائه.

و أنشد منشد بحضرة الواصل:

أ ظلوم ان مصابكم رجلا اهدى السلام تحيه ظلم

فقال «رجل» هو خبر «إن» و وافقه على ذلك قوم و خالفه قوم، فقال الواصل من بقى من علماء النحويين؟ قالوا: المازني، فأمر باشخاصه، فلما دخل عليه قال: ممن الرجل؟ قال: من مازن. قال: مازن ربيعه أو قيس أو اليمن؟ قال:

بل ربيعه. قال: با اسمك - يريد ما اسمك، لأن مازن ربيعه يبدلون الميم باء و الباء ميما، فقال مكر - أي: بكر - فضحك الواصل و قال: اجلس، فسأله عن البيت فأنشده منصوبا، فقال: أين خبر «إن»؟ فقال «ظلم». قال: كيف؟ قال: ألا ترى ان لم يجعل «ظلم» الخبر يكون الكلام معدوم الفائدة. فقال: قبح الله من لا أدب له.

ثم قال: ألك ولد؟ قال: بنيه. قال: فما قلت حين ودعتها؟ قال: ما قالت بنت الاعشى حيث يقول:

تقول ابنتي حين جدّ الرحيل أرانا سواء و من قديتم

أبانا فلا رمت من عندنا فانا بخير إذا لم ترم

أبانا إذا أضمرتك البلا د نجفى و تقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قال: أنشدتها بيت جرير:

ثقى بالله ليس له شريك و من عند الخليفة بالنجاح

فقال: ثق بالنجاح، ثم أمر له بألف دينار و كسوه، و رده الى البصره (1).

«و الفكر مرآه صافيه» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: نبه بالتفكر قلبك، و جاف عن الليل جنبك، و اتق الله ربك.

ص: ٣٧٨

و عنه عليه السّلام:سئل عمّا يروى الناس«ان تفكر ساعه خير من قيام ليله» كيف يتفكر؟فقال:يمر بالخربه أو بالدار فقال:أين ساكنوك،أين بانوك،مالك لا تتكلمين.

و عن الرضا عليه السّلام:ليس العباده كثره الصلاه و الصوم،انما العباده التفكر فى أمر الله تعالى (١).

و قال ابن أبى الحديد:كان يقال،الفكره الصحيحه اسطرلاب روحانى.

و قال أوس بن حجر:

ان الذى جمع السماحه و النجد و الحزم و النهى جمعا

الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى و قد سمعا (٢)

١٦

الحكمه (٨١)

و قال عليه السّلام:

قِيمَهُ كَلِّ امْرِئٍ مَّا يُحْسِنُهُ قَالَ؟الرضى؟:و هى الكلمه التى لا- تصاب لها قيمه- و لا- توزن بها حكمه و لا- تقرن إليها كلمه أقول:رواه (العيون الشيخ الصدوق-عيون الأخبار-ج ٢ ص ٥٣ ح ٢٠٤ و الخصال الشيخ الصدوق-الخصال-ج ٢ ص ٤٢٠ ح ١٤ و المعانى الشيخ الصدوق-معانى الاخبار-ج ١ ح ٢ و أمالى الشيخ الطوسى-الامالى-ج ٢ ص ١٠٨ جزء ١٧ الشيخين و الكافى الكلينى-الكافى-نوادير كتاب العقل ج ١ ص ٥٠ ح ١٤)، و رواه أبو هلال العسكرى فى (صناعاتيه أبو هلال العسكرى-الصناعاتين-)، و رواه الجاحظ فى (بيان الجاحظ-البيان و التبيين-ج ١ ص ١٠٦)، و رواه الحموى فى (معجمه الحموى-معجم الادباء-ج ١ ص ٦٦)، و رواه ابن عبد ربه فى (عقده ابن عبد ربه-العقد الفريد-)، و رواه الخطيب الخطيب-تاريخ بغداد-ج ٥ ص ٣٥ فى أحمد بن محمد بن جناح فى أحمد بن محمد بن جناح، و رواه (تذكره سبط ابن الجوزى-تذكره الخواص-ص ١٥٤ سبط ابن الجوزى)، و رواه (الشعراء ابن قتيبه-الشعر و الشعراء- (٣).

ص:٣٧٩

١- (١) الكافى ٢:٥٤ و ٥٥ ح ١ و ٢ و [١] ٤.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٩٤. [٢]

٣- (٣) رواه الصدوق فى عيون الأخبار ٢:٥٣ ح ٢٠٤، و ابن قتيبه فى الشعر و الشعراء، و يأتى تخريج الباقي فى مواضعه.

روى (الكافي) في نوادر كتاب عقله مسندا عن ابن عائشه البصرى رفعه ان عليا عليه السلام قال فى بعض خطبه: ايها الناس، اعلموا انه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضى بثناء الجاهل عليه، الناس أبناء ما يحسنون، و قدر كل امرئ ما يحسن، فتكلموا فى العلم تبين أقداركم (١).

و روى عنه عليه السلام قال: أقل الناس قيمة أقلهم علما، اذ قيمة كل امرئ ما يحسنه، و كفى بالعلم شرفا انه يدعيه من لا يحسنه و يفرح إذا نسب إليه، و كفى بالجهل ضعه، انه يتبرأ منه من هو فيه، و يغضب إذا نسب إليه ٢.

و روى (المعاني): ان الباقر عليه السلام قال للصادق: اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم و معرفتهم، فان المعرفة هى الدراية للرواية، و بالدرايات للروايات يعلو المؤمن الى أقصى درجات الايمان، انى نظرت فى كتاب لعلي عليه السلام فوجدت فيه «ان قيمة كل امرئ و قدره معرفته» ان الله تعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول فى دار الدنيا ٣.

و فى معجم الحموى قال على عليه السلام: «قيمة كل انسان ما يحسن»، فنظمه شاعر و قال:

لا يكون الفصيح مثل العبي لا و لا ذو الذكاء مثل الغبي

قيمة المرء قدر ما يحسن المرء قضاء من الامام على ٤

و قال العسكري فى (صناعته): وجد ابن طباطبا قول على عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، فقال:

فيا لائمي دعنى اغالى بقيمتى فقيمة كل امرئ ما يحسنه

ص: ٣٨٠

و قال السبط في (تذكرته): و من كلام علي عليه السلام فيما رواه السدي عنه:

«قيمة كل امرئ ما يحسنه»، و من هاهنا أخذ القائل:

قال علي بن أبي طالب و هو الامام العالم المتقن

كَلَّ امرئ قيمته عندنا و عند أهل الفضل ما يحسن (١)

و تأتي روايات الباقين.

قول المصنّف: (و قال عليه السلام) قاله علي ما قال ابن عبد ربه لصعصعه، ففي (عقده): كتب صعصعه بن صوحان إليه عليه السلام يسأله في شيء، فوقع في كتابه «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

قوله عليه السلام «قيمة كل امرئ ما يحسنه» في (المعجم): قال سعيد بن سلم:

دخلت علي الرشيد فبهرنى هيبه و جمالا، فلما لحن خف في عيني.

و قال الواقدي: صلّى رجل من آل الزبير خلف المنصور و قرأ «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ» (٢) فلحن في موضعين، فلما سلم التفت الزبيرى الى رجل كان الى جانبه فقال: ما كان أهون هذا القرشى على أهله.

و قال أبو عمرو الشيباني: تكلم المنصور في مجلس فيه اعرأبى فلحن، فصر الاعرأبى اذنيه، فلحن مره اخرى أعظم من الاولى، فقال الاعرأبى: أف لهذا ما هذا، ثم تكلم فلحن في الثالثه، فقال الاعرأبى: اشهد لقد و ليت هذا الأمر بقضاء و قدر .

(قال الرضى) من الغريب ان بيان الرضى ليس في (ابن ميثم) (٣) رأسا. و لعله سقط من النسخه. و كيف كان فقوله «قال الرضى» ليس

ص: ٣٨١

١-١) تذكره الخواص: ١٥٤. [١]

٢-٢) التكاثر: ١. [٢]

٣-٣) شرح ابن ميثم ٢٨١: ٥.

(و هي) هكذا في (المصريه)، و الصواب: «هذه» كما في (ابن أبي الحديد و الخطيه) (1) (الكلمه التي لا- تصاب لها قيمه) و يكفيها قيمه أنه صدقها الله تعالى.

روى الشيخ في (أماليه) مسندا عن عبد العظيم الحسنى عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قلت أربعا أنزل تعالى تصديقي في كتابه لها قلت: «المرء مخبوء تحت لسانه فاذا تكلم ظهر»، فأنزل تعالى: «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» (2)، و قلت: «من جهل شيئا عاداه»، فأنزل تعالى «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ» (3)، و قلت: «قيمه كل امرئ ما يحسن»، فأنزل تعالى في قصه طالوت: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ» (4)، و قلت: «القتل يقل القتل»، فأنزل تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (5).

(و لا- توزن بها حكمه) روى (الخصال) مسندا عن الشعبي قال: تكلم على عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالا فقأن عيون البلاغه، و أيتن جواهر الحكمه، و قطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحد منهن، ثلاث منها في المناجاه، و ثلاث منها في الحكمه، و ثلاث منها في الأدب، فأما اللاتي في المناجاه فقال: «الهي كفى لي عزا أن أكون لك عبدا، و كفى بي فخرا أن تكون لي ربا، أنت كما أحب، فاجعلني كما تحب»، و اما اللاتي في الحكمه فقال: «قيمه

ص: ٣٨٢

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٢٣٠: ١٨. [١]

٢- ٢) محمد: ٣٠. [٢]

٣- ٣) يونس: ٣٩. [٣]

٤- ٤) البقره: ٢٤٧. [٤]

٥- ٥) أمالي أبي على الطوسي ١٠٨: ٢، جزء ١٧. و الآيه ١٧٩ [٥] من سوره البقره.

كلّ امرئ ما يحسنه، و ما هلك امرؤ عرف قدره، و المرء مخبوء تحت لسانه»، و اما اللاتى فى الأدب فقال: «امن على من شئت تكن أميره، و احتج الى من شئت تكن أسيره، و استغن عن من شئت تكن نظيره» (١).

«و لا تقرن اليها كلمه» روى المفيد فى (أماليه): ان الخليل بن أحمد قال:

أحث كلمه على طلب العلم قول على عليه السلام: «قدر كلّ امرئ ما يحسن» (٢).

و روى الخطيب أن الجاحظ قال: لا أعلم فى كلام الناس كلمه أحكم من هذه الكلمه، أى «قيمه كلّ امرئ ما يحسن» (٣).

و فى (بيان الجاحظ): قال على بن أبى طالب عليه السلام «قيمه كلّ امرئ ما يحسن»، فلو لم تقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمه لوجدناها كافيه شافيه، و مجزيه مغنيه، بل لوجدناها فاضله على الكفايه، و غير مقصره عن الغايه، و أحسن الكلام ما كان يغنيك قليله عن كثيره، و معناه فى ظاهر لفظه، و كأن الله تعالى قد ألبسه من الجلاله، و غشاه من نور الحكمه، على حسب نيته صاحبه، و تقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا، و اللفظ بليغًا، و كان صحيح الطبع بعيدًا من الاستكراه، و منزها عن الاخلال مصونًا عن التكلف، صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربه الكريمه، و متى فصلت الكلمه على هذه الشريطه، و نفذت من قائلها على هذه الصفه أصحابها الله من التوفيق، و منحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابره، و لا يذهل عن فهمها عقول الجهله (٤).

و فيه أيضا: أجمعوا على أنهم لم يجدوا كلمه أقل حرفًا، و لا أكثر ريعًا، و لا أعم نفعًا، و لا أحث على بيان، و لا أدعى إلى تبيين، و لا أهجر لمن ترك

ص: ٣٨٣

١-١ (١) الخصال ٢:٤٢٠ ح ١٤.

٢-٢ (٢) رواه أبو على الطوسى فى أماليه ٢:١٠٨، جزء ١٧ [١] عن طريق المفيد لكن لم يوجد فى أماليه.

٣-٣ (٣) تاريخ بغداد ٥:٣٥. [٢]

٤-٤ (٤) البيان و التبيين ١:١٠٦. [٣]

و قال عليه السلام:

أَوْصِيَكُمْ بِخَمْسٍ - لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آيَاتِ الْإِبْلِ لَكَانَتْ لِمِثْلِكِ أَهْلًا - لَا يَرْجُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَ لَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ - وَ لَا يَسْتَحِينَنَّ أَحَدًا إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ - أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ - وَ لَا يَسْتَحِينَنَّ أَحَدًا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ - وَ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ - وَ لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ - وَ لَا فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ أَقُولُ: رواه ابن قتيبه فى (عيون ابن قتيبه - عيون الاخبار -) مسندا هكذا قال: روى أبو خالد بن الأحمـر عن عمرو بن قيس عن أبى إسحاق قال: قال على عليه السلام: كلمات لو رحلت المطى فيهن لا تصيبوهن قبل أن تدركوا مثلهن: لا يرجون عبد إلا ربه، و لا يخافن إلا ذنبه، و لا يستحيى من لا يعلم أن يتعلم، و لا يستحيى إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم - إلخ.

و رواه الجاحظ مرفوعا فى (بيانه الجاحظ - البيان و التبيين - ج ٢ ص ٧٩) مع أدنى اختلاف (٢).

و رواه (الخصال الشيخ الصدوق - الخصال - ج ١ ص ٣١٥ ح ٩٥ و ٩٦) مسندا عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال على عليه السلام:

خمس لو رحلت فيهن ما قدرتم على مثلهن: لا يخاف عبد إلا ذنبه، و لا يرجوا إلا ربه، و لا يستحيى الجاهل إذا سئل عما لا يعلم أن يتعلم، و الصبر من الايمان بمنزله الرأس من الجسد، و لا ايمان لمن لا صبر له (٣).

ص: ٣٨٤

١ - ١) نقله الشارح عن البيان و التبيين [١] هنا و فى غير هذا الموضع لكن لم يوجد هذا فى نسختنا من البيان. [٢]

٢ - ٢) البيان و التبيين ٢: ٧٩.

٣ - ٣) الخصال ح ٣١٥ ١: ٩٥.

و روى عن الشعبي قال: قال على عليه السلام: خذوا عنى كلمات لو ركبتم المطى فانضيموها لم تصيبوا مثلهن: ألا لا يرجو أحد إلا- ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيى إذا لم يعلم أن يتعلم، ولا يستحيى إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم، و اعلموا ان الصبر من الايمان بمنزله الرأس من الجسد و لا خير فى جسد لا رأس له (١).

«أوصيكم بخمس» خصال «لو ضربتم إليها» أى: الى تحصيلها «آباط الابل» قال الجوهرى: الابط ما تحت الجناح يذكر و يؤنث، و الجمع آباط.

و ضرب آباط الابل كناية عن غايه الاسراع، كما ان الضرب على الآذان كما فى قوله تعالى: «فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَمْدًا» (٢) كناية عن الانامه، كما ان ضرب المسكنه على انسان كما فى قوله تعالى: «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ» (٣) كناية عن الزام المذله.

«لكانت لذلك أهلا» فى (تاريخ بغداد): قال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: شربت بولى فى الحديث خمس مرات، أحسب ان ابن خراش فعل ذلك فى السفر اضطرارا عند عدم وجود الماء .

«لا يرجو أحد منكم إلا ربّه و لا يخافن إلا ذنبه» عدم رجاء غير الرب، و عدم خوف غير الذنب اثنتان من الخمس القيمه.

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام قال: كان فى وصايا لقمان الأعاجيب، و كان أعجب ما فيها أن قال لابنه: خف الله خيفه لو جتته ببرّ الثقلين لعذبك، و ارج الله رجاء لو جتته بذنوب الثقلين لرحمك.

ص: ٣٨٥

١-١) الخصال ٣١٥: ١ ح ٩٦.

٢-٢) الكهف: ١١. [١]

٣-٣) البقره: ٦١. [٢]

و كان أبى عليه السّلام يقول: ليس من عبد مؤمن إلا و فى قلبه نوران: نور خيفه، و نور رجاء، لو وزنا لم يزد أحدهما على الآخر (١).

هذا، و فى (المناقب): سأل رسول ملك الروم أبا بكر عن رجل لا يرجو الجنه، و لا يخاف النار، و لا يخاف الله، و يحب الفتنه، و يبغض الحق، و يشهد بما لا يرى. فلم يجبه أبو بكر، و قال له عمر: ازددت كفرا الى كفرك، فأخبر بذلك على عليه السّلام فقال: هذا رجل من أولياء الله، لا - يرجو الجنه، و لا - يخاف النار، و لكن يخاف الله و يرجوه، و لا يخاف الله من ظلمه، و انما يخاف الله من عدله، و يحب المال و الولد و هما فتنه، و يبغض الموت و هو حق، و يشهد بالجنه و النار و هو لم يرهما - الخبر (٢).

«و لا يستحين أحد إذا سئل عمّا لا يعلم ان يقول لا أعلم» قد عرفت أن (عيون القتيبي) و (خصال الصدوق) فى أحد طريقه رواه «و لا يستحيى إذا سئل عمّا لا يعلم ان يقول الله أعلم» (٣) و الأصح روايه المصنف «ان يقول لا أعلم»، ففى الكافى عن الصادق عليه السّلام: للعالم إذا سئل عن شىء و هو لا يعلمه أن يقول: الله أعلم، و ليس لغير العالم أن يقول ذلك.

و عنه عليه السّلام: إذا سئل الرجل منكم عمّا لا - يعلم فليقل: لا - أدرى، و لا يقل: الله أعلم، فيوقع فى قلب صاحبه شكاً، و إذا قال المسئول: لا أدرى فلا يتهمه السائل (٤).

و كيف كان فهذا هو الثالثه من الخمس، و فى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السّلام: من أفتى الناس بغير علم و لا هدى لعنته ملائكه الرحمه، و ملائكه

ص: ٣٨٦

١-١ (١) الكافى ٢:٦٧ ح ١. [١]

٢-٢ (٢) مناقب السروى ٢:٣٥٨.

٣-٣ (٣) عيون ابن قتيبه، و [٢] الخصال ١:٣١٥.

٤-٤ (٤) الكافى ١:٤٢ ح ٥ و ٦. [٣]

العذاب، و لحقه وزر من عمل بفتياه.

و عن ابن شبرمه: ما ذكرت حديثا سمعته من جعفر بن محمد عليه السّلام إلا كاد أن يتصدع له قلبي، فقال حدثني أبي عن جدي عن النبي صلّى الله عليه وآله - وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده ولا - جده على النبي صلّى الله عليه وآله - قال: من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، و من أفتى الناس بغير علم و هو لا يعلم الناس من المنسوخ، و المحكم من المتشابه، فقد هلك و أهلك (١).

هذا، و في (الأغانى) قال محمد بن حبيب: سألت ابن الاعرابي عن ثمان عشره مسأله كلّها من غريب شعر الطرماح، فلم يعرف منها واحده يقول في جميعها لا أدري لا أدري.

و في (المعجم): زعموا ان المبرد ورد الدينور زائرا لعيسى بن ماهان، فأول ما دخل عليه و قضى سلامه قال له عيسى: أيها الشيخ، ما «الشاه المجثم» التي نهى النبي صلّى الله عليه وآله عن أكل لحمها؟ فقال: هي الشاه القليله اللبن مثل اللجبه، فقال: هل من شاهد؟ قال قول الراجز:

لم يبق من آل الحميد نسمة إلا عنيز لجبه مجثمه

فاذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفه الدينوري، فلما دخل قال له: أيها الشيخ ما «الشاه المجثم» التي نهينا عن أكلها؟ فقال: هي التي جثمت على ركبها، و ذبحت من خلف قفاها. فقال له: كيف تقول و هذا شيخ العراق - يعني المبرد - يقول هي مثل اللجبه القليله اللبن - و أنشده البيتين - فقال الدينوري:

إيمان البيعه تلزمني ان كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه و ان كان البيتان إلا - لساعتها هذه. فقال المبرد: صدق الدينوري، فأنفت أن أرد عليك من العراق و ذكرى ما قد شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرف،

ص: ٣٨٧

فاستحسن منه الإقرار و ترك البهت.

«و لا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه» هذا هو الرابعه من الخصال الخمس القيمه.

عن أبى جعفر عليه السلام: العلم خزائن و مفاتيحها السؤال، فاسألوا فإنه يوجر فى العلم أربعة: السائل، و المتكلم، و المستمع، و المحب لهم (١).

و عن أبى عبد الله عليه السلام: لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا (٢).

و عن النبى صلى الله عليه و آله: اف لكل مسلم لا يفرغ نفسه فى كل جمعه لأمر دينه فيتعاهده و يسأل عن دينه (٣).

هذا، و فى (تاريخ الطبرى): دخل على المنصور رجل، فازدراه و اقتحمته عينه، فجعل لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده منه علما، فقال له: أنى لك هذا؟ قال: لم أبخل بعلم علمته، و لم استحي من علم أتعلمه. قال: فمن هناك (٤).

«و عليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد و لا خير» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (لا خير) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٥) فى جسد لا رأس معه و لا فى ايمان لا صبر معه).

و فى الخير: دخل عليه السلام المسجد، فاذا هو برجل على بابه كئيب حزين، فقال عليه السلام له: مالك؟ قال: أصبت بأبى و أخى. فقال له: عليك بتقوى الله الذى تقدم عليه غدا، و الصبر فى الامور، فانه بمنزله الرأس من الجسد، فاذا فارق الرأس

ص: ٣٨٨

١- ١) أخرجه الصدوق فى الخصال ١: ٢٤٤ ح ١٠١ و صاحب صحيفه الرضا عليه السلام فيه: ٤٢ ح ١١.

٢- ٢) أخرجه الكلينى فى الكافى ١: ٣١ ح ٨. [١]

٣- ٣) أخرجه الكلينى فى الكافى ١: ٤٠ ح ٥. [٢]

٤- ٤) تاريخ الطبرى ٦: ٣٣٠، سنة ١٥٨. [٣]

٥- ٥) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٢٣٢، و [٤] شرح ابن ميثم ٥: ٢٨٢ [٥] مثل المصريه.

الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الامور فسدت الامور (١).

و لكون الصبر بتلك المنزلة من الايمان قال تعالى لنبية صلى الله عليه و آله: «وَ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا» (٢)، و قال له: «اذْفَعْ بِمَا لِي هِيَ اَحْسَنُ فَاِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَاَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَ مَا يُلْقَاهَا» (٣)، و قال له: «قَدْ نَعْلَمُ اِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَاِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَ اُوذُوا حَتَّىٰ اَتَاهُمْ نَصْرُنَا» (٤)، و قال له: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ اُولُو الْعَرْصِ مِنَ الرُّسُلِ» (٥).

و قال الصادق عليه السلام لحفص بن غياث-بعد ذكر الآيات المتقدمه فى أمر الله تعالى نبية بالصبر-ثم بشره فى عترته، فقال: «وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ اُمَّةً يَهْتَدُونَ بِاَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» (٦). فعند ذلك قال النبى: الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، فأنزل تعالى: «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنٰى عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَ دَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ» (٧). فقال النبى صلى الله عليه و آله: انه بشرى و انتقام، فأباح الله تعالى له قتال المشركين، فقتلهم على أيدي نبية و أحبائه، و جعل له ثواب صبره مع ما ادخر له فى الآخرة، فمن صبر، و احتسب، لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله عينه فى

ص: ٣٨٩

١- ١) رواه الكليني فى الكافى ٢: ٩٠ ح ٩. [١]

٢- ٢) المزمّل: ١٠. [٢]

٣- ٣) فصلت: ٣٤ و ٣٥. [٣]

٤- ٤) الأنعام: ٣٣ و ٣٤. [٤]

٥- ٥) الاحقاف: ٣٥. [٥]

٦- ٦) السجده: ٣٤. [٦]

٧- ٧) الاعراف: ١٣٧. [٧]

و قال عليه السلام:

لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا وَ يَقِينَكُمْ شَكًّا - إِذَا عَلِمْتُمْ فَأَعْمَلُوا وَ إِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدُمُوا أقول: روى ابن عساكر فى (ترجمته عليه السلام): ان عمر قال له: عظى. فقال له: لا تجعل يقينك شكًا، و لا علمك جهلاً، و لا ظنك حقًا، و اعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت - الخ (٢).

قوله عليه السلام «لا تجعلوا علمكم جهلاً» و لا تكونوا كعالم قتله جهله، و معه علمه لا ينفعه «و يقينكم شكًا» .

رووا ان الربيع بن زياد قدم على عمر بخمسائه ألف من البحرين، فاستشار الصحابه فاشير عليه بنصب الديوان فنصبه و قسيم المال بين الناس، ففضلت عنده فضله، فقال لهم: ما ترون فى ذلك؟ فقالوا: انا شغلناك بولايه امورنا عن تجارتك وضيعتك فهو لك. فالتفت الى على عليه السلام فقال له: ما تقول أنت؟ قال: قد أشاروا عليك. قال: فقل أنت. فقال له: لم تجعل يقينك ظنا.

فلم يفهم عمر قوله، فقال له: لتخرجن مما قلت. قال: أجل و الله لأخرجن منه، أتذكر حين بعثك النبى صلى الله عليه و آله، فأتيت العباس، فمنعك صدقته، فكان بينكما شىء، فجئتما الى و قلتما انطلق معنا الى النبى، فجئنا إليه، فوجدناه خائرا فرجعنا، ثم غدونا عليه فوجدناه طيب النفس، فأخبرته أنت بالذى صنع

ص: ٣٩٠

١- ١) رواه الكليني فى الكافي ٢: ٨٨ ح ٣. [١]

٢- ٢) ترجمه على عليه السلام ٣: ٢٦٠ ح ١٢٨٠.

العباس فقال لك: يا عمر أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه، فذكرنا له ما رأينا من خثوره في اليوم الأول و طيب نفسه في اليوم الثاني، فقال: انكم أتيتموني في اليوم الأول و قد بقي عندي من مال الصدقه ديناران، فكان ما رأيتم من خثوري لذلك، و اتيتموني في اليوم الثاني و قد وجهتهما، فذاك الذي رأيتم من طيب نفسى. اشير عليك ألا تأخذ من هذا الفضل شيئاً و ان تفضّه على فقراء المسلمين.

فقال له عمر: صدقت و اللّٰه لأشكرن لك الاولى و الأخيره (١).

و رواه أبو نعيم في (حليته) في عنوان سعيد بن فيروز- و زاد: فقال له على عليه السلام: انك تؤخر الشكر و تعجل العقوبه.

قلت: أشار عليه السلام الى قول عمر بمقتضى حوزته الخشياء له «لتخرجن مما قلت».

هذا، و قال إبراهيم الصولى في قينه كان يهواها- كما في (معجم الحموى):-

و علمتنى كيف الهوى و جهلته و علمكم صبرى على ظلمكم ظلمى

و أعلم مالى عندكم فيردنى هواى الى جهلى فارجع عن علمى

«إذا علمتم فاعملوا» و لا يكن علمكم مع الجهل سواء فتكونون جعلتم علمكم جهلاً بعد العمل.

و في (كنز الكراچكى) عنه عليه السلام: تعلموا العلم، و تعلموا للعمل السكينة و الحلم، و لا تكونوا جبابره العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم (٢).

و في (الكافى) عن الصادق عليه السلام: لا تكونوا علماء جبارين،

ص: ٣٩١

١-١) رواه ابن أبى الحديد في شرحه ١٢:٩٩.

٢-٢) كنز الفوائد: ٢٤٠. [١]

فيذهب باطلكم بحقكم.

و في (ذيل الطبرى) عن زياد بن لبيد قال: ذكر النبى صلى الله عليه وآله شيئاً وقال «و ذاك عند أوان ذهاب العلم»، قلنا له: و كيف يذهب العلم و نحن نقرأ القرآن و نقرئه أبناءنا و أبناءهم الى يوم القيامة؟ قال صلى الله عليه وآله: ثكلتك امك يا زياد ان كنت لأراك أفضل رجل بالمدينه، أو ليس هذه اليهود و النصارى يقرءون التوراه و الانجيل و لا يعلمون بشىء مما فيهما (١).

«و إذا تيقنتم فأقدموا» فى (أمالى المفيد) عنه عليه السلام: لا ترتابوا فتشكوا، و لا تشكوا فتكفروا، و لا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا، و لا تدهنوا فى الحق فتخسروا (٢).

و حيث ان لازم اليقين الاقدام و لازم الشك الاحجام، فاذا أحجم مع اليقين و لم يقدم فكأنه جعل يقينه شكا.

هذا، و من قواعد الفقه فى الطهاره و الحدث، و الطاهر و النجس عدم نقض اليقين بالشك بل بيقين مثله، و يعبر عنه بالاستصحاب، لكن المتيقن منه الموضوعات دون الأحكام.

١٩

الحكمه (٢٨٤)

و قال عليه السلام:

قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّينَ أقول: يعنى قطع العلم الذى آتاه الله الناس بتوسط عقولهم التى هى رسل باطنه يميزون بها الحق من الباطل، و العلم الذى بينه فى شرائعه على لسان

ص: ٣٩٢

١- ١) منتخب ذيل الهديل: ٧١.

٢- ٢) أمالى المفيد: ٢٠٦ ح ٣٨، مجلس ٢٣.

رساله الظاهره فى حلاله و حرامه، و طرق طاعاته و مخالفاته، عذر المتعللين و المعتذرين عن عدم العمل بأنا كُنَّا عن هذا غافلين.

قال الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: يا هشام ان لله على الناس حجتين:

حجّه ظاهره و حجّه باطنه، فأما الظاهره فالرسل و الأنبياء و الأئمه، و أما الباطنه فالعقول (١).

و سأل ابن السكيت الهادى عليه السلام عن عله بعث موسى بالعصا و اليد البيضاء و آله السحر، و بعث عيسى بآله الطب، و بعث محمّد بالكلام و الخطب.

فقال عليه السلام له: بعث كلّ واحد منهم على طبق ما كان الغالب فى زمانه حتى يكون عجزهم عن مقاومته مع كمالهم فى ذلك الأمر أتمّ فى الحجّه عليهم. فقال له ابن السكيت: ما الحجّه اليوم على الخلق؟ فقال عليه السلام: العقل يعرف به الصادق على الله فيصدق، و الكاذب على الله فيكذبه. فقال ابن السكيت: هذا و الله هو الجواب (٢).

و فى الخير: يؤاخذ الله الناس الذين خالفوا أمره يوم القيامة عالمهم لم لم يعمل، و جاهلهم لم لم يتعلّم، بعد بيان الله تعالى له كيفية طاعته فى كتبه، و على ألسنه رسله.

و يمكن أن يكون المراد بالعلم القرآن لكونه مقطوعا، و بالمتعللين المتمسكين بالآخبار الواهيه. روى الكشى عن الباقر عليه السلام قال: كان سلمان يقول للناس: هربتم من القرآن الى الأحاديث، و جدتم كتابا دقيقا حوسبتم فيه على النقيير و القطمير، و الفتيل و حبه خردل، فضاقت عليكم ذلك، و هربتم الى

ص: ٣٩٣

١- ١) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ١٦. [١]

٢- ٢) أخرجه الكليني فى الكافى ١: ٢٤ ح ٢٠. [٢]

الأحاديث التي اتسعت عليكم (١).

قلت: و كانت لبني إسرائيل تعللات كذلك، فرد تعالى عليهم: «وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (٢).

هذا، و قال ابن أبي الحديد: معنى كلامه عليه السّلام قطع العلم عذر الذين يعللون أنفسهم بالباطل، و يقولون: ان الرب كريم رحيم، فلا حازه لنا الى اتعاب أنفسنا بالعباده، كما قال الشاعر «قدمت على الكريم بغير زاد»
- إلخ (٣) و هو كما ترى.

٢٠

الحكمه (٢٨٨)

و قال عليه السّلام:

إِذَا أَرَدَلَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ فِي (عيون ابن قتيبه): قال رجل لخالد بن صفوان: مالي إذا رأيتم تتذاكرون الأخبار و تتدارسون الآثار و تتناشدون الأشعار وقع على النوم.

قال: لأنك حمار في مسلخ انسان.

و في (ادباء الحموي): روى ان الخليل بن أحمد كان يقطع بيتا من الشعر، فدخل عليه ولده في تلك الحال، فخرج الى الناس و قال: ان أبي قد جن، فدخل الناس عليه و هو يقطع البيت، فأخبروه بما قال ابنه، فقال لابنه:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

ص: ٣٩٤

١-١) اختيار معرفه الرجال: ١٨ ح ٤٢.

٢-٢) البقره: ٨٠. [١]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧٦: ١٩. [٢]

لكن جهلت مقالتي فعذلتني و علمت انك جاهل فعذرتك

و كما عاقب الله تعالى الرذال بحظر العلم عليهم و منعه عنهم، كذلك عاقب العالم غير العامل بعلمه بسلب لذه مناجاته عنه، ففي الكافي عن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لا تجعل بيني و بينك عالما مفتونا بالدنيا، فيصدك عن طريق محبتي، ان أدنى ما أنا صانع بهم ان أنزع حلاوه مناجاتي من قلوبهم (١).

٢١

الحكمه (٣٨٢)

و قال عليه السلام:

لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ - فَإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيَّ جَوَارِحَكَ كُلَّهَا - فَرَائِضٌ يَخْتِجُ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «لا تقل ما لا تعلم» في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، ان الرجل ليشترع الآيه من القرآن يختر فيها أبعد ما بين السماء و الأرض (٢).

و قال ابن المقفع: فان استطعت ألا تخبر بشيء إلا و أنت به مصدق و ألا يكون تصديقك إلا ببرهان فافعل.

«بل لا تقل كل ما تعلم» لأن كثيرا من الناس غير قابلين لفهم كثير من الحقائق.

و في (عيون ابن قتيبه): قال سلمان: لو حدثت الناس بكل ما أعلم لقالوا رحم الله قاتل سلمان.

ص: ٣٩٥

١- (١) الكافي ١:٤٦ ح ٤ و [١] النقل بتقطيع.

٢- (٢) الكافي ١:٤٢ ح ٤. [٢]

«فان الله فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة» قال تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (١).

و في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون، و يقفوا عند ما لا يعلمون.

و عن الصادق عليه السلام: ان الله تعالى خص عباده بآيتين من كتابه: الا يقولوا حتى يعلموا، و لا يردوا ما لم يعلموا، قال تعالى: «أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» (٢) و قال: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ» (٣).

٢٢

الحكمه (٩٠)

و قال عليه السلام:

الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنِ لَمْ يَقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ - وَ لَمْ يُؤَيِّسِيهِمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْمِنْتَهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ أَقُولُ: رواه (الكافي الكليني) - الكافي - ج ١ ص ٣٦ ح ٣ و المعاني الشيخ الصدوق - معاني الأخبار - ص ٢٢٦ ح ١ و التحف ابن شعبة - تحف العقول - ص ٢٠٤ و مناقب ابن الجوزي و تذكره سبط ابن الجوزي - تذكره الخواص - ص ١٤٠ سبطه) و روايه الأول هكذا: «ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، و لم يؤمنهم من عذاب الله، و لم يرخص لهم في معاصي الله، و لم يترك القرآن رغبه عنه الى غيره، ألا - لا - خير في علم ليس فيه تفهم، ألا - لا - خير في قراءه ليس فيها تدبر، ألا - لا - خير في عباده ليس فيها تفكر»، و مثله المعاني

ص: ٣٩٦

[١- ١] (١) الاسراء: ٣٦. [١]

[٢- ٢] (٢) الاعراف: ١٦٩. [٢]

[٣- ٣] (٣) الكافي ١: ٤٣ ح ٧ و ٨. [٣] الآية ٣٩ من سوره يونس. [٤]

و التحف، لكن فيهما: «ألا لا خير في عباده ليس فيها تفقه» و اسناد الاخيرين أبو نعيم باسناده عن عاصم بن ضميره عنه عليه السلام .1

«الفييه كلّ الفييه» بنصب كلّ على المصدريه، أى: فييه كامل الفييه «من لم يقنط الناس من رحمه الله» لأنه تعالى قال: «لا تقنطوا من رحمته الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً» ٢.

«و لم يؤيسهم من روح الله» فقد قال تعالى: «و لا تنأسوا من روح الله إنه لا ينأس من روح الله إلا القوم الكافرون» ٣.

«و لم يؤمنهم من مكر الله» فقد قال تعالى: «فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» ٤ و قال لنبيه: «قل إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» ٥.

٢٣

الحكمه (١٧٢)

و قال عليه السلام:

النأس أعيداء ما جهلوا أقول: كرره المصنف فى ٤٣٨ غفله. و كيف كان فمر فى عنوان (١٦) روايه (أمالى الشيخ) عنه عليه السلام قال: قلت أربعا أنزل الله تعالى تصديقى فى

ص: ٣٩٧

كتابه-الى أن قال-و قلت «من جهل شيئاً عاداه»، فأنزل تعالى: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ» (١).

هذا و في (المناقب)-بعد ذكر قضاياه عليه السلام من زمن الثلاثة-قال أبو الحسن المرادى:

يا سائلى عن على و الاولى عملوا به من سوء ما قالوا و ما فعلوا

لم يعرفوه فعادوه لجهلهم و الناس كلهم أعداء ما جهلوا (٢)

و فى الجهشيارى:قال يحيى البرمكى لابنه جعفر:يا بنى انتق من كل علم شيئاً،فانه من جهل شيئاً عاداه،و أنا أكره أن تكون عدوا لشيء من الأدب.

٢٤

من الخطبه (١٥٢)

فَلْيَصِدُقْ رَأْيُ أَهْلِهِ وَ لِيُخْضِرْ عَقْلَهُ - وَ لِيَكُنْ مِنْ أَوْثَانِ الْآخِرَةِ - فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَ إِلَيْهَا يَنْقَلِبُ - فَالْتَأَظُرْ بِالْقَلْبِ الْعَامِلِ بِالْبَصِيرِ - يَكُونُ مُبْتَدِئاً عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلَهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ - فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ - فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ فِي غَيْرِ طَرِيقٍ - فَلَا - يَزِيدُهُ بُعِيدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا - بُعِيداً مِنْ حَاجَتِهِ - وَ الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَسَائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ - فَلْيَنْظُرْ نَظْرَ أَسَائِرٍ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ - فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ - وَ مَا خَبَثَ ظَاهِرُهُ خَبَثَ بَاطِنُهُ - وَ قَدْ قَالَ الرَّسُولُ؟ الصَّادِقُ ص - إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبِيدَ وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ - وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ يَدَنَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً - وَ كُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ - وَ الْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ فَمَا طَابَ سَقِيُّهُ طَابَ

ص:٣٩٨

١- ١) أمالى أبى على الطوسى ٢:١٠٨ جزء ١٧. و الآية ٣٩ [١] من سوره يونس.

٢- ٢) مناقب السروى ٢:٣٧٣.

غَرْسُهُ وَ حَلَّتْ ثَمَرَتُهُ - وَ مَا خَبِثَ سِدْقِيهِ خَبِثَ غَرْسُهُ وَ أَمَرَتْ ثَمَرَتُهُ «فليصدق رائد» الرائد:الذى يرسل فى طلب الكلاء، و ورد استعاره «الحمى رائد الموت» من راد الكلاء يروده «أهله» و من أمثالهم «لا يكذب الرائد أهله» (١) «و ليحضر عقله» .

الأصل فى العقل المنع، و سمي نهى الانسان عقلا لمنعه عن الخطأ، و سميت لديه عقلا لمنعها عن القصاص، و سمي الحصن عقلا و معقلا لمنعه المتحصن به، فقالوا:

ما ينفع التحصن بالعقول ما ينفع التمسك بالعقول

«و ليكن من أبناء الآخرة» فى الخبر: «إذا دعيت الى وليمه و جنازه أجب الجنازه، لأنها تذكرك الآخرة» (٢).

«فانه منها قدم» قال ابن سينا فى أبيات له فى النفس:

هبطت اليك من المحلّ الأرفع و رقاء ذات تعزز و تمنع

«و اليها ينقلب» «وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» (٣).

«فالناظر بالقلب العامل بالبصر» أى: بالبصيره «يكون مبتدأ عمله» أى:

أوله «ان يعلم أ عمله عليه أم له» كما ان من يمشى فى طريق يجب عليه قبل وضع قدمه أن يعلم اين يضعه لثلا يقع فى مهواه أو يزل و يعثر.

قال ابن أبى الحديد: جملة «يكون مبتدأ عمله» مع خبره «بالبصر» المتقدم عليه خبر «الناظر»، و «أن يعلم» بدل من «بالبصر»، فيصير تقديم الكلام: فالناظر بقلبه العامل بجوارحه يكون مبتدأ عمله بالفكر و البصيره بأن

ص: ٣٩٩

١- ١) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ٢: ٢٣٣، و [١] الزمخشري فى المستقصى ٢: ٢٧٤. [٢]

٢- ٢) روى هذا المعنى عن النبى صلى الله عليه و آله الطوسى فى التهذيب ١: ٤٦٢ ح ١٥٥، و الحميرى فى قرب الاسناد: ٤١ و محمد بن الأشعث فى الأشعثيات: ٢٠٠.

٣- ٣) الزخرف: ١٤. [٣]

يعلم أعمله له أم عليه (١).

قلت: بل «بالبصر» متعلق «بالعامل» مثل «بالقلب» «بالناظر»، و«مبتدأ» منصوب خبر «يكون»، و«ان يعلم» في موضع الرفع اسمه، و تقدير الكلام:

الذي ينظر بالقلب و الذي يعمل بالبصيره يكون علمه بكيفيه عمله مبتدأ عمله .

«فان كان له مضى فيه و ان كان عليه وقف عنه» كمن أراد أن يلحق بأهل الجمل، فرأى ان الأمر فيهم بيد عائشه، فتذكر قول النبي صَلَّى الله عليه و آله: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأه، فرجع (٢).

«فان العامل بغير علم كسائر» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «كالسائر» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣).

«في غير» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «على غير» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٤) و (الخطيه) «طريق» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) و لكن في (ابن ميثم) (٥) (الطريق).

و كيف كان ففي (الكافي) عن النبي صَلَّى الله عليه و آله: من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح (٦).

«فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعدا من حاجته» أي: مقصده، قال تعالى:

«يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» (٧)،

ص: ٤٠٠

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٧٧: ٩. [١]

٢- ٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢٢٨: ٤، و الترمذى فى سننه ٥٢٧: ٤ ح ٢٢٦٢، و النسائى فى سننه ٢٢٧: ٨، و الرجل السائل أبو بكره.

٣- ٣) كذا فى شرح ابن أبي الحديد ١٧٥: ٩، [٢] لكن فى شرح ابن ميثم ٢٤٩: ٣ مثل المصريه.

٤- ٤) المصدر السابق.

٥- ٥) المصدر السابق.

٦- ٦) الكافي ٤٤: ١ ح ٣. [٣]

٧- ٧) الحج: ١٢. [٤]

«مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» (١).

«و العامل بالعلم كسائر» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «كالسائر» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«على الطريق الواضح» و كمن يمشى بسراج «فلينظر ناظر أ سائر هو أم راجع» قال تعالى: «اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» (٣) «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» (٤) و لنعم ما قيل بالفارسيه:

ترسم نرسی بکعبه ای اعرابی این ره که تو می روی بترکستان است

«و اعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه و ما خبث ظاهره خبث باطنه» قال ابن أبي الحديد: مأخوذ من قوله تعالى: «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا» (٥)، مثل ضربه تعالى لمن يؤثر فيه الوعظ و من لا يؤثر فيه، و مراده عليه السلام ان لكنتي حالتى الانسان الظاهره ميله الى العقل، و ميله الى الهوى أمرا باطنا يناسبهما، فالمتبع لعقله يرزق السعاده، و المتبع لهواه يرزق الشقاوه (٦).

ص: ٤٠١

١-١ (١) إبراهيم: ١٨. [١]

٢-٢ (٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٦، [٢] لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٤٩ [٣] مثل المصريه.

٣-٣ (٣) هذا خلط بين الآيتين الاعراف: ٣٠ و [٤] الكهف: ١٠٤. [٥]

٤-٤ (٤) الكهف: ١٠٣ و ١٠٤. [٦]

٥-٥ (٥) الاعراف: ٥٨. [٧]

٦-٦ (٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٧٨، و [٨] النقل بالمعنى.

«و قد قال الرسول الصادق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ان الله يحب العبد و يبغض عمله و يحب العمل و يبغض بدنه» و شخصه، قال ابن أبي الحديد: الخبر المذكور فى كتب المحدثين (١). قلت: و كأن فى الكلام سقطا .

«و اعلم ان لكل عمل نباتا» الظاهر ان الأصل «و اعلم ان لكل غرس نباتا»، و صحفه النساخ، و إلا فلا مناسبه لا ثبات نبات للعمل .

«و كل نبات لا غنى به عن الماء» و لو كان ماء منقوعا فى الأرض «و المياه مختلفه فما طاب سقيه طاب غرسه و حلت» من الحلو «ثمرته» و مورد قوله تعالى:

«و فى المأرضِ قِطْعٌ مُتجاوِراتٌ وَ جَنّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِهْنُونَ وَ غَيْرُ صِهْنُونَ يُسْقَى بِمَاءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلَى بَعْضٍ فى الأَكْلِ إِنَّ فى ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (٢) السقى بماء واحد، و موضوع كلامه السقى بمياه مختلفه فلا تخالف.

«و ما خبث سقيه خبث غرسه» كخضراء الدمن التى حذر منها ظاهرا و باطنا «و امرت ثمرته» أى: صارت مرا.

٢٥

الحكمه (٧٣)

و قال عليه السلام:

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا - فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ - وَ لِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسَيْرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ - وَ مُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ - مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ هَكَذَا فى (المصريه)، و الصواب: «فعلية ان يبدأ» كما فى (ابن أبي الحديد

ص: ٤٠٢

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ١٧٩: ٧. [١]

[٢-٢] الرعد: ٤. [٢]

و ابن ميثم و الخطيبه (١).

«بتعليم نفسه قبل تعليم غيره» بحملها على العمل، و فى الأمثال العربيه «ان كنت ذا طب-بالحركات الثلاث-فطب لعينيك» (٢) و فى الفارسيه «گر اگر طبيب بودى سر خود دوا نمودى».

«و ليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه» و لذا قال شعيب عليه السلام لقومه:

«و ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت» (٣).

و فى خطبه عمرو بن كلثوم: أما بعد فانه لا يخبر عن قصد المرء أصدق من تركه تركيه نفسه، و لا يعبر عنه فى تركيه أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته و ائتمانه إياهم على حرمة .

«و معلم نفسه و مؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس و مؤدبهم» الذى لم يكن معلم نفسه و مؤدبها، لانه ممن يأمر الناس بالمعروف و ينسى نفسه، و هو فى غايه القبح.

هذا، و مر فى فصل علمه قوله عليه السلام لكميل: «ان هذه القلوب أوعيه-الى- و العلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقوده، و أمثالهم فى القلوب موجوده -الى- كذلك يموت العلم بموت حامله» (٤).

ص: ٤٠٣

١- ١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٨:٢٢٠، [١] لكن فى شرح ابن ميثم ٥:٢٧٥ [٢] مثل المصريه.

٢- ٢) أورده لسان العرب ١:٥٥٣، ماده (طب).

٣- ٣) هود: ٨٨. [٣]

٤- ٤) مر فى عنوان ١ من الفصل العاشر.

الفصل التاسع عشر: فيما ارشد الثاني في مصالح الاسلام

اشاره

ص: ٤٠٥

و من كلام له عليه السلام لعمر بن الخطاب و قد استشاره فى غزو الفرس بنفسه:

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ- وَ لَا خِدْلَانُهُ بِكَثْرِهِ وَ لَا قَلِّهِ- وَ هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ- وَ جُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَ أَمَدَّهُ- حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ طَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ- وَ نَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ- وَ اللَّهُ مُنْجِزٌ وَعِيدُهُ وَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ- وَ مَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ- يَجْمَعُهُ وَ يَضُمَّهُ- فَإِنْ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرْزُ وَ ذَهَبَ- ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِدَافِيرِهِ أَبَدًا- وَ الْعَرَبُ الْيَوْمَ وَ إِنْ كَانُوا قَلِيلًا- فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ- عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ- فَكُنْ قُطْبًا وَ اسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ- وَ أَضْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ- فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ- انْتَفَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَ أَطَارَهَا- حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعُورَاتِ- أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ

يَدَيْكَ- إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا- هَذَا أَضَلُّ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحْتُمْ- فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ وَ طَمَعِهِمْ فِيكَ- فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ- وَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَيَّا يَكْرَهُ- وَ أَمَّا مَيَّا ذَكَرْتَ مِنْ عَيْدِهِمْ- فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ- وَ إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصِيرِ وَ الْمَعُونَةِ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ-شرح نهج البلاغه-ج ٩ ص ٩٦: اختلف الحال التي قال عليه السلام هذا الكلام لعمر، فقيل في غزاه القادسية ذهب إليه المدائني في فتوحه المدائني-الفتوح- فقال: استشار عمر في أمر القادسية، فأشار عليه على عليه السلام ان لا يخرج بنفسه، وقال «انك ان تخرج لا تكون للعجم همّه إلا استيصالك، لعلمهم انك قطب رحي العرب فلا تكون للإسلام بعدها دوله»، و أشار عليه غيره أن يخرج بنفسه فأخذ برأى على عليه السلام.

و قيل في غزاه نهاوند ذهب إليه الطبري فقال: ان عمر لما أراد أن يغزو العجم و جيوش كسرى و هي مجتمعه بنهاوند استشار أصحابه، فقام عثمان، فقال: أرى أن تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم، و تكتب الى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين الى مصرين البصره و الكوفه، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين-الى أن قال-فقال على بن أبي طالب: «أما بعد فان هذا الأمر لم يكن نصره بكثره و لا قلّه، انما هو دين الله الذي أظهره و جنده الذي أعزّه و أمده بالملائكه حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله و الله منجز وعده و ناصر جنده، و ان مكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه و يمسكه، فان انحل تفرّق ما فيه و ذهب ثم لم يجتمع

بحذافيره أبدأ، والعرب اليوم و ان كانوا قليلا فانهم كثير عزيز بالاسلام، أقم مكانك و اكتب الى أهل الكوفه فانهم أعلام العرب و رؤساؤهم، و ليشخص منهم الثلثان و ليقم الثلث، و اكتب الى أهل البصره أن يمدّوهم ببعض من عندهم، و لا تشخص الشام و لا اليمن فانك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم، و ان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشه الى ذراريهم، و متى شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أقطارها و أطرافها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات و العيالات، إنّ الأعاجم إن ينظروا اليك غدا قالوا هذا أمير العرب و أصلهم، فكان ذلك أشد لكليهم عليك. و أما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو أكره لمسيرهم منك و هو أقدر على تغيير ما يكره، و أما ما ذكرت من عددهم فاننا لم نكن نقاتل في ما مضى بالكثرة و انما كنّا نقاتل بالصبر و النصر». قال عمر: أجل هذا الرأي و قد كنت أحب أن أتابع عليه (١).

قلت: بل لا خلاف ان هذا الكلام قال عليه السّلام في نهاوند، و صرح به غير الطبري و المفيد في (إرشاده)، و أبو حنيفة الدينوري في (طواله)، و أعثم الكوفي في (تاريخه)، و أما المدائني فلم يقل أنه عليه السّلام قال هذا الكلام في القادسيه، و انما قال: أشار عليه السّلام على عمر بعدم خروجه في القادسيه، فعمر استشار المسلمين في كلّ منهما، و هو عليه السّلام أشار عليه في كليهما، كما صرح به أعثم الكوفي، و زاد أنه أشار على عمر في القادسيه بتولية سعد، و في نهاوند بتولية النعمان (٢).

و بالجملة العنوان كلامه عليه السّلام في نهاوند ردّا لرأي عثمان، و لم يقل أحد

ص: ٤٠٩

١ - ١) شرح ابن أبي الحديد ٩٦: ٩، و [١] تاريخ الطبري [٢] الطبري - تاريخ الطبري - ج ٣ ص ٢١٠ تا ٢١٢، سنة ٢١ [٣] ٢١٠: ٣ -

٢١٢، سنة ٢١.

٢ - ٢) الارشاد: ١١١.

فى القادسىه ان عثمان أو غيره أشار على أشخاص أهل الشام و اليمن، أو البصره و الكوفه.

لكن الغرىب ان البلاذرى نقل أنه على السّلام أشار فى القادسىه بالشخوص فأبى، كما نقل ان عمر طلب منه على السّلام الشخوص فأبى، فقال: كتب المسلمون الى عمر يعلمونه كثره من تجمع لهم من أهل فارس و يسألونه المدد، فأراد أن يغزو بنفسه و عسكر لذلك، فأشار على العباس و جماعه من مشايخ الصحابه بالمقام، و توجيه الجيوش و البعوث، ففعل ذلك، و أشار على على السّلام بالمسير، فقال له: انى قد عزمت على المقام، و عرض على على الشخوص فأباه (١).

و كيف كان فقال الدينورى: كانت وقعه نهاوند فى سنه (٢١)، و ذلك أن العجم لما قتلوا بجلولاء، و هرب يزدجرد الملك فصار بقم، و وجه رسله فى البلدان يستجيش، فغضب له أهل مملكته، فانحلت إليه الأعاجم من أقطار البلاد، فأتاه أهل قومس و طبرستان و جرجان و دنباوند و الرى و اصبهان و همذان و الماهين، و اجتمعت عنده جموع عظيمه، فولى أمرهم مردان شاه ابن هرمزد، و وجههم الى نهاوند، و كتب عمار بذلك الى عمر-الى أن قال- ثم تكلم عثمان، فقال: اكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم، و الى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، و الى أهل البصره فيسيروا من بصرتهم، و سر أنت بأهل هذا الحرم حتى توافى الكوفه، و قد وافاك المسلمون من أقطار أرضهم و آفاق بلادهم، فانك إذا فعلت ذلك كنت أكثر منهم جمعا و أعز نفرا. فقال المسلمون من كل ناحيه: صدق عثمان. فقال عمر لعلى على السّلام: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟ فقال: انك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم، و ان

ص: ٤١٠

سيرت أهل اليمن من يمينهم خلفت الحيشه على أرضهم، و ان شخصت أنت من هذا الحرم انتقضت عليك الأرض من أقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العيالات أهم اليك مما قد أمك، و ان العجم إذا رأوك عيانا قالوا: هذا ملك العرب كلها، فكان أشد لقتالهم، و انا لم نقاتل الناس على عهد نبينا صَلَّى الله عليه و آله و لا بعده بالكثرة، بل اكتب الى أهل الشام أن يقيم منهم بشامهم الثلثان و يشخص الثلث، و كذلك الى عمان، و كذلك سائر الأمصار و الكور، فقال عمر: و هو الرأى كنت رأيت، و لكنى أحببت ان تتابعونى عليه. فكتب بذلك الى الأمصار.

ثم قال: لأولين الحرب رجلا يكون غدا لأسنه القوم جزاء، فولى الأمر النعمان بن مقرن المزنى - و كان من خيار الصحابه - و كان على خراج كسكر، فدعا عمر السائب بن الأقرع، فدفع إليه عهد النعمان بن مقرن و قال له: ان قتل النعمان فولى الأمر حذيفه. و ان قتل حذيفه فولى الأمر جرير البجلي، و ان قتل جرير فالأمير المغيره، و ان قتل المغيره فالأمير الأشعث. و كتب الى النعمان:

ان قبلك رجلين هما فارسا العرب عمرو بن معد يكرب و طليحه بن خويلد، فشاورهما فى الحرب و لا تولهما شيئا من الأمر.

ثم قال للسائب: ان أظفر الله المسلمين فتول أمر المغنم، و لا ترفع إلى باطلا، و ان يهلك ذلك الجيش فاذهب فلا أرينك.

فسار السائب حتى ورد الكوفه، و دفع الى النعمان عهده، و وافت الأمداد، و خلف أبو موسى بالبصره ثلثى الناس، و سار بالثلث الآخر حتى وافى الكوفه، فتجهز الناس، و ساروا الى نهاوند، فنزلوا بمكان يسمى الاسفيدهان - من مدينه نهاوند على ثلاثه فراسخ قرب قريه يقال لها قديس جان - و أقبلت الأعاجم يقودها مردان شاه بن هرمزد، حتى عسكروا قريبا من عسكر المسلمين، و خندقوا على أنفسهم، و أقام الفريقان بمكانيهما، فقال

النعمان لعمر و طليحه: ما تريان، فان هؤلاء القوم قد أقاموا بمكانهم لا- يخرجون منه، و امدادهم تترى عليهم كل يوم. فقال عمرو: الرأي ان تشيع ان عمر توفى ثم ترتحل بجميع من معك، فان القوم إذا بلغهم ذلك طلبونا، فتقف لهم عند ذلك. ففعل النعمان ذلك، و تباشرت الأعاجم، و خرجوا في آثار المسلمين، حتى إذا قاربوهم وقفوا لهم، ثم تراحفوا فاقتتلوا، فلم يسمع إلا وقع الحديد على الحديد، و كثرت القتلى من الفريقين، و حال بينهما الليل، فانصرف كل فريق الى معسكره، و بات المسلمون و لهم أنين من الجراح، ثم أصبحوا و ذلك يوم الأربعاء، فتراحفوا و اقتتلوا يومهم كله و صبر الفريقان، ثم كان ذلك دأبهم يوم الخميس، و تراحفوا يوم الجمعة و توافقوا، و ركب النعمان برذونا أشهب و لبس ثيابا بيضا و سار بين الصفوف يذمر المسلمين و يحضهم، و جعل ينتظر الساعه التي كان النبي صلى الله عليه و آله يقاتل فيها و يستنزل النصر، و هي زوال النهار و مهب الرياح، و سار في الرايات يقول لهم انى هاز لكم الرايه ثلاثا، فاذا هزرتها أول مره فليشد كل رجل منكم حزام فرسه، و ليستلم شكته، فاذا هزرتها الثانيه فصوبوا رماحكم، و هزوا سيوفكم، فاذا هزرتها الثالثه فكبروا و احملوا فانى حامل، فلما زالت الشمس بأدنى صلوا ركعتين ركعتين و وقف و نظر الناس الى الرايه، فلما هزها الثالثه كبروا و حملوا و انتقضت صفوف الأعاجم، و كان النعمان أول قتيل، فحمله أخوه سويد بن مقرن الى فسطاطه، فخلع ثيابه، فلبسها و تقلد سيفه، و ركب فرسه، فلم يشك أكثر الناس أنه النعمان و ثبتوا يقاتلون عدوهم، ثم أنزل الله نصره و انهزمت الأعاجم، فذهبت على وجوهها حتى صاروا الى قريه من نهاوند على فرسخين، فنزلوها لأن حصن نهاوند لم يسعهم، و أقبل حذيفه- و قد كان تولى الأمر بعد النعمان- حتى أناخ عليهم فحاصرهم بها، فخرجوا ذات يوم مستعدين للحرب، فقاتلهم

المسلمون،فانهزمت الأعاجم و انقطع عظيم من عظمائهم يسمى دينار،فحال المسلمون بينه و بين الدخول الى الحصن،و اتبعه رجل من عيس يقال له سماك بن عبيد،فقتل قوما كانوا معه و استسلم له الفارسي،فاستأسره سماك،فقال لسماك:انطلق بي الى أميركم،فانى صاحب هذه الكوره لأصالحه على هذه الأرض،و افتح له باب الحصن،فانطلق به الى حذيفه، فصالحه عليها و كتب له بذلك كتابا،فأقبل دينار حتى وقف على باب حصن نهاوند و نادى:افتحوا باب الحصن و انزلوا فقد أمنكم الأمير و صالحنى على أرضكم،فنزّلوا إليه،فعند ذلك سميت(ماه دينار).

و أقبل رجل من أشراف تلك البلاد الى السائب بن الأقرع-و كان على المغانم-فقال له:أ تصالحنى على ضياعى و تؤمننى على أموالى حتى أدلكم على كنز لا يدرى ما قدره،فيكون خالصا لأميركم الأعظم،لأنه شىء لم يؤخذ فى الغنيمه-و كان سبب هذا الكنز ان النخارجان الذى كان يوم القادسيه أقبل بالمدد،فألفى العجم قد انهزموا،فوقف فقاتل حتى قتل-كان من عظماء الأعاجم و كان كريما على كسرى ابرويز،و كانت له امرأه من أكثر النساء جمالا،و كانت تختلف الى كسرى،فبلغ ذلك النخارجان،فرفضها فلم يقربها، و بلغ ذلك كسرى فقال يوما للنخارجان-و قد دخل عليه مع العظماء و الاشراف-بلغنى ان لك عينا عذبه الماء،و انك لا- تشرب منها.فقال النخارجان:أيها الملك،بلغنى ان الأسد ينتاب تلك العين،فاجتنبتها مخافه الأسد.فاستحلى كسرى جواب النخارجان و عجب من فطنته،فدخل دار نساءه-و كانت له ثلاثه آلاف امرأه لفراشه-فجمعهن و أخذ ما كان عليهم من حلى،فجمعه و دفعه الى امرأه النخارجان،و دعا بالصاغه فاتخذوا للنخارجان تاجا من ذهب مكللا بالجواهر الثمين،فتوجه به،فبقى ذلك التاج

و تلك الحلى عند ولد بنى تلك المرأه، فلما وقعت الحروب بناحتهم ساروا به الى قريه لايبهم سميت باسمه يقال لها الخوارجان و فيها بيت نار، فاقتلعوا الكانون و دفنوا الحلى تحته و أعادوا الكانون كهيئته، فقال له السائب: ان كنت صادقا فأنت آمن على أموالك و ضياعك و أهلك و ولدك، فانطلق به حتى استخرجه فى سفطين أحدهما التاج و الآخر الحلى، فلما قسم السائب الغنائم بين من حضر القتال و فرغ، حمل السفطين فى خرجين على ناقه و قدم بهما على عمر، فكان من أمرهما الخبر المشهور، اشتراهما عمرو بن الحارث بعتاء المقاتله و الذريه جميعا، ثم حملهما الى الحيره، فباعهما بفضل كثير و اعتقد بذلك أموالا بالعراق- و كان أول قرشى اعتقد بالعراق- فقال عروه بن زيد الخيل يذكر أيامهم:

ألا طرقت رحلى و قد نام صحبتى بايوان سيرين المزخرف حلتى

و لو شهدت يومى جلولا حربنا و يوم نهاوند المهول استهلت

أذن لرأت ضرب امرئ غير خامل مجيد بطعن الرمح أروع مصلت

و روى قريبا من ذلك من كلامه عليه السلام، و كون السبب تكاتب أهل همدان و الرى و اصبهان و قومس و نهاوند، المفيد فى (الإرشاد الشيخ المفيد-الإرشاد-قضاياه عليه السلام فى أيام عمر ص ١١١) فى قضاياه عليه السلام فى أيام عمر عن شبابه بن سوار عن أبى بكر الهدلى (١).

قول المصنف: (و من كلام له عليه السلام لعمر بن الخطاب و قد استشاره فى غزو الفرس بنفسه) هكذا فى (المصريه)، و الصواب: ما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم). و من كلام له عليه السلام و قد استشاره عمر بن الخطاب فى الشخوص لقتال الفرس بنفسه. لكن ليس فى نسخه (ابن أبى الحديد): (ابن الخطاب) (٢).

ص: ٤١٤

١-١ (١) الارشاد: ١١١. [١]

٢-٢ (٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩:٩٥، [٢] لكن فى شرح ابن ميثم ٣:١٩٤ [٣] مثل المصريه.

قوله عليه السّلام : «ان هذا الأمر لم يكن نصره و خذلانه بكثره و لا قله» هكذا في (المصريه) و الصواب: «و لا بقله» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (١).

و كيف كان فظن صاحب عمر ان نصر المسلمين انما كان بالكثره، كما في يوم حنين قال تعالى: «و يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَتَهُ عَلَى رُسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (٢).

قالوا: خرج النبي صلّى الله عليه و آله متوجها الى حنين في عشره آلاف من المسلمين، فظن أكثرهم انهم لن يغلّبوا لما شاهدوه من جمعهم و كثره عدتهم و سلاحهم، و أعجب أبا بكر الكثره يومئذ فقال: لن تغلب اليوم من قله. فلما التقوا لم يلبثوا حتى انهزموا، و لم يبق مع النبي صلّى الله عليه و آله إلا تسعه من بنى هاشم، و أيمن بن أم أيمن (٣).

قال ابن قتيبه في (معارفه): كان الذين ثبتوا يوم حنين بعد هزيمه الناس على و العباس، و الفضل بن عباس، و أبو سفيان بن الحارث، و ابنه، و ربيعه بن الحارث، و اسامه بن زيد، و أيمن بن ام أيمن، و قتل يومئذ، قال العباس:

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة و قد فرّ من قد فرّ منهم فأفشعوا

و تامنا لقي الحمام بسيفه بما مسه في الله لا يتوجع

-يعنى أيمن .

«و هو دين الله الذي أظهره» «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ»

ص: ٤١٥

١-١) راجع شرح ابن أبي الحديد ٩:٩٥، و [١] شرح ابن ميثم ٣:١٩٤. [٢]

٢-٢) التوبه: ٢٥ و ٢٦. [٣]

٣-٣) روى هذا السبب في نزول الآيه الواقدي في المغازي ٣:٨٩٠. [٤]

«لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (١).

«و جنده الذى أعده و أمده» «وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَّهُ مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَ لِيُزَيِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (٢).

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» (٣).

«لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ» -الى- «وَ أَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ» (٤).

«حتى بلغ» الإسلام «ما بلغ و طلع حيثما» هكذا فى (المصريه)، و الصواب:

«حيث» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٥) «طلع» «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» (٦).

ص: ٤١٦

١- (١) التوبه: ٣٣ و [١]الصف: ٩. [٢]

٢- (٢) الانفال: ٧-١٢. [٣]

٣- (٣) الاحزاب: ٩. [٤]

٤- (٤) التوبه: ٢٥ و ٢٦. [٥]

٥- (٥) لفظ شرح ابن أبى الحديد ٩٥:٩، و شرح ابن ميثم ٣:١٩٤ مثل المصريه.

٦- (٦) الفتح: ١. [٦]

«إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (١).

«و نحن على موعود من الله و الله منجز وعده و ناصر جنده» في (تاريخ الطبري) عن عمرو بن عوف المزني قال: خط النبي صلى الله عليه و آله الخندق عام الـحزاب من أجم الشيخين طرف بنى حارثه حتى بلغ المذاد، ثم قطعه أربعين ذراعا بين كل عشرة، فاحق المهاجرون و الأنصار في سلمان- و كان رجلا قويا- فقالت الأنصار سلمان مئا و قالت المهاجرون سلمان مئا، فقال النبي صلى الله عليه و آله سلمان مئا أهل البيت، فكنت أنا و سلمان و حذيفة و النعمان بن مقرن المازني و ستة من الأنصار في أربعين ذراعا، فحفرنا تحت ذناب حتى بلغنا الندى، فأخرج الله تعالى من بطن الخندق صخره بيضاء مروه، فكسرت حديدنا و شقت علينا، فقلنا يا سلمان أرق الى النبي صلى الله عليه و آله، فأخبره خبر هذه الصخره، فاما ان نعدل عنها فان المعدل قريب، و اما أن يأمرنا فيها بأمره، فانا لا- نحب أن نجاوز خطه، فرقى سلمان حتى أتى النبي صلى الله عليه و آله و هو ضارب عليه قبه تركيه، فقال له: بأينا أنت و امنا خرجت صخره بيضاء من الخندق مروه، فكسرت حديدنا و شقت حتى ما نحكك فيها قليلا و لا كثيرا، فمرنا فيها بأمرك، فهبط النبي صلى الله عليه و آله مع سلمان في الخندق و رقينا نحن التسعه على شقه الخندق، فأخذ النبي صلى الله عليه و آله المعول من سلمان، فضرب الصخره ضربه صدعها و برقت منها برقه أضاءت ما بين لبيتها- الى المدينة- حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر النبي تكبير فتح و كبر المسلمون، ثم ضربها النبي الثانيه، فصدعها و برقت منها برقه أضاء ما بين لبيتها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر النبي تكبير فتح و كبر المسلمون، ثم ضربها النبي الثالثه،

ص: ٤١٧

فكسرها و برق منها برقه اضاء ما بين لا بيتها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم، فكبر النبى تكبير فتح و كبر المسلمون.

ثم أخذ بيده سلمان فرقا، فقال سلمان له صلى الله عليه و آله: بأبى أنت و امى لقد رأيت شيئا ما رأيت قط، فالتفت النبى الى القوم فقال: هل رأيتم ما يقول سلمان؟ فقالوا: نعم بأبى أنت و امنا قد رأيناك تضرب، فيخرج برق كالموج، فرأيناك تكبر و تكبر و لا نرى شيئا غير ذلك. قال: صدقتم ضربت ضربتى الاولى، فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور الحيره و مدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهره عليها، ثم ضربت ضربتى الثانية، فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهره عليها، ثم ضربت ضربتى الثالثة، فبرق منها الذى رأيتم أضاءت له منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، فأخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهره عليها، فابشروا يبلغهم النصر، و ابشروا يبلغهم النصر.

فاستبشر المسلمون و قالوا: الحمد لله، موعد صادق بار، وعدنا النصر بعد الحصر، فطلعت الاحزاب، فقال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله و رسوله، و صدق الله و رسوله، و ما زادهم إلا ايمانا و تسليما، و قال المنافقون: ألا- تعجبون يحدثكم و يمئىكم و يعدكم الباطل، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيره و مدائن كسرى، و انها تفتح لكم، و أنتم تحفرون الخندق و لا تستطيعون أن تبرزوا، فأنزل القرآن «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» (١).

«و مكان القيم بالأمر مكان النظام» الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ «من الخرز»

ص: ٤١٨

١- (١) تاريخ الطبرى ٢: ٢٣٥ سنة ٥هـ. و [١] الآية ١٢ من سوره الأحزاب. [٢]

بالتحريك، وخرزات الملك جواهر تاجه.

«يجمعه و يضمه فاذا» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «فان» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (١) «انقطع النظام تفرق الخرز و ذهب» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «تفرق و ذهب» بدون «الخرز» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

في (عيون القتيبي): مثل الاسلام و السلطان و الناس مثل الفسطاط و العمود و الأطناب و الأوتاد، فالفسطاط الاسلام و العمود السلطان و الاطناب و الأوتاد الناس، لا يصلح بعضه إلا ببعض .

«ثم لم يجتمع بحذايره» أي: بأسره و كماله و نواحيه «أبدا و العرب اليوم و ان كانوا قليلا» بالعدد «فهم كثيرون بالاسلام» قال تعالى: «وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ» (٣) و حد عليه السلام القليل كالأيه، و قالوا: و يجوز فيه الجمع .

«عزيزون بالاجتماع» تحت لواء الاسلام، مثلوا الجمع المجتمع بأخشاب مجتمعه لم يقدر أحد كسرهما، و الجمع المتفرق بأخشاب متفرقه يكسرهما كلّ أحد .

«فكن قطبا و استدر الرحي بالعرب و أصلهم» قال الجوهري: صليت الرجل نارا، إذا أدخلته النار، فان ألقيته فيها القاء كأنك تريد الإحراق قلت: أصليته.

«دونك نار الحرب فانك ان شخصت» أي: تحركت «من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها و أقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات» قال الجوهري: العور كل خلل يتخوّف منه في ثغر أو حرب.

ص: ٤١٩

١-١ (١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٩٥:٩، و [١] شرح ابن ميثم ١٩٤:٣ [٢] مثل المصريه.

٢-٢ (٢) المصدر السابق.

٣-٣ (٣) الاعراف: ٨٦. [٣]

«أهم اليك مما بين يديك» من الأعداء «ان الأعاجم» و المراد به هنا من لسانه غير عربى، قال تعالى: «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ» (١).

«ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا أصل العرب، فاذا قطعتموه» هكذا فى (المصريه) و الصواب : «فاذا اقتطعتموه» كما فى الثلاثه (٢)، أى: قلعتموه «استرحتم فيكون ذلك أشدّ لقلبهم» بالتحريك أى: شدتهم و إذا هم «عليك و طمعهم فيك» .

«فأما ما ذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين فان الله سبحانه هو اكره لمسيرهم منك و هو أقدر على تغيير ما يكره»
«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (٣) «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (٤).

«و أما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثره و انما كُنَّا نقاتل بالنصر و المعونه» «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» (٥).

٢

الخطبه (١٣٢)

و من كلام له عليه السّلام و قد شاوره عمر فى الخروج إلى غزو الروم بنفسه:

وَ قَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ - لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ يَأْغِزُ الْخَوْزَهَ - وَ سَتَرَ الْعَوْرَةَ وَ الَّذِي

ص: ٤٢٠

١- (١) الشعراء: ١٩٨. [١]

٢- (٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٩٥، [٢] لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ١٩٤ [٣] مثل المصريه.

٣- (٣) الصف: ٨. [٤]

٤- (٤) التوبه: ٣٢. [٥]

٥- (٥) البقره: ٢٤٩. [٦]

نَصَرَهُمْ- وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ- وَ مَنْعَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ- حَتَّى لَا يَمُوتَ- إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ- فَتَلْقَهُمْ فَتُنَكَّبَ- لَا تُكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانْفَهُ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ- لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ- فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مَحْرَبًا- وَ اخْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَ النَّصِيحَةِ- فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَدَاكَ مَا تُحِبُّ- وَ إِنْ تَكُنَّ الْأُخْرَى- كُنْتَ رِذَاءً لِلنَّاسِ وَ مَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ (و من كلام له عليه السّلام و قد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه) هكذا في (المصريه و ابن ميثم)، و لكن في (ابن أبي الحديد و الخطيبه) بدل «الى غزو الروم بنفسه» «الى الروم» (1).

و كيف كان قال ابن أبي الحديد: هذه الغزاه هي غزاه فلسطين التي فتح فيها بيت المقدس، و قد ذكرها الطبري في تاريخه، و قال: ان عليا عليه السّلام و هو كان المستخلف على المدينه لما شخص عمر الى الشام، و ان عليا قال له: لا تخرج بنفسك انك من تريد يكون عدوا كلبا. فقال عمر: أنى أبادر بجهاد العدو موت العباس، انكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الجبل، فمات العباس لست سنين من اماره عثمان و انتقض بالناس الشر (2).

قلت: ما نقله عن الطبري من رواياته عن سيف و روايات سيف موضوعه في كلها أو في جزئها لم يخل خبر منه من تحريف.

ثم أى وقت عرف عمر الملاحم حتى يخبر بها أمير المؤمنين عليه السّلام، و لم لم يتعلم من النبي صلّى الله عليه و آله حكم الفرار من الطاعون حتى ذكره له عبد الرحمن ابن

ص: ٤٢١

١- ١) كذا في شرح ابن ميثم ٣: ١٦١، [١] لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٩٦ [٢] الى غزو الروم «بلا نفسه».

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٩٨، و [٣] تاريخ الطبري ٣: ١٠٤ سنة ١٥. [٤]

عوف كما رواه الطبرى (١)، و لم لم يتعلم منه حكم الحبشه، ففى أغانى أبى الفرج قال أبو عمرو الشيبانى: كان عمر بعث علقمه بن محرز الكنانى الى الحبشه و كانوا لا يشربون قطره من الماء إلا بأذن الملك و الا قوتلوا عليه، فنزل الجيش على ماء قد ألقى لهم فيه الحبشه سمًا، فوردوه مغترين، فشربوا منه، فماتوا عن آخرهم، فأراد عمر أن يجهز اليهم جيشا عظيما، فشهدوا عنده ان النبى صلى الله عليه و آله قال: أتركوا الحبشه ما تركوكم. و قال: و ددت ان بينى و بينهم جبلا من نار.

ثم موت العباس لم يكن فى عصر عمر حتى يبادر بجهاد العدو موته، ثم انتقاض الشر بالناس انما كان من أحداث عثمان و أعمال عماله، كالوليد بن عقبه فى صلاته الصبح بالناس أربعا سكران، و من ابن أبى سرح فى قتله الناس بغير حق، و نظرائهما، و كان عمر هو السبب فى تولى عثمان، فدبر الأمر له و لبنى اميه بما دبر فى الشورى و كيفيه اجرائها، فعمر نقض الشر على الناس، فقله هذا نظير أن يضرم أحد نارا فى دار ثم يقول: بادرت بالأمر الفلانى قبل أن تحرق النار الدار.

ثم أنه يدعى أنه امام المسلمين و يسأل اليهود عن الدجال، و لا يدرى أنه يفتح ايليا حتى يخبره يهودى بذلك، كما روى جميع ذلك الطبرى.

قال ابن أبى الحديد أيضا: قال الطبرى: قد كان الروم عرفوا من كتبهم ان صاحب فتح مدينه ايليا- و هى بيت المقدس- رجل اسمه على ثلاثه أحرف، فكان من حضر من امراء المسلمين يسألون عن اسمه، فيعلمون أنه ليس بصاحبهم، فلما طال عليهم الأمر فى حرب الروم استمدوا عمر و قالوا: ان لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا، فكتب اليهم أن يلتقوه برأس الجايه- ليوم

ص: ٤٢٢

سمّاه لهم-فلقوه و هو راكب حمار،و كان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيده، ثم خالد ابن الوليد على الخيول،و عليهم الدياج و الحرير، فنزل عمر عن حماره و أخذ الحجاره رماهم بها و قال:سرعان ما لفتم عن رأيكم إياي تستقبلون في هذا الزى، و انما شبعتم منذ سنتين مسرع ما ندت بكم البطنه، و الله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: انما هى يلامقه و تحتها السلاح. فقال: فنعم اذن، فلما علم الروم مقدم عمر نفسه سأله الصلح، فصالحهم و كتب لهم كتابا على أن يؤدوا الجزية- الى أن قال- شخص عمر من المدينه الى الشام أربع مرات، و دخلها مره راكب فرس، و مره راكب بعير، و مره راكب بغل، و مره راكب حمار (١).

قلت: في (تاريخ الطبرى): و أما الثالثه فقصر عنها ان الطاعون مستعر- إلخ (٢).

و كيف كان فالعنوان لا يدل على أنه عليه السلام قال هذا الكلام فى مشاوره عمر معه فى الخروج الى غزو الروم، و لم أقف على من روى ذلك، حتى ان المفيد فى الارشاد روى فى العنوان السابق أنه عليه السلام أشار على عمر فى غزوه نهاوند فى قضايه فى زمن عمر (٣)، و اقتصر على ذاك، فلعل العنوان أيضا كلامه عليه السلام فى القادسيه أو فى نهاوند بروايه اخرى غير ما مر، و ان المصنف قال بكونه فى غزو الروم حدسا، فلم يكن عليه السلام يشير برأى لم يؤخذ به.

و بالجمله المحقق روايه أصل العنوان دون سببه.

قوله عليه السلام «و قد توكل الله لأهل هذا الدين باعزاز الحوزه» أى: الناحيه «و ستر

ص: ٤٢٣

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٢٩٨:٨-٣٠٠. [١]

٢-٢) تاريخ الطبرى ١٠٣:٣ سنه ١٥. [٢]

٣-٣) الارشاد: ١١١.

العوره» قال الجوهري: العوره كلٌ خلل يتخوف منه في ثغر أو حرب . «و الذي نصرهم و هم قليل لا ينتصرون» فكانوا يعذبونهم في مكه و منهم عمار و أبوه و امه، و كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يمر عليهم و يقول: صبيرا آل ياسر، و حتى كانوا يكرهونهم على اظهار الكفر و منهم عمار فنزل فيه: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (١).

«و منعهم و هم قليل لا- يمتنعون» «وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (٢).

«حي لا يموت» أي: هو الله تعالى، و«حي» خبر لقوله «و الذي».

«انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتكذب» أي: تصير منكوبا «لا تكن للمسلمين كانفه» أي: من يكونون في كنفه و صيانتهم «دون أقصى بلادهم» من العدو «ليس بعدك مرجع يرجعون إليه» .

قال ابن أبي الحديد فان قلت: فلم كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يشاهد الحروب بنفسه، و لم شاهد أمير المؤمنين عليه السّلام الجمل و صفين و النهروان بنفسه.

و أجاب: بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان موعودا بالنصر في قوله تعالى: «وَ اللَّهُ يَعْصِي مِمْكَ مِنَ النَّاسِ» (٣) و ان أمير المؤمنين عليه السّلام كان عالما من جهه النبي انه لا يقتل في هذه الحروب، لقوله له «انك تقاتل بعدى الناكثين و القاسطين و المارقين» (٤).

قلت: الصواب في الجواب هو انهما عليهما السّلام لم يشاهدا حربا في الخارج

ص: ٤٢٤

١- ١) رواه من طرق عديده السيوطي في الدر المنثور ٤: ١٣٢. و الآية ١٠٦ [١] من سوره النحل.

٢- ٢) الانفال: ٢٦. [٢]

٣- ٣) المائده: ٦٧. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٩٧. [٤]

سوى غزوه النبي صَلَّى الله عليه و آله لتبوك، فانه كان غزوا مع الروم، فخلف أمير المؤمنين عليه السّلام الذى كان بمنزله نفسه فى أهله و قال له ما قال. ففى تاريخ الطبرى قال ابن إسحاق: خلف النبي صَلَّى الله عليه و آله عليا على أهله و أمره بالإقامه فيهم، فأرجف المنافقون بعلي و قالوا ما خلفه إلا استثقالا له و تخففا منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ على سلاحه، ثم خرج حتى أتى النبي صَلَّى الله عليه و آله و هو بالجرف، فقال: زعم المنافقون انك انما خلفتني انك استثقتني و تخففت مني. فقال، كذبوا و لكنى خلفتك لما ورائي، فارجع، فاخلفنى فى أهلى و أهلک، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزله هارون من موسى (١).

«فابعث اليهم رجلا مجربا» من المجربين للحرب.

كان المهلب بن أبى صفره، و هو الذى حمى البصره من الخوارج حتى قيل بصره المهلب، تمثل فيه الحجاج بقول لقيط الأيادى لقومه لما بعث كسرى جيشا لقتالهم:

فقلدوا امرکم لله دزّکم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا أن ترجى العيش ساعده و لا إذا حل مكروه به خشعا

لا يطعم النوم الا حيث يبعثه هم يكاد حشاه يقطع الضلعا

مسهر النوم تغييه امورکم يروم منها على الأعداء مطالعا

ما انفك للخلف هذا الدهر اشطره يكون متبعا طورا و متبعا

فليس يشغله مال يثمره عنكم و لا ولد يبغى له الرفعا

حتى استمر على شزر مريته مستحکم السن لا فحما و لا ضرعا

«و أحفز» أى: سق «معهم أهل البلاء و النصيحة، فان أظهر الله فداك» أى:

الظفر «ما تحب و ان تكن الاخرى» أى: الهزيمة «كنت رداء» أى: عوننا

ص: ٤٢٥

هذا، و فى (تاريخ الطبرى) عن ابن عمر قال: جمع الناس بالمدينه حتى انتهى إليه فتح القادسيه و دمشق، فقال: انى كنت امرأ تاجرا يغبى الله عيالى بتجارتي، و قد شغلتمونى بأمركم، فما ذا ترون أنه يحل لى من هذا المال؟ فأكثر القوم و على عليه السلام ساكت، فقال له: ما تقول أنت؟ فقال: لك ما أصلحك و أصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من هذا المال غيره. فقال القوم: القول قول على بن أبى طالب (١).

و فى (مناقب السروى): روى شريك و غيره ان عمر أراد بيع اهل السواد، فقال له على عليه السلام: هذا مال أصبتم و لن تصيبوا مثله، و ان بعتم بقى من يدخل فى الاسلام لا شىء له. قال: فما أصنع؟ قال: دعهم شوكة للمسلمين، فتركهم على انهم عبيد، ثم قال على عليه السلام: فمن أسلم منهم فنصيبى منه حر (٢).

و فى (كامل الجزرى): أرسل سعد فى الخمس كل شىء أراد أن تعجب منه العرب و أراد اخراج خمس القطيف فلم يعتدل قسمته و هو بهار كسرى، فقال للمسلمين: هل تطيب أنفسكم عن تربعه أخماس القطيف؟ فقالوا: نعم، فبعته الى عمر - و هو بساط واحد طوله ستون ذراعا و عرضه ستون ذراعا مقدار جريب كانت الأكاسره تعده للشتاء إذا ذهب الرياحين شربوا عليه فكأنهم فى رياض، فيه طرق كالصور و فيه فصوص كالأنهار أرضها مذهب و خلال ذلك فصوص كالدرر، و فى حافاته كالأرض المزروعه، و الأرض المبقله بالنبات فى الربيع و الورق من الحرير على قضبان الذهب و زهره الذهب و الفضة و ثمره الجوهر. فقال عمر: أشيروا علىّ فيه، فمن مشير بقبضه

ص: ٤٢٦

١- (١) تاريخ الطبرى ١١١: ٣ سنه ١٥. [١]

٢- (٢) مناقب السروى ٣٦٥: ٢.

و آخر مفوض إليه، فقال له على عليه السلام: لم تجعل علمك جهلا و يقينك شكاً، انك ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم فى الغد من يستحق به ما ليس له -إلخ (١).

ص: ٤٢٧

(١-١) كامل ابن الاثير سنه ٥١٨: ٢: ١٦. [١]

الفصل العشرون: في حبه و بغضه عليه السلام

اشاره

ص: ٤٢٩

مر في فصل الامامه العامه قوله عليه السلام: «لو أجبني جبل لتهافت» وقوله:

«من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقير جلبابا» وقوله: «ناصرنا و محبنا ينتظر الرحمه و عدونا و مبغضنا ينتظر السطوه» (١).

حكمه (٤٥)

و قال عليه السلام:

لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا - عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي - وَ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ - عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي - وَ ذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ لِي فَأَنْقَضِي عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ص؟ - أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ؟ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ أقول: رواه إبراهيم الثقفي في (غاراته إبراهيم الثقفي - الغارات - ج ١ ص ٤١) و الكليني في (روضته الكليني - الكافي - الروضه ج ٨ ص ٢٦٨ ح ٣٩٨) و الشيخ في (أماليه الشيخ الطوسي - الامالي - ج ١ ص ٢٠٩ جزء ٨) و الطبرسي في (بشارته الطبرسي - بشاره المصطفى - ص ١٥٢)، و رواه أبو الطفيل ١ أبو الطفيل - نقل أبو الطفيل - و حبه العرنى ١ حبه العرنى - نقل حبه العرنى - ..

ص: ٤٣١

١-١) مر في العنوان ٢١ و العنوان ٧ من الفصل السابع.

أما الأول فروى كما فى البحار و نقل ابن أبى الحديد فى موضع آخر، و عن إسماعيل بن ابان الأزدي عن عمرو بن شمر عن جابر عن رفيع عن فرقد البجلي قال: سمعت عليا عليه السّلام يقول: ان قلت لكم انفروا الى عدوكم قتلتم القر يميننا، أفترون عدوكم لا- يجدون القر كما تجدونه؟ و لكنكم أشبهتم قوما قال لهم النبى صلّى الله عليه و آله: انفروا فى سبيل الله، فقال كبراًؤهم: لا تنفروا فى الحر فقال تعالى لنيه: «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» (١) و الله لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا- إلخ. مثله لكن فيه بدل بجمااتها «بحذافيرها»- و زاد «و قد خاب من حمل ظلما و افترى» (٢).

و أما الثانى فروى عن أبى يحيى كوكب الدم قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام:

ما كان حوارى عيسى عليه السّلام بأطوع له من حوارينا لنا، و انما قال عيسى لهم من أنصارى الى الله قالوا نحن أنصار الله، فلا و الله ما نصره من اليهود و لا قاتلوهم دونه، و شيعتنا و الله لم يزلوا منذ قبض الله تعالى رسوله صلّى الله عليه و آله ينصروننا، و يقاتلون دوننا، و يعذبون، و يحرقون، و يشردون فى البلاد، جزاهم الله عنا خيرا، و قد قال أمير المؤمنين عليه السّلام: و الله لو ضربت خيشوم محبينا بالسيف ما أبغضونا، و الله لو أدنيت الى مبغضينا، و حثوت لهم من المال ما أحبونا (٣).

و أما الثالث فروى عن الجعابى باسناده عن سويد بن غفله قال: سمعت عليا عليه السّلام يقول: و الله لو صببت الدنيا على المنافق صبا ما أحبني، و لو ضربت بسيفى هذا خيشوم المؤمن لأحبنى، و ذلك انى سمعت الرسول صلّى الله عليه و آله يقول: يا

ص: ٤٣٢

١- (١) التوبه: ٨١. [١]

٢- (٢) رواه الثقفى فى الغارات ١: ٤١، و [٢] عنه المجلسى فى فتن البحار: ٦٢٧، و [٣] ابن أبى الحديد فى شرحه ٢: ٩٥.

٣- (٣) الكافى ٨: ٢٦٨ ح ٣٩٨. [٤]

على لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق (١).

و أما الرابع فروى عن ابن عقده باسناده عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: و الذى فلق الحبه و برأ النسمة أنه لعهد النبي الامى: انه لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق، و لو ضربت أنف المؤمنين بسيفى هذا ما أبغضونى أبدا، و لو أعطيت المنافقين هكذا و هكذا ما أحبونى أبدا (٢).

و أما الخامس فروى عنه عليه السلام: لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضنى، و لو صببت على المنافق ذهبا و فضه ما أحبنى، ان الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبى و ميثاق المنافقين ببغضى فلا يبغضنى مؤمن و لا يحبنى منافق أبدا (٣).

و أما السادس فروى - و قد نقله ابن أبى الحديد فى موضع آخر كسابقه - انه عليه السلام قال: ان الله أخذ ميثاق كل مؤمن على حبى و ميثاق كل منافق على بغضى، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضنى، و لو صببت الدنيا على المنافق ما أحبنى (٤).
«لو ضربت خيشوم» أى: أقصى أنف «المؤمن بسيفى هذا على أن يبغضنى ما أبغضنى» .

فى (الكافى) عن الحارث بن حصيره قال: مررت بحبشى و هو يستقى بالمدينه و إذا هو أقطع، فقلت له: من قطعك؟ قال: خير الناس، كُنّا ثمانيه أخذنا فى سرقه، فذهب بنا الى على بن أبى طالب، فأقرنا فقال: أما تعرفون انها

ص: ٤٣٣

١-١) امالى أبى على الطوسى ٢٠٩: ١، جزء ٨. [١]

٢-٢) بشاره المصطفى: ١٥٢. [٢]

٣-٣) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ٤: ٨٣.

٤-٤) المصدر السابق.

حرام؟ قلنا: نعم، فأمر بنا، فقطعت أصابعنا من الراحة، و خليت الأبهام، ثم أمر بنا، فحبسنا فى بيت يطعمنا فيه السمن و العسل حتى برئت أيدينا، ثم أمر بنا، فأخرجنا و كساننا، فأحسن كسوتنا، ثم قال: ان تتوبوا و تصلحوا فهو خير لكم يلحقكم الله بأيديكم فى الجنة، و الا تفعلوا يلحقكم الله بأيديكم فى النار (١).

و فى (المناقب) عن ابن عباس: دخل أسود على أمير المؤمنين عليه السّلام و أقرّ أنّه سرق فقال: طهرنى فانى سرت، فأمر بقطع يده، فاستقبله ابن الكواء فقال:

من قطعك؟ قال: ليث الحجاز، و كبش العراق، و مصادم الأبطال، و المنتقم من الجهّال، كريم الأصل، شريف الفضل، محل الحرمين، وارث المشعرين، أبو السبطين، أول السابقين، و آخر الوصيين من الريسين، المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، الحبل المتين، المحفوظ بجند السماء أجمعين، ذاك و الله أمير المؤمنين، على رغم الراغمين. فقال له ابن الكواء: قطع يدك و تثنى عليه.

قال: لو قطعنى اربا اربا ما ازددت له إلا حبا. فدخل ابن الكواء عليه عليه السّلام و أخبره بقصه الأسود، فقال عليه السّلام له: يا ابن الكواء ان محبينا لو قطعناهم اربا اربا ما ازدادوا لنا إلا حبا، و ان فى أعدائنا من لو ألعقناهم السمن و العسل ما ازدادوا لنا إلا بغضا (٢).

«و لو صببت الدنيا بجمّاتها» قال ابن دريد: الجم الكثير من كل شىء، قال أبو خراش الهذلى «ان تغفر اللهم تغفر جمّا» «على المنافق على أن يحبني ما أحبني» فى (تاريخ الطبرى) - بعد ذكر ضربه ابن ملجم له عليه السّلام - فأدخل اللعين عليه، فقال له: أى عدو الله ألم أحسن اليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟

ص: ٤٣٤

١- ١) الكافى ٧: ٢٦٤ ح ٢٢. [١]

٢- ٢) لم أظفر عليه فى مناقب السروى، بل رواه شاذان بن جبرئيل فى الفضائل: ١٧٢، و صاحب الروضه فيه كما فى البحار ٤٠: ٢٨١ ح ٤٤. [٢]

قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال عليه السلام: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه (١).

«وذلك أنه قضى» أي: قدّر «فانقضى» أي: تقضى و فرغ منه «على لسان النبي الامى» من ام القرى و هو مكه «أنه قال: يا على» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد)، و ليس «يا على» فى (ابن ميثم و الخطيه) (٢) «لا- يبغضك مؤمن» روى الثعلبى فى (تفسيره) مسندا عن البراء بن عازب قال: قال النبي صلى الله عليه و آله لعلى: قل «اللهم اجعل لى عندك عهداً و اجعل لى فى صدور المؤمنين ودا» فقالها فأنزل تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» (٣).

قال سبط ابن الجوزى: قال ابن عباس: هذا الود جعله الله لعلى عليه السلام فى قلوب المؤمنين (٤).

و فى (مروج المسعودى): قال معاوية لضرار بن ضميره: كيف حزنك على أبى الحسن؟ قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها و لا يسكن حزنها (٥).

و فى (الاستيعاب): قال معاوية لأبى الطفيل: كيف وجدك على خليلك أبى الحسن؟ قال: كوجد ام موسى على موسى، و اشكو الى الله التقصير (٦).

«و لا يحبك منافق» روى الخطيب فى أبى على بن هشام- عن زر بن حبيش عنه عليه السلام قال: ان فيما عهد إلى رسول الله: ألا يحبك إلا

ص: ٤٣٥

١- (١) تاريخ الطبرى ٤: ١١١، سنة ٤٠. [١]

٢- (٢) توجد الكلمه فى شرح ابن أبى الحديد ١٧٣: ١٨، و [٢] شرح ابن ميثم ٥: ٢٦٦. [٣]

٣- (٣) مريم: ٩٦. [٤]

٤- (٤) تذكره الخواص: ١٧. [٥]

٥- (٥) مروج الذهب ٣: ١٦. [٦]

٦- (٦) الاستيعاب ٤: ١١٧. [٧]

مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق.

و روى- فى الربيع بن سهل- عن على بن ربيعة قال: سمعت علياً على منبركم هذا و هو يقول عهد النبى صلى الله عليه و آله إلى أنه لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق.

و روى فى- الحسن بن مزيد- أبو على الحنظلى الجصاص المخرمى الذى وثقه عن سويد بن غفله ان عمر بن الخطاب رأى رجلاً يسب علياً فقال:

إنى اظنك منافقاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: انما عليّ منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى.

و روى (إرشاد المفيد) مسنداً عن الحرث الهمداني قال: رأيت علياً عليه السّلام و قد جاء ذات يوم فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: قضاء قضاءه الله على لسان النبى انه لا يحبني إلا مؤمن، و لا يبغضني إلا منافق، و قد خاب من افترى (١).

و روى ابن عقده- كما فى (أمالى الشيخ)- باسناده عن عبد الله بن يحيى قال: سمعت علياً عليه السّلام يقول: صليت مع النبى صلى الله عليه و آله قبل أن يصلى معه أحد من الناس ثلاث سنين، فكان مما عهد إلى ألا يبغضني مؤمن، و لا يحبني كافر أو منافق، و الله ما كذبت و لا كذبت، و لا ضللت و لا ضل بي، و لا نسيت ما عهد إلى (٢).

و روى البلاذرى و الترمذى و السمعانى- كما فى (مناقب السروى)- عن أبى سعيد الخدرى قال: كُنّا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم على ابن أبى طالب عليه السّلام.

ص: ٤٣٦

١- ١) الارشاد: ٢٥. [١]

٢- ٢) امالى أبى على الطوسى ١: ٢٦٧، جزء ١٠. [٢]

و روى (فضائل أحمد بن حنبل) - كما فيه - ان جابرا و ابا سعيد الخدرى قالوا: كُنَّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و ابغضهم علينا.

و روى ابا نه العكبرى - كما فيه - عن جابر و زيد بن ارقم قالوا: ما كُنَّا نعرف المنافقين و نحن مع النبي صَلَّى الله عليه و آله و ابغضهم علينا عليه السَّلام (١).

و بالجمله قول النبي صَلَّى الله عليه و آله له «لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق» من الاخبار المتواتره، قال السروى: صرح أبو القاسم البلخى بأنه رواه كثير من ارباب الحديث عن جمع من الصحابه (٢).

و قال ابن ابي الحديد فى موضع آخر: قال شيخنا أبو القاسم البلخى: قد اتفقت الاخبار الصحيحه التى لا ريب عند المحدثين فيها، على ان النبي صَلَّى الله عليه و آله قال لعلى: لا يبغضك إلا منافق، و لا يحبك إلا مؤمن (٣).

ثم ان من الواضح ان عدم حب اولياء الله ينافى الايمان، الا ان حبه لا يستلزمه، فهو أعمّ قضيه الشرط و المشروط، و كذلك فى جنب بغضهم فان بغضهم ينافى الايمان، و أما عدم بغضهم فهو أعم من الايمان، فيمكن ان يكون منافقا غير مبغض لهم، لكنّه خصوصيه لأمير المؤمنين عليه السَّلام حسب ما قال نفسه «بأنّه قضى على لسان النبي فانقضى» ان يكون حبه و بغضه عليه السَّلام مع الايمان و النفاق كالسبب و المسبب.

و روى ابن عقده - كما فى (أمالى الشيخ) - باسناده عن عبد الله بن يحيى ان عليا عليه السَّلام قال: ان ابني فاطمه يشترك فى حبهم البر و الفاجر، و انى كتب لى

ص: ٤٣٧

١ - ١) كذا جاء فى مناقب السروى ٣: ٢٠٧ و ما رواه عن الترمذى ٥: ٦٣٥ ح ٣٧١٧، و [١] ما رواه عن البلاذرى فى أنساب الاشراف ٢: ٩٦ ح ١٩. [٢]

٢ - ٢) لم يوجد فى مناقب السروى بل نقله ابن ابي الحديد فى شرحه ٤: ٨٣.

٣ - ٣) شرح ابن ابي الحديد ٤: ٨٣. [٣]

أن يحبني كل مؤمن، و يبغضني كل منافق (١).

و بمضمونه أخبار اخر، و وجدنا الأمر كذلك، فابن الزبير كان لا يظهر البغض مع الحسن و الحسين، بل كان يجالس الحسين كثيرا، و كان من أشد مبغضى أمير المؤمنين.

و عن الباقر عليه السلام: ان الله تعالى نصب عليا علما بينه و بين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا، و من انكره كان كافرا، و من جهله كان ضالا، و من نصب معه شيئا كان مشركا، و من جاء بولايته دخل الجنة (٢).

هذا و محبه عليه السلام يراه حال احتضاره حيث يحب، و مبغضه يراه في ذاك الوقت بحيث يكره.

روى (الكافي) عن عبايه عنه عليه السلام قال: و الله لا يبغضني عبد أبدا يموت على بغضى الا رآنى عند موته حيث يكره، و لا يحبني عبد أبدا فيموت على حبي الا رآنى عند موته حيث يحب (٣).

و قال ابن أبي الحديد فى موضع آخر: روى أبو غسان النهدي قال: دخل قوم من الشيعة على علي عليه السلام فى الرحبه، و هو على حصير خلق، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: حبك. قال: أما انه من أحبني رآنى حيث يحب أن يرانى، و من ابغضني رآنى حيث يكره أن يرانى. ثم قال: ما عبد الله أحد قبلى الا- نبيه صلى الله عليه و آله، و لقد هجم علينا أبو طالب و انا و هو ساجدان، فقال: أو فعلتموها. ثم قال لى و انا غلام: ويحك انصر ابن عمك (٤).

و روى الكشى عن الشعبى قال: سمعت الحرث الاعور يقول: أتيت

ص: ٤٣٨

١- ١) أمالى أبى على الطوسى ١: ٣٤٤ جزء ١٢. [١]

٢- ٢) اخرجه الكليني فى الكافي ١: ٤٣٧ ح ٧. [٢]

٣- ٣) الكافي ٣: ١٣٢ ح ٤. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٠٤. [٤]

عليًا عليه السّلام ذات ليله فقال: يا أعور ما جاء بك؟ فقلت: حبك و الله. فقال: أما اني سأحدثك لتشكرها، أما انه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره-الخبر (١).

وفي (الكافي) عن ابن أبي يعفور: دخلت على خطاب الجهني -و كان شديد النصب- و هو في الموت، فسمعتة يقول: يا علي مالي و لك، فأخبرت بذلك ابا عبد الله عليه السّلام فقال: رآه و رب الكعبه (٢).

هذا، و كما امر بحبه عليه السّلام حتى روى الخوارزمي في (مناقبه): «ان الناس لو اجتمعوا على حبه لما خلق الله تعالى النار» (٣) كذلك أمر بحب شيعته الخاص كسلمان و أبي ذر و المقداد، روى الطبري في ذيله عن بريده قال: قال النبي صلي الله عليه و آله: أن الله تعالى أمرني بحب أربعة. قيل: يا رسول الله من هم سمّهم لنا؟ فقال: علي منهم -يقول ذلك ثلاثا- و أبو ذر، و المقداد، و سلمان، أمرني بحبهم و أخبرني انه يحبهم (٤).

هذا، و كما كانوا يعرفون المنافقين من زمان حياه النبي صلي الله عليه و آله يبغضه عليه السّلام كذلك كان يعرف أصحاب أبي الخطاب المبتدع يبغض أجله اصحاب الباقر و الصادق عليهما السّلام: زراره، و محمّد بن مسلم، و أبو بصير، و بريد العجلي.

روى الكشي عن جميل بن دراج قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السّلام فاستقبلني رجل خارجا من عنده فقال عليه السّلام: لقيت الرجل؟ قلت: بلى هو من أصحابنا من اهل الكوفه. فقال: لا قدس الله روحه، انه ذكر أقواما كان أبي

ص: ٤٣٩

١-١) اختيار معرفه الرجال: ٨٨ ح ١٤٢. [١]

٢-٢) الكافي ١٣٣: ٣ ح ٩. [٢]

٣-٣) مناقب الخوارزمي: ٢٨.

٤-٤) منتخب ذيل المذيل: ٥٠.

ائتمنهم على حلال الله و حرامه، و كانوا عيبه علمه، و كذلك اليوم هم عندى هم مستودع سرى أصحاب أبى حقا، اذا أراد الله بأهل الأرض سوءا صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتى احياء و أمواتا، يحيون ذكر أبى بهم يكشف الله كل بدعه ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين و تأول الغالين. فقلت: من هم؟ فقال: من عليهم صلوات الله و رحمته أحياء و أمواتا يريد العجلى، و زراره، و أبو بصير، و محمد بن مسلم، يا جميل سيين لك امر هذا الرجل.

قال جميل: فو الله ما كان الا قليلا حتى رأيت ذلك الرجل ينسب إلى أصحاب أبى الخطاب. فقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته و كنا نعرف أصحاب أبى الخطاب ببغض هؤلاء (١).

هذا و كما ان حبه عليه السّلام علامه الايمان، و بغضه علامه النفاق، كذلك حبه علامه طيب المولد، و بغضه علامه عدم طيب المولد، فعن الهروى فى الغريبين قال عباده بن الصامت: كنا نسير أولادنا بحب على بن أبى طالب عليه السّلام، فاذا رأينا احدهم لا يحبه علمنا انه لغير رشده (٢).

و فى (المناقب) عن انس: كان الرجل بعد يوم خبير يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق على عليه السّلام، فاذا نظر إليه قال: يا بنى تحب هذا الرجل؟ فان قال نعم قبله، و ان قال لا خرق به، و قال له: الحق بأملك (٣).

و عن كتاب ابن مردويه عن أحمد بن حنبل عن الشافعى عن مالك بن انس ان انس بن مالك قال: ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه الا ببغض على بن أبى طالب عليه السّلام (٤).

ص: ٤٤٠

١- (١) اختيار معرفة الرجال: ١٣٧ ح ٢٢٠.

٢- (٢) نقله عنه السروى فى مناقبه ٣: ٢٠٧.

٣- (٣) مناقب السروى ٣: ٢٠٧.

٤- (٤) نقله عنه السروى فى مناقبه ٣: ٢٠٧.

و قال ابن أبي الحديد-في موضع آخر-روى جعفر بن زياد عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى قال: كنا نخبر أولادنا بحب علي بن أبي طالب، فمن أحبه عرفنا أنه منا (١).

و روى الكشى فى (رجاله) و الصدوق فى (معانيه و أماليه) عن أبي الزبير المكى قال: رأيت جابرا متوكئا على عصاه و هو يدور فى سلك الأنصار و مجالسهم و هو يقول: على خير البشر فمن أبى فقد كفر، يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي بن أبي طالب، فمن أبى فانظروا فى شأن امه (٢).

و روى (العلل) عن أبي أيوب الأنصارى قال: اعرضوا حب علي عليه السلام على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، و من أبى فاسألوا امه من اين جاءت به، سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول لعلي: لا يحبك الا مؤمن، و لا يبغضك الا منافق، أو ولد زنيه، أو من حملت به امه و هى طامث (٣).

و فى (مروج المسعودى): ذكر عيسى بن أبى دلف ان دلفا أخاه-و كان أبوه يكنى ابا دلف به-كان ينتقص عليا عليه السلام و يضع منه و من شيعته، و ينسبهم إلى الجهل، و انه قال يوما-و هو فى مجلس أبيه و لم يكن أبوه حاضرا-انهم يزعمون انه لا ينتقص عليا أحد الا كان لغير رشده، و أنتم تعلمون غيره الأمير و انه لا يتهيا الطعن على احد من حرمه و انا ابغض عليا، فما كان بأو شك من أن خرج أبوه، فقال: قد سمعت ما قاله دلف، و الحديث لا يكذب و الخبر الوارد فى هذا المعنى لا يختلف، هو و الله لزيه و حيضه، و ذلك

ص: ٤٤١

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٤:١١٠. [١]

٢-٢) كذا جاء فى اختيار معرفه الرجال: ٤٤ ح ٩٣، و أمالى الصدوق: ٧١ ح ٦، مجلس ١٨ [٢] لكن الحديث لم يوجد فى معانى الاخبار بل اخرج الصدوق فى علل الشرائع و [٣] نقله المجلسى فى البحار ٣٩:٣٠٠ ح ١٠٨ [٤] عن معانى الاخبار و الامالى [٥] اشتباها.

٣-٣) علل الشرائع ١:١٤٥ ح ١٢. [٦]

انى كنت عليلا، فبعثت أختى إليّ جاريه لها كنت معجبا بها، فلم اتمالك أن وقعت عليها-و كانت حائضا- فعلقت بدلف، فلما ظهر حملها وهبتها لى.

و بلغ من عداوه دلف هذا لايه و نصبه- لان الغالب على أبيه التشيع- ان شئع عليه بعد وفاته و قال- كما حدث الفرهيانى- رأيت فى المنام آتيا أتانى فقال: أجب الامير، فقامت معه، فأدخلنى دارا وحشه و عره و أصعدنى على درج منها، ثم ادخلنى غرفه فى حيطانها أثر الرماد، و اذا به عريان و اضع راسه بين ركبتيه فقال- كالمستفهم- دلف؟ قلت: دلف (1).

و فى نهج العلامة قال لى والدى: اجترت يوما فى بعض دروب بغداد مع أصحابى فأصابنى عطش، فقلت لبعض أصحابى: أطلب ماء من بعض الدروب، فمضى يطلب الماء، و وقفت أنا و باقى أصحابى ننتظر الماء و صبيان يلعبان احدهما يقول: الامام هو على، و الآخر يقول: أبو بكر. فقلت صدق النبى صلى الله عليه و آله فى قوله «ما يحبك يا على إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا ولد حيضه»، فخرجت المرأه بالماء، فقالت: بالله عليك يا سيدى أسمعنى ما قلت: فقلت:

حديث رويته عن النبى لا حاجه إلى ذكره، فكررت السؤال، فرويته لها، فقالت:

يا سيدى و الله انه لخبر صدق، ان هذين ولدائى، فالذى يحب عليا ولد طهر، و الذى يبغضه حملته فى الحيض، جاء والده إليّ، فكابرنى على نفسى حاله الحيض، فقال منى، فحملت بهذا الذى يبغض عليا.

هذا و كما كان واجبا موالاته عليه السلام كذلك موالاته أوليائه، و روى (أمالى المفيد) عن حنش بن المعتمر فى خبر- انه عليه السلام قال له: من سره أن يعلم أ محب لنا ام مبغض فليمتحن قلبه، فان كان يحب ولينا فليس بمبغض لنا، و ان

ص: ٤٤٢

كان يبغض ولينا فليس بمحب لنا (١).

و في زيارتهم عليهما السلام «انى عدو لمن عاداكم و ولى لمن والاكم» (٢).

٢

الحكمه (١١٧)

و قال عليه السلام:

هَلَكَ فِي رَجُلَانِ مُحِبٌّ غَالٍ وَ مُبْغِضٌ قَالِ الْحَكْمَةَ (٤٦٩) و قال عليه السلام:

يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَ بَاهِتٌ مُفْتَرٍ قَالَ الرَّضِيُّ: و هذا مثل قوله عليه السلام: «هلك في رجلان: محبّ غال و مبغض قال».

أقول: أما الأول فروى أبو الأحوص -و قد نقله ابن أبي الحديد ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغه- ج ٤ ص ١٠٥ في موضع آخر- عن أبي حيان عن عليّ عليه السلام قال: يهلك في رجلان: محبّ غال و مبغض قال (٣).

و أما الثانى فرواه أبو العباس الثقفى -و قد نقله ابن أبي الحديد ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغه- ج ٥ ص ٥ في موضع آخر- عن عليّ بن محمّد النوفلى عن ابيه و مشيخته قالوا: قال عليّ عليه السلام: يهلك في رجلان: محب مطر يضعنى غير موضعى و يمدحنى بما ليس فىّ، و مبغض مفتر يرمينى بما انا منه برىء (٤).

و مصداق ما قاله عليه السلام من وقوع الخلاف فيه ما رواه المدائنى -و قد نقله

ص: ٤٤٣

١- (١) أمالى المفيد: ٣٣٤ ح ٤، مجلس ٣٩.

٢- (٢) رواه ابن طاوس فى ضمن زياره جامعه كما فى مفاتيح الجنان: ١١٩٢. [١]

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠٥: ٤. [٢]

٤- (٤) شرح ابن أبى الحديد ٥: ٥. [٣]

ابن أبي الحديد في موضع آخر - انه عليه السلام خطب فقال: لو كسرت لى الوساده لحكمت بين اهل التوراه بتوراتهم، و بين اهل الانجيل بإنجيلهم، و بين اهل الفرقان بفرقانهم، و ما من آيه فى كتاب الله انزلت فى سهل أو جبل الا و أنا عالم متى أنزلت، و فىمن أنزلت. فقال رجل من القعود تحت منبره: يا لله و للدعوى الكاذبه، و قال آخر إلى جانبه: اشهد انك انت الله رب العالمين. قال: فانظر إلى هذا التناقض و التباين فيه (١).

و به عليه السلام فسر قوله تعالى: «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» (٢).

و روى (العقد) عن الشعبي قال: كان على بن أبى طالب عليه السلام فى هذه الآيه مثل المسيح فى بنى اسرائيل، أحبه قوم فكفروا فى حبه، و ابغضه قوم فكفروا فى بغضه.

قوله عليه السلام فى الأوّل «هلك فى رجلان محب غال» قال ابن أبى الحديد: هنا قال له النبىّ صلّى الله عليه و آله: و الله لو لا انى أشفق ان تقول طوائف من امتى فىك ما قالت النصارى فى ابن مريم لقلت فىك اليوم مقالا لا تمر بأحد من الناس الا أخذوا التراب من تحت قدميك، قال: و مع كون النبىّ صلّى الله عليه و آله لم يقل فى ذلك المقال فقد غلت فيه غلاه كثيره العدد منتشره فى الدنيا يعتقدون فيه ما تعتقد النصارى فى ابن مريم و أشنع من ذلك الاعتقاد (٣).

و قال عند قوله عليه السلام «مصارعهم دون النطفه، و الله لا يفلت منهم عشره، و لا يهلك منكم عشره»: و بمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته، و أحواله

ص: ٤٤٤

[١-١] شرح ابن أبى الحديد ١٣٦: ٦. [١]

[٢-٢] النبأ: ١-٣. [٢]

[٣-٣] شرح ابن أبى الحديد ٢٨٢: ١٨. [٣]

المنافيه لقوى البشر، غلا- فيه من غلا حتى نسب إلى أن الجوهر الالهى حل فى بدنه كما قالت النصارى فى عيسى، وقد أخبره النبى صلى الله عليه وآله بذلك فقال «يهلك فيك محب غال و مبغض قال»- إلى أن قال- و أول من جهر بالغلوفى أيامه عبد الله بن سبأ، قام و هو يخطب فقال له انت انت- و جعل يكررها، فقال له:

ويلك من أنا؟ فقال: أنت الله، فأمر بأخذه و اخذ قوم كانوا على رأيه.

و قال أبو العباس أحمد بن عبيد الله الثقفى: قد كان على عليه السلام عشر على قوم خرجوا من محبته، باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم، و جحدوا ما جاء به نبيهم، و اتخذوه ربا و الها، و قالوا أنت خالقنا و رازقنا، فاستتابهم و توعدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفرا دخن عليهم طمعا فى رجوعهم، فأبوا فحرقوا بالنار و قال:

ألا ترون قد حفرت حفرا انى اذا رأيت امرا منكرا

او قدت نارى و دعوت قبرا

قال: و روى أصحابنا فى كتب المقالات: انه لما حرقهم صاحوا إليه: الآن ظهر لنا ظهورا بينا انك انت الاله، لان ابن عمك الذى أرسلته قال: لا يعدب بالنار إلا رب النار.

و روى أبو العباس عن محمد بن سليمان المصيصى عن النوفلى عن أبيه و باقى مشيخته، أن علينا عليه السلام مرّ بقوم يأكلون فى شهر رمضان نهارا، فقال: اسفر أنتم أم مرضى؟ قالوا: و لا واحده. قال: أ فمن أهل الكتاب أنتم؟ قالوا: لا. قال: فما بال الاكل فى شهر رمضان. قالوا: أنت أنت: لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل عن فرسه، فألصق خده بالتراب، ثم قال: ويلكم انما أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله، و ارجعوا إلى الاسلام، فأبوا، فدعاهم مرارا، فأقاموا على امرهم، فنهض عنهم ثم قال: شدوهم وثاقا، و على بالفعله و النار

و الحطب، فدخل عليهم، و جعل يهتف بهم، و يناشدهم ارجعوا إلى الاسلام، فأبوا، فأمر بالحطب و النار، و ألقى عليهم فاحترقوا، فقال الشاعر:

لترم بي المنيه حيث شئت اذا لم ترم بي في الحفرتين

اذا ما حشتا حطبا بنار فذاك الموت فقدا غير دين

فلم يبرح واقفا عليهم حتى صاروا حطبا. قال أبو العباس: ثم ان جماعه من اصحاب عليّ عليه السّلام منهم عبد الله بن عباس شفّعوا في عبد الله بن سبأ خاصه و قالوا: انه تاب فاعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه الا يقيم بالكوفه. فقال:

اين أذهب؟ فقال: إلى المدائن، فنفاه إلى المدائن، فلما قتل عليه السّلام أظهر مقالته، و صارت له طائفه يتبعونه، و لما بلغه قتل عليّ عليه السّلام قال: و الله لو جئتمونا بدماعه في سبعين صره، لعلمنا انه لم يمت و لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه.

قال اصحاب المقالات: و اجتمع إلى عبد الله بن سبأ بالمدائن جماعه على هذا القول، منهم عبد الله بن صبره الهمداني، و عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، و آخرون غيرهما، و تفاقم أمرهم، و صارت لهم دعوه يدعون إليها، و شبهه يرجعون إليها، و هي ما ظهر و شاع بين الناس من أخباره بالمغيبات حالا- بعد حال، فقالوا: ان ذلك لا يمكن الا لله تعالى، أو من حلت ذات الا له في جسده.

و تعلق بعضهم بشبهه ضعيفه نحو قول عمر- و كان عليّ عليه السّلام قد فقأ عين انسان أُلحد في الحرم- ما اقول في يد الله فقأت عينا في حرم الله، و نحو قول عليّ: و الله ما قلعت باب خير بقوه جسدي بل بقوه الهيه، و نحو قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «لا اله الا الله وحده و صدق وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده»، و العدي هزم الأحزاب هو عليّ، لانه قتل بارعهم و فارسهم

عمرو لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هارين مغلوبين من غير حرب سوى قتل فارسهم-إلخ (١).

و في (بيان الجاحظ): قال جرير بن قيس: قدمت المدائن بعد ما ضرب عليّ عليه السّلام، فلقيني ابن السوداء- وهو ابن حرب- فقال لي: ما الخبر؟ قلت: ضرب عليّ ضربه يموت الرجل من أيسر منها أو يعيش من أشد منها. قال: لو جئتمونا بدماعه في مائه صره لعلمنا انه لا يموت حتى يذودكم بعصاه (٢).

و في الخبر قيل للصادق عليه السّلام: ان رجلا من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض، يقول: ان الله تعالى خلق محمّدا و عليّ، ثم فوض الأمر إليهما، فخلقا و رزقا، و احيا و اماتا. فقال: كذب عدو الله، اقرءوا عليه آيه الرعد: «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» (٣).

و في (التحفة): قال أمير المؤمنين عليه السّلام: اياكم و الغلو فينا، قولوا انا عباد مربوبون و قولوا في فضلنا ما شئتم (٤).

«و مبغض قال» من قلى يقلى، و هنا بمعنى الشديد و أصله البغض.

و من مبغضيه عليه السّلام بنو باهله، ففي (صفين نصر): ان بنى باهله كرهوا أن يخرجوا معه عليه السّلام إلى صفين، فدعاهم، فقال: يا معشر باهله، أشهد الله انكم تبغضوني و أبغضكم، فخذوا عطاءكم و اخرجوا إلى الديلم (٥).

و في (أمالى المفيد) عن الحرث بن حصيره قال: حدثني جماعه من

ص: ٤٤٧

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٤-٧. [١]

٢- ٢) لم اجده فيه.

٣- ٣) رواه الصدوق في الاعتقادات: ٤٠. و الآيه ١٦ [٢] من سوره الرعد.

٤- ٤) تحفة العقول: ١٠٤.

٥- ٥) وقعه صفين: ١١٦. [٣]

أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: ادعوا لي غنيا و باهله و حيا آخر قد سماهم فليأخذوا عطاياهم، فوالذي فلق الحبه و برأ النسمة ما لهم في الاسلام نصيب، و اني شاهد عند الحوض و عند المقام المحمود انهم اعداء لي في الدنيا و الآخرة، و لآخذنّ غنيا أخذه بفرط باهله، و لئن ثبتت قدماي لاردن قبائل و لابهرجنّ ستين قبيله مالها في الاسلام من نصيب.

و عن عبد الرزاق بن قيس قال: كنت جالسا مع عليّ عليه السّلام على باب القصر حتى ألجأته الشمس إلى حائط القصر، فوثب ليدخل فقام رجل من همدان فتعلق بثوبه و قال: حدثني حديثا جامعا ينفعني الله به. فقال عليه السّلام: حدثني خليلي رسول الله صلّى الله عليه و آله اني أرد انا و شيعتي الحوض رواء مرويين، مبيضه و جوههم، و يرد عدونا ظماء مظمئين، مسوده و جوههم، خذها إليك قصيره من طويله، أنت مع من أحببت و لك ما اکتسبت، ارسلني يا أخا همدان، ثم دخل القصر (١).

و من مبغضيه عليه السّلام القالين خطاب الجهني كما مر، و منهم الجعد الهمداني، و في (نوادير ديات الكافي): ان الجعد كان يسبه، فاستأذن أبو الصباح الصادق عليه السّلام لقتله، فقال له: ستكفي بغيرك، فوجد الجعد من يومه ميتا على فراشه كالزق المنفوخ و اذا تحته أسود (٢).

و منهم حريز بن عثمان الرحبي، ففي (أنساب السمعاني): كان يسبه عليه السّلام كل بكره سبعين مره، و كل عشاء سبعين مره.

و قوله عليه السّلام في الثاني «يهلك فيّ رجلان محب مفرط» هكذا في (المصريه)،

ص: ٤٤٨

١- ١) أمالي المفيد: ٣٣٨ و ٣٣٩ ح ٤ و ٤، مجلس ٤٠.

٢- ٢) الكافي ٣٧٤: ٧ ح ١٦. [١]

و الصواب: «مطر» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١)، و كما عرفته من روايه الثقفي (٢) من «أطرى»، و المراد به ما في ذاك الخبر من وصفه بخلاف الواقع من اللوهيه (و باهت) أى: الآتى بالبهتان، و فى الجمهوره: رجل باهت و بهات و مباحه و بهوت (مفتر) الآتى بالافتراء.

و من الباهتين المفترين عليه عليه السّلام عائشه، و ابن اختها عروه بن الزبير، روى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهرى حديثان عن عروه عن عائشه فى علىّ عليه السّلام، فسألته يوما عنهما، فقال: ما تصنع بهما و بحديثهما؟ الله أعلم بهما، انى لا تهماهما فى بنى هاشم. و الحديثان قال عروه قالت عائشه: كنت عند النبىّ صلى الله عليه و آله اذ أقبل العباس و علىّ فقال: يا عائشه ان هذين يموتان على غير ملتى. و قال عروه قالت عائشه: كنت عند النبىّ صلى الله عليه و آله فقال: يا عائشه ان سرّك ان تنظرى إلى رجلين من أهل النار فانظرى إلى هذين قد طلعا- فنظرت فاذا العباس و علىّ- روى هذا الاسكافى فى (نقضه) (٣).

كما أنه كان من بغض المرأه له عليه السّلام أنها لم تستطع أن تذكر اسمه، كما قاله ابن عباس فى حديثها: ان النبىّ صلى الله عليه و آله فى مرضه توجه إلى المسجد متكئا على رجل (٤)، و لما سمعت بيعة الناس له عليه السّلام قالت: ليت السماء أطبقت على الأرض، و ليت الجبال تدكدكت على السهل، و لم تقع بيعة الناس لعلّى (٥)، و لما سمعت بموته عليه السّلام سرت و أنشدت اشعارا شماته حتى لامتها زينب بنت ام

ص: ٤٤٩

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٢٠: ٢٠، و شرح ابن ميثم ٤٦٤: ٤. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٥: ٥.

٣- ٣) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ٤٦٤: ٤.

٤- ٤) اخرجه البخارى فى صحيحه ١: ٤٩ و ١٢٢ و ١٢٦، و ٢: ٩١، و ٣: ٩٢، و ٤: ١٢، و مسلم فى صحيحه ١: ٣١١ و ٣١٢ ح ٩٠-٩٢.

٥- ٥) رواه الطبرى فى تاريخه ٣: ٤٧٧، سنه ٣٦، و [٢] ابن قتيبه فى الامامه و السياسه ٥٢: ١.

سلمه، و مدحت قاتله ابن ملجم، و اعتقت عبدها المسمى باسم قاتله شكرا- روى ذلك الطبرى و المسعودى و الاصبهاني (١).

كما ان عروه كان تأخذه الرعدة عند ذكره عليه السلام و يسبه و يضرب باحدى يديه على الاخرى و يقول: كيف لم يخالف و قد أراق من الدماء ما أراق (٢). و كان يعذر أخاه عبد الله بن الزبير لما حصر بنى هاشم فى الشعب و جمع الحطب لتحريقهم و يقول: أراد ادخالهم فى طاعته كما جمع الحطب لا حراقهم فيما سلف فى السقيفه- ذكره المسعودى و غيره (٣).

و من الباهتين المفترين عليه عليه السلام الزبير بن بكار، كما قال أبو الفرج، فأدخل بنى ناجيه فى قريش لكونهم مبغضين له عليه السلام، و منهم على بن الجهم الشاعر الهاجى له، فرد عليه البحترى:

علام هجوت مجتهدا عليا بما لفقت من كذب و زور

اما لك فى استك الوجعاء شغل يكفك عن أذى أهل القبور

و منهم عمرو بن العاص، فقال: سمعت النبى يقول: ان آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء، انما وليى الله و صالح المؤمنين، و من المضحك أن مسلما و البخارى نقلاه فى صحيحهما (٤). اف لهم و لما يعبدون من دون الله.

و منهم أبو هريره، فقال: ان عليا خطب ابنه أبى جهل فى حياه النبى

ص: ٤٥٠

١- (١) رواه الطبرى فى تاريخه ٤: ١١٥، سنه ٤٠ و أبو الفرج الاصبهاني فى المقاتل: ٢٦ و ٢٧، و ابن سعد فى الطبقات ٣ ق ١: ٢٧، و المفيد فى الجمل: ٨٣، و السبط فى التذكرة: ٦١، لكن لم يوجد فى مروج الذهب و لا اثبات الوصيه للمسعودى.

٢- (٢) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ٤: ٦٩.

٣- (٣) رواه المسعودى فى مروج الذهب ٣: ٧٧، و [١] عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ١٤٧: ٢٠.

٤- (٤) نقله عنهما ابن أبى الحديد فى شرحه ٤: ٦٤، و الحديث فى صحيح مسلم ١: ١٩٧ ح ٣٦٦.

فأسخطه، فخطب على المنبر فقال: لاها الله لا تجتمع ابنة ولي الله و ابنة عدو الله.

ان فاطمه بضعه منى، يؤذيني ما يؤذيها، فان كان على يريد ابنة أبى جهل فليفارق ابنتى و ليفعل ما يريد (١).

قول المصنف: (و هذا مثل قوله عليه السلام هلك) هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «يهلك» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٢)، و منه يظهر ان الصواب: نقله الثانى لكون مستنده بلفظ «يهلك» (٣) فى (رجالنا) و فى (ابن أبى الحديد): (اثنان)، و ليست فى (الخطيه) رأسا، و لكن فى (ابن ميثم) كما نقل و هو الصواب (٤): (محب غال و مبغض قال) كما فى عنوانه الأوّل.

قال ابن أبى الحديد: الهالك فيه عليه السلام المفرط أى: الغلاه و من قال بتكفير أعيان الصحابه، و المفرط أى: من استنقص به أو أبغضه أو حاربه أو أضمر له غلا، و لذا قال أصحابنا انه عليه السلام أفضل الخلق فى الآخره، و أعلاهم منزله فى الجنه، و أفضل الخلق فى الدنيا، و أكثرهم خصائص و مزايا و مناقب، و كل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فانه عدو لله سبحانه و خالد فى النار.

فاما الأفاضل من المهاجرين فلو أنه أنكر إمامتهم لقلنا انهم من الهالكين، لانه قد ثبت ان النبى صلى الله عليه و آله قال له: «حربك حربى، و سلمك سلمى»، و انه قال: «اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه» و قال له: «لا يحبك الا مؤمن، و لا يبغضك الا منافق»، و لكننا رأينا رضى امامتهم، و بايعهم، و صلى خلفهم، و أنكحهم، و أكل من فيئهم، و لما برئ من معاويه برئنا منه.

ص: ٤٥١

١- ١) رواه عن أبى هريره الاسكافى فى النقض عنه شرح ابن أبى الحديد ٤:٦٤، [١] لكن المشهور فى الحديث روايه المسور بن مخرمه و عبيد الله بن أبى رافع و جمع آخر.

٢- ٢) لفظ شرح ابن أبى الحديد ٢٠:٢٢٠، و شرح ابن ميثم ٤:٤٦٤ «هلك».

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٤:١٠٥، و ٥:٥.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٢٠:٢٢٠، و شرح ابن ميثم ٥:٤٦٤.

و الحاصل انا لم نجعل بينه و بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله الا رتبه النبوه، و أعطيناها كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه و بينه، و لم نطعن في أكابر الصحابه المذنين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم، و القول بالترفضيل قول قديم قال به كثير من الصحابه و التابعين، و من الصحابه عمار، و المقداد، و أبو ذر، و جابر بن عبد الله، و ابي بن كعب، و حذيفه، و بريده، و أبو أيوب، و سهل بن حنيف، و عثمان بن حنيف، و أبو الهيثم بن التيهان، و خزيمه بن ثابت، و أبو الطفيل، و العباس و بنوه، و بنو هاشم كافه، و بنو المطلب كافه، و كان الزبير من القائلين به في بدء الأمر ثم رجع، و كان من بنى اميه من يقول بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص، و منهم عمر بن عبد العزيز.

ثم نقل خبر ابن الكلبي فيمن حلف بطلاق امرأته ان عليًا خير هذه الامه و اولاهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و ان اباها اعتقد حرمتها عليه بذلك، فرجع إلى عمر بن عبد العزيز، فحكم عقيليا، فقال: برقسمة فان فاطمه عليها السلام لما اشتت عبا في وعكها— لم يكن وقت العنب— قال النبي: «اللهم ائتنا به مع أفضل امتي عندك منزله»، فطرق علي عليه السلام الباب، و دخل و معه مكتل ألقى عليه طرف ردائه، فقال:

ما هذا؟ فقال: عنب— فقال عمر بن عبد العزيز: لقد سمعت حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و وعيته، يا رجل خذ بيد امرأتك— و اما من قال بتفضيله على الكافه من التابعين، فخلق كثير كأويس القرني، و زيد بن صوحان، و صعصعه، و جندب الخير، و عبيده السلماني، و غيرهم ممن لا يحصى كثره— و لم تكن لفظه الشيعة تعرف في ذلك العصر الا لمن قال بتفضيله، و جميع ما ورد في فضل الشيعة و كونهم موعودين بالجنة فهؤلاء هم دون غيرهم، و لذلك قال أصحابنا المعتزله في تصانيفهم نحن الشيعة حقا (١).

ص: ٤٥٢

قلت: كلامه كل خلط و خبط، فهو عليه السلام انما قال بهلاك محبه الغال القائل بالوهيته، من أين زاد عليه: «من قال بتكفير صحابه تقدموا عليه عليه السلام».

و أما قوله «و لو أنه انكر امامتهم لقلنا انهم من الهالكين» فمن المضحك، فالانكار أحمر أو اخضر، و له قرن أو ذنب، و كيف لم ينكر و قد ملأ انكاراته يوم السقيفه، و يوم الشورى ما بين السماوات و الأرض، و هذا كتابه إلى معاويه فى جواب كتابه: «و قلت انى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى اباع، و لعمر الله لقد أرادت ان تدم فمدحت، و ان تفضح فافتضحت، و ما على المسلم من غضاذه فى أن يكون مظلوما» (١). و ألم يأمر عمر يوم الشورى بقتل من خالف دستوره فى تمهيده انتقال الأمر إلى عثمان، و كيف يعقل تقدم جمع جهال ذوى بدع و مناكير على مثله عليه السلام الذى كان شريكا للنبي صلى الله عليه و آله فى كل كمال و فضيله سوى أصل النبوه، ألم يقل النبي للناس: «من كنت أولى به فعلى أولى به» (٢)، فهل كان ذلك منه لفظ بلا معنى؟ و كلام هذا الرجل هنا نظير كلام عابدى الاصنام ان الله تعالى خالق السماوات و الأرض و ما بينهما، و مع ذلك فالاصنام آلهه مثله و شركاؤه، قال تعالى: «و لئن سألنهم من خلق السماوات و الأرض و سخر الشمس و القمر ليقولن الله فأنى يؤفكون» (٣).

ألم يكف الرجل فى انكاره عليه السلام أمر شيخه اغضاؤه عن حقه يوم الشورى لما طلبوا منه العمل بسنتهما (٤)، و كذلك يوم حدوث الخوارج و بيعه

ص: ٤٥٣

-
- ١- ١) رواه الشريف الرضى فى نهج البلاغه ٣: ٣٣، [١] ضمن كتاب ٢٨.
- ٢- ٢) هذا حديث الغدير المتواتر أخرجه جمع كثير منهم ابن عساكر بطرق عديده فى ترجمه على عليه السلام ٢: ٤-٢. ح ٥٠٣-٥٩٣. [٢].
- ٣- ٣) العنكبوت: ٦١. [٣].
- ٤- ٤) رواه الطبرى فى تاريخه ٣: ٣٠١، سنة ٢٣، و البلاذرى فى أنساب الاشراف ٥: ٢٢، و الجوهري فى السقيفه: ٨٥ و ابن قتيبه فى الامامه و السياسه ١: ٢٦.

أصحابه عليه السّلام له ثانيه (١)، فذلك يكفى اتمام حجه لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

ألم يكفه شكايته عليه السّلام طول أيامه في امره الثلاثه و في إمرته، ألم يكفه شكايات سيده نساء العالمين و تكفيرها لهم صريحا في كلماتها و موتها كمدا مما عاملوها، و دفن أمير المؤمنين لها سرا، و قد كان عليه السّلام يقول: «ظلمت عدد المدر و الوبر» (٢).

و أما قوله «لو أنكر عليهم كما أنكر على معاويه لتبرأنا منهم» فغلط و مغالطه، فالفرق بين يوم السقيفه و يوم معاويه كثير، فيوم معاويه كان كما قال عليه السّلام لو لم يكن أنكر و شهر السيف كان كفرا و اضمحلالا للاسلام (٣)، كما ان يوم السقيفه لو كان خرج لاضمحل أصل الاسلام لحدوث عهدهم بالكفر، و هو عليه السّلام كان كالنبيّ عليه السّلام يتحمل كل مشقه في سبيل الاسلام بعده كما معه، و الثلاثه كانوا لا يبالون أن يبدل الاسلام بالكفر، فاغتنموا عداوه قریش المؤلفه الذين حاربوا النبيّ صلّى الله عليه و آله و كان وترهم على يده عليه السّلام ان ينالوا بها الرئاسه و الامر، و لم يكن لهم أثر في الاسلام الا- الفرار في الغزوات.

و قد روى المدائني- و نقله نفسه في موضع آخر- عن عبد الله بن جناده قال: قدمت من الحجاز أريد العراق في اول اماره عليّ عليه السّلام، فمررت بمكه، فاعتمرت، ثم قدمت المدينه، فدخلت مسجد الرسول صلّى الله عليه و آله اذ نودي الصلاه جامعه، فاجتمع الناس، و خرج عليّ عليه السّلام متقلدا سيفه، فشخصت الأبصار

ص: ٤٥٤

١- ١) رواه الطبري في تاريخه ٤: ٥٦، سنه ٣٧، و ابن قتيبه في الامامه و السياسه ١: ١٤٦.

٢- ٢) رواه الثقفى كما في تلخيص الشافى ٣: ٤٨، و المفيد في الجمل: ٩٢.

٣- ٣) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٥٣، و في ضمن خطبه مشهوره المفيد في أماليه: ١٥٣ ح ٤، المجلس ١٩، و ابن عساكر في ترجمه عليّ عليه السّلام ح ٣: ١٣٠ ١١٥٢.

نحوه، فحمد الله و صلى على رسوله، ثم قال: أما بعد فان الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه و آله قلنا نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه منازع، و لا يطمع في حقنا طامع، اذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الأمره لغيرنا، و صرنا سوقه يطمع فينا الضعيف، و يتعزز علينا الذليل، فبكت الاعين منا لذلك، و خشنت الصدور، و جزعت النفوس، و ايم الله لو لا- مخافه الفرقه بين المسلمين، و ان يعود الكفر، و يبور الدين، لكننا على ما كنا لهم- إلخ (١). و مثله كتاب الحسن إلى معاويه (٢).

ثم عدّه شيعة كعمار، و المقداد، و حذيفه، و أبي ذر، و غيرهم من القائلين بأفضليته فقط كما يقول هو مغالطه، فانكاراتهم يوم الشورى و يوم السقيفه مذكوره في السير كعده العباس، و خالد بن سعيد الاموى، فالعباس انما أتاه أبو بكر و عمر باشاره المغيره على أن يجعلوا له في الأمر نصيبا، و يجعلاه شريكا في سلطنتهم، لئلا يساعد أمير المؤمنين عليه السلام، فردهم بما هو مذکور في السير (٣). و خالد ممن أنكر بيعه أبي بكر حتى اضطغن عمر عليه ذلك، فممنع ابا بكر من توليته لما احتاج إليه أبو بكر لاماره جند بعد استقرار الأمر له لذلك (٤).

كما أن قوله بأنه عليه السلام صلى خلفهم و انكحهم و اكل من فيئهم، فرضى بامامتهم غلط، فالتقيه تجوز اظهار الكفر، مع ان صلاته عليه السلام خلفهم كانت لا عن اقتداء، فقالت عترته عليه السلام انه بعد صلاه جمعته خلفهم كان يضيف إليها

ص: ٤٥٥

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٣٠٧: ١. [١]

٢-٢ (٢) رواه أبو الفرج في المقاتل: ٣٥. [٢]

٣-٣ (٣) رواه الجوهري في السقيفه: ٤٧، و [٣] ابن قتيبه في الامامه و السياسه ١: ١٥. [٤]

٤-٤ (٤) رواه الجوهري في السقيفه: ٥٣.

ركعتين (١)، و أما انكاحهم فكان الرجل ذا سلطان فأجبره كما لا يخفى على من راجع سيرهم، وكفاهم بذلك طعنا و شناعه، و قد قالت عترته عليه السّلام ان الرجل قال للعباس: أى عيب فى حتى لا ينكحنى ابن اخيک؟ فلو لم يقبل لا ضعن شهودا على سرقة فأقطع يده (٢).

و فى كتاب معاويه إلى محمّد بن أبى بكر «فهّمّا به الهموم و أرادا به العظيم» (٣).

و أما أكله من فيئهم فانما كان لأن حكم الله - كما بينه عترته عليهم السّلام - ان الجهاد اذا لم يكن من قبل الامام فكل ما غنموه له عليه السّلام (٤)، و الكتاب و السنه يحكمان بثبوت الخمس له، فمنعوه الخمس كما أخذوا فدك منه غصبا و أجروه فى الخمس كرجل منهم، فلم لا يأخذ جزءا من جزء من حقه.

و أما قوله «و لم تكن مقاله الاماميه و من نحا نحوها من الطاعنين فى امامه السلف مشهوره» ففيه انه اذا كان مثل أمير المؤمنين عليه السّلام أيام سلطنته يتقى من الشكايه منهما حتى تقلد سيفه لما أراد أن يخطب تلك الخطبه فى أول أمره (٥)، و كذلك بعد فتح مصر لما سأله عن رأيه فى الثلاثه و أراد بيان حقيقه أمرهم كتب عليه السّلام مقالته، و أمر جعده بن هبيرة أن يقرأها، و عين عشره من ثقاته مع السيوف ان ثار أحد (٦)، و كذلك ابنه الحسن عليه السّلام فى أيام امارته قبل

ص: ٤٥٦

-
- ١- ١) رواه الكلينى فى الكافى ٣: ٣٧٤ ح ٦.
 - ٢- ٢) رواه الكلينى فى الكافى ٤: ٣٤٦ ح ٢، و [١] أحمد بن محمّد بن عيسى فى النوادر: ١٢٩ ح ٣٣٢.
 - ٣- ٣) رواه ابن مزاحم فى وقعه صفين: ١٢٠، و [٢] المسعودى فى مروج الذهب ٣: ١٢، و [٣] البلاذرى فى أنساب الاشراف ٢: ٣٩٦.
 - [٤]
 - ٤- ٤) أخرجه الطوسى فى التهذيب ٤: ١٣٥ ح ١٢.
 - ٥- ٥) النظر إلى الخطبه التى رواها المدائنى عن عبد الله بن جناده و مر نقلها آنفا.
 - ٦- ٦) رواه عن رسائل الكلينى ابن طاوس فى كشف المحججه: ١٧٤.

تفويض الأمر إلى معاويه، مع كونه سيد شباب أهل الجنة، و من أهل بيت العصمه و الطهاره، و ممن باهل به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و عدَّ في القرآن ابن النبي، لما كتب إلى معاويه التشكى منهما كتب إليه معاويه يرميه بالخروج عن الدين، ففي مقاتل أبي الفرج انه عليه السلام لما كتب إلى معاويه «ان قريشا استولوا بالاجتماع على ظلمنا و مراغمتنا و العنت منهم لنا، فالموعد الله و هو الولي النصير، و قد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا و سلطان نبينا و ان كانوا ذوى فضيله و سابقه في الاسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافه على الدين أن يجد المنافقون و الأحزاب بذلك مغمزا يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساد» كتب إليه معاويه: «رأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق، و عمر الفاروق، و أبي عبيده الامين، و حوارى النبي، و صلحاء المهاجرين و الأنصار، فكرهت ذلك لك، فانك امرؤ عندنا و عند الناس غير ظنين و لا المسيء و لا اللثيم، و انا أحب لك القول السديد، و الذكر الجميل» - إلخ (١). كيف يجترئ شيعة على اظهار طعن فيهما، فكان اولئك الاحزاب لما أرادوا أكل الدنيا بواسطتهما يقتلون من سمعوا منه أدنى غمز فيهما، ألم يقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لأنه عبّر عن أبي بكر في مكالمته معه بصاحبك و لم يقل خليفه رسول الله.

و من أين انهم لم يطعنوا فيهم سرا، فروى أحمد بن أبي طاهر في أول بلاغات نسائه أن عائشه بلغها ان ناسا نالوا من أبيها، فبعثت إلى جماعه منهم، فعذلت و قرعت ثم قالت: أبي ما أبي - إلخ.

و في (تاريخ الطبري): ان الأشراف لما أرادوا خلع المختار قال شبت - في جمله ما طعن عليه - و أظهر هو و سبائته البراءه

ص: ٤٥٧

ثم ما يفعل في ذى نوريه، فكان يكفره أبو ذر، وعمار، و ابن مسعود، و حجر ابن عدى، و عمرو بن الحمق، و مالك الأشر، و محمّد بن أبى بكر، و محمّد بن أبى حذيفه، بل الشيعة و غيرهم أبا حوادمه، و لم يجيزوا دفنه، فالمسلمون ذلك اليوم جمهورهم إذ كانوا يقولون: أبو بكر، و عمر، و على، و الامويه يقولون: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و انما حمل عثمان على جمهور المسلمين معاويه و عبد الملك بالسيف، فكانوا يقولون به تقيه، فكيف جعله هو و اصحابه من أفاضل المهاجرين، و من الخلفاء الراشدين، و دانوا الله بولايته.

و روى المفيد في (أماله) عن الأصبغ قال: دخل الحارث الهمداني في نفر من الشيعة على أمير المؤمنين عليه السلام و كنت فيهم، فجعل الحارث يتأود في مشيته و يخبط الأرض بمحجنه - و كان مريضاً - فأقبل عليه السلام عليه و كانت له منه منزله، فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر منى، و زادنى أوارا و غليلاً - اختصام أصحابك ببابك. قال: و فيم خصومتهم؟ قال: فيك و في الثلاثة قبلك، فمن مفرط منهم غال، و مفرط قال، و متردد مراتب لا يدري أ يقدم أم يحجم. فقال عليه السلام: حسبك يا أخا همدان، الا - أن خير شيعتى النمط الأوسط، فإليهم يرجع الغالى، و بهم يلحق التالى. فقال له الحارث: لو كشفت فداك أبى و أمى - الرين عن قلوبنا، و جعلتنا في ذلك على بصيره من أمرنا. فقال: فانك امرؤ ملبوس عليك، ان دين الله لا يعرف بالرجال بل بآيه الحق، فاعرف الحق تعرف أهله، يا حارث ان الحق أحسن الحديث، و الصادع به مجاهد، و بالحق أخبرك، فارعنى سمعك، ثم خبر به من كان له حصافه من أصحابك، ألا انى عبد الله و اخو رسوله و صديقه الأول صدقته و آدم بين الروح و الجسد، ثم انى

صديقه الأول في امتكم، فنحن الأولون و نحن الآخرون، و نحن يا حارث خاصته و خالسته، و أنا صنوه و وصيه و وليه و صاحب نجواه و سرّه، اوتيت فهم الكتاب و فصل الخطاب، و علم القرون و الأسباب، و استودعت ألف مفتاح كل مفتاح يفتح ألف باب و يفضى كل باب إلى ألف ألف عهد، و آيدت و مددت بليله القدر نفلا، و ان ذلك يجرى لى و لمن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل و النهار حتى يرث الله الأرض و من عليها، و ابشرك يا حارث لتعرفنى عند الممات و عند الصراط و عند الحوض و عند المقاسمه. قال: و ما المقاسمه؟ قال: مقاسمه النار أقاسمها قسمه صحيحه، أقول: هذا و لى فاتركيه و هذا عدوى فخذيه.

ثم أخذ عليه السلام بيد الحارث و قال: أخذت بيدك كما أخذ النبي صلى الله عليه و آله بيدى و قال لى - و قد شكوت إليه حسد قريش و المنافقين لى - انه إذا كان يوم القيامة أخذت بجبل الله و بحجزته - يعنى عصمته من ذى العرش تعالى - و أخذت أنت يا على بحجزتى، و أخذ ذريتك بحجزتك و أخذ شيعتكم بحجزتكم، فما ذا يصنع الله بنبيه و ما يصنع بوصيه، خذها إليك يا حارث قصيره من طويله انت مع من أحببت و لك ما اكتسبت - يقولها ثلاثا - فقام الحارث يجر رداءه و هو يقول: ما أبالى بعدها متى لقيت الموت أو لقينى. قال جميل بن صالح:

و أنشدنى السيد الحميرى فيما تضمنه هذا الخبر:

قول على لحارث عجب كم ثم اعجوبه له حملا

يا حار همدان من يمت يرنى من مؤمن او منافق قبلا

يعرفنى طرفه و اعرفه بنعته و اسمه و ما عملا

و أنت عند الصراط تعرفنى فلا تخف عثره و لا زللا

اسقيك من بارد على ظمأ تخاله فى الحلاوه العسلا

أقول للنار حين توقف لك عرض دعيه لا تقربى الرجال

دعيه لا تقربيه ان له جبلا بحبل الوصي متصلا (١)

و بالجمله ان أخواننا كما قال عليه السلام يعرفون الحق بالرجال، فلما رأوا الرجلين صاروا سلطانيين و لهما اسم فى التاريخ استبعدوا كونهما على الباطل، و الا فبعد كونه عليه السلام كنفس النبي صلى الله عليه و آله بنص القرآن و كونه شريكا للنبي فى جميع الفضائل سوى النبوه، لا يعقل أن يكون من تقدم عليه على الحق، لا سيما مع ترتب تلك المفاسد على تصديهما للأمر، و لو قيل بصحة تقدمهما عليه عليه السلام مع ذلك فليقل بجواز تقدمهما على النبي صلى الله عليه و آله، و من الواضح ان نصبهما و نصب الثالث كان دينا من قريش أعداء النبي اخترعوه لا صلاح دنياهم.

و قد أقر بذلك فاروقهم فى مكالمته مع ابن عباس، ففى تاريخ الطبرى أن عمر قال لابن عباس: أ تدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ كرهوا أن يجمعوا لكم النبوه و الخلافه، فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا، فاخترت قريش لانفسها، فأصابت و وفقت، فقال له ابن عباس: لو أن قريشا اخترت لانفسها حيث اختار الله لها لكان الصواب: بيدها غير مردود، و أما كراحتهم لان تكون فينا النبوه و الخلافه فقد قال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» (٢).

و فى (تاريخ الطبرى) أيضا: ان عمارا قال يوم الشورى: ان الله تعالى اكرمنا بنبيه، و اعزنا بدينه، فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيته. فقال رجل من بنى مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سميّه،

ص: ٤٦٠

١-١) أمالى المفيد: ٣ ح ٣، مجلس أو النقل بتصرف يسير.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٣: ٢٨٩، سنه ٢٣. و [١] الآية ٩ من سوره محمد. [٢]

و ما أنت و تأمير قريش لانفسها (١).

ثم لاغرو من بنى اميه و باقى أعدائه و مبغضيه عليه السّلام أن يسمعو شيعته الذين على النمط الاوسط غلاه و سبائيه تابعى ابن سبأ الغالى تهجينا لهم عند عامتهم، فكتب زياد لما أراد قتل حجر و أصحابه إلى معاويه: ان طواغيت من هذه الترابيه السبائيه رأسهم حجر- إلخ (٢).

و كذلك كان مصعب بن الزبير أيام اماره أخيه يعبر عنهم بالسبائيه، و كذلك أبو حمزه الخارجى كان يعبر عن الشيعة بالسبائيه، انما العجب من المدعين للعلم منهم و المعرفة الذين يدعون حبه كابن قتيبه، و ابن عبد ربه، و كثير من مصنفيهم يذكرون فى عنوان الشيعة مذاهب الغلاه يموهون بذلك على الناس كون الشيعة عباره عن الغلاه، و من بغضهم له عليه السّلام جعلوا أباه كافرا مع تواتر الأخبار عنه باقراره بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله غير مره.

و لا- لوم عليهم فكلهم من مبغضيه عليه السّلام، لانه لازم قولهم بامامه الثلاثه، فلا يمكن أن يكون عدو صديقك صديقك، و مباينته مع صديقهم و فاروقهم معلوم، و لذلك كانوا يسألونه مره بعد مره عنهم كما فى خبر الحرث المتقدم، و خبر آخر رواه خلفاء ابن قتيبه و غارات الثقفى و رسائل الكلينى (٣).

هذا و الخلفاء الامويين كلهم كانوا مظهرين بغضهم له عليه السّلام سوى عمر بن عبد العزيز، و روى (الأغانى) عن يزيد بن عيسى بن مورك قال: دخلت على عمر ابن عبد العزيز زمن ولى و كان بخناصره، فقال لى: من أنت؟ قلت: مولى علىّ. فقال: و أنا و الله مولى علىّ، أشهد على عدد ممن أدركوا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله

ص: ٤٦١

١- (١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٩٧، سنه ٢٣. [١]

٢- (٢) رواه الطبرى فى تاريخه ٤: ٢٠٢، سنه ٥١. [٢]

٣- (٣) الامامه و السياسه ١: ١٤٥، و الغارات ١: ٣٠٢، و [٣] نقلا عن رسائل الكلينى كشف المحججه: ١٧٤.

يقولون ان النبي قال: من كنت مولاه فعلى مولاه.

و العباسيون يظهرون التولية له عليه السلام سوى المتوكل، فكان أبغض له من الامويه، فروى الخطيب أن نصر بن علي الجهضمي لما روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال «من أحبني وأحب هذين - وكان قد أخذ بيد الحسن والحسين - وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» أمر المتوكل بضربه ألف سوط.

و روى ان البحترى الشاعر كان يكتي أبا عباده و أبا الحسن، فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عباده .

ص: ٤٤٢

الفصل الحادى و العشرون: فى شجاعته عليه السّلام و مهابته و مناعته

اشاره

ص: ٤٦٣

من الكتاب (٤٥)

وَ كَأَنى بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ- إِذَا كَانَ هَذَا قُوتٌ؟ ابْنِ أبى طَالِبٍ؟- فَصَدَّ قَعِيدٌ بِهِ الضَّعْفُ عَن قِتَالِ الأَقْرَانِ- وَ مُنَازَلِهِ الشُّجْعَانِ- أَلَا وَ إِنَّ الشَّجَرَةَ البَرِّيَّةَ أَضْيَلُّ عُدَاً- وَ الرِّوَاتِيعَ الخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُوداً- وَ النَّبَاتَاتِ البِيدَوِيَّةَ أَقْوَى وَ قُوداً وَ أَبْطَأَ خُمُوداً- وَ أَنَا مِنْ؟ رَسُولِ اللَّهِ؟ كَمَا الصُّنُوفِ مِنَ الصُّنُوفِ- وَ الدَّرَاعِ مِنَ العُضْمِ- وَ اللَّهُ لَوْ تَطَاهَرَتِ العَرَبُ عَلَى قِتَالِى لَمَا وَ لَيْتَ عَنْهَا- وَ لَوْ أَمَكَّنَتِ الفُرُصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعَتْ إِلَيْهَا- وَ سَأَجْهَدُ فى أَنْ أُطَهَّرَ المَارِضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ المَعْكُوسِ- وَ الجِسْمِ المَرْكُوسِ- حَتَّى تَخْرُجَ المِدرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الحَصَةِ يَدِ «و كَأنى بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا» أى: القرصين «قوت ابن أبى طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران» جمع القران بالكسر، و هو القرين فى الحرب

ص: ٤٤٥

«و منازله» أى: محاربه «الشجعان» فلا بد ان قوته أكثر، لأن قوته معلومه لا ينكرها أحد.

و فى (تاريخ الطبرى): عن أبى رافع مولى النبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خَيْبَرَ حِينَ بَعَثَ النَّبِيُّ بِرَأْيَتِهِ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْحَصَنِ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ، فَقَاتَلَهُمْ، فَضْرِبَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَطَرَحَ تَرَسَهُ مِنْ يَدِهِ، فَتَنَاوَلَ بَابَا كَانَ عِنْدَ الْحَصَنِ، فَتَرَسَ بِهِ عَنِ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ وَهُوَ يُقَاتِلُ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ حِينَ فَرَّغَ - فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي نَفَرِ سَبْعَةٍ أَنَا ثَامِنُهُمْ نَجْهَدُ عَلَى أَنْ نَقْلِبَ ذَلِكَ الْبَابَ، فَمَا نَقَلَبَهُ.

و عن بريده الأسمى قال: خرج مرحب صاحب الحصن و عليه مغفر معصفر يمان و حجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه و هو يرتجز، فاختلفا ضربتين، فبدره على عليه السلام، فضربه، فقدّ الحجر و المغفر و رأسه حتى وقع فى الاضراس و اخذ المدينة (1).

و كما أن ذاك القوت و تلك القوه متضادان لا يجتمعان فى غيره عليه السلام، كذلك زهده الذى طلق الدنيا ثلاثا، و قتله لجمع لا يحصى فى غزوات النبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ فِي الْجَمَلِ وَ صَفِينِ وَ النُّهْرَوَانَ مِمَّا لَا يَجْتَمِعَانِ فِي غَيْرِهِ.

قال المصنف فى أول كتابه: و من عجائبه التى انفرد بها و أمن المشاركه فيها ان كلامه عليه السلام الوارد فى الزهد و المواعظ و التذكير و الزواجر إذا تأمله المتأمل و فكر فيه المتفكر و خلع من قلبه أنه كلام من مثله ممّن عظم قدره و نفذ أمره و احاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك فى انه كلام من لا حفظ له فى الزهاده و لا شغل له بغير العباده، قد قبع فى كسر بيت أو انقطع فى سفح جبل لا يسمع إلا حسه و لا يرى إلا نفسه، و لا يكاد يوقن بأنه كلام من

ص: ٤٦٦

ينغمس في الحرب مصلنا سيفه فيقطع الرقاب و يجدل الابطال و يعود به ينطف دما و يقطر مهجا، و هو مع تلك الحال زاهد الزهاد و بدل الابدال، و هذه من فضائله العجيبه و خصائصه اللطيفه التي جمع بها بين الاضداد و ألف بين الاشتات (١).

«ألا و ان الشجره البريه أصلب عودا و الرواتع» هكذا في (المصريه)، و لكن في (ابن أبي الحديد و الخطيه) (٢) (الرواتع) فلا بد أنه من «ارتع الغيث» أي: أنبت ما ترتع فيه الابل «الخضره أرق جلودا» شبه عليه السّلام نفسه بالشجره البريه التي لا تسقى إلا برطوبه باطن الأرض و غيره بالرواتع الخضره من كثره سقيها بالماء، و حينئذ إذا كان مثله مثل الشجره البريه يمكن الجمع فيه بين ذاك القوت و تلك القوه، و انما يتضادان في غيره الذين كالرواتع الخضره، و قال علماء البيان: قد يكون التشبيه لبيان امكان المشبه، قال الشاعر:

فان تفق الانام و انت منهم فان المسك بعض دم الغزال

«و النباتات البدويه» هكذا في (المصريه) و لكن في (ابن ميثم و ابن أبي الحديد و الخطيه) (٣) «و النباتات العذيه» بالفتح فالكسر من العذى بالكسر فالسكون الزرع الذي لا يسقيه الاماء المطر «أقوى و قودا و أبطأ خمودا» تشبيه آخر لنفسه و للناس لتقريب امكان اجتماع قوته و قوّته «و أنا من رسول الله صلّى الله عليه و آله كالصنو من الصنو» قال الجوهري: إذا خرجت نخلتان و ثلاث من أصل واحد فكل واحده منها صنو و الاثنان صنوان، و الجمع صنوان برفع النون، و قال أبو زيد ركيّتان صنوان اذا تقاربتا و نبعتا من عين واحده.

ص: ٤٦٧

١-١ (١) نهج البلاغه ١:١٢. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦:٢٨٩. [٢]

٣-٣ (٣) كذا في شرح ابن ميثم ٥:١١٢، [٣] لكن في شرح ابن أبي الحديد ١٦:٢٨٩ «[٤] النباتات العذيه».

قال النجاشي شاعر العراق في صفين في رد كعب بن جعيل شاعر الشام:

فقل للمضلل من وائل و من جعل الغث يوما سمينا

جعلتم عليا و اشياعه نظير ابن هند الا تستحونا

إلى اول الناس بعد الرسول و صنو الرسول من العالمينا

هذا و قال البحترى في يوسف بن محمّد:

نسب بيننا يؤكّد منه أدب و الأديب صنو الأديب

و ما نقلناه «كالصنو من الصنو» في (المصريه و الخطيه)، و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): (كالضوء من الضوء) (١).

و روى عن الصادق عليه السّلام قال: ان الله كان إذ لا كان، فخلق الكان و المكان، و خلق نور الأنوار الّذى نورّت منه الانوار، و أجرى فيه من نوره الّذى نورّت منه الانوار، و هو النور الّذى خلق منه محمّد و عليّ، فلم يزالا - نورين أولين، إذ لا - شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الاصلاب الطاهره، حتى افترقا في اطهر طاهرين في عبد الله و أبي طالب (٢).

و روى الكنجي الشافعي مسندا عن سلمان عن النبيّ صلّى الله عليه و آله قال: كنت أنا و عليّ نوراً بين يدي الله مطيعاً يسبح ذلك النور و يقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعه عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه، فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء أنا و جزء عليّ.

و عن أبي عقاب قال للنبيّ صلّى الله عليه و آله في خبر فأيهم أحب إليك؟ قال: عليّ بن أبي طالب. فقال: و لم؟ فقال: لأنه خلقت أنا و عليّ من نور واحد.

ص: ٤٦٨

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٦:٢٨٩، و [١] شرح ابن ميثم ٤:١١٢.

٢-٢) أخرجه الكليني في الكافي ١:٤٤١ ح ٩. [٢]

و عن معجم الطبراني مسندا عن أبي أمامه الباهلي قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ان الله خلق الانبياء من أشجار شتى، و خلقني و عليًا من شجره واحده، فأنا اصلها، و علي فرعها، و فاطمه لقاحها، و الحسن و الحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا و من زاغ عنها هوى -الخبر (١).

و في كتاب سبط ابن الجوزي: ذكر أهل السير إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعث أبا بكر يحج بالناس سنه تسع و أعطاه أربعين آيه من صدر سوره براءه ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا النبي عليًا و قال له: أخرج بهذه الآيات، فأدرك أبا بكر بذي الحليفه فأخذ منه الآيات، فرجع أبو بكر إلى النبي و قال: بأبي أنت و أمي هل نزل في شيء؟ فقال: لا و لكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى.

و في (فضائل أحمد بن حنبل) قال لأبي بكر: ان جبرئيل جاءني فقال:

ابعث عليًا -الخبر (٢).

و عن كتاب محدث الشام باسناده عن جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في خبر -يا علي خلقنا أنا و أنت من شجره انا أصلها، و أنت فرعها، و الحسن و الحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن منها دخل الجنة يا علي لو أن امتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، و صلوا حتى يكونوا كالأوتار، ثم أبغضوك لأكبهم الله في النار (٣).

و في خطبه له عليه السلام -و قد نقلها ابن أبي الحديد في موضع آخر -و اني من أحمد بمنزله الضوء من الضوء، كنا ظلالا تحت العرش قبل خلق البشر، و قبل خلق الطينه التي كان منها البشر، أشباحا عاليه، لا أجساما ناميه. ان أمرنا

ص: ٤٦٩

١-١ (١) كفايه الطالب: ٣١٥-٣١٧. [١]

٢-٢ (٢) تذكره الخواص: ٣٧. [٢]

٣-٣ (٣) أخرج الحديث الحافظ ابن عساكر محدث الشام في ترجمه علي عليه السلام ١: ١٥٠ ح ١٨٤، و نقله عنه الكنجي في كفايه الطالب: ٣١٧. [٣]

صعب مستصعب، لا- يعرف كنهه الا- ثلاثة: ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان، فاذا انكشف لكم سر، أو وضح لكم أمر فاقبلوه، و الا فاسكتوا تسلموا، و ردوا علمه إلى الله، فانكم في أوسع مما بين السماء و الأرض (١).

و روى ابن بابويه في (معانيه و علله) مسندا عن محمد بن حرب الهلالي قلت لجعفر بن محمد: في نفسى مسأله أريد أن أسألك عنها. فقال: ان شئت أخبرتك بمسألتك قبل ان تسألنى. فقلت له: يا ابن رسول الله و بأى شىء تعرف ما فى نفسى قبل سؤالى؟ فقال: بالتوسم و التفرس، أما سمعت قول الله عز و جل: «إِنَّ فِي ذَلِكْ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ» (٢) و قول النبى: «اتقوا فراسه المؤمن فانه ينظر بنور الله». فقلت: فأخبرنى. فقال: أردت ان تسألنى عن النبى صلى الله عليه و آله لم يطلق حملة على عند حط الاصنام من سطح الكعبه مع قوته و شدته و مع ما ظهر منه فى قلع باب خيبر و الرمى به إلى ورائه أربعين ذراعا و كان لا يطبق حملة أربعون رجلا، و قد كان النبى يركب الناقه و الفرس و الحمار و ركب البراق ليله المعراج و كل ذلك دون على فى القوه و الشده. فقلت له: عن هذا و الله أردت أن أسألك فأخبرنى. قال: ان علينا قال: لما علوت ظهر النبى شرفت و ارتفعت حتى لو شئت أن انال السماء لئناتها أما علمت ان المصباح هو الذى يهتدى به فى الظلمه و انبعث فرعه من أصله، و قد قال على عليه السلام: أنا من أحمد كالضوء من الضوء، أما علمت أن محمد و عليا صلوات الله عليهما كانا نورا بين يدي الله تعالى قبل خلق الخلق بألفى عام، و ان الملائكه لما رأت ذلك النور رأت له أصلا قد تشعب منه شعاع لامع، فقالت: الهنا من هذا النور؟ فأوحى

ص: ٤٧٠

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٠٥: ١٣. [١]

٢- ٢) الحجر: ٧٥. [٢]

إليهم: هذا نور من نوري أصله نبوه و فرعه امامه، أما النبوه فلمحمد عبدي و رسولي و أما الامامه فلعلّي حجتي و وليي، و لولاهما ما خلقت خلقي. أما علمت أن النبي صَلَّى الله عليه و آله رفع يد عليّ بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض ابطيهما فجعل ولي المسلمين و امامهم، و قد احتمل الحسن و الحسين يوم حظيره بنى النجار، فلما قال له بعض أصحابه: ناولني أحدهما، قال: نعم الراكبان هما و أبوهما خير منهما، و ان النبي صَلَّى الله عليه و آله كان يصلي بأصحابه فأطال سجده من سجداته، فلما سلم قيل له لقد أطلت هذه السجده، فقال: ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعاجله حتى ينزل، و انما اراد بذلك رفعهم و تشریفهم، فالنبيّ إمام نبيّ و عليّ إمام ليس بنبيّ و لا رسول فهو غير مطبق لأثقال النبوه.

فقلت له: زدني يا ابن رسول الله. فقال: ان النبي صَلَّى الله عليه و آله حمل عليّا عليه السّلام على ظهره يريد بذلك انه أبو ولده و امام الائمة من صلبه، كما حول ردائه في صلاه الاستسقاء و أراد أن يعلم أصحابه بذلك أنه قد تحول الجذب خصبا.

فقلت: زدني. فقال: احتمل النبي صَلَّى الله عليه و آله عليّا يريد أن يعلم قومه أنه هو الذي يخفف عن ظهر النبي ما عليه من الدين و العداة و الابداء عنه من بعده، و احتمله ليعلم بذلك أنه قد احتمله، و ما حمل إلا لأنه معصوم لا يحمل وزرا فتكون أفعاله عند الناس حكمه و صوابا، و قد قال النبي لعليّ عليه السّلام: ان الله تعالى حمّلني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي، و ذلك قوله تعالى «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ» - الخبر (١).

و في (العقد): كتبت ام سلمه إلى معاوية: انكم تلعنون الله و رسوله على منابركم، و ذلك انكم تلعنون عليّا و من أحبه، و أنا اشهد أن الله أحبه و رسوله.

و روى (الإرشاد) عن أبي مخنف: ان الناس سألوه عما يصنع بقاتله؟

ص: ٤٧١

فقال: اصنعوا به كما يصنع بقاتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، اقتلوه ثم حرقوه بعد ذلك بالنار، فأحرقت جثته أم الهيثم النخعيه (١).

و روى سبط ابن الجوزى عن سنن الترمذى عن عمران بن الحصين قال: بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جيشا و استعمل عليهم عليًا عليه السَّلام، فمضى فى السريه، فأصاب جاريه من السبى، فتعاقد أربعة منهم إذا قدموا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أخبروه، فلما قدموا قام الأول فقال: ألا ترى إلى عليّ فعل كذا و كذا، فأعرض عنه، ثم قام الثانى فقال كذلك فأعرض عنه، و قام الثالث و الرابع فقالا- كذلك فأعرض عنهما، ثم أقبل عليهما- و الغضب يعرف فى وجهه- و قال: ما تريدون من عليّ- قالها ثلاثا- عليّ منى و أنا منه.

و عن (فضائل أحمد بن حنبل) عن عمرو بن شاس: خرجت مع عليّ عليه السَّلام إلى اليمن فجفانى جفوه، فلما قدمت المدينة أظهرت شكايته، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فدخلت يوما المسجد، فجعل يحد إلى النظر ثم قال: أما و الله لقد آذيتنى. فقلت: أعود بالله من ذلك. فقال: أما علمت أن من آذى عليًا فقد آذانى.

و عنه قال: لما قصد صاحب لواء المشركين يوم احد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فداه عليّ عليه السَّلام بنفسه و حمل على صاحب اللواء فقتله، فنزل جبرئيل فقال: يا محمّد ان هذه لهى المواساه. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ منى و أنا منه. فقال جبرئيل: و انا منكما- و رواه الطبرى.

و عن (فضائل ابن حنبل) أيضا باسناده عن السلوى- و كان قد شهد حجه الوداع- قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول فى ذلك اليوم: عليّ منى و أنا منه، و لا يقضى دينى سواه.

ص: ٤٧٢

و عنه أيضا باسناده عن أنس قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله لينتهين بنو وليعه أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسى يمضى فيهم امرى يقتل المقاتله و يسبى الذريه.

قال أبو ذر: فما راعنى الابرذ كف عمر خلفى قائلا: من تراه يعنى؟ فقلت: ما يعينك و انما يعنى خاصف النعل يعنى عليا عليه السّلام (١).

و فى (الاسد): عن عبد الرحمن بن بشير قال: كنا جلوسا عند النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله إذ قال: ليضربنكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله. فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو؟ قال: لا و لكن خاصف النعل - و كان على يخصف نعل النبي (٢).

و عن (فضائل ابن حنبل) عن زيد بن أرقم: كان لنفر من الصحابه أبواب شاعره فى المسجد، فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله سدوا هذه الابواب الا باب عليّ، فتكلم الناس فى ذلك فقال: ما سددت شيئا و لا فتحتة، و لكنى امرت بشيء فاتبعته.

و عن سنن الترمذى باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله لعليّ: لا يحل لأحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى و غيرك.

و عن (فضائل أحمد بن حنبل) عن عمر سمع رجلا يذكر عليا عليه السّلام بشراً فقال: ويلك تعرف من فى هذا القبر - و اشار إلى قبر النبي - إذا آذيت عليا فقد آذيتة.

و عن ابن عباس قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله فى خطبه خطبها فى حجه الوداع:

لأقتلن العمالقه فى كتيبه، فقال له جبرئيل: أو عليّ بن أبى طالب. فقال: أو عليّ بن أبى طالب (٣).

ص: ٤٧٣

-
- ١- ١) كذا جاء فى تذكره الخواص: ٣٦ و ٣٨ و ٣٩ و [١] ٤٣، و ما رواه عن الترمذى فى سننه ٥: ٦٣٢ ح ٣٧١٢.
- ٢- ٢) أخرجه عن عبد الرحمن بن بشير ابن الأثير فى اسد الغابه ٣: ٢٨٢، و [٢] ابن عساكر فى ترجمه عليّ عليه السّلام ٣: ١٧١ ح ١١٩١، و [٣] الباوردى و ابن مسنده عنهما الاصابه ٢: ٣٩٢. [٤]
- ٣- ٣) كذا جاء فى تذكره الخواص: ٤١ و ٤٢ و ٤٤ و [٥] ٤٩، و ما رواه عن الترمذى فى سننه ٥: ٦٣٩ ح ٣٧٢٧.

و لعلّي بن محمّد العلوي الحمانى كما روى المرتضى فى (فصوله) عن (عيون محاسن المفيد):

بين الوصى و بين المصطفى نسب تختال فيه المعالى و المحاميد

كانا كشمس نهار فى البروج كما ادارها ثم احكام و تجويد

كسيرا انتقالا من طاهر علم إلى مطهره آباؤها صيد

تفرقا عند عبد الله و اقترنا بعد النبوه توفيق و تسديد (١)

هذا، و فى السير: أن فى سنه (١٨٠) هاجت العصيه بالشام فقال هارون لجعفر اليرمكى: اما تخرج انت أو أخرج أنا؟ فقال جعفر بل أقيك بنفسى، فخرج فأصلحها، فقال منصور النميرى:

فان أمير المؤمنين بنفسه اتاكم و الا نفسه فخيرها

«و الذراع من العضد» روى أحمد بن حنبل فى (فضائله) عن أنس قال: قال النبى صلّى الله عليه و آله لعلّي: تؤتى يوم القيامة بناقه من نوق الجنه فتركبها، و ركبتك مع ركبتى حتى ندخل الجنه جميعا (٢).

و روى الخطيب فى أحمد بن محمّد بن صالح - عن حبشى بن جناده قال: كنت جالسا عند أبى بكر فقال: من كانت له عند النبى عده فليقم؟ فقال: ان النبى وعدنى بثلاث حثيات من تمر، فقال: أرسلوا إلى علىّ فقال:

يا ابا الحسن ان هذا يزعم أن النبى وعدّه أن يحثى له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له، فحاثها فقال أبو بكر: عدوها، فعدوها فوجدوها فى كل حثيه ستين تمره لا تزيد واحده على الاخرى، فقال أبو بكر: صدق الله و رسوله قال لى النبى ليله الهجره و نحن خارجان من الغار: كفى و كف علىّ فى العدل سواء.

ص: ٤٧٤

١-١) الفصول المختاره ١٩: ١. [١]

٢-٢) تذكره الخواص: ٤٥. [٢]

قلت: الخبر هكذا، والظاهر أن فيه سقطاً، وإن الأصل «وعدني بثلاث حثيات كل حثيه ستين تمره»، ولعله لذا أرسل أبو بكر إليه عليه السلام وإلا فأبو بكر كان يأمر بالنساء في عداته صلى الله عليه وآله في قبالة عليه السلام لأنه كان منجز عداته، وصرح بذلك المأمون في خبر رد فدك بأنه كان يقبل ادعاء كل من ادعى عده من النبي ولم يقبل ادعاء فاطمه بنحله النبي لها فدك (١).

هذا، وقالت امرأه في ابنها و كان أول ولدها و كانت هي و زوجها أول تزوجهما و يقال أشد الناس بكر ابن بكرين.

يا بكر بكرين و يا خلب الكبد أصبحت منى كذراع من عضد

«و الله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها» في (تفسير القمي): لما كتب عليه السلام إلى معاوية «لا تقتل الناس، ولكن هلم إلى المبارزة»، وقال لمعاوية جلساؤه: قد أنصفك، قال: بل ما أنصفني، لأرمينه بمائه ألف سيف من أهل الشام قبل أن يصل إلي، ما أنا من رجاله و لقد سمعت النبي يقول له: لو بارزك أهل المشرق و المغرب لقتلتهم أجمعين (٢).

و في كتب (غريب الحديث): كانت ضربات علي عليه السلام أبكارا (٣) - أي:

يموتون من ضربته الأولى - و في (عيون القتيبي): كانت درع علي عليه السلام صدرا لا ظهر لها، فليل له في ذلك فقال: إذا استمكن عدوى من ظهري فلا يبق.

و في (إرشاد المفيد): و من آيات الله تعالى فيه عليه السلام انه مع طول ملاقاته الحروب و ملابسته اياها، و كثره من منى به فيها من شجعان الاعداء و صناديدهم، و تجمعهم عليه، و احتيالهم في الفتك به، و بذل الجهد في ذلك ما

ص: ٤٧٥

١- ١) رواه ابن طاوس في الطرائف ١: ٢٤٨.

٢- ٢) تفسير القمي ٢: ٢٤٨. [١]

٣- ٣) رواه السروي في مناقبه ٢: ٨٣، و ابن الأثير في النهاية ١: ١٤٩، ماده (بكر).

ولى قط عن احد منهم ظهره، و لا انهزم عن أحد منهم، و لا تزحزح عن مكانه، و لاهاب أحدا من أقرانه، و أما سواه عليه السلام فلم يلق أحد منهم خصما له فى حرب الا و ثبت له حيناً و انحرف عنه حيناً، و أقدم عليه وقتاً و أحجم عنه زماناً، و إذا كان الأمر على ما وصفناه ثبت له ما ذكرناه من انفراده بالآية الباهره، و المعجزه الظاهره، و خرق العاده فيه بما دل الله به على امامته، و كشف به عن فرض طاعته، و أبانه بذلك عن كافه خليقته (١).

و فى (جمله) روى الواقدى عن محمّد بن الحنفية قال: لما نزلنا البصره و عسكرنا بها دفع أبى إلى اللواء و قال: لا تحدثن شيئاً حتى يحدث فيكم، ثم نام فالتنا نبل القوم، فأفزعتة و هو يمسح عينيه من النوم، و أصحاب الجمل يصيحون يا لثارات عثمان، فبرز و ليس عليه الا قميص واحد، فقلت: يا ابيه فى مثل هذا اليوم بقميص واحد. قال: احرز امرأ أجله و الله قاتلت مع النبى و أنا حاسر أكثر مما قاتلت و أنا دارع، و دعا بدرعه البتراء- و كان بين كتفيه منها متوهياً- و جاء و فى يده شسع نعل، فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشسع؟ قال: اربط بها ما قد توهى من هذا الدرع من خلفى. فقال له: أفى مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا؟ فقال: لم؟ قال: أخاف عليك. قال: لا تخف ان أوتى من ورائى، و الله يا ابن عباس ما وليت فى زحف قط (٢).

و فى (تاريخ الطبرى) عن جون بن قتاده قال: كنت مع الزبير يوم الجمل فجاء فارس فقال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا فسمعوا بما جمع لكم من العدد و العده فقفذ فى قلوبهم الرعب فولوا مدبرين. فقال له الزبير: أيها عنك الان فوالله لو لم يجد ابن أبى طالب الا العرفج- شجر ينبت

ص: ٤٧٦

١-١ (١) الارشاد: ١٦٢. [١]

٢-٢ (٢) الجمل: ١٨٩. [٢]

فى السهل-لدب إلنا فىه.

وفىه: عن برىده الأسلمى: لما نزل النبى صلى الله علىه و آله بحصن خىبر أعطى اللواء عمر بن الخطاب و نهض معه من الناس من نهض، فانكشف هو و أصحابه، فرجعوا يجنبه أصحابه و يجنبهم، فقال النبى صلى الله علىه و آله لا عطىن اللواء غدا رجلا يحب الله رسوله و يحبه الله و رسوله، فلما كان من الغد تناول لها أبو بكر و عمر، فدعا عليا علىه السلام و هو أرمدا، فتفل فى عىنيه و اعطاه اللواء، و نهض معه من نهض، فلقى أهل خىبر، فاذا مرحب يرتجز و يقول:

قد علمت خىبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

اطعن أحيانا و حينا اضرب اذا الليوث اقبلت تلهب

فاختلف هو و على عليه السلام ضربتين، فضربه على على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه و سمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تنام آخر الناس مع على عليه السلام حتى فتح الله له.

و فى اسناد آخر عنه قال: كان النبى صلى الله علىه و آله ربما أخذته الشقىقه، فلبث اليوم و الیومین لا ىخرج، فلما نزل خىبر أخذته الشقىقه فلم ىخرج إلى الناس، و ان أبا بكر أخذ رايه النبى صلى الله علىه و آله، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا، ثم رجع، فأخذها عمر، فقاتل أشد من القتال الأول، ثم رجع، فأخبر النبى بذلك، فقال: أما و الله لأعطىنها غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله يأخذها عنوه و لیس ثم على، فتناولت لها قريش و رجا كل واحد منهم أن ىكون صاحب ذلك، فأصبح فجاء على عليه السلام على بعير له حتى أناخ قريبا من خباء النبى صلى الله علىه و آله و هو أرمدا، و قد عصب عىنيه بشقه برد قطرى، فقال له النبى: ما لك؟ قال: رمدت بعد.

فقال له النبى: ادن منى، فدنا منه، فتفل فى عىنيه، فما وجعهما حتى مضى

لسيبله، ثم أعطاه الرايه-الخبر (١).

و فى (مقاتل أبى الفرج) بأسانيد عن عده قالوا: خطب الحسن عليه السّلام بعد وفاه أبيه فقال: لقد قبض فى هذه الليله رجل لم يسبقه الأولون بعمل، و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع النبىّ صلّى الله عليه و آله فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه (٢).

و روى عن الحسن عليه السّلام قال: ما قدمت رايه قوتل تحتها أمير المؤمنين عليه السّلام إلا نكسها الله تعالى و غلب أصحابها و انقلبوا صاغرين، و ما ضرب عليه السّلام بسيفه ذى الفقار أحدا فنجا، و كان اذا قاتل جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، و ملك الموت بين يديه (٣).

و فى (خلفاء ابن قتيبه) عن حيه بن جهين قال: نظرت إلى عليّ عليه السّلام يوم الجمل و هو يخفق نعاسا، فقلت له: تالله ما رأيت كاليوم قط، و ان يازائنا لمائه ألف سيف، و قد هزمت ميمنتك و مسرتك و أنت تخفق نعاسا- إلى أن قال- فشق عليّ عليه السّلام فى عسكر القوم يطعن و يقتل، ثم خرج و هو يقول الماء الماء، فأتاه رجل باداوه فيها غسل و قال له: الماء لا يصلح لك فى هذا المقام و لكن أذوقك هذا العسل. فقال: هات، فحسا منه حسوه ثم قال: ان عسلك لطائفى.

فقال الرجل له عليه السّلام لعجبا منك و الله لمعرفتك الطائفى و غيره و قد بلغت القلوب الحناجر. فقال له عليّ عليه السّلام: و الله يا ابن أخى ما ملأ صدر عمك شىء قط و لاها به شىء (٤).

ص: ٤٧٨

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٣٠٠:٢، سنه ٧. [١]

٢-٢ (٢) مقاتل الطالبين: ٣٢. [٢]

٣-٣ (٣) رواه الصدوق فى اماليه: ٤١٤ ح ٩، مجلس ٧٧. [٣]

٤-٤ (٤) الامامه و السياسه ٧٦:١. [٤]

«و لو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها» كان عليه السّلام كما قال ابن النطاح في أبي دلف العجلى:

و لو أن خلق الله في مسك فارس و بارزه كان الخلى من العمر

و في (مناقب السروي): قال عمر بن سعد يوم الطف لقومه: الويل لكم أ تدرّون من تبارزون، هذا ابن أنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب (١).

و في (إرشاد المفيد): و فيما صنعه أمير المؤمنين عليه السّلام ببدر قال اسيد بن أبي اياس يحرض مشرکی قريش عليه:

في كل مجمع غايه أخزاكم جذع ابر على المذاكى القرح

لله درّكم الما تنكروا قد ينكر الحر الكريم و يستحي

هذا ابن فاطمه الذي أفناكم ذبحا و قتلا قعصه لم يذبح

و في فعاله يوم أحد يقول الحجاج بن علاط السلمى:

لله أى مذنب عن حزبه اعنى ابن فاطم المعم المحولا

جادت يداك له بعاجل طعنه تركت طليحه للجبين مجدّلا

و شدت شده باسل فكشفتهم بالسفح اذ يهون اسفل اسفلا

و عللت سيفك بالدماء و لم يكن لترده حران حتى ينهلا (٢)

و في (تاريخ الطبرى) - في احد بعد هزيمة الناس - قال أبو رافع: أبصر النبي صلّى الله عليه و آله جماعه من مشرکی قريش، فقال

لعلّى: احمل عليهم، فحمل عليهم، ففرق جمعهم و قتل عمرو بن عبد الله الجمحى، ثم ابصر جماعه من مشرکی قريش، فقال

لعلّى: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جماعتهم، و قتل شيبه بن

ص: ٤٧٩

١- (١) مناقب السروي ١١٠: ٤.

٢- (٢) الارشاد: ٤٢ و ٤٩. [١]

مالك أحد بنى عامر ابن لؤى، فقال جبرئيل للنبي: ان هذه للمواساه. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: انه منى و أنا منه. فقال جبرئيل: و انا منكما- فسمعوا صوتا: لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على (١).

و فى (صفين نصر): اجتمع ليله عند معاويه، أخوه عتبه، و الوليد بن عقبه، و مروان بن الحكم، و عبد الله بن عامر، و ابن طلحه الطلحات، فقال عتبه:

ان أمرنا و أمر على لعجب، ليس منّا إلا- موتور اما أنا فقتل جدى، و اشرك فى دم عمومى يوم بدر، و أما أنت يا وليد فقتل أباك، و أيتم اخوتك، و أما أنت يا مروان فكما قال الأوّل:

و افلتهن علباء جريضا و لو ادركنه صفر الوطاب

فقال لهم معاويه: فهذا الاقرار فأين الغير؟ فقال له مروان: أى غير تريد.

قال: اريد أن تشجروه بالرماح. فقال له: و الله انك لهازل، و لقد ثقلنا عليك، فقال الوليد بن عقبه فى ذلك:

يقول لنا معاويه بن حرب أما فيكم لو اترككم طلبوب

يشد على أبى حسن على بأسمر لا تهجنه الكعوب

فيهتك مجمع اللبات منه و نقع القوم مطرد يثوب

فقلت له أتلعب يا ابن هند كأنك وسطنا رجل غريب

أ تأمرنا بحيه بطن واد اذا نهشت فليس لها طيب

و ما ضبع يدب بطن واد أتيح له به أسد مهيب

بأضعف حيله منا إذا ما لقيناه و ذا منّا عجيب (٢)

و روى أبو عبيده- و نقله ابن أبى الحديد فى موضع آخر- ان عليا عليه السلام

ص: ٤٨٠

١- (١) تاريخ الطبرى ١٩٧: ٢، سنة ٣. [١]

٢- (٢) وقعه صفين: ٤١٧. [٢]

استنطق الخوارج لقتل عبد الله بن خباب، فأقروا به، فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبه كتيبه، فتكتبوا كتائب، وأقرت كل كتيبه بمثل ما أقرت به الأخرى من قتل ابن خباب، وقالوا: ولنقتلنك كما قتلناه. فقال عليه السّلام و الله لو أقر أهل الدنيا كلهم بقتله هكذا، وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم. ثم التفت إلى أصحابه وقال: شدوا عليهم، فأنا أول من يشد عليهم، وحمل بذي الفقار حملة منكره ثلاث مرات، كل حملة يضرب به حتى يعرج متنه، ثم يخرج فيسويه بركتيه، ثم يحمل به حتى أفناهم (١).

وروى (أمالى الشيخ) مسندا عن المغيرة بن الحارث: إن الناس فروا جميعا يوم حنين عن النبي صلى الله عليه وآله الا سبعة من بنى عبد المطلب أبو سفيان و ربيعة و نوفل بنو الحرث بن عبد المطلب و العباس و ابنه الفضل و أمير المؤمنين عليه السّلام و اخوه عقيل، و النبي على بغلته الدلدل و هو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

إلى أن قال: قال العباس لابنه: ما تلك البرقة. قال: سيف عليّ يزيل به بين الاقران. فقال: بر ابن برّ فداه عم و خال. قال: فضرب عليّ عليه السّلام يومئذ أربعين مبارزا كلهم يقده حتى أنفه و ذكره. قال: و كانت ضرباته مبتكرة (٢).

و روى (صفيان نصر بن مزاحم) عن ابن نمير الأنصاري أو أبيه قال:

و الله لكأنى اسمع عليّا عليه السّلام حين سار أهل الشام- ذلك بعد ما طحنت رحا مذحج فيما بيننا و بين عك و لخم و جذام و الاشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي من حين استقبلت الشمس- ثم ان عليّا قال: حتى متى نخلى بين هذين الحيين قد فنيا، و أنتم وقوف تنظرون إليهم، أما تخافون مقت الله. ثم

ص: ٤٨١

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٨٢. [١]

٢-٢) أمالى أبي جعفر الطوسي ٢: ١٨٧، المجلس ٥. [٢]

توجّه إلى القبلة و رفع يديه ثم نادى: «يا الله يا رحمن يا واحد يا صمد يا إله محمّد، اللهم اليك نقلت الاقدام، و أفضت القلوب، و رفعت الأيدي، و امتدت الأعناق، و شخصت الأبصار، و طلبت الحوائج. إنّنا نشكو إليك غيبه نبينا، و كثره عدونا، و تشتت أهواننا، ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و انت خير الفاتحين» سيروا على بركة الله. ثم نادى لا إله إلا الله و الله أكبر.

قال الأنصاري: لا و الله الذي بعث محمّدا بالحق نبيا ما سمعنا برئيس منذ خلق الله السماوات و الأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب، انه قتل في ما ذكر العادّون زياده على خمسمائه من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنيا، فيقول: معذره إلى الله تعالى و إليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه و لكن حجزني أنى سمعت النبي يقول كثيرا: «لا سيف الا ذو الفقار، و لا فتى الا على» و انا أقاتل به دونه.

قال: فكنا نأخذ السيف من يده فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصف، فلا و الله ما ليث بأشد نكايه في عدوه منه - رحمه الله عليه رحمه واسع (1).

و عن زيد بن وهب قال: مر على عليه السلام يومئذ و معه بنوه نحو الميسره، و انى لأرى النبل يمر بين عاتقه و منكبيه، و ما من بنيه أحد إلا - يقيه بنفسه، فيكره على عليه السلام ذلك و يأخذ بيده فيلقيه بين يديه أو من ورائه، فبصر به أحمر مولى بنى اميه، فقال: على و رب الكعبه قتلنى الله ان لم أقتلك أو تقتلنى. و أقبل نحوه عليه السلام، فخرج إليه كيسان مولى على فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بنى اميه و خالط عليا ليضربه بالسيف، فانتهزه على عليه السلام، فوضع يده في جيب درعه، فجذبه، ثم حمله على عاتقه، و كأنى انظر إلى رجليه يختلفان على عنق

ص: ٤٨٢

علِيّ عليه السّلام، ثم ضرب به الأرض، فكسر منكبه و عضده، فكأنى أنظر إلى علِيّ عليه السّلام قائما و شبلاه يضربان الرجل حتى اذا قتلاه (١).

و فيه-بعد ذكر طلبه عليه السّلام لمعاويه إلى المبارزه و اباء معاويه-فبرز عروه بن داود الدمشقى و قال: ان كان معاويه كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلم إليّ، فتقدم عليه السّلام إليه، فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب، فإنّه ليس لك بخطر.

فقال: و الله ما معاويه اليوم بأغيظ لى منه دعونى و إتياءه، ثم حمل عليه، فضربه، فقطعه قطعتين سقطت أحدهما يمينه و الاخرى يسره، فارتج العسكران لهول الضربه. ثم قال عليه السّلام: يا عروه، اذهب فأخبر قومك، أما و الذى بعث محمّدا بالحق لقد عاينت النار و أصبحت من النادمين (٢).

و فيه: قال الشعبى: ذكر معاويه بعد عام الجماعه يوم صفين، فقال عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد: أما و الله لقد رأيت يوما من الايام و قد غشينا ثعبان مثل الطود الأرعن قد أثار قسطلا حال بيننا و بين الأفق، و هو على أدهم سائل يضربهم بسيفه ضرب غرائب الابل كاشرا عن أنيابه كشر المخدر الحرب. فقال معاويه: و الله انه يجالذ و يقاتل عن تره له (٣).

و فى (بلدان الحموى): قال الدار قطنى: كان الجوزجاني من الحفاظ المصنفين، لكن كان فيه انحراف عن علِيّ عليه السّلام. قال ابن عديس: كنا عنده، فالتمس من يذبح له دجاجه، فتعذر عليه، فقال: يتعذر علِيّ ذبح دجاجه و علِيّ قتل سبعين ألفا فى وقت واحد (٤).

و فى (تاريخ الطبرى): قال الزبير بن الحرث، قلت لأبى ليبيد لم تسب علينا،

ص: ٤٨٣

[١-١] وقعه صفين: ٢٤٩. [١]

[٢-٢] وقعه صفين: ٤٥٨. [٢]

[٣-٣] وقعه صفين: ٣٨٧. [٣]

[٤-٤] معجم البلدان ١٨٣: ٣. [٤]

قال: لأنه قتل منا يوم الجمل ألفين و خمسمائه و الشمس هاهنا.

و قال ابن أبي يعقوب: قتل عليّ عليه السّلام يوم الجمل ألفين و خمسمائه ألف، ثلاثمائة و خمسون من الازد، و ثمانمائة من بنى ضبه، و ثلاثمائة و خمسون من سائر الناس (١).

«و سأجهد» أي: سأسعى «فى أن اطهر الأرض» فالأرض تنجس بالأشخاص الرجسه كما بالأعمال الرجسه، و فى (الكافى) عن أبى الحسن عليه السّلام: حق على الله ألا يعصى فى دار الا أضحاها للشمس حتى تطهرها (٢).

و عن النبىّ صلّى الله عليه و آله: ساعه من امام عدل أفضل من عباده سبعين سنه، و حدّ يقام لله فى الأرض أفضل من مطر أربعين صباحا.

و عن أبى جعفر عليه السّلام: حدّ يقام فى الأرض أزكى فيها من مطر أربعين ليله و أيامها (٣).

«من هذا الشخص المعكوس» قال ابن دريد فى (جمهرته): عكست البعير عكسا اذا عقلت يديه بجبل، ثم رددت الجبل من تحت بطنه فشدته بحقوه، و البعير معكوس.

و قال الجوهري: العكس أن تشد جبلا- فى خطم البعير إلى رسغ يديه ليذل و اسم ذاك الجبل العكاس، و العكس درك آخر الشىء إلى أوله، و منه عكس البليه عند القبر، لانها كانوا يربطونها معكوسه الرأس إلى ما يلى كلكلها و بطنها، و يقال إلى مؤخرها مما يلى ظهرها، و يتركونها

ص: ٤٨٤

١- ١) تاريخ الطبرى ٥٤٧: ٣، سنه ٣٦. [١]

٢- ٢) الكافى ٢: ٢٧٢ ح ١٨. [٢]

٣- ٣) الكافى ٧: ١٧٤ و ١٧٤ [٣] ح و ٨١.

على تلك الحال حتى تموت.

«و الجسم المركوس» في (الأساس): أركسه و ركسه: قلبه على رأسه.

و هو منكوس مركوس، و هذا ركس رجس، و أركسه في الشر رده فيه «كُلَّمَا رُذُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا» (١).

في (صفيين نصر) عن صعصعه: برز من أهل الشام رجل من ذى يزن اسمه كريب بن الصباح، ليس في أهل الشام يومئذ اشهر شده بالبأس منه، فنأدى: من يبارز، فبرز إليه المرتفع بن وضاح الزبيدي فقتله كريب، ثم نادى من يبارز فبرز إليه الحارث بن حلاج فقتله كريب، ثم نادى من يبارز، فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتله كريب، ثم رمى بأجسادهم بعضهم فوق بعض، ثم قام عليها بغيا و اعتداء، ثم نادى هل بقى مبارز، فبدر إليه على عليه السلام و قال له: ويحك لا- يدخلنك ابن آكله الاكباد النار و انى أدعوك إلى كتاب الله و سنه نبيه. فقال كريب: ما أكثر ما سمعنا هذه المقالة منك، لا حاجة لنا فيها، أقدم إذا شئت. فقال عليه السلام: لا- حول و لا- قوة الا- بالله، ثم مشى إليه فلم يمهل أن ضربه ضربه خر منها يتشطح في دمه، ثم نادى عليه السلام من يبارز، فبرز إليه الحارث ابن وداعه الحميري فقتله، ثم نادى من يبارز، فبرز إليه المطاع بن المطلب فقتله، ثم نادى من يبارز، فلم يبرز إليه أحد، ثم نادى عليه السلام: يا معشر المسلمين «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (٢)، ثم قال: ويحك يا معاوية هلم إلى فبارزنى و لا تقتلن الناس بيننا.

فقال عمرو: اغتنمه منتهزا، قد قتل على ثلاثة من أبطال العرب و انى أطمع أن

ص: ٤٨٥

[١- ١] أساس البلاغة: ١٧٦، [١] مادة (ركس)، و الآية ٩١ من سورة النساء. [٢]

[٢- ٢] البقرة: ١٩٤. [٣]

تظفر به. فقال له معاوية: ان تريد إلا أن اقتل فتصيب الخلافة، اذهب إليك فليس يخدع مثلى (١).

و روى أيضا: أن عليًا عليه السلام ركب فرسه العذى كان للنبي و كان يقال له المرتجز، ثم تعصب بعمامة النبي السوداء، ثم نادى «أيها الناس من يشري نفسه لله يربح، هذا يوم له ما بعده، ان عدوكم قد قرح كما قرحتم» فانتدب له من بين العشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا وضعوا سيوفهم على عواتقهم، و تقدمهم علي و هو يقول:

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا و أصبحوا بحربكم و بيتوا

حتى تنالوا الثار أو تموتوا أو لا فاني طالما عصيت

قد قلت لو جئتنا فجت ليس لكم ما شئتم و شئت

و حمل الناس حملة واحده، فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض، و اهدوا ما اتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية و علي عليه السلام يضربهم بسيفه و هو يقول:

اضربهم و لا أرى معاوية الأخرز العين العظيم الحاوية

هوت به في النار ام هاويه

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب تمثل بأبيات عمرو بن الاطنابه:

أبت لي عفتي و أبي بلائي و أخذى الحمد بالثمن الربيع

فثنى رجله عن الركاب- إلخ. و ذكر فرعه إلى عمرو في تدبير و تدبيره له رفع المصاحف (٢).

ص: ٤٨٦

[١- ١] وقعه صفين: ٣١٥. [١]

[٢- ٢] وقعه صفين: ٤٠٣. [٢]

«حتى تخرج المدره» الحجر الصغير «من بين حبّ الحصيد» شبه عليه السيّلام معاويه بحجر و مدر يكون في الحنطه و الشعير فينقيان من المدره إذا أريد طحنهما للطعام.

هذا، و جهد عليه السيّلام أن يطهر الأرض من ذاك الرجس النجس القذر الكدر، لكن تخليه الناس له عليه السيّلام يوم السقيفه و يوم الشورى و تقديمهم للاول المستلزم لحكومته الثانى و للثالث عليه، ثم عدم جدهم معه عليه السلام فى مجاهداته مع معاويه، و قيام الناكثين و القاسطين و المارقين فى قبالة، و ترك كثير من الناس له، و لحوقهم لمعاويه أوجبت فى حكمه الله تعالى تسليط معاويه عليهم، ثم باقى بنى اميه «وَ كَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (١).

و روى محمّد بن يعقوب فى (نوادير نذر كافيّه) عن عدى بن حاتم ان أمير المؤمنين عليه السيّلام قال فى يوم التقى هو و معاويه بصفين، و رفع صوته لسمع أصحابه: و الله لأقتلن معاويه و أصحابه، ثم يقول فى آخر قوله «ان شاء الله» - يخفض بها صوته - قال عدى: و كنت قريبا منه عليه السيّلام فقلت: يا أمير المؤمنين انك حلفت على ما فعلت ثم استثنيت، فما أردت بذلك. فقال لى: ان الحرب خدعه، و أنا عند المؤمنين غير كذوب، فأردت ان أحرص أصحابى عليهم كيلا يفشلوا و كى يطمعوا فيهم، فأفقههم ينتفع بها بعد اليوم إن شاء الله، و اعلم ان الله جلّ ثناؤه قال لموسى عليه السيّلام حيث أرسله إلى فرعون «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» (٢) و قد علم الله انه لا يتذكر و لا يخشى،

ص: ٤٨٧

[١ - ١] الانعام: ١٢٩. [١]

[٢ - ٢] طه: ٤٤. [٢]

وَقِيلَ لَهُ عِبَائِي شَيْءٌ غَلَبَتِ الْقُرْآنَ - فَقَالَ:

مَا لَقَيْتُ رَجُلًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِيهِ قَالَ؟ الرضى؟: يومئذ بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب أقول: هكذا في (المصريه) و«رجلا» محرف «أحدا» بشهاده (ابن أبي الحديد و الخطيه)، و ليس في الثاني «قال الرضى» و لا «بذلك»، و في نسختي من ابن ميثم هنا سقط (٢).

و كيف كان ففي (إرشاد المفيد): لما انهزم الأحزاب و ولوا عن المسلمين الدبر النبي صلى الله عليه و آله على قصد بني قريظه، و انفذ إليهم أمير المؤمنين عليه السلام في ثلاثين من الخزرج و قال له: انظر بني قريظه هل نزلوا حصونهم، فلما شارف سورهم سمع منهم الهجر، فرجع إلى النبي فأخبره، فقال: دعهم فان الله سيمكن منهم، ان العدى أمكنك من عمرو بن عبدود لا يخذلك، فقف حتى يجتمع الناس إليك، و بشر بنصر من عند الله، فإن الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يدي مسيره شهر. قال عليه السلام: فاجتمع الناس إلي و سرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا علي، فلما رأوني صاح صائح منهم قد جاءكم قاتل عمرو، و قال آخر اقبل إليكم قاتل عمرو، و جعل بعضهم يصيح ببعض و يقولون ذلك، و ألقى الله في قلوبهم الرعب و سمعت راجزا يرتجز:

قتل علي عمرا صاد علي صقرا

ص: ٤٨٨

(١-١) الكافي ٧: ٤٦٠ ح ١. [١]

(٢-٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢٦، و [٢] يوجد في شرح ابن ميثم ٥: ٤٠١، جميع ذلك.

قصرم على ظهرها أبرم على أمرا

هتك على ستر

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام و قمع الشرك (١).

و فيه - بعد ذكر فتح مكة - بلغ أمير المؤمنين عليه السلام ان اخته أم هانى آوت أناسا من بنى مخزوم منهم الحرث بن هشام و قيس بن السائب، فقصده عليه السلام نحو دارها مقنعا بالحديد، فنادى: اخرجوا من آوئتم، فجعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى خوفا منه، فخرجت إليه أم هانى - و هى لا - تعرفه - فقالت: يا عبد الله، أنا ام هانى ابنه عم النبى صلى الله عليه و آله و اخت على بن أبى طالب، انصرف عن دارى. فقال عليه السلام لها: أخرجوهم. فقالت: و الله لأشكونك إلى النبى، فنزع المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشد حتى التزمته و قالت: فديتك حلفت لأشكونك إلى النبى. فقال لها: اذهبي فأبرى قسمك (٢).

و قال الوليد بن عقبه ردا على معاوية لما قال له و لمروان و عتبه: لا تستطيعون ان تشجروا علينا بالرماح لأنه ما قابله أحد الا هلك الا عمرو بن العاص لخصيته فقال:

دعا للقاء فى الهيجاء لاق فاخطأ نفسه الاجل القريب

سوى عمرو ووقته خصيته نجا و لقلبه منها و جيب

كأن القوم لما عاينوه خلال النقع ليس لهم قلوب

فلما سمع ذلك عمرو بن العاص غضب و قال - كما فى (صفين نصر) - ان كان الوليد صادقا فليقف حيث يسمع صوت على، و قال:

يذكرنى الوليد دعا على و بطن المرء يملؤه الوعيد

ص: ٤٨٩

[١ - ١] الارشاد: ٥٧. [١]

[٢ - ٢] الارشاد: ٧٢. [٢]

متى يذكر مشاهدته قريش يطر من خوفه القلب الشديد

كما أن عمرا قال في رد معاويه لما شمت بكشفه و كان عليه السلام دعا معاويه إلى البراز فأبى:

معاوى ان ابصرت فى الخيل ابا حسن يهوى دهتك الوسوس

و ايقنت ان الموت حق و انه لنفسك ان لم تمض فى الركض حابس

فانك لو لاقيته كنت بومه اتيح لها صقر من الجور آنس

دعاك فصمت دونه الاذن هاربا فنفسك قد ضاقت عليها الا مالس

و ايقنت ان الموت أقرب موعد و ان التى ناداك فى الدهارس

أبى الله إلا انه ليث غابه أبو اشبل تهدى إليه الفرائس (١)

و فى (إرشاد المفيد): و من آيات الله تعالى فيه عليه السلام: انه لم يعهد لأحد من مبارزه الأقران، و منازل الأبطال ما عرف له عليه السلام من كثره ذلك على مر الزمان، ثم انه لم يوجد فى ممارسى الحروب الا من عرته بشر و نيل منه بجراح أو شين الا أمير المؤمنين عليه السلام، فانه لم ينله مع طول زمان حربه جراح من عدو و لا شين، و لا وصل إليه أحد منهم بسوء حتى كان من امره مع ابن ملجم على اغتياله اياه ما كان، و هذه اعجوبه افرده الله بالآيه فيها.

ص: ٤٩٠

و من آيات الله تعالى فيه عليه السلام انه لا يذكر ممارس للحروب لقي فيها عدوا الا و هو ظافر به حينا و غير ظافر به حينا، و لا نال أحد منهم خصمه بجراح الا- و قضى منها وقتا و عوفى منها زمانا، و لم يعهد من لم يفلت منه قرن في حرب و لا نجا من ضربته أحد فصلح منها سواه، فانه لا مريه في ظفره بكل قرن بارزه، و اهلاكه كل بطل نازله- إلخ (١).

قلت: و أما نجاه عمرو بن العاص و بسر بن ارطاه منه عليه السلام فانما لكشفهما عورتهم، فتر كهما تكرا.

و في (أدب كتاب الصولي): القبط أكثر ما يستعمل فيما وقع السيف في عرضه، و القد لما وقع في طوله، و منه قولهم كان علي بن أبي طالب إذا علا بسيفه شيئا قدّه، و إذا اعترضه قطه.

و في (نهايه ابن الأثير): في الحديث «كانت ضربات علي بن أبي طالب مبتكرات لا عوناً» أي: ان ضربته كانت بكرا يقتل بواحد منها، و لا يحتاج أن يعيد الضربه ثانيا (٢).

و في (مناقب السروي): كان النبي صلى الله عليه و آله إذا خرج من بيته تبعه «أحداث المشركين يرمونه بالحجاره حتى أدموا كعبه و عرقوبه، و كان علي عليه السلام يحمل عليهم فينهزمون، فنزل «كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرِهِ» (٣).

و قيل لخلف الأحمر: ايما أشجع عنبسه و بسطام أم علي عليه السلام؟ فقال:

انما يذكر عنبسه و بسطام مع الناس و البشر، لا من يرتفع عن هذه الطبقة.

ص: ٤٩١

١- ١) الإرشاد: ١٦٢. [١]

٢- ٢) النهايه ١: ١٤٩، [٢] ماده (بكر).

٣- ٣) مناقب السروي ٢: ٦٨. و الآيتان ٥٠ و ٥١ من سوره المدثر. [٣]

فقيل له: فعلى كل حال. قال: والله لو صاح في وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما (١).

و في (فصول المرتضى): قد جاء الأثر من طرق شتى بأسانيد مختلفة عن زيد بن وهب قال: سمعت عليا عليه السلام يقول - وقد ذكر حديث بدر - وقتلنا من المشركين سبعين و أسرنا سبعين، و كان الذي أسر العباس رجل قصير من الأنصار، فأدركته، فالتقى العباس علي عمامته لئلا يأخذها الأنصاري، و أحب أن أكون أنا الذي أسرته، و جئت به إلى النبي، فقال الأنصاري له صلى الله عليه و آله: جئتك بعمك العباس أسيرا. فقال العباس: كذبت ما أسرني إلا ابن أخي، و لكأني بحلجته و حسن وجهه، فقال النبي صلى الله عليه و آله: ان الملائكة الذين أيدنى الله تعالى بهم على صورته علي ليكون ذلك أهيب لهم في صدور الأعداء.

و جاء عن أبي جعفر محمد بن علي بن علي عليه السلام في حديث بدر: لقد كان يسأل الجريح من المشركين فيقال له: من جرحك؟ فيقول: علي بن أبي طالب فإذا قالها مات (٢).

هذا و النبي صلى الله عليه و آله أيضا ممن نصر بالرب، فقد عرفت من خبر الارشاد أنه قال: نصرني ربي بالرب من بين يدي مسيره شهر. و كيف لا و قد قال تعالى: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ» (٣).

و في (تاريخ الطبري): كان أبي بن خلف يلقي النبي صلى الله عليه و آله بمكة فيقول: يا محمد ان عندى العود أعلفه كل يوم فرقا من ذره أقتلك عليها. فيقول النبي صلى الله عليه و آله: بل أنا أقتلك ان شاء الله. فلما اسند النبي يوم احد في الشعب، أدركه

ص: ٤٩٢

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٤٦:١٦. [١]

٢-٢) الفصول المختارة ٢:٢٣٨ و ٢:٢٣٩. [٢]

٣-٣) المنافقون: ٨. [٣]

أبى و هو يقول: ابن محمّد لا - نجوت ان نجوت. فقال القوم للنبي: أ يعطف عليه رجل منا. قال: دعوه، فلما دنا تناول النبي صلى الله عليه وآله الحربه من الحارث ابن الصمه قطعنه فى عنقه، فلما رجح ابى إلى قريش، و قد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير، فاحتقن الدم قال: قتلنى و الله محمّد. قالوا: ذهب و الله فؤادك و الله ان بك بأس. قال: إن محمّد ا قال لى بمكه أنا اقتلك، فو الله لو بصق على لقتلنى، فمات بسرف فى ققولهم إلى مكه (١).

و مثل النبي صلى الله عليه وآله القائم عليه السلام، روى النعمانى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: «أتى أمر الله فلا تشعجلوه» (٢) هو أمرنا امر الله تعالى الا - نستعجل به، يؤيده بثلاثه أجناد بالملائكه و بالمؤمنين و بالرعب، و خروجه كخروج النبي صلى الله عليه وآله، و ذلك قوله تعالى: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق و إن فريقاً من المؤمنين لكارهون» (٣).

بل كانوا عليهم السلام كلهم كذلك، فمسلم بن عقبه الذى كان صاحب وقعه الحره بالمدينه، و بايع الناس على انهم عبيد ليزيد و من أبى امره على السيف، و عامل مشايخ بنى اميه بما هو مذكور فى السير، ارتعب من على بن الحسين عليه السلام، ففى مروج المسعودى: نظر الناس إلى على بن الحسين و قد لاذ بالقبر و هو يدعو، فأتى به إلى مسرف و هو مغتاض عليه، فتبرا منه و من آباءه، فلما رآه و قد أشرف عليه ارتعد و قام له و أقعده إلى جانبه و قال له: سلنى حوائجك، فلم يسأله فى أحد ممن قدم إلى السيف الا شفعه فيه، ثم انصرف عنه.

ص: ٤٩٣

١- (١) تاريخ الطبرى ٢: ٢٠٠، سنه ٣. [١]

٢- (٢) النحل: ١. [٢]

٣- (٣) غيبه النعمانى: ١٣٢. و [٣] الآية ٥ من سوره الأنفال. [٤]

إلى أن قال: وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام و سلفه، فلما أتى به رفع منزلته، فقال: ما كان ذلك لرأى منى، لقد ملئ قلبى منه رعبا (١).

و لمهاتبه عليه السلام كان الناس يتكفون له إذا دخل المطاف، مع ان فى ذاك المقام السلطان و السوقه سواء، و يشهد له قصته عليه السلام مع هشام، فقال الفرزدق فيه أبياتا منها:

يغضى حياء و يغضى من مهاتبه فلا يكلم إلا حين يتسم

هذا، و من قصص الرعب ما فى (تاريخ الطبرى) عن شيب الخارجى قال لأصحابه: قتلت أمس رجلين أحدهما أشجع الناس و الآخر أجبن الناس، خرجت عشيه أمس طليعه لكم، فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قريه يشترون منها حوائجهم، فاشترى أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه، و خرجت معه، فقال: كأنك لم تشتر شيئا. فقلت: ان لى رفقاء قد كفونى ذلك. فقلت له: أين ترى عدونا هذا قد نزل؟ قال: بلغنى انه نزل قريبا منا، و ايم الله لو ددت انى قد لقيت شيبهم هذا. قلت: فتحب ذلك؟ قال: نعم. قلت: فخذ حذرك فأنا و الله شيب، و انتضيت سيفى فخر و الله. فقلت له: ارتفع و يحك و ذهبت أنظر، فاذا هو قد مات، فانصرفت -الخبر (٢).

و ما فى (عيون القتيبى) عن خلف الأحمر قال: كان أبو عروه السباع يصيح بالسبع و قد احتمل الشاه، فيسقط، فيموت، فيشق بطنه، فيوجد فؤاده قد انخلع.

و ما فى (أغانى الاصبهانى): لقي تأبط شرا ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وهب كان جبانا اهوج و عليه حله جيده، فقال لتأبط شرا: بم تغلب

ص: ٤٩٤

١-١) مروج الذهب ٣:٧٠. [١]

٢-٢) تاريخ الطبرى سنه ١٠١،٧٧:٥. [٢]

الرجل و انت كما أرى دميم ضئيل.قال:باسمى،انما أقول ساعه ألقى الرجل انا تأبط شرا،فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت.قال:هل لك أن تيعنى اسمك؟قال:نعم.قال:فيم تبتاعه.قال:بهذه الحله و بكنيتى.قال له افعل،ففعل و قال له تأبط شرا لك اسمى و لى كنيتك،و اخذ حلته و أعطاه طمريه-و فى ذلك يقول:

ألا هل أتى الحسناء أنّ حليلها تأبط شرا و اكنيت ابا وهب

فهبه تسمى اسمى و سميت باسمه فأين له صبرى على معظم الخطب

و أين له بأس كبأسى و سورتى و أين له فى كل فادحه قلبى

و لبعضهم فى أبى الندى:

ينال من الأعداء خوف أبى الندى و هيته ما لا تنال العساكر

٣

من الخطبه (١٩٠)

بعد ذكر أمر الله تعالى له بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين و جهاده معهم:

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ - وَ كَسَيْتُ نَوَاجِمَ قُرُونٍ؟ رَيْبَعَهُ؟ وَ؟ مُضَرَ؟ «أنا وضعت فى الصغر» هكذا فى (المصريه)، و كلمه «فى الصغر» زائده لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (١) و عدم صحه معناها «بكلاكل» أى: صدور، و نقله ابن ميثم (بكلكل) و اشار إلى نقل ابن أبى الحديد (بكلاكل) (٢) «العرب» حتى سمّوه عليه السّلام قتال العرب، ففى (المناقب): قال عمر بن سعد يوم

ص: ٤٩٥

١- ١) توجد الكلمه فى شرح ابن أبى الحديد ١٣:١٩٧، و [١] شرح ابن ميثم ٤:٣٠٨. [٢]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٣:١٩٧، و [٣] شرح ابن ميثم ٤:٣١٢. [٤]

الطف لقومه: الويل لكم أ تدرّون من تبارزون؟ هذا ابن أنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب (١).

و وصفه بكلاكل العرب كناية عن إذلالها، كبعير تسقطه على الصدر فلا- يقدر على التحرك، كما ان قولك «ألقي عليه كلكلا» كناية عن اضمحلاله له، كبعير يسقط بصدرة على انسان، قال الراجز:

لو انها لاقت غلاما طائطا ألقى عليها كلكلا علا بطا

و حينئذ فالباء في «بكلاكل» للتعديه لا زائده، كما قال ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٢)، فمعنى «وضعت بالشىء» غير معنى وضعت الشىء.

قال ابن دريد: و ربما قالوا الكلكال في الشعر، قال دكين الراجز:

أقول إذ خزت على الكلكال يا ناقتي ما جلت من مجال

و قال الجوهري: الكلكل ربما جاء في الشعر مشددا، قال الشاعر:

كأن مهواها على الكلكل موضع كفى راهب يصلى

«و كسرت نواجم» أى: طوالع (القرون) هكذا في (المصريه)، و الصواب:

«قرون» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣) (ربيعه و مضر) و المراد بهما هنا القبيلتان اللتان يضرب بهما المثل في الكثرة، و الاصل فيهما مضر و ربيعه ابنا نزار بن معد بن عدنان، قال الجوهري: يقال لمضر «مضر الحمراء» و لربيعة «ربيعة الفرس» لانهما لما اقتسما الميراث اعطى مضر الذهب، و اعطى ربيعه الخيل، و يقال: كان شعار مضر في الحرب العمائم، و الرايات الحمر، و لاهل اليمن الصفر، و فسر بعضهم به

ص: ٤٩٦

١-١) مناقب السروي ١١٠:٤.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩٧:١٣، و شرح ابن ميثم ٣١٢:٤.

٣-٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩٧:١٣، لكن في شرح ابن ميثم ٣١٢:٤، مثل المصريه.

قول أبي تمام في وصف الربيع:

محمره مصفره فكأنها عصب تيمن في الوغا و تمضر

و في (معارف ابن قتيبه): و أما مضر و ربيعه فاليهما ينسب ولد نزار، و هم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد: فان قلت: أما قهره لمضر فمعلوم، فما حال ربيعه و لم نعرف انه قتل منهم أحدا؟ قلت: بلى قد قتل بيده و بجيشه كثيرا من رؤسائهم في صفين و الجمل، فقد تقدم ذكر أسمائهم من قبل (١).

قلت: لا- يبعد أن يريد عليه السلام بكسره نواجم قرون ربيعه و مضر في حروبه عليه السلام في غزوات النبي صلى الله عليه و آله، فكان حروبه مع ربيعه و مضر دون اليمن، و لأنه عليه السلام ذكر أهل الجمل و صفين كالنهر وان قبل هذا الكلام.

و في خطبه الصديقه عليها السلام في فدك- كما رواها أحمد بن أبي طاهر البغدادي- فأنقذكم الله برسوله بعد اللتيا و التي، و بعد ما منى بهم الرجال و ذؤبان العرب و مرده أهل الكتاب، كلما حشوا ناراً للحرب اطفأها الله، و كلما نجم قرن للضلال و فغرت فاغره من المشركين قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطاء صماخها بأخمصه و يخمد لهبها بحده، مكدودا في ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في أولياء الله، و أنتم في بلهنيه و ادعون آمنون- إلخ.

و أما في صفين فكان أكثر مقتوليه عليه السلام من اليمن اتباع معاويه أهل الشام، فلم لم يذكرهم كما ان أكثر أتباعه عليه السلام كانوا من ربيعه، كما أن

ص: ٤٩٧

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٩٨: ١٣. [١]

بعضهم من مضر، و بعضهم من اليمن، و هم مذحج و همدان، و قال- كما فى صفين نصر- فى ربيعه و مذحج:

جزى الله قوما صابروا فى لقائهم لدى البأس حرت ما أعفّ و أكرما

و أحزم صبيرا حين تدعى إلى الوغا إذا كان اصوات الكماه تغمغما

ربيعه أعنى أنّهم أهل نجده و بأس إذا لاقوا خميسا عرمرما

و قد صبرت عك و لحم و حمير لمذحج حتى لم يفارق دم دما

و نادت جذام يال مذحج ويلكم جزى الله شرا أينما كان أظلما (١)

و حتى أن معاويه كان نذر فى سبى نساء ربيعه و قتل المقاتله، فقال خالد بن معمر- كما فى (صفين نصر):-

تمنى ابن حرب نذره فى نساتنا و دون الذى ينوى سيوف قواضب (٢)

و كانت ربيعه تعاقدت ألا ينظر رجل منها خلفه حتى يرد سرادق معاويه، فلما نظر معاويه إليهم قد أقبلوا قال:

إذا قلت قد ولت ربيعه أقبلت كتائب منهم كالجبال تجالد

و قال لعمر و: ما ترى؟ قال: أرى إلا- تحنث أخوالى اليوم، فخلى معاويه عن سرادقه لائذا إلى بعض مضارب العسكر، و بعث إلى

خالد بن المعمر ان ظفرت فلک إمرة خراسان ان لم تتم، فطمع خالد فى ذلك و لم يتم، فأمره معاويه حين بايعه على خراسان إلا

أنه مات قبل ان يصل إليها (٣).

و فى (صفين نصر): جمع على عليه السلام أهل همدان، فقال: يا معشر همدان، أنتم درعى و رمحى، ما نصرتم الا الله، و لا أجبتم

غيره، و فى

ص: ٤٩٨

١- ١) وقعه صفين: ٢٨٩. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٢٩٤. [٢]

٣- ٣) وقعه صفين: ٣٠٦. [٣]

هذا اليوم قال عليّ:

و لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام (١)

و في (موفقيات الزبير بن بكار) عن عمه مصعب بن عبد الله: كان عليّ بن أبي طالب شديد الروغان من قرنه، لا يكاد أحد يتمكن منه، و كانت درعه صدرا لا- ظهر لها، ف قيل له: ألا تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فيقول: إذا أمكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه ان أبقى عليّ.

٤

من الكتاب (٣٦)

في كتابه عليه السلام إلى عقيل أخيه:

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ - فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ - لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةَ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً - وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحُشَّةً - وَلَا تَحْسِبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعًا مُتَخَشِّعًا - وَلَا مُقْرَأً لِلضَّمِيمِ وَاهِنًا - وَلَا سَلِسَ الزَّمَامِ لِلْقَائِدِ - وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَعَدِّ - وَ لَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو؟ بَنِي سَلِيمٍ؟ - فَإِنَّ تَسْأَلِيْنِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيْبٌ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَأَبِّهِ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيْبٌ

«و أما ما سألت عنه من رأيي في القتال فان رأيي قتال المحلّين حتى ألقى الله» كان عقيل كتب إليه عليه السلام- كما في (خلفاء ابن قتيبه- الإمامه و السياسه- ج ١ ص ٥٤ ابن قتيبه) بعد شخوصه من المدينه في الطريق- اني خرجت معتمرا، فلقيت عائشه معها طلحه و الزبير و ذوهما متوجهون إلى البصره قد أظهروا الخلاف، و نكثوا البيعه، و ركبوا عليك قتل عثمان، و معهم علي ذلك كثير من الناس من طغامهم و أوباشهم، ثم

ص: ٤٩٩

(١-١) وقعه صفين: ٤٣٧. [١]

مرّ عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين راكبا من أبناء الطلقاء من بنى امية، فقلت لهم بعد أن عرفت المنكر في وجوههم: أبعادوه تلحقون عداوه، والله انها منكم ظاهره غير متكره، تريدون بها اطفاء نور الله و تغيير أمره، فأسمعى القوم و أسمعتهم- إلى أن قال بعد ذكر سماعه لما وصل إلى مكة غاره الضحاك بن قيس على الحيره و اليمامة- فظننت حين بلغنى ذلك أن انصارك خذلوك، فكتب إلى يا ابن امى برأيك و أمرك، فان كنت الموت تريد تحملت إليك بنى أخيك و ولد أبيك، فعشنا ما عشت، و متنا معك إذا مت، فو الله ما أحب أن أبقي بعدك، فو الله الأعز الأجل ان عيشا أعيشه بعدك فى الدنيا لغير هنىء و لا مرىء و لا نجيع- إلخ.

فكتب إليه جوابه و فيه هذا (١)، و مراده عليه السلام بالمحلين الناكثون و القاسطون.

«لا- يزيدنى كثره الناس حولى عزه و لا- تفرقهم عنى وحشه» لما كان عقيل كتب إليه عليه السلام «ظننت أن انصارك خذلوك» قال هذا فى جواب كلامه، و كيف لا يكون عليه السلام كذلك و هو أمير المؤمنين و قال تعالى فى المؤمنين: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» (٢) و هو عليه السلام سيد المتوكلين و قد قال تعالى: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (٣).

«و لا تحسبنّ ابن أبيك و لو» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد)، و فى (ابن ميثم) (و ان) (٤) «أسلمه» أى: تركه «الناس متضرعا متخشعا» قال الدارمى:

ص: ٥٠٠

١- ١) الإمامه و السياسه ٥٤: ١. [١]

٢- ٢) المنافقون: ٨. [٢]

٣- ٣) الطلاق: ٣. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٤٨: ١٦، و [٤] شرح ابن ميثم ٧٧: ٥. [٥]

و لست إذا ما سرّنى الدهر ضاحكا و لا خاشعا ما عشت من حادث الدهر

و قال آخر:

قد عشت فى الناس أطوارا على طرق شتى و قاسيت فيها اللين و الفظعا

كلّا بلوت فلا النعماء تبطننى و لا تخشعت من لاوائها جزعا

لا يملأ الهول صدرى قيل موقعه و لا أضيّق به ذرعا إذا وقعا

«و لا مقرا للضميم» أى: الذله «واهنا» أى: ضعيفا.

و فى (تاريخ الطبرى): ان قيس بن الأشعث قال للحسين عليه السلام يوم الطف:

أو لا- تنزل على حكم بنى عمك، فانهم لن يروك الا ما تحب. فقال عليه السلام: لا و الله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل، و لا اقتر لهم إقرار العبيد (١).

«و لا- سلس الزمام للقائد» كبعير يقوده بزمامه الانسان حيث شاء «و لا- وطىء» أى: لين «الظهر للراكب المتقعد» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

«المقعد» من باب الافتعال كما يشهد له (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢) و عدم كونه وطىء الظهر كقعود الراعى، قال أبو عبيده: القعود من البعير الذى يقتعده الراعى فى كل حاجه و بتصغيره جاء المثل «اتخذوه قعيد الحاجات» إذا امتهنوا الرجل فى حوائجهم (٣) (و لكنه كما قال أخو بنى سليم:

فان تسألينى كيف أنت فاننى صبور على ريب الزمان صليب

يعزّ علىّ ان ترى بى كآبه فيشمت عاد أو يساء حبيب)

ص: ٥٠١

١- (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٢٣، سنه ٦١. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٤٨: ١٦، و شرح ابن ميثم ٧٧: ٤.

٣- (٣) نقله عنه لسان العرب ٣: ٣٥٩، [٢] ماده (قعد).

قال ابن الحديد: الشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلمى و لم أجده فى ديوانه (١).

قلت: بل الظاهر أن البيتين لصخر بن عمرو السلمى، قال فى الأغانى كان صخر طعن فى جنبه فى حرب، فمرض قريبا من حول و قد نتأت فى موضع الطعنه قطعه مثل الكبد، فأحمسوا له شفره، ثم قطعوها لعله يبرأ، فسمع أن اختها تقول: كيف كان صبره. فقال:

أجارتنا ان الخطوب تنوب على الناس كل المخطئين يصيب

فان تسألينى هل صبرت فاننى صبور على ريب الزمان صليب

كأنى - و قد أدنوا إلى سفارهم - من الصبر دامى الصفحتين ركوب

أجارتنا لست الغداه بظاعن و لكن مقيم ما أقام عسيب

فمات، فقبر قريبا من عسيب - جبل بأرض بنى سليم.

فترى البيت الثانى عين البيت الأول مع اختلاف يسير فى اللفظ، و تركه البيت الثانى لاختلاف الرواه فى النقل، و أظن ان بيته الأول و بيته الأخير ممّا خلط، و انهما لامرئ القيس خلطا بيتى هذا لكونهما على روى واحد، و يشهد للخلط أنه قال: ان اخته قالت كيف صبره و قال هو فى البيتين «أجارتنا» و الجاره تقال للغريبه.

و على ما استظهرناه يكون الخطاب فى قوله «فان تسألينى» لاخته خنساء، كما ان الظاهر أن المراد بعاد فى قوله «فيشمت عاد» مثل امرأته، و بحبيب فى قوله «أو يساء حبيب» مثل أمه، ففى (شعراء ابن قتيبه): طال مرض صخر من جرحه، فكان قومه إذا سألوا امرأته عنه قالت: لا هو حى فيرجى، و لا ميت فينسى، و صخر يسمع كلامها، فيشق ذلكك عليه، و إذا سألوا

ص: ٥٠٢

أمه قالت: أصبح صالحا بنعمه الله، ففي ذلك يقول:

أرى أم صخر ما تملّ عيادتي و ملّت سليمانى مضجعى و مكانى

و ما كنت أخشى أن أكون جنازه عليك و من يغتر بالحدثان

و اى امرئ ساوى بأم، حليله فلا عاش الا فى شقا و هو ان

لعمري لقد نبّهت من كان راقدا و أسمعت من كانت له اذنان

و كيف كان فنسب إليه عليه السّلام من الشعر قريبا من هذا المعنى:

ولى فرس للخير بالخير ملجم و لى فرس للشرّ بالشر ملجم

فمن رام تقويمى فانى مقوم و من رام تعويجى فانى معوج (١)

هذا، و فى معنى البيت الأوّل قول ابن الجراح الوزير:

و من يك عنى سائلا شامتا لما نابنى أو شامتا غير سائل

فقد أبرزت منى الخطوب ابن حره صبورا على أهوال تلك الزلازل

إذا سر لم يبطر و ليس لنكبه إذا نزلت بالخشاع المتضائل

و قريب منه قول تأبط شرا:

و ما ولدت امى من القوم عاجزا و لا كان ريشى من ذنابى و لا لغب

و قول ابن وادع العوفى:

لا استكين إذا ما أزمه أزمتم و لن ترانى بخير فاره الطلب

هكذا نقله ابن برى، و نقل الزمخشري الشطر الثانى «و لا ترانى الا فاره اللب» (٢).

ص: ٥٠٣

١- ١) نقله ابن عساكر فى ترجمه علىّ عليه السّلام ٣:٣٠٧، [١] بفرق فى اللفظ.

٢- ٢) نقل ابن برى جاء فى لسان العرب ٥٢٢:١٣، [٢] مادّه (فره)، و نقل الزمخشري جاء فى أساس البلاغه: ٣٤٠، [٣] مادّه فره (٠).

الفصل الثاني والعشرون: في أوليائه عليه السلام و أعدائه

اشاره

ص: ٥٠٥

مر فى فصل ببعته قوله عليه السلام لعمار فى المغيره: «دعه يا عمار فانه لم يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدنيا»-إلخ.

و فى فصل الامامه الخاصه قوله عليه السلام لأنس: «ان كنت كاذبا»-إلخ.

و فى فصل صفين فى ابن العاص و معاويه: «و لم يبايع حتى شرط».

و فيه: «و لا المهاجر كالطليق»-إلخ.

و فيه: «أين عمار و أين ابن التيهان و أين ذو الشهادتين»-إلخ (١).

١

الكتاب (١٣)

و من كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه:

وَ قَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمْ ۖ - وَ عَلَى مَنْ فِى حَيْزِ كَمَا؟ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ؟ - فَاسْتَمَعَ لَهُ وَ أَطِيعَا وَ اجْعَلَاهُ دِرْعًا وَ مِجْنًا - فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَ هُنَّ وَ لَا

ص: ٥٠٧

(١ - ١) راجع العنوان ١٣ من الفصل الثلاثين و العنوان ٢٨ من الفصل الثامن و العناوين ٥ و ٦ و ١٠ من الفصل الثانى و الثلاثين.

سَقَطَتْهُ - وَ لَا بُطُوَهُ عَمَّا الْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ - وَ لَا إِسْرَاعُهُ إِلَيَّ مَا الْبُطَاءُ عَنْهُ أَمْثَلُ قَوْلُ الْمُصَنَّفِ: (وَ مِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَمِيرَيْنِ مِنْ أَمْرَاءِ جَيْشِهِ) وَ هُمَا زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ وَ شَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ، قَدِمَهُمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَامَهُ نَحْوَ مَعَاوِيَةَ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا أَبُو الْأَعْوَرِ السَّلْمِيُّ فِي جَنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ، فَكَتَبْنَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ، فَبِعَثِ الْأَشْتَرِ مَدَدًا لِهَمَا وَ كَتَبَ إِلَيْهِمَا بِالْعُنْوَانِ مَعَ زِيَادِهِ «وَ قَدْ أَمَرْتَهُ بِمِثْلِ الَّذِي أَمَرْتَكُمَا بِهِ أَلَّا يَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالِ حَتَّى يَلْقَاهُمْ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَعْذِرُ إِلَيْهِمْ».

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَ قَدْ أَمَرْتَهُ عَلَيْكُمَا» يَا زِيَادُ وَ يَا شَرِيحُ «وَ عَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا» كَانَ فِي حَيْزِ كُلِّ مِنْهُمَا سِتَّةُ آلَافِ رَجُلٍ «مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرُ» وَ الْأَشْتَرُ مِنْ أَنْقَلَبَ جَفْنَ عَيْنِهِ، كَانَ مَشْتَهَرًا بِاللَّقَبِ.

قَالَ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ كَمَا فِي (صَفِينِهِ) وَ أَبُو مَخْنَفٍ كَمَا فِي (تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ): فَخَرَجَ الْأَشْتَرُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْقَوْمِ، فَاتَّبَعَ مَا أَمَرَهُ بِهِ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ كَفَّ عَنِ الْقِتَالِ، فَلَمْ يَزَالُوا مُتَوَافِقِينَ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ حَمَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو الْأَعْوَرِ، فَشَبَّتُوا وَ اضْطَرَبُوا سَاعَهُ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ، ثُمَّ خَرَجَ هَاشِمُ بْنُ عَتْبَةَ فِي خَيْلٍ وَ رِجَالٍ، وَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْأَعْوَرِ، فَصَبَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَ بَكَرَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَنْذَرِ التَّنُوخِيَّ قَتْلَهُ ظَبْيَانُ بْنُ عِمَارَةَ التَّمِيمِيَّ، وَ كَانَ ظَبْيَانُ يَوْمَئِذٍ حَدِثَ السِّنِّ، وَ التَّنُوخِيُّ فَارِسُ أَهْلِ الشَّامِ، وَ أَخَذَ الْأَشْتَرُ يَقُولُ: وَ يَحْكُمُ أَرُونِي أَبَا الْأَعْوَرِ، وَ قَالَ لِسِنَانِ بْنِ مَالِكِ النَّخَعِيِّ: أَنْطَلِقْ إِلَيْهِ فَادْعِهِ إِلَى الْمُبَارَاةِ. فَذَهَبَ فَدَعَاهُ، فَسَكَتَ عَنْهُ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ: إِنْ خَفِيَ الْأَشْتَرُ وَ سَوَّءَ رَأْيُهُ هُوَ الَّذِي دَعَاهُ إِلَى اجْتِلَاءِ عَمَالِ عُثْمَانَ مِنَ الْعِرَاقِ، وَ افْتِرَائِهِ عَلَيْهِ يَقْبَحُ مُحَاسِنُهُ، وَ يَجْهَلُ حَقُّهُ، وَ يَظْهَرُ عِدَاوَتُهُ، وَ مِنْ خَفِيَ الْأَشْتَرُ وَ سَوَّءَ رَأْيُهُ أَنَّهُ سَارَ إِلَى عُثْمَانَ فِي دَارِهِ وَ قَرَارِهِ، فَقَتَلَهُ فَيَمُنْ قَتْلَهُ،

فأصبح متبعا بدمه، لا حاجة لي في مبارزته.

قال سنان: فقلت لأبي الأعور: إنك قد تكلمت فاستمع مني حتى أخبرك.

فقال لي: لا حاجة لي في جوابك و لا الاستماع منك اذهب عني، و صاح بي أصحابه، فانصرفت عنه و لو سمع مني لا خبرته بعذر صاحبي و حجّته، فرجعت إلى الأشتر، فأخبرته أنه قد أبى المبارزه، فقال لنفسه ننظر، فتوافقنا حتى الليل، فلما أصبحنا نظرنا، فاذا هم قد انصرفوا (١).

«فاسمعا له و أطيعا و اجعلاه درعا و مجنا» أي: ترسا. كان عليه السّلام قد بعث رجالا إلى الكوفه لصدّ أبي موسى الأشعري عن تشييط الناس، و كان لم يبال بهم حتى بعث عليه السّلام الأشتر إليه ففر منه، و كان الناس يحتمون عن البراز إليه كما يحتمون عن البراز إليه عليه السّلام، كما عرفته من قصه أبي الأعور.

هذا، و في (كامل المبرد): روى ان الحجاج لما ورد عليه ظفر المهلب و قتله لعبد ربه الصغير و هرب قطرى منه تمثل فقال: لله در المهلب، و الله لكأنه ما وصف لقيط الأيادي حيث يقول:

و قلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده و لا إذا عض مكروه به خشعا

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا و متبعا

حتى استمرت على شزر مريرته مستحکم الرأي لا قحما و لا ضرعا

فقال إليه رجل و قال: و الله لكأنى اسمع هذا التمثيل من قطرى في المهلب، فسر بذلك سرورا تبين في وجهه (٢).

و في (الأغانى) قال أبو المثلّم في صخر الغى:

ص: ٥٠٩

١- ١) وقعه صفين: ١٥٤، و [١] تاريخ الطبرى ٥٦٥: ٣، سنة ٣٦. [٢]

٢- ٢) كامل المبرد ١١٦: ٨. [٣]

لو كان للدهر مال عند متلده لكان للدهر صخر مال قينان

آب الهضيمه آت العظيمه متلاف الكريمه لا سقط و لا و ان

حامى الحقيقه نسال الوديعه معتاق الوثيقه جلد غير شيان

رقاء مرقبه مناع مغلبه ركاب سلهبه قطاع اقران

بساط أوديه شهاد انديه حمال ألويه سرحان فتیان

يحمى الصحاب إذا جد الضراب و يكفى القائلين إذا ما كيل الهانى

و يترك القرن مصفرا انامله كأن فى ريطته نضح ارقان

يعطيك ما لا تكاد النفس تسلمه من التلاد و هوب غير مّان

«فإنّه ممّن لا يخاف وهنه و لا سقطته» و فى روايه الطبرى و نصر«رهقه و لاسقاطه» (١).

فى (صفيين نصر): كان الأصبع بن ضرار الأزدي طليعه و مسلحه لمعاويه، فبعث على عليه السّلام الأشتر، فأخذه أسيرا من غير أن يقاتل، و كان على عليه السلام ينهى عن قتل الأسير الكاف، فغدا الأشتر به على على عليه السلام و قال له:

هذا رجل من المسلحه لقيته بالأمس، فو الله لو علمت أن قتله الحق لقتلته، و قد بات عندنا الليله و حركنا فان كان فيه القتل فاقتله و ان غضبنا فيه، و ان كنت فيه بالخيار فهبه لنا. قال: هو لك يا مالك، فاذا أصبت أسيرا فلا تقتله، فان أسير أهل القبله لا يفاد و لا يقتل، فرجع به الأشتر إلى منزله و قال: لك ما أخذنا منك ليس لك عندنا غيره (٢).

«و لا- بطؤه عمّا الاسراع إليه أحزم و لا- اسرعه إلى ما البطء عنه أمثل» فى (تاريخ الطبرى): قيل لعلى عليه السّلام بعد كتابه الصحيفه فى صفيين: ان الأشتر لا

ص: ٥١٠

١- ١) تاريخ الطبرى ٥٦٥: ٣، سنه ٣٦، و وقعه صفيين: ١١٤. [١]

٢- ٢) وقعه صفيين: ٤٦٦. [٢]

يقرّ بما فى الصحيفه، و لا يرى إلا قتال القوم. فقال عليه السّلام: أنا و الله ما رضيت أيضا- إلى أن قال: و أما الذى ذكرتم من ترك الأشر أمرى و ما أنا عليه، فليس من أولئك، و لست أخافه على ذلك، يا ليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى، إذن لخفت على مؤنتكم، و رجوت أن يستقيم لى بعض أودكم (١).

و أما ما رواه (الكافى) عن السّجاد عليه السّلام ان عليا كتب إلى الأشر و هو على مقدمته يوم البصره بألا يطعن فى غير مقبل، و لا يجهز على جريح، و من أغلق بابه فهو آمن، فأخذ الكتاب، فوضعه بين يديه على القربوس من قبل أن يقرأه ثم قال اقتلوا، فقتلهم حتى أدخلهم سلك البصره، ثم فتح الكتاب، فقرأه، ثم امر مناديا فنادى بما فى الكتاب (٢)، فمحمول على أنه علم جوازه فى نفس الأمر، و انه عليه السّلام أمر بما أمر مصلحه، فروى عن الصادق عليه السّلام ان سيره علىّ عليه السّلام فى أهل البصره كانت خيرا لشيعة مّا طلعت عليه الشمس، انه علم ان للقوم دوله، فلو سباهم لسببت شيعة، و القائم يسير فيهم بخلاف تلك السيره لانه لا دوله لهم بعده (٣).

و اما قول ابن أبى الحديد: روى أن عليا عليه السّلام لما ولى بنى العباس على الحجاز و اليمن و العراق قال الأشر: فلما ذا قتلنا الشيخ بالأمس، و ان عليا لما بلغته هذه الكلمه أحضره و لطفه و اعتذر إليه و قال له: فهل و ليت حسنا أو حسينا أو أحدا من ولد جعفر أو عقيل أو واحدا من ولده، و انما وليت ولد عمى العباس لاني سمعت العباس يطلب من النبى صلّى الله عليه و آله الاماره مرارا، فقال له: يا عم ان الاماره ان طلبتها و كنت إليها، و ان طلبتك أعنت عليها، و رأيت بنيه فى أيام

ص: ٥١١

١- (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٢، سنه ٣٧. [١]

٢- (٢) الكافى ٤: ٣٣ ح ٣. [٢]

٣- (٣) رواه الكلينى فى الكافى ٥: ٣٣ ح ٤، و [٣] الطوسى فى التهذيب ٦: ١٥٥ ح ٦، و البرقى فى المحاسن: ٣٢٠ ح ٤٤. [٤]

عمر و عثمان يجدون في أنفسهم أن وليّ غيرهم من أبناء الطلقاء و لم يولّ أحد منهم، فأحببت ان أصل رحمهم، وازيل ما كان في أنفسهم، و بعد فإن علمت أحدا هو خيرا منهم فاني أولّيه، فخرج الأشر و قد زال ما في نفسه (١).

فمن رواياتهم المجهولة، فان فاروقهم و ان مؤه على الاغبياء و نبه الطلقاء في اشتراطه عليه عليه السّلام، كما على عثمان الا يولّي أحدا من اقاربه، و هو عليه السّلام كان يوليهم لاقامه العدل و الايمان، و عثمان لاقامه الكفر و الطغيان، فمؤه بالجمع بينهما كما مؤه بكونهما من بنى عبد مناف، و لازمه كون محمّد صلّى الله عليه و آله و أبى سفيان مثلين، الا انه كان صوره ظاهر، فعثمان لم يول غير اقاربه، كما ان فاروقهم لم يول هاشميا في أيامه لئلا يصل الأمر إليه عليه السّلام بذلك، كما اقربه لابن عباس.

و كيف لم يكن الخبر مجعولا- و أى عيب كان لو وليّ عليه السّلام الحسن و الحسين عليهما السّلام، و قد شهد القرآن بطهارتهما، و كونهما ابنيّ النبيّ صلّى الله عليه و آله، و ممن باهل بهما (٢).

و كيف لم يكن مجعولا- و قد قال نفسه ان مالكا كان شديد التحقق بولائه، و انه عليه السّلام قال: كان مالكا لى كما كنت للنبيّ، و ان معاويه قنت عليه كما قنت عليه عليه السّلام و على الحسين و على ابن عباس، و انه اشهر في الشيعة من أبى الهذيل في المعتزله، و انه حضر مع استاذه الدباس عند ابن سكينه المحدث لقراءه الاستيعاب، فلما انتهى إلى خبر حضور حجر و الأشر لدفن أبى ذر و قولهما في عثمان، قال استاذه: لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى و المفيد الا بعض ما كان حجر و الأشر

ص: ٥١٢

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٩٨: ١٥. [١]

٢-٢) النظر إلى الآيتين الاحزاب: ٣٣، و آل عمران: ٦١.

الكتاب (٣٩)

و من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص:

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا امْرِئٍ - ظَاهِرٌ عَلَيْهِ مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ - يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَ يُسِفُّهُ الْحَلِيمَ بِخَلْطِهِ - فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ وَ طَلَبْتَ فَضْلَهُ - اتَّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْعَامِ يَلُودُ إِلَى مَخَالِبِهِ - وَ يَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيَسَتِهِ - فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ وَ آخَرَتْكَ - وَ لَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ - فَإِنْ يُمْكِنُ اللَّهُ مِنْكَ وَ مِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ؟ - أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا - وَ إِنْ تُعْجِزَا وَ تَبَقِيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا أَقُولُ: رواه (صفيين انصر بن مزاحم - صفيين - نصر بن مزاحم) مع اختلاف - على نقل ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغه - ج ١٦ ص ١٦٣ - من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص بن وائل شاني محمّد و آل محمّد في الجاهليه و الاسلام، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فانك تركت مروتك لا - مريء فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه و يسفه الحليم بخلطه فصار قلبك لقلبه تبعا كما قيل «وافق شن طبقه»، فسلبك دينك و أمانتك و دنياك و آخرتك، و كان علم الله بالغا فيك، فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجا أو أتى الصبح يلتمس فضل سوره و حوايا فريسته، و لكن لا نجاه من القدر و لو بالحق أخذت لادركت ما رجوت، و قد رشد من كان الحق قائده، فان يمكن الله منك و من ابن آكله الأكباد ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمه قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، و ان تعجزا أو

ص: ٥١٣

تبقيا بعدى فالله حسبكما و كفى بانتقامه انتقاما و بعقابه عقابا (١).

«فانك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ» و المراد معاويه «ظاهر غيّه مهتوك ستره» .

فى (بلاغات نساء أحمد بن أبى طاهر البغدادى) و(عقد ابن عبد ربه): ان معاويه حج، فسأل عن امرأه يقال لها الدارميه الحجونيه- كانت امرأه سوداء كثيره اللحم- فأخبر بسلامتها، فبعث إليها، فجيء بها، فقال لها: كيف حالك يا ابنه حام؟ قالت: بخير و لست لحام، انما انا امرأه من قريش من بنى كنانه، ثم من بنى أبيك. قال: صدقت، هل تعلمين لم بعثت إليك؟ قالت: لا. قال: بعثت إليك لا سألك علام أحببت علياً و أبغضتني، و علام واليته و عاديتني. قالت: أو تعفينى من ذلك. قال: لا- أعفيك و لذلك دعوتك. قالت: فأما إذ أبيت فانى أحببت علياً على عدله فى الرعيه، و قسمه بالسويه، و أبغضتكم على قتالك من هو أولى بالامر منك، و طلبك ما ليس لك، و واليت علياً على ما عقد له النبى صلى الله عليه و آله من الولايه، و واليته على حبه المساكين، و اعظامه لأهل الدين، و عاديتك على سفكك الدماء، و شقك العصا.

قال: صدقت فلذلك انتفخ بطنك، و كبر ثديك، و عظمت عجيزتك. فقالت:

يا هذا بهند و الله يضرب المثل فى ذا لابي. فقال لها: هل رأيت علياً؟ قالت: أى و الله. قال: كيف رأيتة؟ قالت: لم يفتنه الملك الذى فتتك، و لم تصقله النعمه التى صقلتك. قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم. قال: فكيف سمعته. قالت: كان و الله كلامه يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صداء الطست. قال:

صدق.

و فيهما: دخلت اروى بنت الحرث بن عبد المطلب على معاويه- و هى

ص: ٥١٤

١- ١) جاء فى شرح ابن أبى الحديد ١٦٣: ١٦، [١] لكن لم يوجد فى النسخه المطبوعه من وقعه صفين.

عجوزه كبيره-فقال لها:كيف كنت بعدنا؟فقلت:لقد كفرت يد النعمه، و اسأت لابن عمك الصجبه،و تسميت بغير اسمك،و أخذت غير حقك من غير دين كان منك،و لا من آبائك،و لا سابقه فى الاسلام بعد أن كفرتم بالنبيّ صلى الله عليه و آله، فأتعس الله منكم الجدود،و أضرع منكم الخدود،ورد الحق إلى أهله،و لو كره المشركون،و كانت كلمتنا العليا،و نبينا هو المنصور،فوليتم علينا من بعده، و تحتجون بقرابتكم من النبيّ،و نحن أقرب إليه منكم،و أولى بهذا الأمر،فكنا فيكم بمنزله بنى اسرائيل فى آل فرعون،و كان علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بعد نبينا بمنزله هارون من موسى،فغابتنا الجّه،و غابتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص:كفى أيتها العجوز الضاله،و اقصرى عن قولك من ذهاب عقلك،إذ لا تجوز شهادتك وحدك.فقلت له:و أنت يا ابن النابغه تتكلم و امك كانت أشهر امرأه تبغى بمكه،و آخذهن الاجره،ادعاك خمسه نفر من قريش،فسئلت امك عنهم،فقلت:كلهم أتانى،فانظروا أشبههم به،فالحقوه،فغلب عليك شبه العاص بن وائل،فلحقت به.

و فى (مفاخرات ابن بكار):اجتمع عند معاويه عمرو و الوليد بن عقبه و عتبه ابن أبى سفيان و المغيره فقالوا له:ان الحسن قد أحيا أباه و خفقت النعال خلفه-إلى أن قال-فقال لهم معاويه:اما إذ عصيتمونى و بعثتم إليه،فلا تمرضوا له فى القول،و اعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب،و لكن اذفوه بحجره و قولوا له أبوك قتل عثمان و كره خلافه الخلفاء من قبله.

إلى أن قال:فقال معاويه له عليه السّلام:ان هؤلاء بعثوا إليك و عصونى.فقال:

سبحان الله الدار دارك و الاذن فيها إليك،و الله ان كنت أحببهم انى لاستحيى لك من الفحش،و ان كانوا غلبوك انى لاستحيى لك من الضعف.إلى أن قال:يا معاويه ما هؤلاء شتمونى و لكنك شتمتنى فحشا ألفتة،و سوء رأى عرفت به،

و خلقا سيئا شبت عليه، و بغيا علينا و عداوه منك لمحمد و أهله. إلى أن قال:

قال عليه السّلام لهم: و أنشدكم الله هل تعلمون ان أبى أول الناس ايمانا و انك يا معاويه و أبوك من المؤلفه قلوبهم تسترون الكفر و تظهرون الاسلام، و أنشدك الله يا معاويه أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر و أنت تسوقه و أخوك عتبه هذا يقوده، فرآكم النبيّ صلّى الله عليه و آله فقال: اللهم العن الراكب و القائد و السائق أتنسى يا معاويه الشعر الذى كتبه إلى أبيك لما همّ أن يسلم تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلن يوما فتفضحنا بعد الذين بدير أصبحوا فرقا

خالى و عمّى و عمّ الام ثالثهم و حنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

و والله لما أخفيت من أمرك أكثر ممّا أبديت، و لما أراد النبيّ صلّى الله عليه و آله أن يكتب إلى بنى خزيمه فبعث إليك و نهمك إلى أن تموت -الخبر (١).

«يشين الكريم بمجلسه، و يسفّه الحليم بخلطته» فى (العقد الفريد): قال معاويه لجاريه بن قدامه: ما كان أهونك على اهلك إذ سموك جاريه؟ فقال: ما كان أهونك على اهلك إذ سموك معاويه - و هى الاثني من الكلاب - قال: لا ام لك. قال: امى ولدتنى للسيوف التى لقيناك بها و هى فى أيدينا. قال: انك لتهددنى. قال: انك لم تصاحبنا قسرا، و لم تملكنا عنوه، و لكنك أعطيتنا عهدا و ميثاقا، و أعطيناك سمعا و طاعه، فان وفيت لنا و فينا لك، و ان فرعت إلى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا و ألسنه حدادا. قال: لاكثر الله أمثالك. قال جاريه: قل معروفا، فان شر الدعاء المحتطب.

و فيه: دخل خريم الناعم على معاويه، فنظر إلى ساقيه، فقال: أى ساقين لو أنهما على جاريه. قال خريم: فى مثل عجيزتك. قال معاويه:

ص: ٥١٦

و فی (الأغانی): نظر معاویہ إلى رجل فی مجلسه فرأى فیہ حسنا و شاره و جسما، فاستنطقه فوجده سديدا، فقال له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالاسلام فاجعلنى حيث شئت. قال: عليك بهذه الازد الطويله العريضه التي لا تمنع من دخل فيها، و لا تبالى من خرج منها. فغضب النعمان بن بشير و وثب من بين يديه و قال: أما و الله انك ما علمت ليسىء المجالسه لجليسك، عاق لزوارك، قليل الرعايه لأهل الحرمه بك.

و فی (العقد): تكلم الناس عند معاویہ فی يزيد ابنه إذ أخذ له البيعه و سكت الاحنف، فقال: مالك لا تقول أبا بحر. قال: أخافك ان صدقت، و أخاف الله ان كذبت.

و فيه: بينا معاویہ جالس و عنده وجوه الناس إذ دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيبا فكان آخر كلامه أن سب عليا عليه السلام، فأطرق الناس و تكلم الاحنف، فقال: ان هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم، فاتق الله و دع عليا، فقد لقي ربه، و كان و الله المبرز سيفه، الطاهر ثوبه، الميمون نقيته، العظيم مصيبيته، فقال له معاویہ: لقد أغضيت العين على القذى و قلت ما ترى، و ايم الله لتصعدن المنبر فتلعنه طوعا أو كرها. فقال له الأحنف: ان تعفني فهو خير لك، و ان تجبرني فو الله لا - تجرى فيه شفتاي، و مع ذلك لأنصفنك في القول و الفعل، قال: ما أنت قائل ان أنصفتني. قال: أصعد المنبر و أقول: أيها الناس ان معاویہ أمرني أن ألعن عليا، و ان عليا و معاویہ اختلفا فاقتتلا، و ادعى كل واحد منهما انه بغى عليه و على فئته، فاذا دعوت فأمنوا، ثم أقول «اللهم العن (أنت و ملائكتك و أنبيائك و جميع خلقك) الباغى منهما على صاحبه لعنا كثيرا»، لا أزيد على هذا حرفا، و لا أنقص منه حرفا، و لو كان فيه

ذهاب نفسى. فقال معاويه: اذن نعفيك .

«فاتبعت أثره و طلبت فضله اتباع الكلب» قد عرف أن فى روايه نصر «فصرت كالذئب» (١) «للضرغام» أى: الأسد كالضئغم «يلوذ» أى: يلجأ «إلى مخالبه» فى (الصحيح): المخلب للطائر و السباع بمنزله الظفر للإنسان.

«و ينتظر ما يلقى إليه من فضل» أى: زياده «فريسته» فى (الصحيح): فرس الأسد فريسته و افترسها أى: دق عنقها، و أصل الفرس هذا، ثم كثر حتى صار كل قتل فرسا، و أبو فراس كنيه الأسد.

«فأذهبت دنياك» بكونك تابعا كالعبد لمعاويه «و آخرتك» .

و فى (المروج) -بعد ذكر جعل معاويه جعاله لقتل العباس بن ربيعه الهاشمى، و تصدى رجلين من لحم لذلك، و قتل أمير المؤمنين عليه السلام لهما- قال معاويه: قبح الله اللجاج، ما ركبته قط الا خذلت. فقال عمرو بن العاص له المخذول و الله اللخميان لا أنت. قال: اسكت أيها الرجل، فليس هذا من شأنك.

قال: و ان لم يكن رحم الله اللخمين -و لا- أراه يفعل ذلك -قال: ذلك و الله أضيح لحجتك، و أخسر لصفتك. قال عمرو: قد علمت ذلك، و لو لا مصر و ولايتها لركبت المنجاء، فأنى أعلم أن عليا على الحق، و أنا على الباطل. فقال معاويه:

مصر و الله أعمتك، و لو لا مصر لالفيتك بصيرا (٢).

و فى (المروج): مات عمرو سنة (٤٣) و له تسعون سنة، و فى أبيه -و كان من المستهزئين بالنبي- نزلت «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» (٣)، و خلف عمرو من العين ثلاثمائة و خمسه و عشرون ألف دينار، و ألفى ألف درهم، و ضيعته

ص: ٥١٨

١-١ شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٦٣.

٢-٢ مروج الذهب ٣: ٢٠. [١]

٣-٣ الكوثر: ٣. [٢]

المعروفه بالرهبه قيمتها عشره آلاف ألف درهم، وفيه يقول ابن الزبير الأسدي:

ألم تر أن الدهر أخذت صروفه على عمرو السهمي تجبي له مصر

فلم يغن عنه حزمه و احتياله و لا جمعه لما أتيح له الدهر (١)

و في (تاريخ اليعقوبي): لما حضر عمرو الوفاه نظر إلى ماله، فرأى كثرته، فقال: يا ليته كان بعرا، يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنه أصلحت لمعاويه دنياه و أفسدت ديني، آثرت دنياي و تركت آخرتي، عمى على رشدي حتى حضرني أجلى، كأني بمعاويه قد حوى مالي و أساء فيكم خلافتي.

و توفي سنه (٤٣) ليله الفطر، فاستصفي معاويه ماله، فكان أول من استصفي مال عامل، و لم يكن يموت لمعاويه عامل إلا شاطر و ورثته ماله، و كان يكلم في ذلك، فيقول هذه سنه سنّها عمر (٢).

و ذكروا أن معاويه قال يوما لجلسائه: ما أعجب الأشياء؟ فقال كل واحد شيئا، فقال عمرو: أعجب الأشياء أن المبطل يغلب المحق - و عرّض بغلبه معاويه في امره معه عليه السّلام - فقال معاويه: بل أعجب الأشياء أن يعطى الانسان ما لا يستحق، و كان لا يخاف - عرض بعمره في أخذه مصر منه.

«و لو بالحق أخذت أدركت ما طلبت» في (تاريخ الطبري): قال النضر بن صالح العبسي: كنت مع شريح بن هاني في غزوه سجستان، فحدثني أن عليا عليه السّلام أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص. قال: قل له إذا لقيتّه: ان عليا يقول لك «ان أفضل الناس عند الله عزّ و جلّ من كان العمل بالحق أحب إليه و ان نقصه و كرّثه من الباطل و ان حسن إليه و زاده يا عمرو انك و الله لتعلم أين

ص: ٥١٩

١-١) مروج الذهب ٣:٢٣. [١]

٢-٢) تاريخ الطبري ٢:٢٢٢.

موضع الحق، فلم تجاهل ان أوتيت طمعا يسيرا كنت به لله و لأولياؤه عدواً، فكان و الله ما أوتيت قد زال عنك، فلا تكن للخائنين خصيما و لا- للظالمين ظهيرا، اما أنى أعلم بيومك العذى أنت فيه نادم و هو يوم وفاتك، تمنى انك لم تظهر لمسلم عداوه، و لم تأخذ على حكم رشوه». قال شريح: فبلغته ذلك، فتمعر وجهه ثم قال: متى كنت أقبل مشوره على أو انتهى إلى أمره أو اعتد برأيه؟ فقلت له: و ما يمنعك يا ابن النابغه أن تقبل من مولاك و سيد المسلمين بعد نبئهم مشورته، فقد كان من هو خير منك أبو بكر و عمر يستشيرانه و يعملان برأيه. فقال: ان مثلى لا يكلم مثلك. فقلت له: و بأى أبويك ترغب عنى أبأيك الوشيظ أم بامك النابغه؟ فقام عن مكانه (١).

و فى (الصحيح) الوشيظ: لفيف من الناس ليس أصلهم واحدا .

«فان يمكنى الله» هكذا فى (المصريه) و هو غلط، و الصواب: «فان يمكن الله» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢) «منك و من ابن أبى سفيان» قد عرفت أن فى روايه نصر «و من ابن آكله الأكباده» (٣). «أجز كما بما قدمتها» .

و فى (صفيين نصر): قال جابر الأنصارى: و الله لكأنى أسمع عليا عليه السلام يوم الهرير بعد ما طحنت رحا مذحج فيما بيننا و بين عك و لخم و جذام و الأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصى يقول: حتى متى نخلى بين هذين الحيين- إلى أن قال جابر- لا و الذى بعث محمدا صلى الله عليه و آله بالحق ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات و الأرض أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب على عليه السلام. انه قتل فيما ذكر العادون زياده على خمسمائه من أعلام العرب (٤).

ص: ٥٢٠

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠، سنة ٣٧. [١]

٢- ٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٦١، لكن فى شرح ابن ميثم ٥: ٨٥، و [٢] ان يمكنى الله».

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٦٣. [٣]

٤- ٤) وقعه صفيين: ٤٧٧. [٤]

«و ان تعجزاني» هكذا في (المصريه) أخذ من (ابن أبي الحديد)، و الصواب: «و ان تعجزا» كما في (ابن ميثم) (١) «و تبقيا فما امامكما شر لكما» .

في (صفين نصر): عن أبي برزه الأسلمي انهم كانوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فسمعوا غناء، فتشرفوا له، فقام رجل فاستمع له - و ذاك قبل أن يحرم الخمر - فأتاهم ثم رجع فقال: هذا معاوية و عمرو بن العاص يجيب أحدهما الآخر و هو يقول:

يزال حوارى تلوح عظامه زوى الحرب عنه ان يحس فيقبرا

فرفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يديه فقال: اللهم اركسهم في الفتنة ركسا، اللهم دعهم إلى النار دعا (٢).

و في (تفسير القمي) في قوله تعالى: «يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً» (٣) مر النبي بعمر و بن العاص و الوليد بن عقبه و هما في خالط يشربان و يغنيان بهذا البيت في حمزه لما قتل:

كم من حوارى تلوح عظامه وراء الحرب أن يجرفقبرا

فقال: اللهم العنهما، و اركسهما في الفتنة ركسا، و دعهما إلى النار دعا (٤).

و في (صفين نصر): دخل زيد بن أرقم على معاوية، فاذا عمرو جالس معه على السرير، فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو: أما وجدت لك مجلسا الا - أن تقطع بيني و بينه؟ فقال زيد: ان النبي غزا غزوه و أنتما معه، فرآكما مجتمعين، فنظر إليكما نظرا شديدا، ثم رآكما اليوم

ص: ٥٢١

١-١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦١:١٦، و شرح ابن ميثم ٨٥:٥، [١] مثل المصريه.

٢-٢) وقعه صفين: ٢١٩. [٢]

٣-٣) الطور: ١٣. [٣]

٤-٤) تفسير القمي ٣٣٢:٢. [٤]

الثانى و اليوم الثالث كل ذلك يديم النظر إليكما، فقال فى اليوم الثالث: إذا رأيتم معاويه و عمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما، فانهما لن يجتمعا على خير (١).

و فى (العقد): جلس عباده بن الصامت بين عمرو و معاويه- و ذكر سببه، فقال: بينا نحن نسير فى غزوه تبوك إذ نظر إليكما تشيران و أنتما تتحدثان، فالتفت النبى صلى الله عليه و آله إلينا و قال: إذا رأيتموهما اجتماعا ففرقوا بينهما، فانهما لا يجتمعان على خير.

٣

الخطبه (٨٢)

مكرر و من كلام له عليه السلام فى ذكر عمرو بن العاص:

عَجَبًا؟ لَابْنِ النَّابِغَةِ؟ يَزْعُمُ لِأَهْلِ؟ الشَّامِ؟ أَلَمْ يَكُنْ فِي دُعَابِهِ- وَ أَنَّى امْرُؤٌ تَلْعَابَهُ أَعَافِسُ وَ أَمَارِسُ- لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِمًا- أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ- وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يَسْأَلُ فَيُبْخَلُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقَطْعُ الْإِمْلَ- فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ أَمْرٍ هُوَ- مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَأْخِذَهَا- فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سَبْتَهُ- أَمَا وَ اللَّهُ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ- وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نَسِيَانُ الْآخِرَةِ- إِنَّهُ لَمْ يَبَايِعْ؟ مُعَاوِيَةَ؟ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَةً- وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً أَقُولُ: رواه ابن قتيبه فى (عيونه ابن قتيبه- عيون الاخبار-) عن زيد بن وهب مثله مع اختلاف يسير و فى آخره: كان أكبر همه أن يبرقط و يمنح الناس استه قبحه الله و ترحه.

ص: ٥٢٢

و في (العقد ابن عبد ربه-العقد الفريد-) قال عليّ عليه السّلام: عجبنا لابن النابغه، يزعم انى تلعبه، أعافس و امارس، أما و شر القول الكذب، انه يسأل فيلحف، و يسأل فييخل، فاذا احمر البأس و حمى الوطيس و أخذت السيوف مآخذها من هام الرجال لم يكن له همّ إلا غرقه ثيابه، و يمنح الناس استه فضه الله و ترحه.

و روى (أمالي الشيخ الطوسي-الأمالي-ج ١ ص ١٣١ الشيخ) عن الزبير بن بكار قال: قال عليّ بن محمّد: كان عمرو ابن العاص يقول: ان في عليّ دعابه، فبلغ ذلك علينا عليه السّلام فقال: زعم ابن النابغه انى تلعبه مزاحه ذو دعابه، اعافس و امارس. هيهات يمنع من العفاس و المراس ذكر الموت و خوف البعث و الحساب، و من كان له قلب. ففي هذا له عن هذا واعظ و زاجر. أما و شر القول الكذب، و انه ليحدث فيكذب، و يعد فيخلف، فاذا كان يوم البأس فأى زاجر و أمر هو ما لم تأخذ السيوف هام الرجال، فاذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه (١).

«عجبنا» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «عجبا» كما (في ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) «لابن النابغه» قال ابن أبي الحديد في (أنساب أبي عبيده): اختصم أبو سفيان و العاص في عمرو يوم ولادته، فقبل لتحكم أمه، فقالت: هو من العاص. فقال أبو سفيان: أما انى لا أشك أنى وضعته في رحمها، فأبت إلا العاص. و في ذلك يقول حسن في هجو عمرو:

أبو ك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل

ففاخر به أما فخرت و لا تكن تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل

و ان التي في ذاك يا عمرو حكمت فقالت رجاء عند ذاك لنائل

ص: ٥٢٣

١-١) أمالي أبي عليّ الطوسي ١: ١٣١. [١]

٢-٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٨٠، [٢] لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٢٦٩، مثل المصريه.

من العاص عمرو تخبر الناس كلما تجمعت الأقسام عند المحافل (١)

و في (مفاخرات الزبير بن بكار): اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، و الوليد ابن عقبه، و عتبه بن أبي سفيان، و المغيرة، و قد بلغهم عن الحسن عليه السلام قوارص - إلى أن قال - فقال الحسن عليه السلام لعمرو: و أما أنت يا ابن العاص فإن أمك وضعتك مجهولا من عهر و سفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزاها الأهمم حسبا، و أخسهم منصبا، ثم قال أبوك فقال: انى شأنى محمد الأبر فأنزل الله فيه ما أنزل، و قاتلت النبى صلى الله عليه و آله فى جميع المشاهد، و هجوته، و آذيته بمكة، و كدته كيدك كله، و كنت من أشد الناس له تكديبا و عداوه، ثم خرجت تريد النجاشى مع أصحاب السفينه لتأتى بجعفر و أصحابه إلى أهل مكة، فلما اخطأك ما رجوت، و رجعتك الله خائبا جعلت حدك على صاحبك عماره بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشى لما ارتكب من حليتك، ففضحك الله و فضح صاحبك، فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهليه و الإسلام، ثم أنك تعلم و كل هولاء الرهط يعلمون أنك هجوت النبى صلى الله عليه و آله بسبعين بيتا من الشعر، فقال النبى: انى لا أقول الشعر و لا ينبغى لى، اللهم العنه بكل حرف لعنه، فعليك اذن من الله ما لا يحصى من اللعن.

و أما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا نارا، ثم لحقت بفلسطين، فلما أتاك قتله قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها، ثم حبست نفسك على معاوية، و بعت دينك بدنياه.

إلى أن قال: أ لست القائل فى بنى هاشم لما خرجت إلى النجاشى:

تقول ابنتى أين هذا الرحيل و ما الستر منى بمستنكر

فقلت ذرىنى فانى امرؤ اريد النجاشى فى جعفر

ص: ٥٢٤

(١ - ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٨٥: ٦. [١]

لأكويه عنده كيه اقيم بها نخوه الأصعر

و شانى أحمد من بينهم و أقولهم فيه بالمنكر (١)

قلت: و فى (تذكرة سبط ابن جوزى): قال أهل السير: لما سلم الحسن عليه السلام الأمر إلى معاويه أقام يتجهز إلى المدينة، فاجتمع إلى معاويه رهط من أشياعه منهم عمرو بن العاص، و الوليد بن عقبه أخو عثمان لأمه - و كان على عليه السلام قد جلدته فى الخمر - و عتبه بن أبى سفيان و قالوا: نريد أن نحضر الحسن لنخجله، فنهاهم معاويه و قال: انه السن بنى هاشم، فألحوا عليه، فأرسل إليه، فلما حضر شرعوا فتناولوا عليا و الحسن ساكت، فلما فرغوا قال: ان الهمدنى أشرتم إليه قد صلى القبلتين، و بايع البيعتين و أنتم مشركون، و بما أنزل على نبيه كافرون - إلى أن قال - ثم التفت إلى عمرو فقال:

أما أنت يا ابن النابغة فادعاك خمسة من قريش، غلب عليك الأمهم و فيه نزل:

«إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» (٢)، و ولدت على فراش مشترك، و كنت عدو الله و عدو رسوله و عدو المسلمين، و كنت أضرب عليهم من كل مشرك، و أنت القائل:

و لا أنثنى عن بنى هاشم بما استطعت فى الغيب و المحضر

و عن عائب اللات لا انثنى و لو لا رضى اللات لم تمطر

إلى أن قال: أما قول الحسن عليه السلام لعمر و «ولدت على فراش مشترك»، فذكر الكلبي فى (المثالب) ان النابغة أم عمر و كانت من البغايا أصحاب الرايات بمكة، فوقع عليها العاص بن وائل فى عده من قريش منهم أبو لهب، و اميه بن خلف، و هشام بن المغيرة، و أبو سفيان فى طهر واحد، فلما حملت بعمر و تكلموا فيه، فلما وضعته اختصم فيه الخمسة الذين ذكرناهم كل واحد يزعم

ص: ٥٢٥

١ - ١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ٢٨٥: ٦ و ٢٩١.

٢ - ٢) الكوثر: ٣. [١]

أنه ولده، و ألب عليه العاص و أبو سفيان كل واحد يقول: و الله انه منى، فحكما النابغه، فاختارت العاص، فقالت هو منه، فقيل لها: ما حملك على هذا و أبو سفيان اشرف من العاص؟ فقالت: هو كما قلت الا أنه رجل شحيح، و العاص جواد ينفق على بناتي (١).

و فيه فى كتابه كتاب التحكيم و انكار عمرو بن العاص كتابه «هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين على» لعدم كونه أميرهم فلا يكتب الا اسمه و اسم أبيه، قال على عليه السلام: الله اكبر، انى لكاتب يوم الحديبيه للنبي صلى الله عليه و آله حين قالوا:

لست برسول الله، فاكتب اسمك و اسم أبيك، فكتبته. فقال عمرو: سبحان الله أ تشبهنا بالكفار. فقال له على: يا ابن النابغه و متى لم تكن للفاسقين وليا، و للمسلمين عدوا، و هل تشبه إلا امك التى دفعت بك. فقام عمرو و قال: لا يجمع بينى و بينك مجلس بعد اليوم. فقال على: ان الله قد طهر مجلسى منك و من أشباهك (٢).

«يزعم لأهل الشام أن فى دعابه» أى: مزاح. قال ابن أبى الحديد اصل ذلك كلمه قالها عمر، فتلقفها حتى جعلها أعداؤه عليه السلام طعنا عليه.

ففى (أمالى ثعلب) قال ابن عباس: كنت عند عمر، فتنفس نفسا عاليا حتى ظننت أن اضلاعه قد انفرجت، فقلت له: ما أخرج هذا النفس منك إلا- هم شديد. قال: أى و الله يا ابن عباس، انى فكرت، فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدى. ثم قال: لعلمك ترى صاحبك لها أهلا. قلت: و ما يمنعه من ذلك مع جهاده و سابقته و قرابته و علمه. قال: صدقت و لكنه امرؤ فيه دعابه- إلى أن قال- ان أحرهم أن يحملهم على كتاب ربهم و سنه نبهم لصاحبك، و الله لئن وليها

ص: ٥٢٦

١- ١) تذكره الخواص: ٢٠٠-٢٠٥، و [١] النقل بتلخيص.

٢- ٢) تذكره الخواص: ٩٧. [٢]

قلت: و مِمَّا يشهد أيضا أن الأصل في الكلمه عمر ما في (العقد)- في قصه الشورى- قال المغيره: انى لعند عمر إذ أتاه آت، فقال له: هل لك في نفر من أصحاب النبى يزعمون أن الذى فعل أبو بكر في نفسه و فيك لم يكن له، و انه كان بغير مشوره و لا تأمر- إلى أن قال- فقال عمر: أما و الله لو لا دعا به في على ما شككت في ولايته، و ان نزلت على رغم أنف قريش.

و لم يكن رمى عمر له عليه السلام منحصرًا بالدعا به، فرماه بالعجب و التهم، ففي موفقيات ابن بكار عن ابن عباس قال: قال لى عمر: ان صاحبكم ان ولى هذا الأمر أخشى عجه بنفسه أن يذهب به فليتني اراكم بعدى. قلت: ان صاحبنا من قد علمت أنه ما غير و لا بدّل و لا أسخط النبى صلى الله عليه و آله أيام صحبته له. فقطع على الكلام و قال: و لا في ابنه ابى جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمه.

فقلت له: صاحبنا لم يعزم على سخط النبى، و لكن الخواطر لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه، و ربما كانت من الفقيه في دين الله العالم بأمر الله. فقال: يا ابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزا (٢).

و رماه بالرياء و الحرص، فعن (أمالى محمّد بن حبيب) عن ابن عباس قال: دخلت يوما على عمر فقال: لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العباده حتى نحلته رياء. قلت: من هو؟ قال: هذا ابن عمك على. قلت: و ما تقصد بالرياء. قال:

يرشح نفسه بين الناس للخلافه. قلت: و ما يصنع بالترشيح إقد رشح لها النبى صلى الله عليه و آله فصرفت عنه. قال: انه كان شابا حدثا، فاستصغرت العرب سنه

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٣٢٦: ٦. [١]

٢- ٢) نقله عنه ابن أبى الحديد في شرحه ٥٠: ١٢.

وقد كمل الآن، ألم تعلم أن الله لم يبعث نبيا إلا بعد الأربعين. قلت: أما أهل الحجى والنهى فانهم ما زالوا يعدونه كاملا منذ رفع الله منار الاسلام و لكنهم يعدونه محروما. فقال: أما انه سيليها بعد هياط و مياط ثم تزل فيها قدمه، و لا يقضى منها أربه، و لتكونن شاهدا ذلك، ثم يتبين الصبح لذى عينين، و تعلم العرب صحه رأى المهاجرين الاولين العذيين صرفوها عنه بادية بدء، فليتني أراكم بعدى أن الحرص محرمة-الخير (١).

و رماه بالكبر و الاجحاف و الغل و الحقد، فروى الطبرى عن ابن عباس -فى قصه شعر زهير فى بنى سنان- قال: قال لى عمر: أ تدرى ما منع الناس عنكم؟ قلت: لا- أدرى. قال: لكنى أدرى، كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوه و الخلافه فتجحفوا الناس جحفا، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت و وفقت فأصاب. قال: فقلت له أ تميظ عنى غضبك. قال: قل ما تشاء. قال: أما قولك: «ان قريشا كرهت» فان الله تعالى قال: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» (٢)، و اما قولك: «انا كنا نجحف بالخلافه» فلو كنا جحفنا بالخلافه جحفنا بالقرايه، و لكنا قوم أخلاقنا مشتقه من خلق النبى الذى قال تعالى فيه:

«وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ» (٣)، و قال له: «وَإِخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٤)، و اما قولك: «ان قريشا اختارت» فان الله تعالى يقول: «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» (٥)، و قد علمت أن الله تعالى اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت

ص: ٥٢٨

١- ١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ٨٠: ١٢.

٢- ٢) محمد: ٩. [١]

٣- ٣) القلم: ٤. [٢]

٤- ٤) الشعراء: ٢١٥. [٣]

٥- ٥) القصص: ٦٨. [٤]

و أصابت. فقال: أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول، و حقدنا عليها لا يحول. فقلت: مهلا لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش، فان قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره و زكاه، و هم أهل البيت الذين قال تعالى:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (١).

و أما قولك: «حقدنا» فكيف لا يحقد من غصب شيئه و يراه في يد غيره.

فقال: بلغني انك لا تزال تقول اخذ هذا الأمر منا حسدا و ظلما. فقلت: أما قولك حسدا فقد حسد ابليس آدم فأخرجه من الجنة فنحن بنو آدم المحسود، و أما قولك ظلما فأنت تعلم صاحب الحق من هو (٢).

و من المضحك أن ابن أبي الحديد قال بعد نقل ذاك الخبر: ان الأصل في كلام عمرو ابن العاص و ان كان كلام عمر، الا ان عمر لم يرد عيبه عليه السّلام كما اراده عمرو، فان عمر لما كان شديد الغلظه و عر الجانب خشن اللمس دائم العبوس كان يعتقد أن ذلك هو الفضيله و ان خلافه نقص، ألا- ترى أنه قال في آخر الخبر: ان أحراهم ان وليها ان يحملهم على كتاب الله هو- إلخ (٣).

فهل اراده العيب أى شىء هو، و أما قوله في آخر الخبر فمن اجراء الله تعالى كلمه الحق على لسانه على رغم أنفه، و اتماما للحجه على اتباعه. و كان صدر منه من قبيل ذلك كثيرا، و منه ما عن موفقيات ابن بكار: كان ابن عباس يماشى فى سكه من سكه المدينة عمر، فقال له يا ابن عباس ما أرى صاحبك الا مظلوما. قال: فقلت فى نفسى: لا يسبقنى بها فقلت: فاردد إليه ظلامته، فانترع يده من يدي و مضى يهمهم ساعه ثم وقف فلحقته، فقال: يا ابن عباس

ص: ٥٢٩

١- ١) الاحزاب: ٣٣. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٣: ٢٨٩، سنه ٢٣. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٢٧ و ٦، ٣٢٨، و [٣] النقل بالمعنى.

ما أظن منعهم الا- أنه استصغره قومه. فقلت في نفسي: هذه شر من الاولى، فقلت: و الله ما استصغره الله و رسوله حين أمراه أن يأخذ براءه من صاحبك، فأعرض عني و اسرع (١).

فهل ترى كلمات عمرو فيه هذه و باقى كلماته بل و جميع كلمات معاويه فيه عليه السّلام، و منها كتابه إلى الحسن بعد أبيه عليه السّلام: انى اليوم كأبى بكر بعد النبىّ صلّى الله عليه و آله و أنت كأبيك بعده، و ما دام الكبير لا يرجع الأمر إلى الصغير (٢)- الا مأخوذه من كلمات عمر، فهل كلمات عمر و عمرو و معاويه فيه عليه السّلام الا كأنها عن قلب واحد.

و إذا كانت كلمات عمر فيه عليه السّلام هذه لاغرو أن يسنّ معاويه و باقى بنى اميه سبه عليه السّلام، و إذا قال عمر فيه انه أسخط النبىّ بخطبه ابنه أبى جهل لاغرو أن يقول المغيره ان النبىّ لم ينكح علينا ابنته حبا له، و لكنه أراد أن يكافىء بذلك احسان أبى طالب إليه.

و كما أخذ عمرو كلمه الدعابه من عمر كذلك اخذ جمله كونه عليه السّلام حريصا على الملك منه، فقال فى مجلس معاويه للحسن عليه السّلام- كما عن مفاخرات ابن بكار- انكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، و استحلالكم ما حرّم الله من الدماء، و حرصكم على الملك (٣).

هذا، و نقل ابن أبى الحديد بمناسبه قول عمرو «ان فيه دعابه» جمله ممّا ورد من طريقهم فى مزاحات النبىّ صلّى الله عليه و آله المباحه و قال: انها من الأحاديث الصحاح و الآثار المستفيضه، لكن ليس الأمر كما ذكر، ففيها الغث كما سترى،

ص: ٥٣٠

١- ١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ١٢: ٤٦.

٢- ٢) رواه أبو الفرج فى المقاتل: ٣٧، و النقل بالمعنى.

٣- ٣) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ٦: ٢٨٧.

فقال: روى الناس قاطبه ان النبي قال: انى أمزح و لا أقول الا حقا.

و فى خبر أنه صلى الله عليه و آله قال لامرأه من الأنصار: الحقى زوجك، فان فى عينه بياضا، فسعت نحوه مرعوبه فقال لها: ما دهاك؟ فأخبرته فقال لها: نعم ان فى عيني بياضا لا لسوء.

و أتت عجوز من الأنصار إليه عليه السلام، فسألته ان يدعو الله تعالى لها بالجنه، فقال لها: ان الجنه لا تدخلها العجيز، فصاحت فتبسم صلى الله عليه و آله و قال «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أُبْكَارًا» (١).

و فى الخبر: ان امرأه استحملته فقال: إننا حاملوك على ولد الناقه، فجعلت تقول: يا رسول الله و ما أصنع بولد الناقه، و هل يستطيع أن يحملنى، و هو يتبسم و يقول: لا أحملك إلا عليه، حتى قال لها أخيرا: و هل تلد الابل الا النوق.

و فى الخبر انه صلى الله عليه و آله مرّ ببلال، فضربه برجله و قال أ نائمه أم عمرو، فقام بلال، فضرب بيده إلى مذاكيره، فقال له: ما بالك؟ قال: ظننت انى تحولت امرأه، قيل: فلم يمزح النبى بعده.

و فى الخبر: ان صقرا كان لصبى من الأنصار، فطار من يده، فبكى الغلام، فكان النبى صلى الله عليه و آله يمر به فيقول: يا أبا عمرو ما فعل الصقر و الغلام يبكى، و كان يمازح ابنتى بنته مزاحا مشهورا، و كان يأخذ الحسين عليه السلام، فيجعله على بطنه و هو نائم على ظهره و يقول له «حزقه حزقه، ترق عين بقه».

و فى (الصحيح): مر صلى الله عليه و آله على أصحاب الدر كله - لعبه للحبش - و هم يلعبون و يرقصون، فقال: خذوا يا بنى أرفده - جنس من الحبش يرقصون - حتى يعلم اليهود و النصارى أن فى ديننا فسحه.

ص: ٥٣١

و فى الخير: انه سابق عائشه فسبقته، ثم سابقها فسبقها، فقال: هذه بتلك.

و ان أصحاب الزفافه-و هم الراقصون- كانوا يقفون على باب حجره عائشه، فتخرج إليهم مستمعه و مبصره، فيخرج هو من ورائها مستترا بها (١).

قلت: لا يدرون ما يضعون لتلك المرأة، يضعون لها ما فيه ابطال النبوه، فان النبى صلى الله عليه و آله الّذى لم يكن يؤمى بعينه فكان حكم بهدر دم عبد الله بن أبى سرح بعد فتح مكه و جاء به عثمان إليه و طلب منه مرارا الامان، فسكت مدته حتى يقتله أصحابه، و لم يتفطنوا لذلك حتى قال لهم ذلك، فقالوا: كنا ننتظر ايماءك بعينك، فقال: ما كان لنبى الايماء (٢)- و فى احد لما استكرهوه على الخروج عن المدينه و كان رأيه الوقوف فيها، فخرج ثم ندموا، فقالوا له:

استكر هناك فان شئت فارجع، فقال لهم: ما ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل (٣)، و من قال تعالى فيه: «لا ترفعوا أصيواتكم فوق صوت النبى و لا- تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض» (٤)، و جعل تعالى لاحترامه التخيير له فى نساءه بأن تكون من اختارت نفسها تكون بائه منه، و جعل تعالى لاحترامه ان امرأه قالت له اعوذ بالله منك تكون محرمة عليه، كيف يسابق عائشه، و كيف يستتر بها لمشاهده الرقاصين، و قد قال تعالى فى وصف أهل الايمان: «وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» (٥). هل يصير وضع مثل

ص: ٥٣٢

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٦: ٣٣٠. [١]

٢- ٢) رواه ابن هشام فى السيره ٤: ٣٩، و الطبرى فى تاريخه ٢: ٣٣٥، سنه ٨، و [٢] الواقدى فى المغازى ٢: ٨٥٦.

٣- ٣) رواه ابن هشام فى السيره ٣: ١٧، و [٣] الطبرى فى تاريخه ٢: ١٩٠، سنه ٣، و [٤] الواقدى فى المغازى ١: ٢١٤، و [٥] ابن سعد فى الطبقات ٢ ق ٢٦: ١.

٤- ٤) الحجرات: ٢. [٦]

٥- ٥) الفرقان: ٧٢. [٧]

هذه الأحاديث لا مذهب سببا لرفع قوله تعالى فيها و في صاحبها: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» (١).

ثم ان ابن أبي الحديد نقل شطرا من مزاحات الصحابه و التابعين، ثم قال: و روى عن جماعه منهم اللعب بالنرد و الشطرنج، و منهم من روى عنه شرب النبيذ، و سماع الغناء المطرب، فأما أمير المؤمنين عليه السلام فإذا نظرت إلى كتب الحديث و السير لم تجد أحدا من خلق الله عدوا و لا صديقا روى عنه شيئا من هذا الفن لا قولاً و لا فعلاً، و لم يكن وقار أتم من وقاره، و ما هزل قط و لا لعب، و لا فارق الحق و الناموس الديني سراً و لا جهراً، و لكنه خلق على سجيته لطيفه، و أخلاق سهله، و وجه طلق، و قول حسن، و بشر ظاهر، و ذلك من فضائله عليه السلام التي اختصه الله بمزيتها، و انما كانت غلظته فعلاً لا قولاً (٢).

قلت: و ان كان أمير المؤمنين عليه السلام كما قال نفسه في وصف المؤمن:

«بشره في وجهه و حزنه في قلبه» (٣) إلا أنه لا بد أن يكون له مزاح لطيف كالنبي صلى الله عليه و آله، حتى يقول عمر كرا را فيه «لو لا دعا به فيه» (٤) فيأخذه منه عمرو و يزيد على قول عمر «انه تلعبه و انه يعافس و يمارس» (٥).

و مما روى عنه عليه السلام في ذلك ما في صفين نصرانه دفع الرايه إلى هاشم المرقال - و كان عليه درعان - و قال له كهيته المازح: أبا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً. فقال له هاشم: ستعلم يا أمير المؤمنين و الله لا لئن

ص: ٥٣٣

١-١ (١) التحريم: ٤. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٣٦ و ٣٣٧. [٢]

٣-٣ (٣) نهج البلاغه ٤: ٧٨، حكمه ٣٣٣. [٣]

٤-٤ (٤) رواه الجاحظ في السفيانيه عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٦، و ابن سعد كما في تلخيص الشافى ٤: ٣٧.

٥-٥ (٥) جاء هذا تضمينا في نهج البلاغه ١: ١٤٧، خطبه ٨٢، و تصريحاً في اسانيد الخطبه.

بين جماجم القوم لف رجل ينوى الآخره (١).

و روى الشيخ أن امرأه تقدمت إلى شريح وقالت له: لى احليل ولى فرج، تزوجنى ابن عم لى و أخذمنى خادما، فوطئتها فأولدتها، فأخبر شريح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك، فأحضر زوجها و قال له: هذه امرأتك و ابنه عمك؟ قال:

نعم. قال: قد أخذمتها خادما فوطئتها فأولدتها؟ قال: نعم. قال: ثم وطئتها بعد ذلك؟ قال: نعم. فقال له: لأنت أجراً من خاصى الأسد (٢).
و رروا- كما فى ابن أبى الحديد فى موضع آخر- ان بعض من يأنس إليه عليه السّلام دعاه إلى حلواء عملها يوم نوروز، فأكل و قال: لم عملت هذا؟ فقال:

لأنه يوم نوروز، فضحك و قال: نورزوا لنا كل يوم ان استطعتم (٣).

«و انى امرؤ تلعباه» أى: كثير اللعب «أعافس» فى (الجمهره): أصل العفس ذلك الاديم فى الدباغ، ثم كثر ذلك حتى قالوا «تعافس القوم» إذا اعتلجوا فى صراع و نحوه، و عافس الرجل أهله معافسه و عفاسا «و أمارس» فيه مرست الشىء إذا دلكته .

«لقد قال باطلا- و نطق آثما» لانه يعرفه عليه السّلام كل عدوّ و لى بضد ما قال، و يعلم كل من سمع ذلك أنه من خطأ المقال، فلا تأثير لتهمته و قالوا فى المعنى:

ما ضرّ وائل تغلب اهجوتهما أم بلت حيث تناطح البحران

ما يضير الهجر امسى زاخرا ان رمى فيه غلام بحجر

ما ابالى انب بالحزن تيس ام لحانى بظهر غيب لئيم

«اما و شر القول الكذب انه ليقول فيكذب» و من أكاذيبه ما رواه سليم بن

ص: ٥٣٤

١- ١) وقعه صفين: ٣٢٦. [١]

٢- ٢) رواه الشيخ الطوسى فى التهذيب ٩: ٣٥٤ ح ٥، و النقل بتلخيص.

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١١: ٢٤٨. [٢]

قيس انه خطب الناس بالشام فقال: بعثني النبي في جيش فيه أبو بكر و عمر، فظننت أنه انما بعثني لكرامتي عليه، فلما قدمت عليه قلت أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشه. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها- و عليّ يطعن على أبي بكر و عمر و عثمان- و قد سمعت النبي يقول: ان الله ضرب بالحق على لسان عمر و قلبه.

و قال في عثمان: ان الملائكة تستحيى من عثمان.

و قد سمعت عليًا باذني و الا فصمنا يروى على عهد عمر أن النبي نظر إلى أبي بكر و عمر مقبلين فقال: يا عليّ هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين و الآخرين، ما خلا النبيين منهم و المرسلين، و لا تحدثهما بذلك فيهلكا.

فبلغ كلامه و خطبته عليًا عليه السلام فقال: العجب لظغاه أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو و يصدقونه، و قد بلغ من قلبه ورعه أن يكذب على النبي، و قد لعنه النبي و لعن صاحبه الذي يدعو إليه في غير موطن، و ذلك أنه هجاه بقصيده سبعين بيت، فقال النبي: اللهم انى لا أقول الشعر فالعنه انت و ملائكتك بكل بيت لعنه تترى على عقبه إلى يوم القيامة، ثم لما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه و آله قام فقال: ان محمداً قد صار أبتراً لا عقب له و انى لأشأ الناس له، فأنزل الله فيه: «إِنَّ شَائِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» (١)، يعنى أبتراً من الايمان و من كل خير، ما لقيت هذه الامه من كذابيها و منافقيها، و لكأنى بالقراء الضعفه المتهجدين رووا حديثه و صدقوه فيه و احتجوا علينا أهل البيت بكذبه.

إلى أن قال: و الذى فلق الحبه و برأ النسمة انه ليعلم أنه قد كذب عليّ يقينا، و انه لم يسمعه منى سرا و لا جهراً، اللهم العن عمروا و العن معاويه بصدّهما عن سبيلك و كذبهما على نبيك (٢).

ص: ٥٣٥

١- (١) الكوثر: ٣. [١]

٢- (٢) كتاب سليم بن قيس: ١٧٢.

قلت: و لم يصدق من حديثه الا قوله بعثنى النبي في جيش فيه أبو بكر و عمر، فانه عليه السّلام بعثه أميرا عليهما، و اما باقيه فكذب محض حتى في قوله «فظننت انه انما بعثنى لكرامتي عليه»، فانه علم انه عليه السّلام أمره عليهما ليفهم الناس عدم كرامتهما عليه، كما أنه امر عليهما مولاه زيد بن حارثه و ابن مولاه اسامه بن زيد ليعلم الناس ذلك، فطعنناهما و اتبعناهما في تأميرهما حتى خطب النبي صلّى الله عليه و آله و قال: طعنتم في امارتهما و هما أهل لذلك، و كذبه في حديثه كما قيل في أبي حازم:

حديث أبي حازم كله كقول الفواخت جاء الرطب

و هنّ و ان كنّ يشبهنه فليس يدانينه في الكذب

و كذبه عليه عليه السّلام نظير كذب عمرو بن معديكرب على خالد النهدي، ففي الأغاني قال المبرد: كانت الاشراف بالكوفه يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار و يتحدثون و يتذاكرون أيام الناس، فوقف عمرو بن معديكرب إلى جانب خالد بن الصقعب النهدي- و هو لا يعرفه- فأقبل عليه يحدثه و يقول:

أغرت على بنى نهد، فخرجوا إلى مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم، فطعنته فوق و ضربته بالصمصامه حتى فاضت نفسه. فقال له خالد: يا أبا ثور أنا لمقتولك العدى تحدث. فقال: اللهم غفرا اسمع انما نتحدث بمثل هذا و أشباهه لترهب هذه المعديه-الخبر.

الا أن عمروا ذاك خجل و عمروا هذا لم يفعل، و عمرو ذاك تحدث بما حدث لارهاب المعديه، و عمرو ذا حدث بما حدث لتحقيق الشاميه.

هذا، و ممن كان مشهورا بالكذب على بن الجهم الشاعر الناصبي، حتى قال المتوكل- كما في الأغاني- انه أكذب خلق الله، حفظت عليه انه أخبرني انه أقام بخراسان ثلاثين سنه، ثم مضت مده و نسي ما أخبرني به، فأخبرني انه

أقام بالثغور ثلاثين سنه، ثم مضت مده نسي الحكايتين، فأخبرني انه أقام بالجبل ثلاثين سنه، ثم مضت مده، فأخبرني أنه أقام بمصر والشام ثلاثين سنه- إلى أن قال- فيجب أن يكون عمره على ما قال على التقليل مائه و خمسين سنه، و انما يضاهى خمسين سنه فليت شعري أى فائده له فى هذا الكذب و ما قصده.

و كان علىّ بن الجهم فى الوقاحه كعمرو بن العاص، فكما لم يستحى عمرو فى كذبه عليه عليه السّلام فى حضوره لم يستحى ابن الجهم فى كذبه على الصولى، ففى الأغانى قال ابن المدبر لابراهيم الصولى: ان علىّ بن الجهم -و كان عند الصولى- يزعم أن هذين البيتين له:

و اذا جزى الله امرأ بفعاله فجرى أخا لى ماجدا سمحا

ناديته عن كربه فكأنما اطلعت عن ليل به صباحا

فقال: كذب، هذان لى فى محمّد بن عبد الملك الزيات. فقال له ابن الجهم:

ألم أنهك ان تنتحل شعري، فغضب الصولى و جعل يقول له بيده سوءه عليك سوءه لك ما أوقحك- و هو لا يخجل- ثم التقينا بعد مده فقال: ارأيت كيف أخزيت إبراهيم الصولى، فجعلت اعجب من صلابه وجهه .

«و يعد فيخلف» و من أمثالهم فى من يخلف الوعد «مواعيد عرقوب» (١)، قالوا: كان عرقوب رجلا من العماليق، فأتاه أخ له يسأله شيئا، فقال له عرقوب:

إذا اطلع نخلى، فلما اطلع نخله أتاه، فقال: إذا أبلح، فلما أبلح أتاه، فقال: إذا أزهى، فلما أزهى أتاه، فقال: إذا أرطب، فلما أرطب أتاه، فقال: إذا صار تمرا، فلما صار تمرا أخذه من الليل و لم يعطه شيئا.

و قالوا: قدم صديق لدعبل من الحج، فوعده أن يهدى له نعلا، فأبطأت

ص: ٥٣٧

عليه، فكتب إليه:

وعدت النعل ثم صدفت عنها كأنك تبتغي شتما و قدفا

فان لم تهدلى نعلا فكنها إذا أعجمت بعد النون حرفا

أى أنت نغل بجعل عينها غينا، و النغل فاسد النسب.

و وعد رجل الأعمش فأخلفه، فلما جاءه قال له: مرحبا يا أبا المنذر. قيل له: ما هذا كنيته؟ قال: علمت لكن كنيته بكنيه مسيلمه أى الكذاب.

و فى (الصحاح): الخلف بالضم الاسم من الخلاف، و كان أهل الجاهليه يقولون: «أخلفت النجوم» إذا أمحلت فلم يكن فيها مطر، و الخلف فى المستقبل كالكذب فى الماضى.

و لبديع الهمدانى فى وصف شيخ كان يخلف وعده: ما أشبه وعد الشيخ فى الخلاف، الا بشجر الخلاف، خضره فى العين، و لا ثمره فى البين، فما ينفع الوعد، و لا انجاز من بعد، و مثل الوعد مثل الرعد ليس له خطر أن لم يتله مطر .

«و يسأل فيلحف» الالحاف الالحاح كان معاويه ولى عبد الرحمن بن ام الحكم اخته الكوفه، فأساء السير به، فقدم قادم منها إلى المدينه، فسألته امرأه عبد الرحمن عنه فقال: تركته يسأل الحافا، و ينفق اسرافا.

قال تعالى فى وصف فقراء المؤمنين: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا» (١) و قال الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم الثقفى: لو يعلم السائل ما فى المسأله ما سأل أحد أحدا، و لو يعلم المعطى ما فى العطيه مارد أحد أحدا (٢).

و قال الصادق عليه السلام لأبى بصير الاسدى: جاءت فخذ من الأنصار إلى النبىّ صلّى الله عليه و آله فقالوا: لنا إليك حاجه. فقال: هاتوا. قالوا: حاجه عظيمه تضمن لنا

ص: ٥٣٨

١-١ (١) البقره: ٢٧٣. [١]

٢-٢ (٢) أخرجه الكلينى فى الكافى ٢٠: ٤ ح ٢، و [٢] الصدوق فى الفقيه ٤١: ٢ ح ٣٠.

على ربك الجنة. فنكس النبي رأسه ثم نكت في الأرض ثم رفع رأسه فقال:

أفعل ذلك بكم على أن لا تسألوا أحدا شيئا. فكان الرجل منهم في السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لانسان ناولنيه فرارا من المسألة و ينزل فيأخذه، و يكون على المائدة فيكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه فلا يقول ناولني حتى يقوم فيشرب (١).

«و يسأل فيبخل» قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: و أى داء أدوى من البخل، و لو يعلم الناس ما فى الرد ما رد أحد أحدا (٢).

«و يخون العهد» فأخذ من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رايه، و عهد معه ألا يقاتل بها مسلما، فخان و قاتل مع من كان نفس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

و فى (كنايات الجرجاني): يسمون سورة المائدة سورة الأخيار، و قولهم فلان لا يقرأ سورة الأخيار، يعنى لا يفى بالعهد، قال جرير:

ان البعيث و عبد آل مقاعس لا يقرءان سورة الاخيار

«و يقطع الال» أى: القرابه و الرحم، قال حسان:

لعمرك ان إلك من قريش كإل السقب من رأل النعام (٣)

«فإذا كان عند الحرب فأى زاجر و أمر هو ما لم تأخذ السيوف مأخذها» فى (صفيين نصر): لما عبأ معاويه خيله، و عقد الألويه، و أمر الامراء، و كتب الكتاب، قال عمرو بن العاص له: اعصب هذا الأمر برأسى، و أرسل إلى ابى الأعور يقولوا له: ان لعمرو رأيا و تجربه ليسالى و لك، و قد وليته أعنه الخيل

ص: ٥٣٩

١- ١) اخرج الكلىنى فى الكافى ٤:٢١ ح ٥، و [١] الصدوق فى الفقيه ٢:٤١ ح ٣١.

٢- ٢) اما صدر ذلك فحديث مشهور نبوى اخرج الكلىنى فى الكافى ٤:٤٤ ح ٣، و [٢] الحاكم فى المستدرک ٣:٢١٩، و [٣] القاضى القضاعى فى شهاب الاخبار: ١٢٢ ح ٢٢٤، و غيرهم و اما ذيله فقد روى معناه عن الباقر عليه السلام الكلىنى فى الكافى

٤:٢٠ ح ٢، و [٤] الصدوق فى الفقيه ٢:٤١ ح ٣٠.

٣- ٣) أورده لسان العرب ١١:٢٦، [٥] ماده (ال).

ففعّل -إلى أن قال- فقال عمرو لابنيه عبد اللّٰه و محمّد: قد مالى هذه الدرع، و آخرأ عنى هذه الحسر، و أقصا الصف قص الشارب، فان هؤلاء قد جاءوا بخطه بلغت السماء، فمشى ابناه براياتهما و عدلا الصفوف، و سار بينهما عمرو حتى عدل الصفوف و أحسن الصف ثانيه، ثم حمل قيسا و كلبا و كنانه على الخيول، و رجل سائر الناس، و قعد على منبره، و أحاط به أهل اليمن و قال:

لا يقربن أحد هذا المنبر إلا قتلتموه كائنا من كان (١).

و فى (صفيين نصر): ان الحسن عليه السّلام لما سلم الأمر إلى معاويه أشخص عبد الله بن هاشم المرقال إليه أسيرا، فأدخل عليه و عنده عمرو بن العاص، فقال عمرو لمعاويه: هذا المحتال ابن المرقال، فدونك الضب المضب، فان العصا من العصيه، و انما تلد الحيه حيه، و جزاء سيئه سيئه مثلها، أمكنى منه فأشخب أو داجه على أثباجه. فقال له ابن المرقال: فهلا كانت هذه الشجاعه منك يا بن العاص أيام صفيين حين ندعوك إلى النزال، و قد اتبلت أقدام الرجال من نقيع الجريال -أى الدم- و قد تضايقت بك المسالك، و أشرفت فيها على المهالك، و ايم الله لو لا مكانك من معاويه انشبت لك منى حافيه، أرميك من خلالها أحد من وقع الأثافي، فانك لا -تزال تكثر فى هوسك، و تخبط فى دهسك، و تنشب فى مرسك، خبط العشواء فى الليله الخندس الظلماء. فأعجب معاويه ما سمع من كلامه، فكف عن قتله و بعث به إلى السجن (٢).

و رواه (المروج) و فيه: قال لعمرو: أفلا كان هذا منك إذ تحيد عن القتال، و نحن ندعوك إلى النزال، و أنت تلوذ بشمال النطاف و عقائق الرصاف، كالامه السوداء و النعجه القوداء لا تدفع يد لأمس. فقال له عمرو: لا أحسبك منفلتا من

ص: ٥٤٠

١ - ١) وقعه صفيين: ٢٢٤. [١]

٢ - ٢) وقعه صفيين: ٣٤٨. [٢]

مخالبا معاويه.فقال له ابن المرقال:أما والله يا ابن العاص انك لبطر فى اللقاء، جبان عند اللقاء،غشوم إذا وليت،هياب إذا لقيت،تهدر كما يهدر العوذ المنكوس المقيد بين مجرى الشول،لا يستعجل فى المده،و لا يرتجى فى الشده-إلخ (١).

هذا،و لابن مياده فى ايوب بن سلمه ابن اخته:

ظللنا وقوفا عند باب ابن اختنا و ظلّ عن المعروف و المجد فى شغل

صفا صلد عند الندى و نعامه إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل

و لبعضهم فى الحجاج:

أسد علىّ و فى الحروب نعامه حرباء تصفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزاله فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر

و قال قرواش فى رجلين:

ضبعا مجاهره و ليثا هدنه و ثعلبا خمر إذا ما اظلما

و لبعضهم:

أفى السلم اعيار جفاء و غلظه و فى الحرب أمثال النساء العوارك

«فإذا كان» أى:وجد «ذلك» أى:أخذ السيوف مأخذها «كان أكبر مكيدته ان يمنح» أى:يعطى «القرم» هكذا فى (المصريه)،و الصواب:(القوم)كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢)،و لا- معنى للقرم هنا،فان معناه البعير المكرم لا يحمل عليه (سبته) بالفتح أى:دبره.

فى (العيون)قال المدائنى:رأى عمرو بن العاص يوما معاويه يضحك، فقال له:مم تضحك؟قال:من حضور ذهنك عند إبدائك سوأتك يوم ابن أبى

ص:٥٤١

١- (١) مروج الذهب ٩:٣. [١]

٢- (٢) لفظ شرح ابن أبى الحديد ٢٨٠:٦،و [٢] شرح ابن ميثم ٢٧٠:٢، [٣] مثل المصريه.

طالب، أما و الله لقد وافقته منانا كريما، و لو شاء أن يقتلك لقتلك. فقال له عمرو:

أما و الله و انى لعن يمينك حين دعاك علىّ إلى البراز، فاحولت عيناك، و ربا سحر ك، و بدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أودع.

و فى (صفين نصر): حمل عمرو بن العاص معلما و هو يقول:

شدّوا على شكّتى لا تنكشف بعد طليح و الزبير فأتلف

يوم لهمدان و يوم للصدف و فى تميم نحوه لا تنحرف

أضربها بالسيف حتى تنصرف إذا مشيت مشيه العوذ الصلف

و مثلها لحمير او تنحرف و الربيعون لهم يوم عصف

فاعترضه علىّ عليه السلام و هو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل و الخصر و الأنامل الطفيل

انى بنصل السيف خنثليل احمى و ادمى أول الرعيل

بصارم ليس بذى فلول

ثم طعنه فصرعه، و اتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علىّ وجهه عنه و ارتث، فقال القوم له عليه السلام: أفلت الرجل قال: و هل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فانه عمرو بن العاص تلقانى بعورته، فصرفت وجهى عنه.

و رجع عمرو إلى معاويه فقال له: ما صنعت؟ قال: لقينى علىّ فصرفى. قال:

أحمد الله و عورتك، أما و الله ان لو عرفته ما اقحمت عليه. و قال:

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبنى على تركى برازى

فقد لاقى أبا حسن عليّا فأب الوائلى مآب خازى

فلو لم يبد عورته لللقى به ليثا يذلل كل نازى

له كفّ كأن براحتها منايا القوم يخطف خطف بازى

فان تكن المنيه اخطأته فقد غنى بها أهل الحجازى

إلى أن قال بعد ذكر حض معاوية لبسر بن ارطاه برازه إليه عليه السلام: فبرز و انه عليه السلام لما قاربه طعنه و هو دارع فألقاه على الأرض، فقصد بسر أن يكشف عورته ليستدفع باسته، فانصرف عنه، فقال له الأشر: هذا عدو الله بسر. فقال له: دعه عليه لعنه الله أبعد أن فعلها، فقال الأشر:

أكل يوم رجل شاغره و عوره وسط العجاج ظاهره

تبرزها طعنه كف و اتره عمرو و بسر رميا بالفقره

و قال النضر بن الحارث:

أفى كل يوم فارس تندبونه له عوره وسط العجاجه باديه

يكف بها عنه على سنانه و يضحك منها فى الخلاء معاويه

بدت امس بن عمرو ففنع راسه و عوره بسر مثلها حذو حاذيه

فقولا لعمرو و ابن ارطاه ابصرا سييلكما لا تلقيا الليث ثانيه

و لا تحمدا إلا الحيا و خصيكما هما كانتا و الله للنفس واقيه

فلولاهما لم تنجوا من سنانه و تلك بما فيها من العود ناهيه (١)

هذا، و فى (عيون ابن قتيبه): أخذ عبد الله بن على أسيرا من أصحاب مروان ابن محمد، فأمر بضرب عنقه، فلما رفع السيف السيف شرط الشامى، فنفرت دابه عبد الله، فضحك و قال للشامى: اذهب فأنت عتيق استك.

فقال الشامى: هذا و الله الادبار، كنا ندفع الموت بأستتنا، فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا.

قلت: لم يدر عبد الله بن على يقول له كنتم من أول يوم تدفعون الموت بأستاهكم، فلو كان عمرو لم يكشف عورته لكان عليه السلام قتله، و لو كان قتل لم يكن من يكيد لكم رفع المصاحف لما انهزمتم، فالأصل فى امركم سبه عمرو.

ص: ٥٤٣

«أما والله انه ليمنعني من اللعب ذكر الموت» قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أكيس المؤمنين من كان أكثرهم ذاكرا للموت، وأشدهم له استعدادا (١).

«و انه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخره» روى (صفيين نصر): أن ذا الكلاع الحميري من أصحاب معاوية أراد ان يجمع بين عمار و عمرو بن العاص، لأنه سمع من عمرو في اماره عمر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حدثه ان أهل الشام و أهل العراق يلتقيان، و في إحدى الكتيبتين الحق و إمام الهدى و معه عمار-إلى أن قال-قال عمرو لعمار: فعلام تقاتلنا أو لسنا نعبدها واحدا؟ فقال له عمار:

أمرني النبي ان اقاتل الناكثين و قد فعلت، و أمرني ان اقاتل القاسطين فأنتم هم، و اما المارقين فما أدري أدركهم أم لا، أ لست تعلم أيها الأبر ان النبي قال لعلّي «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه»، و انا مولى الله و رسوله و على بعده و ليس لك مولى. قال عمرو له: لم تشتمني و لست أشتمك. قال: و بم تشتمني، أ تستطيع ان تقول انى عصيت الله و رسوله يوما.

إلى أن قال: فقال له عمرو: فما تقول في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كل سوء. قال عمرو: فعلى قتله. قال عمار: بل الله رب على قتله و علىّ معه. قال:

أ كنت في من قتله؟ قال: كنت مع من قتله، و أنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال: أراد أن يغير ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان. فقال عمار: قد قال فرعون من قبلك لقومه: «أ لا تَسْتَمِعُونَ» (٢).

و في (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أن رجلا- من همدان يقال له برد قدم على معاوية، فسمع عمرو بن العاص يقع في علىّ عليه السلام، فقال له: يا عمرو ان أشياخنا سمعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» فحق ذلك أم

ص: ٥٤٤

١- ١) اخرجاه الالهوازي في الزهد: ٧٨ ح ٢١١. [١]

٢- ٢) وقعه صفيين: ٣٣٣-٣٣٩. و [٢] الآية ٢٥ من سوره الشعراء. [٣]

باطل؟ فقال عمرو: حق وانا أزيدك انه ليس أحد من صحابه النبي له مناقب مثل مناقب عليّ. ففزع الفتى، فقال عمرو: ولكنه أفسدها بأمره في عثمان. قال:

هل أمر أو قتل؟ قال: لا و لكنه آوى و منع. قال: فهل بايعه الناس عليها؟ قال:

نعم. قال: فما أخرجك منها؟ قال: اتهامى اياه في عثمان. قال له: و أنت أيضا قد اتهمت. قال: صدقت فيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: انا اتينا قوما أخذنا الحجج عليهم من أفواههم، عليّ على الحق فاتبعوه (١).

«انه لم يبايع معاويه» حتى شرط هكذا في (المصريه)، و الصواب: (حتى شرط له) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢) «أن يؤتیه أتيه» أى:

يعطيه عطيه «و يرضخ له على ترك الدين رضىخه» في (الجمهره): رضىخ فلان لفلان من ماله إذا أعطاه قليلا من كثير، و الاسم الرضىخه.

في (صفين نصر): طلب معاويه من عمرو أن يسوى صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على ان لى حكمى ان قتل ابن أبى طالب و استوسقت لك البلاد. فقال: أليس حكمك في مصر؟ قال: و هل مصر تكون عوضا عن الجنه، و قتل ابن أبى طالب ثمن لعذاب النار. فقال له معاويه: لك حكمك ان قتل رويدا لا يسمع أهل الشام كلامك (٣).

و في (يتيمه الثعالبي):

سن التختم في اليمين محمّد للقائلين بدعوه الاخلاص

فسعى ابن هند في ازاله رسمه و أعانه في ذلك ابن العاص (٤)

و في (الأغانى): حضرت الأنصار- و معهم النعمان بن بشير- باب

ص: ٥٤٥

١-١ (١) الامامه و السياسه ١٠٩: ١. [١]

٢-٢ (٢) كذا في شرح ابن أبى الحديد ٢٨٠: ٦، [٢] لكن في شرح ابن ميثم ٢٧٠: ٢، [٣] مثل المصريه.

٣-٣ (٣) وقعه صفين: ٢٣٧. [٤]

٤-٤ (٤) نقله عنه الشارح في كتاب الاوائل: ٤، [٥] لكن لم اظفر عليه في يتيمه الدهر.

معاويه فقال حاجبه سعد له الأنصار بالباب. فقال عمرو بن العاص: ما هذا القلب الذى جعلوه نسبا، أرددهم إلى نسبهم. فقال له معاويه: ان علينا فى ذلك شناعه. قال: و ما فى ذلك، انما هى كلمه مكان كلمه. فقال معاويه لحاجبه:

أخرج فناد من كان بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فخرج فنادى، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار، فقال له: أخرج فناد من كان هناك من الأوس و الخزرج فليدخل، فخرج فنادى، فوثب النعمان و أنشأ يقول:

يا سعد لا تعد الدعاء فما لنا نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لنا اثقل به نسبا على الكفار

فقال معاويه لعمرو: قد كُنَّا لأغنياء عن هذا.

هذا، و نظير كلامه عليه السّلام فى عمرو كلام ابن عباس فيه، ففى (بيان الجاحظ) و (عقد ابن عبد ربه): قال المدائنى: قام عمرو فى موسم من مواسم العرب، فأطرى معاويه و بنى اميه و ذكر مشاهده بصفين، فأقبل ابن عباس عليه و قد اجتمعت قريش، فقال له: انك ابتعت دينك من معاويه، و أعطيته ما بيدك، و منّاك ما بيد غيرك، و كان الذى أخذ منك أكثر من الذى أعطاك، و الذى أخذت منه دون الذى أعطيته، و كلّ راض بما أخذ و أعطى، فلما صارت مصر فى يدك كدرها عليك بالعزل و التنغيص حتى لو كانت نفسك فى يدك ألقيتها، و ذكرت مشاهدك بصفين، فو الله ما ثقلت علينا و طأتك، و لقد كشفت فيها عورتك، و ان كنت فيها الطويل اللسان قصير السنان آخر الخيل إذا أقبلت، و أولها إذا أدبرت، لك يدان يد لا تبسطها إلى خير، و اخرى لا تقبضها عن شر، و لسان غرور ذو وجهين وجه موحش، و وجه مونس، و لعمري ان من باع دينه بدنيا غيره لحرى أن يطول عليها ندمه، لك لسان و فيك خطل، و لك رأى

و فيك نكد، و لك قدر و فيك حسد، و أصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك (١).

هذا، و نظير كلامه عليه السلام في ابن النابغه كلام أحمد بن أبي طاهر البغدادي في ابن مكرم صاحب أبي العيناء «هو العاق لأبيه، و المنتفى من أخيه، و القاذف لأمه، و القاطع لرحمه، المهتوك لحرمة، الوضع الهمه، الضيق الصدر، القريب القعر، السريع إلى الصديق، البطيء عن الحقوق، المشهور بالزناء، المعروف بالبغاء، العاكف على ذنبه، الصادف عن ربّه، الوضع في خلائفه، العاتى على خالقه، الدائم البطنه، القليل الفطنه، النظيف الدين و الجيب، الدنس العرض و الثوب، عدوّه آمن من غائلته، و صديقه خائف من بائقته، جهله جهل الصبيان، و ضعفه ضعف النسوان، سهل الريح، ثقيل الروح، خفيف العقل و الزون. خبيث الفرج و البطن، جلسه بين نتن و اذى، و قذر و بذي، من استخف به اكرمه، و من وصله صرمه، غث الخلقه، رث الهيئه، و سخ المروءه، يحلف ليحنت، و يعهد لينكث، و يعد ليخلف، و يحدث ليكذب، ان تكلم ملاء الأسماع عيا، و الأنف نتنا، و ان سكت قرى العيون قبحا، و القلوب مقتا، اسناده عن المخنثين، و بلاغته في ذم الصالحين، و طرفه قذف المحصنات، و سعيه في كسب السيئات، و خلوته لاقتراف السوءات، و تمنى الشهوات».

و كلام أعرابي لشخص «أنت و الله ممن إذا سأل ألحف، و إذا سئل سوّف، و إذا حدّث حلف، و إذا وعد أخلف، تنظر نظر حسود، و تعرض اعراض حقود».

و عكسه قول النظام في عبد الوهاب الثقفي: هو و الله أحلى من أمن بعد خوف، و برء بعد سقم، و خصب بعد جذب، و غنى بعد فقر، و من طاعه المحبوب، و فرج المكروب، و من الوصال الدائم، مع الشباب الدائم.

ص: ٥٤٧

هذا، و في (اللسان): حق الكهول أى بيت العنكبوت، و منه قول عمرو بن العاص لمعاويه فى محاورات كانت بينهما: لقد رأيتك بالعراق، و ان امرئ كحق الكهول أو كالحجاء فى الضعف، فما زلت أرمه حتى استحكم. قال الأزهرى: و روى ابن قتيبه هذا الحرف بعينه، فصحفه و قال «مثل حق الكهدل» بالدال بدل الواو، و خبط فى تفسيره خبط العشواء، و الكهول العنكبوت و حقه بيته (١).

٤

الكتاب (٣٢)

و من كتاب له عليه السلام إلى معاويه:

وَ أَرَدَيْتَ جِيلاً مِنْ النَّاسِ كَثِيراً - خَدَعْتَهُمْ بِغَيْبِكَ وَ أَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ - تَغْشَاهُمْ الظُّلُمَاتُ وَ تَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ - فَجَازُوا عَنْ وَجْهِتِهِمْ وَ نَكَّصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ - وَ تَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ وَ عَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ - إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ البَصَائِرِ - فَإِنَّهُمْ فَارَقُواكَ بَعِيدَ مَعْرِفَتِكَ - وَ هَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَازِرَتِكَ - إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ وَ عَيَّدْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَضِيدِ - فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مَعْاويَةُ؟ فِي نَفْسِكَ - وَ جَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ - فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ وَ الْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ - وَ السَّلَامُ أَقُولُ: قال ابن أبى الحديد: و قبله «أما بعد فان الدنيا دار تجاره، و ربحها أو خسرها الآخرة، فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة، و من رأى الدنيا بعينها و قدّرها بقدرها، و انى لأعظك مع علمى بسابق العلم فيك ممّا لا مردّ له دون نفاذه، و لكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانة، و أن ينصحوا الغوى و الرشيد، فاتق الله و لا تكن ممن لا يرجو لله وقارا، و من حقت

ص: ٥٤٨

١-١) لسان العرب ١١:٦٠٢ و ٦٠٣، [١]ماده (كهل)، و النقل بالمعنى.

عليه كلمه العذاب، فان الله بالمرصاد، و ان دنياك ستدبر عنك، و ستعود حسره عليك، فاقنع عمّا أنت عليه من الغيّ و الضلال على كبر سنّك و فناء عمرك، فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر، و قد أردت جيلاً، إلخ.

قال المدائني: فكتب إليه: أما بعد فقد وقفت على كتابك و قد أبيت على الفتن إلا تمادياً، و اني لعالم أن الذي يدعوك إلى ذلك مصرعك الذي لا بد لك منه، و ان كنت موثلاً فازدد غياً إلى غيرك، فطالما خفّ عقلك، و منيت نفسك ما ليس لك، و التويت على من هو خير منك، ثم كانت العاقبه لغيرك، و احتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: أما بعد فان ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلوك الذين حملهم الكفر و تمنى الباطل على حسد محمّد، حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يمنعوا حريماً، و لم يدفعوا عظيماً، و أنا صاحبهم و لا تبع ان شاء الله خلفهم بسلفهم، فبئس الخلف خلف اتبع سلفاً محله و محطه النار.

قال: فكتب إليه معاويه: أما بعد فقد طال في الغي ما استتررت ادراجك كما طال ما تمادى عن الحرب نكوصك و إبطائك، فتوعد و عيد الأسد، و تروغ و روغان الثعلب، فحتام تحيد عن لقاء الليوث الضاربه، و الأفاعى القاتله، و لا تستبعدنها، فكل ما هو آت قريب.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: اما بعد فما أعجب ما يأتيني منك و ما أعلمني بما أنت إليه صائر، و ليس إبطائي عنك إلا ترقباً لما كنت له مكذّب و أنا به مصدّق، و كأنى بك غدا و أنت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال، و ستدعوني أنت و أصحابك إلى كتاب

تعظمونه بألستكم و تجحدونه بقلوبكم.

قال: فكتب إليه معاوية: أما بعد فدعني من أساطيرك، و اكفف عني من أحاديثك، و اقصر عن تقولك على النبي و افترائك من الكذب ما لم يقل، و غرور من معك و الخداع لهم، فقد استغويتهم و يوشك أمرك أن ينكشف لهم، فيعتزلوك و يعلموا أن ما جئت به باطل مضمحل.

قال: فكتب علي عليه السلام: أما بعد فطالما دعوت أنت و أولياؤك أولياء الشيطان الرجيم الحق أساطير الأولين، و نبذتموه وراء ظهوركم، و جهدتم لاطفاء نور الله بأيديكم و أفواهكم، و الله متم نوره و لو كره الكافرون، و لعمري ليتمن النور على كرهك، و لينفذ العلم بصغارك، و لتجازين بعملك، فعث في دنياك المنقطعه عنك ما طاب لك، فكأنك باطلك و قد انقضى، و بعملك و قد هوى، ثم تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئاً، و ما ربنا بظلام للعبيد.

قال: فكتب معاوية: أما بعد فما أعظم الرين على قلبك، و الغطاء على بصرك، الشره من شيمتك، و الحسد من خيلقتك، فشمم للحرب، و اصبر للضرب، فو الله ليرجع الأمر إلى ما علمت و العاقبه للمتقين، هيهات هيهات اخطأك ما تمنى، و هوى قلبك مع من هوى، فاربع على ضلعك، و قس شبرك بفترك، لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه، و يفصل بين أهل الشك علمه.

قال: فكتب إليه علي عليه السلام: أما بعد فان مساويك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك و بين أن يصلح لك أمرك و ان يرعوى قلبك، يا ابن صخر اللعين زعمت أن الجبال يزن حلمك، و يفصل بين أهل الشك علمك، و أنت الجلف المنافق، الاغلف القلب، القليل العقل، الجبان الرذل، فان كنت صادقاً فيما تسطر و يعينك عليه أخو بني سهم، فدع الناس جانبا، و تيسر لما دعوتني إليه من

ص: ٥٥٠

الحرب، و الصبر على الضرب، و اعف الفريقين من القتال ليعلم أينما المرين على قلبه، المغطى على بصره، فاننا أبو الحسن قاتل جدك و اخيك و خالك، و ما أنت منهم ببعيد.

قال ابن أبي الحديد: و أعجب و أطرف ما جاء به الدهر- و ان كانت عجائبه و بدائعه جمه- أن يفضى أمر علي عليه السلام إلى أن يصير معاوية ندا له و نظيرا مماثلا يتعارضان الكتاب و الجواب و يتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، و لا يقول له علي عليه السلام كلمه الا قال معاوية له مثلها و أحسن، فليت محمدا كان شاهد ذلك ليرى عيانا- لا خبرا- ان الدعوه التي قام بها، و قاسى أعظم المشاق في تحملها، و كابد الأهوال في الذب عنها، و ضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، و شيد أركانها، و ملأ الآفاق بها خلصت صفوا عفوا لأعدائه الذين كذبوه لما دعا إليها، و أخرجوه عن أوطانه لما حض عليه، و أدموا وجهه، و قتلوا أهله و عمه، فكأنه كان يسعى لهم، و يدأب لراحتهم- كما قال أبو سفيان في أيام عثمان- و قد مر بقبر حمزه و ضربه برجله: يا أبا عماره ان الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا اليوم يتلعبون به، ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية علينا عليه السلام كما يتفاخر الأكفاء و النظراء:

إذا غير الطائي بالبخل مادر و قرع قسا بالفهاهه باقل

و قال السها للشمس أنت خفيه و قال الدجى يا صبح لونك حائل

و فاخرت الأرض السماء سفاهه و كاثرت الشهب الحصا و الجنادل

فيا موت زران الحياه ذميمه و يا نفس جدى ان دهرك هازل

ثم أقول ثانيا للأمير المؤمنين عليه السلام: ليت شعري لما ذا فتح باب الجواب و الكتاب بينه و بين معاوية، و إذا كانت الضروره قادت إلى ذلك فهلا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظه من غير تعرض للمفاخره، و إذا كان لا بد منهما

فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لامر آخر يوجب المقابله بمثله و بأشد «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» (١)، و هلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سياب هذا السفية الأحمق، مع أنه القائل «من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون».

أيها الشاتمي لتحسب مثلي انما أنت في الضلال تهيم

لا تسبنتي فلست بسبي ان سبى من الرجال الكريم

و هكذا جرى في القنوت و اللعن عليه قنت بالكوفه على معاويه، و لعنه في الصلاه و خطبه الجمعة، و أضاف إليه عمرو بن العاص، و أبا موسى، و أبا الأ-عور، و حبيب بن مسلمه، فبلغ ذلك معاويه بالشام، فقنت عليه، و لعنه في الصلاه و خطبه الجمعة، و أضاف إليه الحسن و الحسين و ابن عباس و الأشرت، و لعله قد كان يظهر له عليه السّلام من المصلحه ما يغيب عنّا الآن، و لله أمر هو بالغه (٢).

قلت: أما ما ذكره من استعجابه من افضاء امر أمير المؤمنين عليه السّلام إلى أن يصير معاويه ندا له، فهل السبب و الأصل فيه الا صدّيقه و فاروقه، و قد اعترف معاويه نفسه بذلك في كتابه لمحمد بن أبى بكر، و انهما أسسا له ذلك، و انه اقتدى بهما في معاملته معه عليه السّلام (٣).

و أما تمنيه حياه النبيّ صلّى الله عليه و آله حتى يرى أن دعوته الكذائيه خلصت صفوا عفوا لاعدائه، فلم يكن محتاجا إلى التمني، فالنبيّ شاهد ذلك في حياته، و كيف

ص: ٥٥٢

[١-١] الانعام: ١٠٨. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبى الحديد ١٣٣: ١٦-١٣٧. [٢]

[٣-٣] رواه ابن مزاحم في وقعه صفين: ١٢٠، و المسعودي في مروج الذهب ٣: ١٢، و البلاذري في أنساب الاشراف ٢: ٣٩٦.

لم يشاهد ذلك وقد منعه فاروقهم من الوصيه و قال «ان الرجل ليهجر» (١) و كان يصيح مرّه بعد اخرى و كلما أفاق من غشوته «جهّزوا جيش اسامه، جهّزوا جيش اسامه، لعن الله من تخلف عنه» (٢)، و رأى بعينه من أمر بتجهزه فى جيش اسامه يصلّى بالناس مقامه حتى اضطرّ فى شدّه مرضه أن يخرج و يؤخره.

و هل غلمان بنى اميه تلعبوا بالاسلام و الدين، و شربوا الخمر، و صلّوا بالناس سكارى، و عربدوا فى الصلاه إلا زمان ذى نوربهم الذى دبّر له الأمر فاروقهم.

و أما ما قاله من أنه عليه السّلام لم فتح باب المكاتبه بينه و بين معاويه، فيقال له فتحه باب الجهاد معه الذى قال فيه: لم يسعنى فيه إلا القتال معه أو الكفر بما جاء به محمّد (٣)، و الجهاد يستلزم أولاً اتمام الحجّه و الدعوه و الكتاب.

و أما التعرض للمفاخره فليعلم درجه فضله عليه السّلام، و حدّ رذاله معاويه، و تعرضه عليه السّلام له بالمحاجّات، كتعرض إبراهيم لنمرود إلى أن بهت اللعين كنمرود فى كتابه عليه السّلام الأخير إليه: يا ابن صخر اللعين دع الناس جانباً (٤).

و كان معاويه يبكنه بعداوته عليه السّلام لصدّيقهم و فاروقهم فى قوله له «منيت نفسك ما ليس لك»، و التويت على من هو خير منك، ثم كانت العاقبه لغيرك» (٥).

و كان عليه السّلام لا ينكر ذلك و يجيبه بكونه كأبيه لعين النبى، و ان اللعين

ص: ٥٥٣

١- ١) اخرجه البخارى فى صحيحه ١:٣٢ و ٤:٧ و ٢٧١، و مسلم فى صحيحه ٣:١٢٥٩ ح ٢٢.

٢- ٢) رواه الجوهرى فى السقيفه: ٧٥، و [١] الشهرستانى فى الملل ١:٢٩، و [٢] القاضى النعمان فى دعائم الاسلام ١:٤١. [٣]

٣- ٣) قاله عليه السّلام فى ضمن خطبه مشهوره رواها ابن عساكر فى ترجمه علىّ عليه السّلام ٣:١٣٠ ح ١١٥٢، و المفيد فى اماليه: ١٥٣ ح ٥، المجلس ١٩، و ابن الأثير فى اسد الغابه ٤:٣١.

٤- ٤) مر نقله فى صدر هذا العنوان عن المدائنى.

٥- ٥) مر نقله فى صدر هذا العنوان عن المدائنى.

اقتدى بسلفه الذين حملهم الكفر و تمنى الأباطيل على حسد محمد، حتى صرعوا مصارعهم، و أنه عليه السلام كان من قبل محمد مباشرا لبوارهم و بعثهم إلى النار فأين و أين، فالحق متحقق، و الباطل زاهق.

و أما لعنه عليه السلام لمعاويه فمثل قتاله له، و قتله عليه السلام لأسلافه كان بأمر الله تعالى، و ان كانوا فعلوا أضعافه به من قتل أهل بيته، و سبى حريمه، و سبه ثمانين سنة، فهل اللوم في ذلك إلا على الناس الذين تركوا أهل بيت نبيهم الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و اتبعوا رجلا ساعدتهم هؤلاء الذين كانوا أعداء الله، و أعداء رسوله، و أعداء دينه، و أعداء أهل بيته.

و من الغريب انه عليه السلام مع لعنه له اتماما للحجه بوجوب لعن من لعنه الله اخواننا يصلون على معاويه، قال الطبري: أمر المعتضد في سنة (٢٨٤) بالتقدم إلى الشراب و الذين يسقون الماء في الجامعين ألا يترحموا على معاويه و لا يذكره بخير- إلخ (١). حشرهم الله معه .

«و أرديت» أي: أهلكت «جيلا» أي: صنفا «من الناس كثيرا» و المراد أهل الشام اهلكهم معاويه في دينهم.

و في (صفين نصر): لما قال جرير البجلي الذي أرسله على عليه السلام لاخذ البيعه من معاويه له: أدخل فيما فيه الناس، قال معاويه لأهل الشام: قد علمتم أني خليفة عمر، و أني خليفة عثمان، و أني ولي عثمان، و قد قتل مظلوما، و أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقاموا بأجمعهم، و أجابوه إلى الطلب بدمه (٢).

«خدعتهم بغيك و ألقيتهم في موج بحر» في (صفين نصر): مضى هاشم

ص: ٥٥٤

١- (١) تاريخ الطبري ١٨٢: ٨، سنة ٢٨٤. [١]

٢- (٢) وقعه صفين: ٨١. [٢]

المرقال في جماعه من القراء، فخرج عليهم فتى من أهل الشام يقول:

انا ابن أرباب الملوک غسان و الدائن اليوم بدين عثمان

انبأنا أقوامنا بما كان أن عليًا قتل ابن عفان

ثم شد يضرب بسيفه، ثم يلعن و يشتم، فقال له هاشم: ان هذا الكلام بعده الخصام، فاتق الله، فانك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به. فقال: اقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي و أنكم لا تصلّون، و اقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا و أنتم و ازرموه على قتله. فقال له هاشم:

و ما أنت و ابن عفان، انما قتله أصحاب محمد و قرء الناس حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب، و اصحاب محمد صلّي الله عليه و آله هم أصحاب الدين، و أولى بالنظر في امور المسلمين، و ان هذا الأمر لا- علم لك به فخله و أهل العلم به، و أما قولك «ان صاحبنا لا- يصلّي» فهو أول من صلى لله مع رسوله، و أفقه الناس في دين الله، و أدنى برسول الله، و أما من ترى معه فكلهم قارئ الكتاب لا ينامون الليل تهجّدا، فلا يغرك عن دينك الأشقياء المغرورون. فقال الفتى: يا عبد الله اني لأظنك امرأ صالحا فهل تجد لي من توبه- إلخ (١).

«تغشاهم الظلمات» و في (المروج): وجه عبد الله بن عليّ لما نزل الشام في طلب مروان بن محمد إلى السفاح أشياخا من ارباب النعم و الرئاسة من أهل الشام، فحلفوا للسفاح أنهم ما علموا للنبيّ صلّي الله عليه و آله قرابه و لا أهل بيت يرثونه غير بني اميه حتى وليتم الخلافه (٢).

«و تتلاطم بهم الشبهات» في (تاريخ الطبري): قال أبو عبد الرحمن السلمى لما قتل عمار- و كان الليل- قلت: لا دخلن إلى أهل الشام حتى أعلم هل بلغ منهم

ص: ٥٥٥

١- ١) وقعه صفين: ٣٥٤. [١]

٢- ٢) مروج الذهب ٣: ٣٣. [٢]

قتل عمار ما بلغ منا، و كنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا و تحدثنا إليهم، فركبت فرسى ثم دخلت، فإذا أنا بأربعة يتسايرون معاويه و أبو الاعور و عمرو بن العاص و ابنه عبد الله - و هو خيرهم - فأدخلت فرسى بينهم مخافه أن يفوتنى ما يقول أحدهم، فقال عبد الله لايبه: قتلت هذا الرجل فى يومكم هذا و قد قال النبى صلى الله عليه و آله فيه ما قال - إلى أن قال - فقال معاويه: أو نحن قتلنا عمارا؟ انما قتل عمارا من جاء به، فخرج الناس من فساطيطهم و اخيبتهم يقولون: انما قتل عمارا من جاء به، فلا أدرى من كان أعجب هو أو هم (١).

«فجاروا» (٢) أى: مالوا «عن وجهتهم» بكسر الواو «و نكصوا» أى: رجعوا «على أعقابهم و تولوا على أديبارهم» أى: ارتدوا.

و فى (صفين نصر): أن عراقيا و شاميا اقتتلا ساعه، ثم أن العراقى ضرب رجل الشامى فقطعها، فقاتل و لم يسقط إلى الأرض، ثم ضرب العراقى يده فقطعها، فرمى الشامى سيفه بيده اليسرى إلى أهل الشام و قال: يا أهل الشام، دونكم سيفى هذا فاستعينوا به على عدوكم، فاشترى معاويه ذلك السيف من أولياء المقتول بعشره آلاف (٣).

«و عولوا على أحسابهم» فى (صفين نصر): دعا هاشم بن عتبة فى الناس عند المساء و قال: ألا من كان يريد الله و الدار الآخرة فليقبل، فأقبل إليه ناس، فشد فى عصابه من أصحابه على أهل الشام مرارا، فليس من وجه يحمل عليهم إلا صبروا له و قوتل فيه قتالا شديدا، فقال لأصحابه: لا يهولتكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما ترون منهم إلا حميه العرب و صبرها تحت راياتها

ص: ٥٥٦

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٢٨، سنة ٣٧. [١]

٢- ٢) أورده فى صدر العنوان بلفظ: «جازوا» لكن فسّر هنا لفظ «جاروا» بالراء المهملة.

٣- ٣) وقعه صفين: ٣٨٨. [٢]

و عند مراكزها، وانهم لعلى الضلال و انكم لعلى الحق (١).

«الا- من فاء» أى: رجع عنك «من أهل البصائر فانهم فارقوك بعد معرفتك و هربوا إلى الله من موازرتك» أى: معاضدتك «إذ حملتهم على الصعب و عدلت بهم عن القصد» .

فى (صفيين نصر): لما غلب أهل الشام على الفرات قال معاويه: يا أهل الشام هذا أول الظفر لا سقى الله أبا سفيان ان شربوا منه حتى يقتلوا بأجمعهم عليه. فقال له المعرى بن الاقبل- و كان ناسكا و كان صديقا لعمر و- سبحان الله يا معاويه ان فيهم العبد و الامه و الاجير و الضعيف و من لا- ذنب له، هذا أول الجور، لقد حملت من لا يريد قتالك على كتفك. فأغلظ له معاويه و قال لعمر و:

اكفنى صديقك. فأتاه عمرو فأغلظ له، فسار فى سواد الليل، فلحق بعلى عليه السلام و قال:

فلمست بتابع دين ابن هند طوال الدهر ما ارسى حراء (٢)

«فاتق الله يا معاويه فى نفسك و جاذب الشيطان قيادك» القياد جبل تقاد به الدابه «فان الدنيا منقطعه عنك و الآخره قريبه منك» .

فى (تاريخ الطبرى): كان عامل معاويه على المدينه إذا أراد أن يبرد بريدا إلى معاويه امر مناديه فنادى: من له حاجه يكتب إلى الخليفه. فكتب زر بن حبيش أو أيمن ابن خريم كتابا لطيفا ورمى به فى الكتب، و فيه:

إذا الرجال ولدت أولادها و اضطربت من كبر اعضادها

و جعلت اسقامها تعتادها فهى زروع قد دنا حصادها

ص: ٥٥٧

١- ١) وقعه صفيين: ٣٥٤. [١]

٢- ٢) وقعه صفيين: ١٦٣ و ١٦٤. [٢]

فلما قرأ هذا الكتاب في الكتب قال: نعى إلى نفسي (١).

وفيه: لما ثقل معاويه و حدّث الناس أنه الموت، قال لأهله: احشوا عيني اثمدا و أوسعوا رأسي دهنا، ففعلوا و برقوا وجهه بالدهن، ثم مهّد له، فجلس و قال أسندوني، ثم قال ائذنوا للناس و لا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل، فيسلم قائما، فيراه مكتحلا مدهنا، فيقول تقول الناس هو لما به و هو أصحّ الناس، فلما خرجوا من عنده قال معاويه:

و تجلّدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا اتضعض

و إذا المنيه أنشبت أظفارها ألفت كل تميمه لا تنفع (٢)

و في (المروج): دخل معاويه الحمام في بدء علته التي كانت وفاته فيها، فرأى نحول جسمه، فبكى لفنائه:

أرى الليالي أسرع في نقضي أخذن بعضي و تركن بعضي

حنين طولي و حنين عرضي أقعدنني من بعد طول نهضي

و لما أزف أمره و حان فراقه و اشتدت علته و أيس من برئه أنشأ يقول:

فيا ليتني لم أعن في الملك ساعه و لم أك في اللذات أعشى النواظر

و كنت كذي طمرين عاش يبلغه من الدهر حتى زار أهل المقابر (٣)

٥

الخطبه (١٩٨)

و من كلام له عليه السلام:

وَ اللَّهُ مَا؟ مُعَاوِيَةُ؟ بِأَذَى مِنِّي وَ لَكِنَّهُ يَعْدِرُ وَ يَفْجُرُ - وَ لَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْعَدْرِ

ص: ٥٥٨

[١- ١] تاريخ الطبري ٤: ٢٤٨، سنة ٦٠. [١]

[٢- ٢] تاريخ الطبري ٤: ٢٤٠، سنة ٦٠. [٢]

[٣- ٣] مروج الذهب ٣: ٤٩. [٣]

لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ - وَ لَكِنْ كُنَّ كَمَلٌ عُذْرَهُ فُجْرَةٌ وَ كَمَلٌ فُجْرَهُ كُفْرَةٌ - وَ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَ اللَّهُ مَا أَسِيءُ تَغْفُلُ بِالْمَكِيدَةِ وَ لَا - أُسِيءُ تَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ «و الله ما معاويه بأدهى» أى: أكثر دهاء (منى) و من دهاء معاويه ما فى (تاريخ الطبرى): و فد عمرو بن العاص على معاويه و معه أهل مصر، فقال لهم:

انظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلموا عليه بالخلافه، فانه أعظم لكم فى عينه، و صغروه ما استطعتم، فلما قدموا عليه قال معاويه لحجابه: انى أعرف ابن النابغه، كأنى به و قد صغّر أمرى عند القوم، فانظروا إذا دخل الوفد، فتعتوهم أشد تعتعه تقدرون عليها، فلا يبلغنى رجل منهم إلا و قد همته نفسه بالتلف. فكان أول من دخل عليه رجل يقال له ابن الخياط، فدخل و قد تعتع، فقال: السلام عليك يا رسول الله. فتتابع القوم على ذلك، فلما خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله نهيتكم أن تسلموا عليه بالاماره فسلمتم عليه بالنبوه (١).

و من دهائه ما فى (صفين نصر) - فى بيعه عمرو لمعاويه - قال معاويه لعمرو: انى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى عصى ربه، و قتل الخليفه، و أظهر الفتنه، و فرق الجماعه، و قطع الرحم. قال عمرو: إلى جهاد من؟ قال: جهاد على.

فقال عمرو: و الله يا معاويه ما أنت و علىّ بعكمى بعير، مالک هجرته و لا سابقته و لا صحبتته و لا جهاده و لا فقهه و لا علمه، و الله ان له مع ذلك جدا و جدودا و حظا و حظوظا و بلاءا من الله حسنا، فما تجعل لى ان شايعتك على حربته، و أنت تعلم ما فيه من الغرر و الخطر. فقال له معاويه: انى أكره لك أن تتحدث العرب عنك انك انما دخلت فى هذا الأمر لعرض الدنيا. قال: دعنى عنك. فقال له معاويه: انى لو شئت أن أخدعك لفعلت. قال عمرو: لا لعمر الله ما مثلى يخذع،

ص: ٥٥٩

لأننا أكييس من ذلك. قال له معاويه: ادن منى برأسك أسارك، فدنا منه ليساره، فعرض معاويه أذنه و قال له: هذه خدعه، هل ترى فى البيت أحدا غيرى و غيرك (١).

و فى (المروج) - بعد ذكر التقاء أبى موسى و عمرو بن العاص و خدعه عمرو لأبى موسى بخلع أبى موسى له عليه السّلام و نصب عمرو لمعاويه - و انصرف عمرو إلى منزله و لم يأت معاويه، فأرسل إليه معاويه يدعوه، فقال:

انما كنت أجيئك إذا كانت لى إليك حاجه، فأما إذا كانت الحاجه إلينا فأنت أحق ان تأتينا. فعلم معاويه ما قد وقع فيه، فأمر بطعام كثير فصنع، ثم دعا بخاصته و مواليه و أهله فقال: انى سأعدو إلى هذا، فإذا دعوته فادعوا مواليه و أهله فليجلسوا قبلكم، فإذا شبع رجل و قام فليجلس رجل منكم مكانه، فإذا خرجوا و لم يبق فى البيت أحد فأغلقوا باب البيت و احذروا أن يدخل أحد منهم الا أن آمركم، و غدا إليه معاويه و عمرو جالس على فراشه، فلم يقم له عنها و لا دعاه إليها، فجاء معاويه، و جلس على الأرض، و اتكأ على الفراش، و ذلك أن عمرا كان يحدث نفسه أنه قد ملك الأمر، و إليه العهد يضعهما فيمن يرى، و يندب للخلافه من يشاء، فجرى بينهما كلام كثير و كان مما قال له عمرو: هذا الكتاب الذى بينى و بينه، عليه خاتمى و خاتمه، و لا أقر أن عثمان قتل مظلوما و أخرج عليا من هذا، و هذا الأمر إلى استخلف من شئت، و قد أعطانى أهل الشام عهدهم و موثيقهم.

فحدثه معاويه ساعه و أخرجه عما كانوا عليه و ضاحكه و داعبه، ثم قال له: هل من غذاء؟ قال: أما شىء يشبع من ترى فلا، فقال معاويه: هلم يا غلام غذاءك، فجىء بالطعام المستعد، فقال لعمرو: ادع مواليك و أهلك فدعاهم،

ص: ٥٦٠

ثم قال له عمرو: و ادع أنت اصحابك. قال: نعم يأكل أصحابك ثم يجلس هؤلاء بعد، فجعلوا كلما قام رجل من حاشيه عمرو وقعد موضعه رجل من حاشيه معاويه، حتى خرج أصحاب عمرو و جلس أصحاب معاويه، فقام العدي و كله فأغلق الباب، فقال له عمرو: فعلتها. قال: أى و الله بينى و بينك أمران اختر أيهما شئت البيعه لى او أقتلك، ليس و الله غيرهما. قال عمرو: فأذن لى و وردان حتى أشاوره. قال: لا- تراه و الله و لا- يراك الا- قتيل- أو على ما قلت لك. قال: فأولنى اذن مصر. قال: هى لك ما عشت، فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه، و احضر معاويه خواصه من أهل الشام، و منع أن يدخل معهم أحد من حاشيه عمرو، فقال لهم عمرو، قد رأيت ان أبايع معاويه، فلم ار أحدا أقوى على هذا الأمر منه، فبايعه أهل الشام و انصرف إلى منزله خليفه (١).

و فى (تاريخ الطبرى): قال عمرو بن العاص: ما رأيت معاويه متكئا قط و اضعا إحدى رجله على الاخرى كاسرا عينه يقول لرجل تكلم الا رحمته.

و قال عمر بن الخطاب: تذكرون كسرى و قيصر و دهاءهما و عندكم معاويه.

و خرج عمر إلى الشام فرأى معاويه فى موكب يتلقاه غدوا، و يروح إليه فى موكب، فقال له: يا معاويه تروح فى موكب، و تغدو فى مثله، و بلغنى انك تصبح فى منزلك و ذوو الحاجات ببابك. فقال له معاويه: ان العدو بها قريب منا، و لهم فىنا عيون و جواسيس، فأردت ان يروا للاسلام عزا. فقال عمر: ان هذا لكيد رجل لبيب، أو خدعه رجل أريب. فقال له معاويه: مرنى بما شئت أصر إليه. فقال له عمر: ويحك ما ناظرتك فى أمر أعيب عليك فيه إلا تركتنى

ص: ٥٦١

ما أدري آمرک أم أنهاک (١).

و فی (عیون ابن قتیبہ): قال عمر بن الخطاب فی معاویہ: احذروا آدم قریش و ابن کریمها، من لا ینام إلا علی الرضا، و یضحک فی الغضب، و یأخذ ما فوقه من تحته.

و فیہ: قال معاویہ: لا- أضع سیفی حیث یکفینی سوطی، و لا أضع سوطی حیث یکفینی لسانی، و لو أن بینی و بین الناس شعره ما انقطعت. قیل:

و کیف ذاک؟ قال: کنت إذا مدوها خلیتها، و إذا خلوها مددتها.

و فیہ: فخر سلیمان مولی زیاد بزیاد عند معاویہ، فقال له معاویہ:

أسکت ما أدرك صاحبک شیئا قط بسیفه الا و قد أدركت أكثر منه بلسانی.

و فی (بلاغات نساء البغدادی): لما أتى نعی یزید بن أبی سفیان قال بعض المعزین لامه هند بنت عتبه: انا لندرجو أن یکون فی معاویہ خلف منه.

قالت: أو مثل معاویہ یکون خلفا من أحد، و الله لو جمعت العرب من أفطارها، ثم رمی به فیها یرج من أیها شاء.

و قیل لها: ان عاش معاویہ ساد قومہ. فقالت: شکلتہ ان لم یسد الا قومہ.

و فی السیر: انه قال لابنه یزید، ان الکوفه و المدینہ تختلفان علیه بعده، و انه لا یصل الکوفه إلا عبید الله حتی أنه کتب له امارته علیها قبل موته، و انه لا یصلح المدینہ إلا مسلم بن عقبه المرّی.

و فی (عیون القتیبی): قال معاویہ لقد کنت ألقى الرجل من العرب أعلم ان فی قلبه علیّ ضغنا، فأستشیره فیشر إلیّ منه بقدر ما یجده فی نفسه، فلا یزال یوسعنی شتما و أوسعہ حلما حتی یرجع صدیقا أستعین به فیعیننی، و استنجد به فیجدنی.

ص: ٥٦٢

قلت: هكذا نقل ابن قتيبه (فأستشيره) بالشين، وليس من النسخه حيث نقله في باب المشوره، وهو غلط من ابن قتيبه و انما هو (فأستشيره) بالثاء المثلثه، أى أعمل معه ما يوجب ثورانه، والشاهد على ما قلنا قوله بعد (فيشير إليّ منه) و أيضا لا مناسبه لمشوره العدو، فانها توجب غشه في الجواب لا ثورانه.

و كان إذا ذم أحد خصمائه خواصه يحضر نفسه أن يذم لثلاثا. ينفروا عنه، ففي خبر ورود عقيل عليه و طعن عقيل على جلسائه عمرو بن العاص، و أبي موسى الأشعري، و الضحّاك بن قيس: فلما رأى معاويه انه قد أغضب جلساءه علم أنه ان استخبره عن نفسه قال فيه سوء، فأحب أن يسأله، فيقول فيه ما يعلمه من سوء، فيذهب بذلك غضب جلسائه، فقال لعقيل: ما تقول في؟ قال عقيل: دعنى من هذا. فلما اصّر قال: أتعرف حمامه؟ قال: و من حمامه؟ قال: قد أخبرتك، ثم قام فمضى، فأرسل معاويه إلى النسابه، فدعاه، فقال له:

من حمامه؟ قال: ولى الامان؟ قال: نعم. قال: جدتك امّ أبى سفيان، كانت بغيا في الجاهليه صاحبه رايه. فقال لجلسائه: ساويتكم و زدت عليكم، فلا تغضبوا (١).

و فى (المروج): كان معاويه إذا أتاه عن بطريق من بطارقه الروم كيد، احتال له، فأهدى إليه و كاتبه حتى يغرى به ملك الروم، فمره أخبره رسله إلى الروم أن هناك بطريقا يؤذيهم و يسىء عشرتهم، فقال معاويه: أى شىء ممّا فى بلادنا أحب إليه؟ قالوا: الخفاف الحمر و دهن البان، فألطفه بهما حتى عرفت رسله باعتياده، ثم كتب إليه كتابا كأنه جواب كتابه منه يعلم بأنه وثق بما وعده به من نصره و خذلان ملك الروم، و أمر الرسول بأن يتعرض لأن يظهر

ص: ٥٦٣

على الكتاب، فلما ذهبت رسله فى أوقاتها ثم رجعت إليه قال: ما حدث هناك؟ قالوا: رأينا البطريق الفلانى مصلوبا. فقال معاويه، انا أبو عبد الرحمن (١).

وفيه: أخبرنى بعض الروم ممن أسلم ان الروم صوّرت عشره أنفوس فى بعض كنائسها من أهل البأس و النجده و المكائد و الحيله فى النصرانيه من المسلمين، منهم الرجل الذى بعث به معاويه حين احتال على البطريق، فأسره من القسطنطينيه، فأقاد منه بالضرب و رده إلى القسطنطينيه، فأما خبره فهو أن المسلمين غزوا فى أيام معاويه، فأسر جماعه منهم، فأوقفوا بين يدى الملك، فتكلم بعض الاسارى، فدنا منه بعض البطارقه، فلطم وجهه، فألمه، و كان رجلا من قريش، فصاح: وا اسلاماه، أين أنت عَنّا يا معاويه إذ حملتنا، و ضيعت ثغورنا، و حكمت العدو فى دماننا و أعراضنا، فتمى الخبر إلى معاويه، فألمه، فامتنع من لذيذ الطعام و الشراب، فخلا بنفسه و امتنع من الناس و لم يظهر ذلك لاحد، ثم أخذ فى اعمال الحيله باقامه الفداء للمسلمين، فلما صار الرجل إلى دار الاسلام دعاه معاويه فبره و أحسن إليه، ثم بعث إلى رجل من ساحل دمشق من مدينه صور- و كان به عارفا- كثير الغزوات فى البحر مرطان بالروميه، فأحضره و خلا به و أخبره بما قد عزم عليه و سأله اعمال الحيله فيه و الثانى له، فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف و الملح و الجهاز و الطيب و الجواهر و غير ذلك، و ابتنى له مركب لا- يلحقه فى جريه سرعه، و لا يدرك فى مسيره بنيانا عجيبا، فسار الرجل حتى أتى مدينه قبرص، فاتصل برئيسها و أخبره أن معه جاريه للملك و أنه يريد التجاره إلى القسطنطينيه قاصدا إلى الملك و خواصه بذلك، فروسل الملك بذلك و أعلم بحال الرجل، فأذن له فى الدخول فسار إليها، فلما وصل

ص: ٥٦٤

١- ١) لم اظفر عليه فى مروج الذهب. [١]

أهدى للملك و جميع بطارقه، و بايعهم و شارههم، و لم يعط البطريق الذى لطم وجه القرشى شيئا، و تانى فى الأمر على حسب ما رسم له معاويه، و أقبل الرجل من القسطنطينيه إلى الشام، و قد أمره البطارقه و الملك بابتياح حوائج ذكروها و أنواع من الامتعه و صفوها، فلما صار إلى الشام سار إلى معاويه سرا و ذكر له من الأمر ما جرى، فابتيع له جميع ما طلب منه و ما علم أن رغبتهم فيه و قال له: ان ذاك البطريق إذا عدت إلى كرتك سيعذلك عن تخلفك عن بره و استهانتك به، فاعتذر إليه و لا طفه بالقصد و الهدايا و اجعله القيم بأمرك و المتفقد لأحوالك، و انظر ما ذا يطلب منك من الشام، فان منزلتك ستزداد عندهم، فإذا أتقت جميع ما أمرتك به، و علمت غرض البطريق منك، و أى شىء يأمرك لتكون الحيله بحسب ذلك.

فلما رجع إلى القسطنطينيه و معه جميع ما طلب منه و الزيادة على ما لم يطلب منه زادت منزلته عند الملك و البطارقه و سائر الحاشيه، فلما كان فى بعض الايام و هو يريد الدخول إلى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك و قال: ما ذنبى إليك و بماذا أستحق غيرى أن تقصده و تقضى حوائجه و تعرض عنى. فقال له: اكثر من ذكرت ابتدأنى و أنا غريب أدخل إلى هذا الملك و هذا البلد كالمتمكر من أسارى المسلمين و جواسيسهم لئلا ينموا بخبرى فى أمرى إلى المسلمين فيكون فى ذلك فقدى، و إذ قد علمت ميلك إلىّ فلست أحب أن يعتنى أمرى سواك، و لا يقوم به عند الملك غيرك، فأمرنى بجميع حوائجك، و جميع ما يعرض من امورك بأرض الاسلام.

و أهدى إلى البطريق هديه حسنه من الزجاج المخروط و الطيب و الجواهر و الطرائف و الثياب، و لم يزل هذا فعلة يتردد من الروم إلى معاويه، و من معاويه إلى الروم، و يسأل الملك و البطريق و غيره الحوائج و الحيله لا

تتوجه لمعاويه حتى مضى على ذلك سنين، فلما كان فى بعضها قال البطريق للصورى-وقد أراد الرجوع-قد اشتهيت أن تمن على بابتياح بساط سوسنجردى بمخاده و وسائده لى يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة و الزرقه و غيرهما، و يكون من صفته كذا و كذا و لو بلغ ثمنه كل مبلغ.فأنعم له بذلك-و كان من شأن الصورى إذا ورد إلى القسطنطينيه أن يكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق،و للبطريق ضيعه سريه و فيها قصر مشيد و متنزه حسن على أميال من البلد راكبه على الخليج،و كان البطريق اكثر أوقاته فى ذلك المتنزه،و كانت الضيعه مما يلى فم الخليج مما يلى بحر الروم و القسطنطينيه.

فانصرف الصورى إلى معاويه سرا و أخبره بالحال،فأحضر معاويه بساطا بوسائد و مخاد و مجلس،فانصرف به الصورى مع جميع ما طلب منه من الشام-وقد تقدم إليه معاويه بالحيله و كيفيه ايقاعها-و كان الصورى فيما وصفنا من هذه المده قد صار كأحدهم فى المؤانسه و العشره-و فى الروم طمع و شره،فلما دخل من البحر إلى خليج القسطنطينيه و قد طابت له الريح و قد قرب من ضيعه البطريق أخذ الصورى خبر البطريق من أصحاب المراكب و القوارب،فأخبر أن البطريق فى ضيعته،و ذلك أن الخليج نحو من ثلاثمائه و خمسين ميلا،و المراكب لا تحصى فى هذا الخليج كثره،فلما علم الصورى أن البطريق فى ضيعته فرش ذلك البساط،و نضد ذلك الصدر و المجلس بالوسائد و المخاد فى صحن المركب و مجلسه،و الرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذف مشكله،و لا يعلم بهم أنهم فى بطن المركب الا من ظهر منهم فى المركب عمله،و الريح فى القلع،و المركب مار فى الخليج كأنه سهم خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه

بسرعه سيره، فأشرف على قصر البطريق و هو جالس فى مستشرفه مع حرمه، و قد أخذت منه الخمر و علاه الطرب.

فلما رأى مركب الصورى غتى طربا بقدمه من أسفل القصر و حط القلع و أشرف البطريق على المركب، فنظر إلى ما فيه من حسن ذاك البساط و نظم ذاك الفرش كأنه رياض تزهو، فلم يستطع اللبث فى موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصورى من مركبه إليه، فلما استقرت قدمه فى المركب و دنا من المجلس ضرب الصورى بعقبه على من تحت البساط من الوقوف- و كانت علامه بينه و بين الرجال الذين فى بطن المركب- فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجازيف فإذا هو فى وسط البحر لا يلوى على شىء، و ارتفع الخبر و لم يدر ما الخبر لمعاجله الأمر، فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج و توسط البحر، و قد أوثق البطريق كتافا، و طابت له الرياح، و أسعده الجدد، و حملت المجازيف فى ذلك الخليج، فتعلق اليوم السابع بساحل الشام و رأى البر، و حمل الرجل، فكانوا اليوم الثالث عشر حضورا بين يدي معاويه بالفرح و السرور.

فقال معاويه: على بالرجل القرشى، فأتى به و قد حضره خواص الناس، فأخذوا مجالسهم و قد غص المجلس بأهله، فقال معاويه: أنظر لا تتعد ما جرى عليك، منه، و اقتص منه على حسب ما صنع بك، فلطمه القرشى لطمات و وكزه فى حلقه و أغرق فى دعاء معاويه.

ثم أحسن معاويه إلى البطريق و خلع عليه و حمل معه البساط و أضاف إلى ذلك امورا كثيره و هدايا إلى الملك و قال له: ارجع إلى ملكك و قل له تركت ملكك العرب يقيم الحدود على بساطك، و يقتص لرعيته فى دار سلطانك. و قال للصورى: سر معه حتى تاتى الخليج فتطرحه فيه- إلى أن قال- فقال الملك بعد

وصول البطريق: هذا أمكر الملوک و أدهى العرب (١).

و من دهائه أن طلحه و الزبير- مع كونهما من قاتلى عثمان و المؤلبن علیه حتى أن مروان مع كونه فى عسكر طلحه و الزبير رمى طلحه بسهم فقتله و قال أخذت ثارى- كتب إليهما يحرضهما على ادعاء الخلافه و ثار عثمان ليزلزل بذلك أمر أمير المؤمنين علیه السلام، فكتب إلى طلحه: انك أقل قریش فى قریش و ترا، مع صباحه و جهك، و سماحه كففك، و فصاحه لسانك. فأنت بازاء من تقدمك فى السابقه، و خامس المبشرين بالجنه، و لك يوم احد و شرفه و فضله، فسارع إلى ما تقلدك الرعيه من أمرها ممًا لا يسعك التخلف عنه، و لا- يرضى الله منك الا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلى، و الزبير غير مقدم عليك بفضل، و أيكما قدم صاحبه فالمقدم الامام، و الأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين و وهب لك رشد الموفقين (٢).

و كتب إلى الزبير: أما بعد انك ابن أخى خديجه، و ابن عمه النبى، و حواريه، و سلفه، و صهر أبى بكر، و فارس المسلمين، و أنت البازل فى الله مهجته بمكه عند صيحه الشيطان، بعثك المنبعث، فخرجت كالثعبان المنسلخ، بالسيف المنصلت، تخبط خبط الجمل الرديع، كل ذلك قوه ايمان، و صدق يقين، و سبقت لك من النبى البشاره بالجنه، و جعلك عمر أحد المستخلفين على الامه، و اعلم أن الرعيه أصبحت كالغنم المتفرقه لغيبه الراعى، فسارع إلى حقن الدماء، و لم الشعث، و جمع الكلمه، و صلاح ذات البين، قبل تفاقم الأمر و انتشار الامه، فقد أصبح الناس على شفا جرف هار، عمًا قليل ينهار ان لم يرأب فشمير لتأليف الامه، و ابتغ إلى ربك سييلا، فقد أحكمت الأمر

ص: ٥٤٨

١- (١) مروج الذهب ١٢٦: ٤-١٣١. [١]

٢- (٢) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ١٠: ٢٣٥.

من قبلى لك و لصاحبك على أن الأمر للمقدم، ثم لصاحبه من بعده. جعلك الله من أئمة الهدى و بغاه الخير و التقوى (١).

و كتب إليه قبلا- حين بلغه بيعه الناس له عليه السّلام: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاويه بن أبى سفيان، سلام عليك. أما بعد: فانى قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا و استوسقوا كما يستوسق الحلب، فدونك الكوفه و البصره لا يسبقك إليهما ابن أبى طالب، فانه لا شىء بعد هذين المصرين، و قد بايعت لطلحه من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان و ادعوا الناس إلى ذلك، و ليكن منكما الجد و التشمير أظفر كما الله و خذل مناوئكما. فسر به و أعلم طلحه، فأجمعا عند ذلك على خلافه عليه السّلام (٢).

و كان من دهائه أنه كان يقول: يجب أن يكون الاموى حليما، و المخزومى زهيا، و الهاشمى سخيا، فبلغ كلامه الحسن عليه السّلام، فقال: أراد أن يتحلم الامويون، فيحبهم الناس، و يتيه المخزوميون، فيتنفر الناس عنهم، و يبذل الهاشميون أموالهم، فيفتقروا و ينقرضوا (٣).

«و لكنه يغدر و يفجر» بايعه الحسن عليه السّلام على أن يرد الأمر إلى أهله بعده و يكون لأهل البيت، و ألا- يتعرض لشيعة أبيه، فغدر و فجر، فجعل الأمر من بعده لابنه الخمير السكير اللالع بالقرود و الكلاب، و قتل الشيعة تحت كل حجر و مدر، و منهم حجر بن عدى، و عمرو بن الحمق.

و كتب الحسين عليه السّلام إليه- كما فى (خلفاء ابن قتيبه): «أ لست قاتل حجر و أصحابه العابدين المجتهدين الذين كانوا يستفظعون البدع و يأمرون

ص: ٥٦٩

١-١) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ٢٣٦: ١٠.

٢-٢) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ٢٣١: ١.

٣-٣) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ٢٥٤: ١٩.

بالمعروف و ينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلما و عدوانا من بعد ما اعطيتهم المواثيق الغليظه و العهود المؤكده، جرأه على الله و استخفافا بعهده، أو لست قاتل عمرو بن الحمق الّذى أخلقته العباده من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من سقف الجبال، أو لست المدعى زيادا فى الاسلام، فرعمت انه ابن أبى سفيان و قد قضى النبىّ صلى الله عليه و آله أن الولد للفراش و للعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم و يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و يصلبهم على جذوع النخل، سبحان الله لكأنك لست من هذه الاممه و ليسوا منك، و اعلم أن الله ليس بناس قتلک بالظنه و امارتك صيبا يشرب الشراب و يلعب بالكلاب (١).

و فى (مقاتل أبى الفرج): قال أبو إسحاق: سمعت معاويه بالنخيله يقول:

ألا ان كل شىء أعطيته الحسن بن علىّ تحت قدمى هاتين لا أفى به. قال أبو إسحاق: و كان و الله غدارا.

و قال سعيد بن سويد: صلى بنا معاويه فى النخيله الجمعة، ثم خطبنا فقال: انى و الله ما قاتلتكم لتصلّوا و لا لتصوموا و لا لتحجّوا و لا لتركّوا، انكم لتفعلون ذلك، انما قاتلتكم لأتأمر عليكم، و قد أعطانى الله ذلك و أنتم له كارهون. قال عبد الرحمن بن شريك فى حديثه: هذا هو التهتك (٢).

و فى (العقد) - بعد ذكر أن الحسين و من معه لما أنكروا بيعه يزيد لما دعاهم مروان بالمدينه، و كان من قبل معاويه عليها، فكتب مروان إلى معاويه بذلك، فقدم معاويه المدينه فى ألف - فدعا لهم بدواب، فحملهم عليها، و خرج حتى أتى مكه، و بعد حجه أمر بأثقاله فقدمت، و أمر بالمنبر فقرب من الكعبه

ص: ٥٧٠

١-١) الامامه و السياسه ١: ١٨١. [١]

٢-٢) مقاتل الطالبين: ٤٥. [٢]

وقال لهم، انى أتقدم إليكم وقد أعذر من أنذر، انى قائل مقاله فأقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمه فى مقامى هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه، فلا- ينظر امرؤ منكم الا- لنفسه و لا- يبق الا عليها، و أمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما، فان تكلم بكلمه يرد بها عليه قوله قتلاه، و خرج و اخرجهم معه حتى رقى المنبر و حف به اهل الشام و اجتمع الناس فقال: انا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار. قالوا: ان حسينا، و ابن أبى بكر، و ابن عمر، و ابن الزبير لم يبايعوا اليزيد، و هؤلاء الرهط ساده المسلمين و خيارهم لا نبرم أمرا دونهم، و لا نقضى أمرا إلا عن مشورتهم، و انى دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين، فبايعوا و سلموا و أطاعوا. فقال أهل الشام: و ما يعظم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضرب اعناقهم لا نرضى حتى يبايعوا علانية. فقال معاويه سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالشر و أحلى دمائهم عندهم، انصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد، و دعا الناس إلى البيعه فبايعوا، ثم قربت رواحله فركب و مضى. فقال الناس للحسين عليه السلام و أصحابه: قلتم لا- نبايع فلما دعيتم و ارضيتم بايعتم. قالوا: لم نفعل. قالوا: بلى قد فعلتم و بايعتم أفلا أنكرتم. قالوا: خفنا القتل و كادكم بنا و كادنا بكم.

و كان لمعاويه مؤسس مذهب اخواننا و خال مؤمنيهم شركاء أحدهم صدّيقهم كان داهيه فتخلف عن جيش اسامه مع صياح النبى صلى الله عليه و آله فى مرض موته كلما أفاق «جهّزوا جيش أسامه لعن الله من تخلف عنه» (١)، و لما ولى الأمر و استقر بعث أسامه و قال: لو خطفتنى الكلاب و الذئاب لم أرد قضاء قضى به النبى (٢)، ثم غدر بمالك بن نويرة، آمنه ثم قتله و زنا بامرأته، و الغدر

ص: ٥٧١

١- ١) رواه الجوهري فى السقيفه: ٧٥، و [١] الشهرستاني فى الملل ٢٩: ١. [٢]

٢- ٢) رواه الطبرى فى تاريخه ٤٦٢: ٢، سنه ١١، و [٣] الواقدى فى المغازى ١١٢١: ٣. [٤]

و الزنا و ان كانا من عامله خالد الا أنه لما كان راضيا بفعل خالد كانا منه، قال تعالى في عقر ناقة ثمود مع تصدى أحدهم له و رضا باقيهم به «فَعَقَرُوهَا» (١) و هو لم يقتنع بالرضا بل حامى عنه، فلما قال له عمر: ان خالدًا و ثب على مسلم، فقتله غدرا و زنا بامرأته فأقد منه وحده، قال له: لا أشيم سيفًا سله الله على الكافرين (٢).

و ثانيهم فاروقهم كان داهيه، فحظر في أيامه على طلحه و الزبير الخروج من المدينة، و كلما جأرا بأنا نريد الجهاد في سبيل الله و الخروج إلى فارس و الروم كباقي المسلمين، قال لهما: يكفيكما جهاد كما مع النبي، مع أن الجهاد كالصلاه، فكما لا يكفي صلاه مسلم زمن النبي صَلَّى الله عليه و آله عن صلاته بعده كذلك جهاده، الا أنه خاف منهما لو خرجا ادعاء الأمر في قبالة.

و الزبير هو الذي -لما قال عمر لأهل الشورى أكلكم يطمع بالخلافه بعدى- قال لعمر: و ما الذي يبعدنا منها وليتها، و لسنا دونك في قریش و لا في السابقه و لا في القرايه (٣).

و طلحه هو الذي قال لأبي بكر لما استخلف عمر «استخلفته علينا و قد عرفته، و علمت بوائقه فينا و أنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عنا و أنت لاق الله تعالى فسائلك» (٤).

و أحكم الأمر لبني اميه أعداء النبي صَلَّى الله عليه و آله و أعداء أهل بيته و أعداء دين الله بتدبير شورى في سسته و حكميه ابن عوف ليتولى عثمان الذي كان عرف ببذل دمه و عرضه فضلا عن دينه لبني اميه بنى ابيه، و الا يدع باقى السسته الزبير

ص: ٥٧٢

١-١) هود: ٦٥، و الشعراء: ١٥٧، و الشمس: ١٤.

٢-٢) رواه الطبري في تاريخه ٥٠٣: ٢، سنه ١١. [١]

٣-٣) رواه الجاحظ في السفيانيه عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥. [٢]

٤-٤) روى هذا المضمون الطبري في تاريخه ٦٢١: ٢، سنه ١٣. [٣]

و طلحه امر أمير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان يستقر بكونهما مثله في شورى عمر كتخلف سعد عنه عليه السلام و تنفير الناس عنه كذلك، و مع فعله ذلك المؤدى قهرا إلى قيام طلحه و الزبير عليه عليه السلام قال لهم: لا تختلفوا و الا يغلب معاويه عليكم الأمر (١)، فهل غلب معاويه الا هو و قد عرفت كتابهما إلى طلحه و الزبير.

و بالجمله شوراه كان دهاء عظيما، فكان عرف من شواهد الاحوال أن عثمان يقتله الناس في تهالكه لبني اميه، و يؤدى ذلك قهرا إلى اقبال العامه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأدخل طلحه و الزبير مع بغضه لهما كما عرفت مما مر في الشورى لينهضا في قبال علي عليه السلام و يكون معاويه في قبالة بالشام، و هو ذاك الدهاء مع باقى أقاربه مروان، و الوليد بن عقبه، و غيرهما، و قد حصل الأمر كما دبر، و لذا كان عليه السلام يقول «يا لله و للشورى» (٢).

كما انه غدر بيوم الغدير أى غدر مع اقراره و بخبخته، ففي (فضائل أحمد بن حنبل) عن البراء بن عازب قال: كنا مع النبي صلى الله عليه و آله بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعه و كسح للنبي بين شجرتين، فصلى الظهر و أخذ بيد علي عليه السلام و قال: اللهم من كنت مولاه فهذا مولاه، قال فلقى عمر عليا بعد ذلك فقال له: هنيئا لك يا ابن أبي طالب، أصبحت و أمسيت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة (٣).

و من الدهاء الغدارين عمرو بن العاص، و من دهائه أنه لولاه لما قدر معاويه على ايجاد حرب صفين و لا استقامته فيه، فجمع له كلمه أهل الشام بما دبر له من وضع جمع ليشهدوا عند شر حبيل شيخ أهل الشام و المطاع

ص: ٥٧٣

١-١) رواه الجاحظ في السفيانيه عنه شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٧.

٢-٢) راجع نهج البلاغه ١: ٣٤، الخطبه ٣. [١]

٣-٣) تذكره الخواص: ٢٩. [٢]

فيهم بأن عليًا قتل عثمان، كما أنه فرق كلمه أهل العراق لما انهزم معاويه و أراد الفرار برفع المصاحف و الدعاء إلى ما فيها، و غدراته أكثر من أن تحصى، و منها في معاهدته مع أبي موسى في التحكيم.

و من الدهاء الغدارين المغيره بن شعبه، و في غارات الثقفى: ذكر المغيره و جده مع معاويه عند عليّ عليه السّلام فقال: و ما المغيره انما كان اسلامه لفجره و غدره بنفر من قومه، فهرب و أتى النبيّ صلى الله عليه و آله كالعائد بالاسلام - الخبر (١).

و في تاريخ الطبرى قال قيصره الاسدى: لو أن المغيره جعل في مدينه لا يخرج من أبوابها كلها الا بالغدر لخرج منها (٢).

و لدهائه كان أبو بكر و عمر يفرعان إليه في معضلاتهما، ففي استقرار أمر خلافتهما لجئا إليه فقال لهما: الرأى ان تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيبا يكون له و لعقبه و تكون لكما الحجة على علي و على بنى هاشم إذا كان العباس معكم (٣)، و لدهائه أراد عمر ابقاءه ذخيره له و لمن بعده في دفع أهل البيت، فلحقن زيادا الابعاء عن الشهاده عليه بالزنا لثلاثا يرجم.

و شتان بينهما و بين أمير المؤمنين عليه السّلام، هما فرعا إلى مثل المغيره الذى حمل معاويه على استلحاق زياد بزنا أبيه به لرفع درجته، و مفسد ذلك في الاسلام معلومه، كما حملة على استخلاف ابنه السكير الخمير الذى أنكره مثل زياد و مروان و هما هما لثلاثا يعزله عن الاماره لشيخوخته، و قد أشار هو بنفسه عليه عليه السّلام بابقاء معاويه على امارته حتى يستقر أمره ثم يعزله فأباه،

ص: ٥٧٤

[١-١] الغارات ٥١٦:٢. [١]

[٢-٢] تاريخ الطبرى ٤:٢٥٠، سنه ٦٠. [٢]

[٣-٣] رواه الجوهرى فى السقيفه: ٤٧، و [٣] بن قتيبه فى الامامه و السياسه ١:١٥، و [٤] اليعقوبى فى تاريخه ٢:١٢٤. [٥]

و قال: ما كنت متخذ المضلين عضدا و لو لم يستقر امر سلطنتي.

كما أن الثاني حظر على طلحه و الزبير الخروج من المدينة بتوهم الخروج عليه مع اقتداره ذاك المذى أجروا أو امره بعده فى ترتيبه الشورى، و هو عليه السلام مع تزلزل أمره و علمه باراده طلحه و الزبير الغدر خلى بينهما و بين ما أراد اليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حى عن بينه.

و فى (أمالى القالى): كان معاويه يقول: انا للانا، و عمرو للبديهه، و زياد للصغار و الكبار، و المغيره للأمر العظيم.

هذا، و من الدهاء الغدارين عبد الملك، أعطى عمرو بن سعيد الامان، ثم قتله، فقال الشاعر:

غدرتم بعمرو يا بنى خيط باطل و أنتم ذوو قربي به و ذوو صهر

و منهم منصور الدوانيقى، خرج عليه محمد و إبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن، فأشخص إليهما عيسى بن موسى الذى أراد خلعه من ولايه العهد بعده من أخيه و قال: لم أبال أيهما قتل.

و خرج عليه عمه عبد الله بن على، فأشخص إليه أبا مسلم الذى أراد قتله، و اعطى ابن هبيرة و عمه و أبا مسلم الامان، و غدر بجميعهم و قتلهم.

و لما كتب إلى محمد بن عبد الله ببذل الامان له أجابه أى امان تعطينى، امان ابن هبيرة، أم امان عمك، أم امان أبى مسلم .

«و لولا - كراهيه الغدر لكنت من أدهى الناس» اتيانه عليه السلام ب«لولا» الامتناعيه لأن الدهاء ليس مجرد جوده الرأى، بل مع النكر و الاغتيال و الغدر و الاحتيال، قال الجاحظ فى (مفاخرات هاشم و اميه) بعد ذكر مفاخره اميه بدائها: قالت هاشم أما ما ذكرتم من الدهاء و النكر فان ذلك من أسماء فجار العقلاء و ليس

من أسماء أهل الصواب: في الرأي من العقلاء الأبرار (١).

كان عليه السلام من أعقل الناس بدون ان يكون أدهاهم.

و يشهد لكونه عليه السلام أعقل جميع الناس - مع قطع النظر عن مؤيدته بالالهام الإلهي كالنبي بوحيه - قضاياه التي كشف بها الواقع حتى صار عليه السلام مثلاً بين الناس في كشف المعضلات، منها ما ورد أن غلاماً في المدينة كان يدعى علي امرأه أنها أمه و أنها طردته، و كانت المرأه تدعى انها جاريه بخاتمها، فأمر عمر - و كان ذلك في أيامه - بحبس الغلام، فاستجار الغلام به عليه السلام، فقال للمرأه: أ لك ولي؟ فقالت: اخوتي. فقال عليه السلام لهم امرى فيكم و في اختكم جائز؟ قالوا: نعم. فقال: أشهد من حضر انى زوجت هذا الغلام من هذه الجاريه بأربعمائه درهم من مالى، فصاحت المرأه النار النار يا ابن عم الرسول، تريد أن تزوجنى من ابنى، هذا ابنى ولدته من هجين، فأمرنى أخوتى ان انتفى منه و اطرده (٢).

و منها ما ورد أن رجلاً أقبل على عهده عليه السلام حاجاً من الجبل و معه غلام له، فأذنب الغلام فى الطريق، فضربه المولى، فقال الغلام لمولاه: ما أنت مولاي بل أنا مولاك، فكانا فى الطريق يتوعدان حتى اتيا الكوفه، فحضرا عنده عليه السلام و قال المولى: هذا غلام لى، فأذنب فضربته فوثب على، و قال الغلام:

ان أبى ارسلنى معه ليعلمنى و انه وثب على يدعيني ليذهب بمالى، و كل منهما يحلف و يكذب الآخر، فوعظهما فلم يقلعا، فقال عليه السلام لقنبر: اثقب فى الحائط ثقباً ففعل، و قال لهما: ادخلا رأسيكما فى الثقب ففعلا، ثم قال لقنبر جئنى بسيف

ص: ٥٧٦

١-١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ١٥:٢٧٠.

٢-٢) رواه الكليني فى الكافي ٧:٤٢٣ ح ٦، و [١] الطوسى فى التهذيب ٦:٣٠٤ ح ٥٦، و القمى فى عجائب الاحكام: ٢٨ ح ٢٥.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَضْرِبْ رِقْبَةَ الْعَبْدِ مِنْهُمَا، فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: عَجَلْ أَضْرِبْ رِقْبَةَ الْعَبْدِ مِنْهُمَا، فَأَخْرَجَ الْعَبْدَ رَأْسَهُ مِبَادِرًا وَ مَكَثَ الْآخَرَ فِي الثَّقَبِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَسْتَ بَعِيدٌ لَهُ، فَكَيْفَ أَخْرَجْتَ رَأْسَهُ؟ قَالَ: بَلَى وَ لَكِنْ ضَرَبْتَنِي وَ تَعَدَى عَلَيَّ، فَتَوَثَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ وَ دَفَعَهُ إِلَيْهِ (١).

و منها ما ورد أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما ولدا لها بغير بينه، فالتبس الحكم فيه على عمر، ففزع إليه عليه السلام، فاستدعى المرأتين و وعظهما و خوفهما، فأقامتا، فقال عند تماديهما في النزاع:

اثنوني بمنشار، فقالت المرأتان: ما تصنع؟ قال: أقده نصفين لكل واحدة منكما نصفه، فسكتت إحدهما و قالت الاخرى: الله الله يا أبا الحسن ان كان لا بد من ذلك فقد سمحت به لها. فقال عليه السلام: الله اكبر هذا ابنك دونها و لو كان ابنها لرقت عليه، فاعترفت الاخرى أن الولد لصاحبته، فسرى عن عمر، فدعا له عليه السلام بما فرج عنه في القضاء (٢).

و منها ما ورد أن جمعا خرجوا في عهده عليه السَّلَامُ في سفر معهم رجل ذو ثروه، فرجعوا و لم يرجع، فسألهم ابنه عنه فقالوا: مات. فقال لهم: أين ماله؟ فقالوا: ما خلف شيئا، فرفعهم الابن إلى شريح قاضيه، فاستحلفهم و خلاهم، فأتى الابن إليه عليه السَّلَامُ و قص القصة، فأمر باحضار شريح و قال له: كيف قضيت؟ قال: لم يكن للابن بينه، فاستحلفت خصماءه. فقال عليه السَّلَامُ له: هيهات هكذا يحكم في مثل هذا، يا قنبر ادع لي بشرطه الخميس، فدعاهم، فوكل بكل رجل منهم رجلا من الشرطه، ثم نظر إلى وجوههم فقال: أ تقولون اني لا أعلم

ص: ٥٧٧

١- ١) رواه الكليني في الكافي ٧: ٤٢٥ ح ٨، و [١] الطوسي في التهذيب ٣٠٧: ٦ ح ٥٨، و القمي في عجائب الاحكام: ٧٢ ح ٧٢.

٢- ٢) رواه المفيد في الإرشاد: ١١٠. [٢]

ما صنعتم بأبى هذا الفتى، انى اذن لجاهل. ثم قال: فرقوهم و غطوا رؤوسهم، ففرق بينهم و أقيم كل رجل منهم إلى اسطوانه من المسجد، ثم دعا عليه السلام كاتبه عبيد الله بن أبى رافع فقال له: هات صحيفه و دواه، و جلس فى مجلس القضاء، و جلس الناس إليه، و قال لهم إذا كبرت فكبروا، ثم دعا بواحد منهم، فأجلسه بين يديه و كشف عن وجهه و قال للكاتب: اكتب اقراره و ما يقول: ثم أقبل عليه السلام عليه بالسؤال فقال له: فى أى يوم خرجتم من منازلكم و أبو هذا الفتى معكم؟ فقال: فى يوم كذا و كذا. قال: و فى أى شهر؟ قال: فى شهر كذا و كذا. قال: و فى أى سنه؟ قال: كذا و كذا. قال و إلى أين بلغتكم فى سفركم حتى مات أبو هذا الفتى؟ قال: إلى موضع كذا و كذا. قال: و فى منزل من مات؟ قال: فى منزل فلان به فلان. قال: و ما كان مرضه؟ قال: كذا و كذا. قال: و كم يوم مرض؟ قال: كذا و كذا. قال: ففى أى يوم مات، و من غسله، و من كفنه، و بما كفنتموه، و من صلى عليه، و من نزل فى قبره. فلما سأله عن جميع ما يريد كبر عليه السلام و كبر الناس جميعا فارتاب اولئك الباقون و لم يشكوا أن صاحبهم أقر عليهم و على نفسه، ثم امر أن يغطى رأسه و ينطلق به إلى السجن، ثم دعا بآخر فأجلسه بين يديه و كشف عن وجهه و قال له: زعمتم انى لا أعلم ما صنعتم. فقال: ما انا الا واحد منهم، و لقد كنت كارها لقتله فأقر، ثم دعا بواحد بعد واحد كلهم يقر بالقتل و أخذ المال، ثم رد الذى امر به إلى السجن، فأقر أيضا، فألزمهم المال و الدم (1).

و منها ما ورد أن عمر قد أتى بجاريه قد شهد عليها أنها بغت، و من قصتها انها كانت يتيمه عند رجل كثيرا ما يغيب عن أهله، فشبت و تخوفت امرأه الرجل أن يتزوجها زوجها، فدعت بنسوه، فأمسكنها، فأخذت عذرتها بإصبعها، فلما قدم الرجل رمتها المرأه بالفاحشه، و أقامت البينه من جاراتها

ص: ٥٧٨

١- ١) رواه الكليني فى الكافى ٧: ٣٧١ ح ٨، و [١] المفيد فى الإرشاد: ١١٥، و [٢] القمى فى عجائب الاحكام: ٦٠ ح ٦١.

اللاتى ساعدنها على ذلك، فرفع ذلك إلى عمر، فلم يدر كيف يقضى فيها، فقال عمر للرجل: اذهب بنا إلى عليّ عليه السلام، فأتوه و قصوا عليه القصة، فقال لامرأة الرجل: ألك بينه؟ قالت: هؤلاء جاراتي يشهدن عليها بما أقول، وأحضرتهن، فأخرج عليهما السيف من غمده، فطرحه بين يديه وأمر بكل واحد منهن فادخلت بيتا، ثم دعا امرأة الرجل، فأدارها بكل وجه، فأبت أن تزول عن قولها، فردها إلى البيت الذي كانت فيه و دعا احدى الشهود و جثا على ركبتيه ثم قال:

أ تعرفيني أنا عليّ بن أبي طالب و هذا سيفي، و قد قالت امرأة الرجل ما قالت:

و رجعت إلى الحق، و اعطيتها الأمان و إن لم تصدّقيني لأمكنن السيف منك.

فالتفت إلى عمر و قالت الأمان على الصدق. فقال عليه السلام لها: فاصدقي. فقالت: لا والله إلا أن امرأة الرجل رأت جمالا من هذه الجارية و هيئه، فخافت فساد زوجها، فسقتها المسكر و دعتنا، فأمسكناها، فافتضتها باصبعها. فقال عليه السلام:

الله أكبر أنا أول من فرق بين الشهود إلا - دانيال النبي عليه السلام. و ألزمهن حد القاذف، و ألزمهن جميعا العقر، و امر الزوج أن يطلق المرأة، و زوجه الجارية، و ساق عنه المهر إليها (١).

إلى غير ذلك من قضاياها عليه السلام التي لو أردنا الاستشهاد بها لطلال الكتاب، و من اراد أكثر راجع كتابنا في ذلك، فإنه لو اجتمعت عقلاء الثقلين على أن يستكشفوا مثل ما كشف ما قدروا.

و أما اطلاق كليب الجرمي عليه عليه السلام كونه أدهى العرب في خبر رواه عنه الطبري في الجمل أن بعد ورود طلحه و الزبير و عائشه البصره لطلب دم عثمان قال قومه له و لرجلين آخرين: انطلقوا حتى تأتوا علينا و أصحابه

ص: ٥٧٩

١ - ١) رواه الكليني في الكافي ٧: ٤٢٥ ح ٩، و [١] الطوسي في التهذيب ٣٠٨: ٦ ح ٥٩، و القمي في عجائب الاحكام: ٣٤ ح ٢٨.

و سلوهم عن هذا الأمر الذى اختلط علينا، فأتيناه، فسألناه، فقال: عدا الناس على هذا الرجل و أنا معتزل، فقتلوه، ثم و لوني و أنا كاره، و لو لا خشيه على الدين لم أجيبهم، ثم طفق هذان فى النكث، فأخذت عليهما و اخذت عهدهما عند ذلك، و أذنت لهما فى العمره، فقدمنا على حليله النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، فعرضها لما لا يحل لهما، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا فى الاسلام فتقا. قال: فبايع صاحبى و أما أنا فأمسكت و قلت بعثتنى قوما لا امر فلا- احدث شيئا حتى أرجع إليهم. فقال: فان لم يفعلوا؟ قلت: لم أفعل. فقال: رأيت لو انهم بعثوك رائدا فرجعت إليهم، فأخبرتهم عن الكلاء و الماء، فخالفوا إلى المعاطش و الجدوبه ما كنت صانعا.

قلت: كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلاء و الماء. قال: فمد يدك، فوالله ما استطعت ان امتنع، فبسطت يدي، فبايعته و كان من أدهى العرب- الخبر (١)، فأما تجوز منه و اما قله معرفه منه، كما يكشف عنه عدم تميزه حتى ضرب عليه السلام له المثل.

هذا، و روى (الكافى) مسندا عن هشام بن سالم يرفعه قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو لا أن المكر و الخديعه فى النار لكنت أمكر الناس (٢).

«و لكن كل غدرة فجره و لكل» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (و كل) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣) «فجره كفره» .

روى (الكافى) مسندا عن الأصبغ قال: قال عليه السلام على المنبر: أيها الناس لو لا كراهيه الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا ان لكل غدرة فجره، و لكل فجره كفره، ألا و ان الغدر و الفجور و الخيانه فى النار (٤).

ص: ٥٨٠

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٥٠٥:٣، سنه ٣٦. [١]

٢-٢ (٢) الكافى ٣٣٦:٢ ح ١. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢١١:١٠، و [٣] شرح ابن ميثم ٤٧٠:٣. [٤]

٤-٤ (٤) الكافى ٣٣٨:٢ ح ٦. [٥]

قال ابن أبي الحديد «غدره و فجره و كفره» على فعله، أى بالضم فالفتح، أى كثير الغدر و الفجور و الكفر، و كل ما كان على البناء فهو الفاعل، فان سكنت العين فهو المفعول، تقول «رجل ضحك» أى يضحك، و «ضحك» أى يضحك منه، و «سخره» يسخر، و «سخره» يسخر به، و روى الجميع على «فعله» للمرء الواحد، و تبعه الخوئي و زاد: و فى بعض النسخ: روى الجميع على «فعله» بفتحين جمع فاعل (١).

قلت: ان ابن أبي الحديد قاس هذه على «ضحك و سخر»، فان التفصيل انما ذكره الجوهري فى ضحك و سخر، و لم يقل انه يطرد فى كل فعل، كما أن ما زاده الخوئي خطأ، لانه فى معنى و لكن كل غادرين فاجرون و كل فاجرين كافرون، و لا معنى له، فيتعين أن تكون بلفظ فعله مره.

«و لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة» و روى (الخصال) عنه عليه السلام قال:

فى جهنم رحي تطحن، طحنها العلماء الفجرة، و القراء الفسقة، و الجبابرة الظلمة، و الوزراء الخونه، و العرفاء الكذبه، و ان فى النار لمدينه يقال لها الحصينه فيها أيدي الناكثين (٢).

«و الله ما استغفل بالمكيد و لا استغمر بالشديد» فى (الخلفاء) و غيره:

ذكروا أن معاويه قال لجرير لما بعثه عليه السلام لآخذ البيعه منه: انى قد رأيت رأيا.

قال: هات. قال: اكتب إلى عليّ أن يجعل لى الشام و مصر جبايه فان حضرته الوفاه لم يجعل لاحد من بعده فى عنقى بيعه و أسلم إليه الأمر، و اكتب إليه بالخلافه. فقال له جرير: اكتب، فكتب إليه عليه السلام ذلك، فكتب إلى جرير: انما أراد معاويه بما طلب ألا يكون لى فى عنقه بيعه، و ان يختار من أمره ما يحب، و أراد

ص: ٥٨١

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٢١١: ١٠، و [١] شرح الخوئي ١٠٧: ٦.

٢- ٢) الخصال ٢٩٦: ١ ح ٦٥.

أن يرشك و يبطئك حتى يذوق أهل الشام، وقد كان المغيرة اشارة علي و أنا بالمدينة أن استعمله علي الشام فأبيت ذلك عليه. قالوا: و فشا كتاب معاوية في العرب، فكتب إليه الوليد بن عقبه أخو عثمان لأمه أبياتا منها:

أمثل عليّ تعتريه بخدعه و قد كان ما جربت من قبل كافيا

و كتب إليه أبياتا آخر منها:

فإن عليًا غير ساحب ذيله علي خدعه ما سوغ الماء شاربته

و كتب إليه أبياتا آخر منها:

فانك و الكتاب إلى عليّ كدابغه و قد حلم الاديم (١)

و في (صفيين نصر) - بعد ذكر سبق معاوية على الفرات، ثم غلبه أصحابه عليه السلام عليه بالحرب - و كتب معاوية في سهم «من عبد الله الناصح يخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم، فخذوا حذركم»، ثم رمى بالسهم في عسكره عليه السلام، فوقع في يد أحدهم، فقرأه ثم أقرأه صاحبه ثم آخر، فقالوا: هذا أخ لنا ناصح كتب إلينا يخبرنا بما أراد معاوية فينا، و قد كان معاوية بعث مائتي رجل من الفعله إلى عاقول من النهر بأيديهم المرور و الزيل يحفرون فيها بحيال عسكره عليه السلام، فقال عليّ لأصحابه: و يحكم ان الذي يعالج معاوية لا يستقيم له و لا يقوم عليه، و انما يريد أن يزيلكم عن مكانكم، فالهوا عن ذلك و دعوه. فقالوا له: هم و الله يحفرون الساعة. فقال لهم:

يا أهل العراق لا - تكونوا ضعفي، و يلكم لا تغلبوني علي رأيي. فقالوا: و الله لنتحلن، فان شئت فأقم و ان شئت فارتحل، فارتحلوا فارتحل عليه السلام في أخريات الناس و هو يقول:

و لو اني اطعت عصبت قومي إلى ركن اليمامة أو شام

ص: ٥٨٢

و لكننى إذا أبرمت أمرا منيت بخلف آراء الطغام

فارتحل معاويه حتى نزل على معكسر على عليه السلام الذى كان فيه (١).

و فيه: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال عليه السلام: عباد الله أنا أحق من أجب إلى كتاب الله، ولكن معاويه، و عمرو بن العاص، و ابن أبى معيط، و حبيب بن مسلمه، و بان أبى سرح ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، انى أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا و صحبتهم رجالا، فكانوا شر اطفال و شر رجال، انها كلمه حق يراد بها باطل، انهم و الله ما رفعوها أنهم يعرفونها و يعملون بها، و ما رفعوها لكن الا خديعه و مكيده، أعيرونى سواعدكم و جماجمكم ساعه واحده، فقد بلغ الحق مقطعه، و لم يبق الا- أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءه عليه السلام زهاء عشرين ألفا مقنعين فى الحديد شاكى السلاح سيوفهم على عواتقهم و قد سودت وجوههم يتقدمهم مسعر بن فدكى، و زيد بن حصين، و عصابه من القراء الذين صاروا خوارج بعد، فنادوه باسمه لا- بأمره المؤمنين «أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه و الا- قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو الله لنفعلنها ان لم تجبهم» فقال لهم: ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله و أول من أجب إليه، و ليس يحل لى و لا يسعنى فى دينى أن ادعى إلى كتاب الله فلا- أقبله، انى انما أنا أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فانهم قد عصوا الله فى ما امرهم فيه، و نقضوا عهده، و نبذوا كتابه، و لكننى قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، و أنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون (٢).

و فيه: و لما أجبروه عليه السلام على أن يضع حكمين قال لهم: ان معاويه لم

ص: ٥٨٣

١- ١) وقعه صفين: ١٩٠. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٤٨٩. [٢]

يكن ليضع لهذا الأمر أحدا أوثق برأيه و نظره من عمرو بن العاص، و الله لا يصلح للقرشى إلا- مثله، فعليكم بعبد الله بن عباس، فارموه به، فان عمرا لا يعقد عقده الا حلها عبد الله، و لا يحل عقده الا عقدها، و لا يبرم أمرا الا نقضه، و لا ينقض أمرا الا أبرمه. فقال الأشعث: و الله لا يحكم فينا مضرين حتى تقوم الساعة، و لكن اجعله رجل من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا- من مضر. فقال عليه السلام:

انى أخاف أن يخدع يمتيكم، فان عمرا ليس من الله فى شىء إذا كان له فى أمر هوى. فقال الأشعث: و الله لان يحكما ببعض ما نكره و أحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحب فى حكمهما و هما مضرين.

إلى أن قال: فقال عليه السلام قد أبيتكم الا أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم (١).

٦

الكتاب (٤٨)

و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

وَ إِنَّ الْبُغْيَ وَ الزُّورَ يُدْبِعَانِ بِالْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَ دُنْيَاهُ- وَ يُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيْبُهُ- وَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ- وَ قَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بَغْيِ الْحَقِّ- فَتَأَلَّوْا عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ- فَأَحْزَنَ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ- وَ يَنْدُمُ مَنْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ- وَ قَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ؟ وَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ- وَ لَسْنَا إِيَّاكَ أَجْبِنَا وَ لَكِنَّا أَجْبِنَا؟ الْقُرْآنُ؟ فِي حُكْمِهِ- وَ السَّلَامُ أَقُولُ: رواه (صفين نصر بن مزاحم- وقعه صفين- ص ٤٩٣ نصر بن مزاحم) مع كلام معاوية الذى هذا جوابه مع زياده، فقال: بعث معاوية أبا الاعور السلمى على برذون أبيض، فسار بين

ص: ٥٨٤

(١- ١) وقعه صفين: ٥٠٠. [١]

صف أهل العراق و صف أهل الشام، و المصحف على رأسه و هو يقول: كتاب الله بيننا و بينكم، و أرسل معاويه إلى عليّ عليه السلام: ان هذا الأمر قد طال بيننا، و كل منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه، و لن يعطى واحد منّا الطاعة للآخر، و قد قتل فيما بيننا بشر كثير، و أنا أتخوف أن يكون ما بقى أشد مما مضى، و انا نسأل عن ذلك الموطن و لا- يحاسب به غيرى و غيرك، فهل لك فى امر لك و لنا فيه حياه و عذر و صلاح للامه أن يحكم بيننا و بينكم حكمان رضيان أحدهما من أصحابى و الآخر من أصحابك، فيحكمان بما فى كتاب الله بيننا، فانه خير لى و لك و أقطع لهذه الفتن، فاتق الله فيما دعيت إليه و ارض بحكم القرآن ان كنت من أهله.

قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: أما بعد فان أفضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما حسن به فعله و يستوجب فضله و يسلم من عيبه، و ان البغى و الزور يزريان بالمرء فى دينه و دنياه، و يبديان من خلله عند من يعنيه ما استرعاه الله ما لا- يغنى عنه تدبيره، فاحذر الدنيا، فانه لا فرح فى شىء وصلت إليه منها، و لقد علمت انك غير مدرك ما قضى فواته، و قد رام قوم أمرا بغير الحق، فتأولوا على الله، فأكذبهم و متعهم قليلا، ثم اضطروهم إلى عذاب غليظ، فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبه عمله، و يندم من أمكن الشيطان من قياده و لم يحاده، فغرتة الدنيا و اطمأن إليها. ثم انك قد دعوتنى إلى حكم القرآن، و لقد علمت انك لست من أهل القرآن و لست حكمه تريد و الله المستعان، و قد أجبنا القرآن إلى حكمه و لسنا اياك أجبنا، و من لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا (١).

ص: ٥٨٥

و كذلك نقله ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد-شرح نهج البلاغه-ج ٢ ص ٢٢٥ عن صفين ابن ديزيل-صفين- ابن ديزيل (١).

«و ان البغى و الزور» أى:الكذب و الباطل «يذيعان» نقله ابن أبي الحديد (٢)(يوثغان)أى يهلكان،و من الغريب أن ابن ميثم تبعه و قال نسخه الرضى «يذيعان» (٣)فهل هو شرح غير كتاب الرضى،و انما كان عليه ان يقول فى نسختى من النهج هكذا،و لعل فى نسخه اخرى غيره المصنّف و قال «يذيعان» ،و كيف كان فقد عرفت ان فى المستند«يزريان» (٤)،و الازراء التهاون.و ان صح ما نقله المصنّف فلعله من اذاع القوم ما فى الحوض أى شربوه،لا من اذاع الخبر أى:أفشاه «بالمرء» هكذا فى (المصريه)،و الصواب: «المرء» كما فى (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥).

«فى دينه و دنياه و يبديان» أى:يظهران «خلله عند من يعيبه» قد عرفت أن نصرأ رواه «من خلله عند من يغنيه»مع زياده«ما استرعاه الله ما لا يغنى عنه تدبيره» (٦)،و عليه ففاعل يعنيه«ما استرعاه الله»،و يكون«ما لا يغنى»مفعوله.

«و قد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته» مراده عليه السّلام بما قضى فواته الدنيا التى قضى الله فواتها عن كل أحد،فقد عرفت أن نصرأ زاد قبله«فاحذر الدنيا فانه لا فرح فى شىء وصلت إليه منها» (٧).

و فى (الكامل)-بعد ذكر فتح عبد الملك الكوفه و قتل مصعب-صنع عمرو ابن حريث له طعاما كثيرا فى الخورتق،و اذن عبد الملك اذنا عاما،

ص: ٥٨٦

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٢٥.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢:١٧.

٣-٣) شرح ابن ميثم ١٢٤:٥.

٤-٤) وقعه صفين:٤٩٣،و شرح ابن أبي الحديد ٢٢٦:٢.

٥-٥) شرح ابن أبي الحديد ١٢:١٧،و [١]شرح ابن ميثم ١٢٤:٥. [٢]

٦-٦) وقعه صفين:٤٩٣. [٣]

٧-٧) وقعه صفين:٤٩٣. [٤]

فدخل الناس و أخذوا مجالسهم، فدخل عمرو بن حريث، فأجلسه معه على سرير، ثم جاءت الموائد، فأكلوا فقال عبد الملك: ما الذّ عيشنا لو دام و لكننا كما قال الأوّل:

و كلّ جديد يا اميم إلى بلى و كل امرئ يوما يصير إلى كان

فلما فرغوا من الطعام طاف عبد الملك فى القصر و عمرو بن حريث معه و هو يسأله لمن هذا البيت و من بنى هذا البيت و عمرو يخبره فقال عبد الملك:

اعمل على مهل فانك ميت و اكدح لنفسك أيها الانسان

فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى و كأن ما هو كائن قد كان (١)

«و قد رام» أى: طلب «أقوام أمرا بغير الحق فتأولوا على الله فأكذبهم» قد عرفت أن نصرا زاد بعده «و متعهم قليلا ثم اضطّرهم إلى عذاب غليظ» (٢).

و مراده عليه السّلام بالاقوام المتقدمون عليه، فلم يكن قبل معاويه فى ذاك العصر من رام أمرا بوصفه عليه السّلام غير الرجلين، و لم يكن معاويه يعد نفسه دونهما، فانه من حيث النسب كان من بنى عبد مناف الذين لم يكن فى قريش أشرف منهم، و من حيث التدبير و السياسه كان فوقهما، و كثيرا ما كان معاويه أيام عثمان فى الدفاع عنه، و كان عثمان مع معاويه و باقى بنى اميه كنفس واحده، يجعل نفسه فوق تيم و عدى، و أمير المؤمنين عليه السّلام و ان كان يتقى من التصريح بالظعن فيهما عند العامه الا أنه يفعل ذلك بالتلويح لمعاويه، فإن للخواصّ مكالماتهم عند أنفسهم غير مكالماتهم عند العوام يبدى كل منهم ما فى نفسه للآخر، و كل منهم يعرف الآخر و اعتقاداته و آرائه، و قد قال الحسن عليه السّلام فى مجلس معاويه و خواصه للمغيره: ان عمر عطل حد

ص: ٥٨٧

١- ١) كامل ابن الأثير ٣٣١: ٤، سنه ٧١. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٤٩٤. [٢]

اللّه فى حقك، و ان اللّه تعالى يسأله عن ذلك (١)، و لم يمكنه عليه السلام أن يقول ذلك فى الملاء.

و كان معاويه يسعى ان يأخذ من أمير المؤمنين و من أهل بيته تصريحاً فى كتاب أو فى ملاء بالطعن فىهما عند العامه، كما يظهر ذلك من كثير من كتب معاويه إلى عليّ، و فى كتابه إلى الحسن «و صرحت بتهمه أبى بكر و عمر» (٢).

و تأولهم الّذى قال عليه السّلام كونهم صاحب الغار و ادعاء ان النبىّ صلّى اللّهُ عليه و آله أمرهم بالصلاه بالناس فى مرضه، فبهذين الأمرين تمسك عمر لاستخلاف أبى بكر.

و قال الراوندى - كما نقل ابن ميثم عنه - معنى قوله عليه السّلام «و قد رام أقوام أمرا بغير الحق فتأولوا على اللّهُ فأكذبهم» انه قد طلب قوم أمر هذه الامه، فتأولوا القرآن كقوله تعالى: «أَطِيعُوا اللّهُ وَ أَطِيعُوا الرّسُولَ وَ أُولى الأَمْرِ مِنْكُمْ» (٣) فسموا من نصبوه من الأمراء أُولى الأمر متحكمين على اللّهُ، فأكذبهم اللّهُ بكونهم ظالمين بغاه، و لا يكون الوالى من قبل اللّهُ تعالى كذلك (٤)، و هو قريب مما قلنا.

هكذا، و نقل ابن أبى الحديد بدل قوله فتأولوا «فتأولوا» و قال أى حلفوا، من الاليه أى اليمين، أى من أقسم تجبرا «لا فعلن كذا» أكذبه اللّهُ و لم يبلغ أمله. ثم قال: و قد روى «تأولوا على اللّهُ» أى حرفوا الكلم، و تعلقوا بشبهه فى تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم، فأكذبهم اللّهُ بأن أظهر للعقلاء

ص: ٥٨٨

١-١) رواه الزبير بن بكار فى المفاخرات عنه شرح ابن أبى الحديد ٢٩٤:٦. [١]

٢-٢) رواه أبو الفرج فى المقاتل: ٣٦. [٢]

٣-٣) النساء: ٥٩. [٣]

٤-٤) شرح الراوندى ١٦١:٣، و [٤] شرح ابن ميثم ١٢٥:٥. [٥]

فساد تأويلاتهم، و الأول أصح (١).

قلت: بل الثانى هو الصحيح، فلم نجد غيره و لم ينقل غير الراوندى و ابن ميثم (٢)، و نسخه ابن ميثم بخط مصنفه، و قد عرفت أن مستنده أيضا بذاك اللفظ .

«فاحذر يوما» و المراد به يوم القيامة «يغتبط» بلفظ المعلوم، من غبطته فاغتبط، قال «و بينما المرء فى الاحياء مغتبط» (٣) فيه من أحمد» أى: وجد حميدا «عاقبه عمله و يندم من أمكن الشيطان من قياده» حبل يقاد به الدابه «فلم يجاذبه» «و أسرّوا الندامة لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (٤) «و أسرّوا الندامة لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٥).

«و قد دعوتنا إلى حكم القرآن و لست من أهله» قال ابن ميثم: إذ لم يكن صالحا للامامه (٦).

قلت: بل لأنه لم يكن له اعتقاد بالقرآن و منزله و المنزل إليه، فقد عرفت أن مستنده زاد «و لست حكمه تريد» (٧).

و فى (صفين نصر): لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال على عليه السلام: انا أحق من أجاب إلى كتاب الله، و لكن معاويه،

ص: ٥٨٩

١-١ (١) شرح ابن أبى الحديد ١٢: ١٧. [١]

٢-٢ (٢) شرح الراوندى ٣: ١٥٧، و شرح ابن ميثم ٥: ١٢٤ و ١٢٥.

٣-٣ (٣) أورده لسان العرب ٧: ٣٦٠، [٢] ماده (غبط).

٤-٤ (٤) يونس: ٥٤. [٣]

٥-٥ (٥) سبأ: ٣٣. [٤]

٦-٦ (٦) شرح ابن ميثم ٥: ١٢٥. [٥]

٧-٧ (٧) وقعه صفين: ٤٩٤. [٦]

و عمرو بن العاص، و ابن أبي معيط، و حبيب بن مسلمة، و ابن أبي سرح ليسوا باصحاب دين و لا قرآن، انى أعرف بهم منكم (١).

«و لسنا اياك أجبنا و لكن أجبنا القرآن فى حكمه» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «إلى حكمه» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢)، و المراد اجابه القرآن فى المستحق للامامه و حكم القرآن «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (٣) «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (٤) «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (٥) و غير ذلك مما أحال الأمر إلى بداهه العقول، و لكن طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون.

(و السلام) هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد)، و ليس فى (ابن ميثم و الخطيبه) (٦).

٧

الكتاب (٤٢)

و من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبى سلمه المخزومى -و كان عامله على البحرين- فعزله و استعمل النعمان بن عجلان الزرقى مكانه:

أَمَا بَعِيدٌ - فإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ؟ النُّعْمَانُ بْنُ عَجْلَانَ الزُّرْقِيُّ؟ عَلَى؟ الْبَحْرَيْنِ؟ - وَ نَزَعْتَ يَدَكَ بِلَا دَمِّ لِمَكَ وَ لَا تَثْرِيْبٍ عَلَيْكَ - فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوَلَايَةَ

ص: ٥٩٠

١- ١) وقعه صفين: ٤٨٩. [١]

٢- ٢) كذا فى شرح ابن ميثم ١٢٦: ٥، [٢] لكن فى شرح ابن أبى الحديد ١٢: ١٧، [٣] مثل المصريه.

٣- ٣) الزمر: ٩. [٤]

٤- ٤) السجده: ١٨. [٥]

٥- ٥) يونس: ٣٥. [٦]

٦- ٦) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١٢: ١٧، و [٧] شرح ابن ميثم ١٢٤: ٥، [٨] مثل المصريه.

وَ أَدَيْتِ الْأَمَانَةَ - فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ وَ لَا مَلُومٍ - وَ لَا مَأْتُهُمْ وَ لَا مَأْتُومٍ - فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمِهِ أَهْلِ؟ الشَّامِ؟ - وَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ - فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسَيِّتُظْهَرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعِدُوِّ - وَ إِقَامِهِ عَمُودِ الدِّينِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَقُولُ: نقل عن (تاريخ ابن واضح ابن واضح اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - ج ٢ ص ٢٠١) أيضا (١).

قول المصنّف: (و من كتاب له عليه السّلام إلى عمر بن أبى سلمه المخزومى) كان ربيب النبىّ صلّى الله عليه و آله، روى أنّه زوج امّه ام سلمه من النبىّ و هو صغير لم يبلغ الحلم.

(و كان عامله على البحرين) و فى (الاسد): شهد مع علىّ عليه السّلام الجمل، و استعمله على البحرين و على فارس (٢) (فعرله و استعمل نعمان) هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «النعمان» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣) (بن عجلان الزرقى).

فى (الاسد): استعمل علىّ عليه السّلام نعمان على البحرين، فجعل يعطى كل من جاءه من بنى زريق فقال فيه الشاعر:

أرى فتيه قد ألهمت الناس عنكم فند لا زريق المال من كلّ جانب

فإنّ ابن عجلان الذى قد علمتم بيدد مال الله فعل المناهب

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم و يخرجن من دارين بجر الحقائق

و كان شاعرا فصيحاً سيدا فى قومه، و تزوج خوله بنت قيس امرأه حمزه بعد قتله (٤).

قلت: رأيت البيت الأوّل هكذا:

ص: ٥٩١

١- ١) تاريخ ابن واضح اليعقوبى ٢٠١: ٢. [١]

٢- ٢) اسد الغابه ٤٩: ٤. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٧٣: ١٦، و [٣] شرح ابن ميثم ٩٤: ٥. [٤]

٤- ٤) اسد الغابه ٢٦: ٥. [٥]

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب

هذا، و قال الجوهري فى ندل مدح الشاعر قوم دارين بالجود - و استشهد بالببت الاخير (١)، و هو كما ترى و هم.

قوله عليه السلام «اما بعد فانى قد وليت نعمان» هكذا فى (المصريه)، و الصواب:

«النعمان» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٢).

«ابن عجلان الزرقى» بضم الزاى، و فى (أنساب السمعانى): نسبه إلى زريق بن عمر بن زريق بن عبد حارثه بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج «على البحرين» .

و فى (تاريخ يعقوبى): بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أن النعمان ذهب بمال البحرين، فكتب إليه: أما بعد، فانه من استهان بالأمانه، و رغب فى الخيانه، و لم ينزه نفسه و دينه، أخلّ بنفسه فى الدنيا، و ما يشفى عليه بعد امر و أبقى و أشقى و أطول، فخف الله. انك من عشيره ذات صلاح، فكن عند صالح الظن بك، و راجع ان كان حقا ما بلغنى عنك.

إلى أن قال: فلما جاءه كتابه عليه السلام و علم أنه قد علم حمل المال، و لحق بمعاويه (٣).

«و نزع يدك» كناية عن عزله عن البحرين «بلا- ذم لك و لا تثريب عليك» فى (الجمهره): التثريب: الأخذ على الذنب «فلقد أحسنت الولايه و أدت الأمانه» و يكفيه ذلك مدحا، و قد عرفت أن النعمان ألقى ولى بعده خان و اعطى قومه قدرا من بيت المال و حمل لنفسه قدرا.

ص: ٥٩٢

١-١) صحاح. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧٣:١٦، و [٢] شرح ابن ميثم ٩٤:٥.

٣-٣) تاريخ يعقوبى ٢٠١:٢. [٣]

«فأقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم» و الفرق بين الظنين و المتهم الفرق بين الظن و الوهم، فالظنين من الظن، و المتهم من الوهم «و لا مأثوم» أى: غير معدود عليك اثم من «أثم» بالفتح الذى متعدلا (اثم) بالكسر فإنه لازم.

و فى (الصحيح): «اثم» بالكسر وقع فى الذنب فهو آثم و أثيرم و اثوم، و اثمه الله فى كذا: أى عده عليه اثما، فهو مأثوم انشد الفراء:

فهل يأثمنى الله فى أن ذكرتها و عللت أصحابى بها ليله النفر

«فلقد» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «فقد» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١) «أردت المسير إلى ظلمه أهل الشام» .

فى (صفيين نصر): ان معاويه قال لشر حبيلى بن السمط- و كان مأمونا فى أهل الشام- ان هذا الأمر الذى قد عرفته لا يتم الا برضى العامه، فسر فى مدائن الشام و ناد فيهم ان عليا قتل عثمان، و انه يجب على المسلمين ان يطلبوا بدمه، فسار، فبدأ بأهل حمص، فقام خطيبا، فقال: أيها الناس، ان عليا قتل عثمان، و قد غضب لعثمان قوم، فقتلهم على و هزم الجميع و غلب على الأرض، فلم يبق الا الشام و هو واضع سيفه على عاتقه ثم خاض به غمار الموت، و لا نجد أحدا أقوى على قتاله من معاويه، فجدوا.

فأجابه الناس الانساک من أهل حمص، فانهم قاموا إليه و قالوا: بيوتنا قبورنا و مساجدنا، و أنت اعلم بما ترى. و جعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لا يأتى على قوم الا قبلوا ما آتاهم به (٢).

«و أحببت أن تشهد معى» و كان شهد معه الجمل.

و فى (تاريخ الطبرى): ان عليا عليه السلام لما أراد الخروج إلى حرب الجمل

ص: ٥٩٣

١- ١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٧٣: ١٦، [١] لكن فى شرح ابن ميثم ٩٣: ٥، [٢] مثل المصريه.

٢- ٢) وقعه صفيين: ٥٠. [٣]

قالت له ام سلمه: لو لا أن أعصى الله و انك لا تقبله منى لخرجت معك، و هذا ابني عمر و الله لهو أعز علي من نفسي يخرج معك فيشهد مشاهدك (١).

«فأنك ممن أستظهر به على جهاد العدو و اقامه عمود الدين إن شاء الله» لأنه كان مستبصرا فيه عليه السلام عارفا بحقه.

و روى ابن بابويه في (عيونه) عن سليم بن قيس استشهد عبد الله بن جعفر بجمع منهم عمر بن أبي سلمه سماعهم من النبي صلى الله عليه و آله نصه على الاثمه الاثني عشر بعده (٢).



الحكمه (٣٢٥)

وَ قَالَ ع لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ؟:

إِنَّ حُزْنَنا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُورِهِمْ بِهِ - إِلَّا أَنَّهُمْ نُقِصُوا بَغِيضاً وَ نُقِصْنَا حَبِيْباً وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ:

أقول: هكذا في (المصريه)، و زاد (ابن ميثم) بعد (محمد بن أبي بكر) «رضوان الله عليه» و كذا (ابن أبي الحديد) (٣).

و كيف كان فرواه المدائني و الطبري، فقالا: قدم الحجاج بن غزويه الأنصاري من مصر على علي عليه السلام فحدثه بما رأى و عاين و بهلاك محمد، و قدم عليه عبد الرحمن بن شيب الفزاري - و كان قد عينه بالشام - و حدثه أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص ترى يتبع بعضها بعضا بفتح مصر، و قتل محمد بن أبي بكر، و حتى آذن بقتله على

ص: ٥٩٤

١-١) لم اظفر عليه في اخبار الجمل في تاريخ الطبري [١] نعم رواه جمع من أصحاب التاريخ منهم سبط ابن الجوزي في تذكره الخواص: ٦٥. [٢]

٢-٢) عيون الاخبار ١: ٣٨ ح ٨. [٣]

٣-٣) ليس في نسختنا من شرح ابن ميثم ٥: ٤٠٤، هذه الزيادة و لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٣٧، «رضى الله عنه». [٤]

المنبر، وقال: قلما رأيت قوما قط أسرو ولا سرورا قط أظهر من سرور رأيتهم بالشام حين اتاهم هلاك محمد بن أبي بكر. فقال علي عليه السلام: أما ان حزننا عليه على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافا، و حزن عليه حتى رؤى ذلك في وجهه و تبين فيه ١.

«ان حزننا عليه على قدر سرورهم به» قال الشاعر:

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

قال المسعودي: بلغ عليا عليه السلام قتل محمد و سرور معاويه به، فقال:

جزعنا عليه على قدر سرورهم، و ما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعي عليه، كان لي ريبا و كنت أعده ولدا-إلى أن قال- و علي مثله نحزن، و عند الله نحسبه ٢.

و روى هيثم أن أسماء بنت عميس لما جاءها نعي محمد ابناها و ما صنع به قامت إلى مسجدها، و كظمت غيظها حتى تشخت دما ٣.

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي): لما بلغ ام حبيبه قتل محمد و تحريقه شوت كبشا و بعثت به إلى عائشه تشفيا بقتل محمد بطلب دم عثمان، فقالت:

قاتل الله ابنه العاهره، و الله لا أكلت شواء أبدا ٤.

«الا أنهم نقصوا بغیضا و نقصنا حبيبا» نقص يأتي لازما و متعديا و هنا متعد.

روى عن كثير النوا أن أبا بكر خرج في حياه النبي صلى الله عليه و آله في غزاه، فرأت

اسماء بنت عميس-و هي تحته-كأن أبا بكر متخضب رأسه و لحيته و عليه ثياب بيض،فجاءت إلى عائشه،فأخبرتها،فبكت و قالت:ان صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر خضابه دمه و ثيابه أكفانه،فدخل النبي صَلَّى الله عليه و آله و عائشه تبكي،فقال:

ما أبكاها؟فقالوا:أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر.فقال:ليس كما عبرت عائشه،يرجع أبو بكر صالحا،فتحمل منه أسماء بسلام تسميه محمدا يجعله الله غيظا على الكافرين و المنافقين (١).

هذا،و قيل ان زيادا قال لأبي الأسود:كيف أنت في حب عليّ،قال:كما أنت في حب معاويه،الا اني أطلب به الدار الآخرة،و أنت تطلب به حطام الدنيا، و مثلنا كما قال عمرو بن معديكرب:

خليطان مختلف شأننا احب العلاء و يهوى السمن

أحب دماء بني مالك و راق المعلى بياض اللبن

و في (المعجم):لما مات إسحاق الموصلي و بلغ المتوكل نعيه غمه و حزن عليه و قال:ذهب صدر عظيم من جمال الملك و بهائه و زينته،ثم نعي إليه بعده أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السلام فقال:

تكافأت الحالان قام الفرخ-بوفاه أحمد و ما كنت آمن و ثبته عليّ-مقام الفجيعة بإسحاق.

و في (الكامل) في سنه (٥٠٢):اصطلح عامه بغداد السنه و الشيعة، و السبب أن السلطان محمّد السلجوقي لما قتل ملك العرب صدقه-و كان يتشيع هو و أهل بيته-خاف شيعة بغداد أهل كرخهم و غيرهم،فشنع أهل السنه عليهم بأنهم نالهم غم و هم لقتله،فخاف الشيعة و أغضوا على سماع هذا و لم يزالوا خائفين إلى أن دخل شعبان،فتجهز السنه لزياره قبر مصعب

ص:٥٩٦

و اتفقوا على أن يجعلوا طريقهم في الكرخ، فأظهروا ذلك و اتفق رأى أهل الكرخ على ترك معارضتهم و كانوا قبل يمنعونهم (١).

و لما مات محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد عقدت الناصبه مجلس سرور لوفاته، لأنه كان شيع كثيرا من أهل السنه و بصرهم، حتى قال الخطيب الناصبي: هللك به خلق كثير إلى أن أراح الله المسلمين منه في سنه (٤١٣)، فجلس ابن النقيب للتهنئه بموته و قال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موته.

و روى (الطبرسي) ان الحجّه عليه السلام قال في موته:

لا صوّت الناعي بفقدك انه يوم على آل الرسول عظيم

و كان رحمه الله لم يعلم بعد هشام بن الحكم أذب عن المذهب منه (٢).

و قال ربيعه الاسدي في ابنه ذؤاب:

ان يقتلوك فقد هتكت بيوتهم بعتيه بن الحارث بن شهاب

بأحبهم فقدا على أعدائه و أشدّهم فقدا على الأصحاب

هذا، و في عنوان (٨) من فصل الغارات عنه عليه السلام: بلا ذم لمحمد بن أبي بكر، فلقد كان إلى حبيبا و كان لى ربيبا.

أيضا: و محمّد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد، فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا و عاملا كادحا و سيفا قاطعا و ركنا دافعا.

و في عنوان (٩) منه كتابه عليه السلام إلى ابن عباس بعد مقتله (٣).

ص: ٥٩٧

(١-١) كامل ابن الأثير ٤٦٩: ١٠، سنه ٥٠٢. [١]

(٢-٢) نقل الخوانساري في روضات الجنات ١٥٧: ٦، [٢] توقيعي الامام عليه السلام إلى الشيخ المفيد عن احتجاج الطبرسي ثم قال: «و حكى انه وجد مكتوبا على قبره بخط القائم عليه السلام هذا الشعر» و لم يوجد الشعر في الاحتجاج [٣] بل هذا من سهو نظر الشارح.

(٣-٣) راجع العوانين ٨ و ٩ من الفصل الرابع و الثلاثين.

و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله:

أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسَى تَطْهَرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ - وَ أَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ النَّائِمِ - وَ أَسِيدُ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمُخُوفِ - فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ - وَ اخْلَطِ الشَّدَّةَ بِضَغْثٍ مِنَ اللَّيْنِ - وَ ارْزُقْ مَا كَانَ الرَّفْقُ أَرْفَقَ - وَ اعْتَرِمْ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا يُعْنَى عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ - وَ اخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَيْكَ وَ ابْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ - وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَيْكَ - وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرِ وَ الْإِشَارَةِ وَ التَّحِيَّةِ - حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي خَيْفَتِكَ - وَ لَا يَيْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عِدْلِكَ وَ السَّلَامُ قَوْلُ الْمُصَنِّفِ: (و من كتاب له عليه السلام) ليس جميع عنوانه كتابا، بل إلى قوله «الثغر المخوف»، و أما قوله «فاستعن - إلى - الا الشده» فانما قاله عليه السلام شفاها، و أما قوله «و اخفض» إلخ، فأول عهده إلى محمد بن أبي بكر المذكور في العنوان (٢٧) من الكتب.

(إلى بعض عماله) المراد به مالك الأشر، و لم يتفطن له ابن أبي الحديد و ابن ميثم (١)، و كأن المصنف أيضا حيث أجمل، روى ما قلنا من كون العنوان إلى «المخوف» كتابا له عليه السلام إليه و إلى «الشده» كلاما له معه الطبرى و الثقفى.

ففى الأول بلغ علينا عليه السلام و ثوب أهل مصر على محمد بن أبي بكر فقال:

ما لمصر الا أحد الرجلين: صاحبنا الذى عزلناه عنها - يعنى قيس بن سعد - أو مال بن الحارث - يعنى الأشر - و كان على عليه السلام حين انصرف من صفين رد الأشر على عمله بالجزيره - و قد كان قد قال لقيس أقم معى على شرطتى

ص: ٥٩٨

حتى نفرغ من أمر هذه الحكومه، ثم اخرج إلى آذربيجان- ولما انقضى أمر الحكومه كتب عليّ إلى مالك- وهو يومئذ بنصيبين- (اما بعد فانك ممن أستظهر به على اقامه الدين، و أقمع به نخوه الاثيم، و أشد به الثغر المخوف، و كنت وليت محمّد بن أبي بكر مصر، فخرجت عليه بها خوارج، و هو غلام حدث ليس بذى تجربه للحرب و لا بمجرب للاشياء، فأقدم على لنظر في ذلك فيما ينبغي، و استخلف على عملك أهل الثقه و النصيحه من أصحابك، و السلام).

فأقبل مالك إلى عليّ عليه السّلام حتى دخل عليه، فحدثه حديث أهل مصر و أخبره خبر أهلها، و قال له «ليس لها غيرك، اخرج رحمك الله، فاني ان لم أوصك اكتفيت برأيك، و استعن بالله على ما اهمك، فاخلط الشده باللين، و ارفق ما كان الرفق أبلغ، و اعترم بالشده حين لا يغني عنك الا الشده».

فخرج الأشر من عند عليّ عليه السّلام، فأتى رحله، فتهيأ للخروج إلى مصر، و أتت معاويه عيونه و أخبروه بولايه عليّ للأشتر، فعظم ذلك عليه و قد كان طمع في مصر، فعلم أن الأشتر ان قدمها كان أشد عليه من محمّد بن أبي بكر، فبعث إلى الجايستار- رجل من أهل الخراج- ان الأشتر ولى مصر، فان أنت كفيته لم آخذ منك خراجا ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه، فخرج الجايستار حتى أتى القلزم و أقام به، و خرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار، فقال له: هذا منزل و هذا طعام و علف و أنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الأشتر، فأتاه الدهقان بعلف و طعام حتى إذا طعم أتاه بشربه من عسل قد جعل فيها سمًا فسقاه إياه، فلمّا شربها مات.

و أقبل معاويه يقول لأهل الشام: ان عليًا و جّه الأشتر إلى مصر، فادعو الله أن يكفيكموه، فكانوا كل يوم يدعون عليّ الأشتر، و أقبل الذي سقاه السمّ

إلى معاويه فأخبره بمهلك الأشر (١).

و رواه (غارات الثقفى) مثله، و نقله ابن أبى الحديد عنه فى العنوان (٦٧) من الخطب فى تقليد محمّد بن أبى بكر بمصر و غفل عنه هنا (٢).

و رواه المفيد فى (أماليه) مسندا عن هشام الكلبي، لكن فيه: ورد الخبر عليه عليه السّلام بمقتل محمّد بن أبى بكر، فكتب إلى مالك- إلى أن قال- «و كان حدثا لا علم له بالحروب فاستشهد رحمه الله فأقدم علىّ لنظر فى امر مصر» إلخ (٣).

و الظاهر زياده فقره «فاستشهد» وهما من بعض الرواه، فزاد المفيد أو غيره فى أول الخبر فقره «ورد الخبر عليه عليه السّلام بمقتل محمّد» لاتفاق غيره من الروايات على وفاه مالك قبل محمّد، و كتابه إلى محمّد بعد قتل مالك كما يأتى، و لعل فقره محرفه «ورد الخبر عليه بمقاتله العثمانيه مع محمّد».

قوله عليه السّلام «أما بعد، فانك ممن استظهر به على اقامه الدين» و يكفى ذلك الأشر جلاله، فكان رحمه الله ذا كفايه كافيه، فكان طرد أبى موسى عن ولايه الكوفه بعد عثمان مشكلا لغيره حتى لعمار.

ففى (تاريخ الطبرى): قال أبو مريم الثقفى: انى فى مسجد الكوفه و أبو موسى قائم على المنبر يثبط الناس و عمار يزجره إذ جاء غلمان أبى موسى يشتمون و قالوا هذا الأشر دخل و ضربنا و أخرجنا، فنزل أبو موسى عن المنبر يشتم و دخل القصر، فصاح به الأشر: اخرج أخرج الله نفسك انك لمن المنافقين قديما. فقال له: أجننى هذه العشيّه، فأجله إلى الليل، و أراد الناس نهب متاعه، فمنعهم الأشر (٤).

ص: ٦٠٠

١- (١) تاريخ الطبرى ٤:٧٠، سنه ٣٨. [١]

٢- (٢) الغارات ١:٢٥٨، و [٢] عنه شرح ابن أبى الحديد ٦:٧٤. [٣]

٣- (٣) امالى المفيد: ٧٩ ح ٤، المجلس ٩.

٤- (٤) تاريخ الطبرى ٣:٥٠١، سنه ٣٦. [٤]

«و أقمع به نخوه الاثيم» ففي (تاريخ الطبرى):لما وصل على عليه السلام فى مسيره إلى صفين إلى الرقه امتنعوا من عقد جسر له،فمضى ليعبر على جسر منبج،فقال لهم الأشر:اقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين و لم تجسروا له لا جردن فيكم السيف،ثم لأقتلن الرجال،و لاخربن الأرض،و لآخذن الأموال،فقال بعضهم لبعض:ان الأشر يفى بما حلف،فقالوا له ننصب لكم جسرا،فوقف الأشر حتى عبر جميع الناس ثم عبر هو (١).

«و أسد» من السداد بالكسر،قال الشاعر:

أضاعونى و أى فتى أضاعوا ليوم كريبه و سداد ثغر (٢)

«به لهاه» شبه لسان صغير فى أقصى سقف الفم «الثغر المخوف» كمصر،فقد عرفت أنه عليه السلام لما سمع باضطراب أمر مصر على محمّد بن أبى بكر قال:ليس له إلا قيس أو مالك (٣).

«فاستعن بالله على ما أهمك» فإنه على كل شىء قدير «و اخلط الشده بضغث» أى:بمقدار «من اللين و ارفق ما كان الرفق أرفق» فإن الأشخاص مختلفون،و بعضهم يلجون إذا لم يرفق بهم.

«و اعترم بالشده حين لا يغنى عنك الا الشده» كالأرذال،فانهم لا يغنى عنهم إلا الشده .

«و اخفض للرعيه» إلى آخر الشرح فى العنوان(٢٧)من الأصل.

ص:٦٠١

١- (١) تاريخ الطبرى ٥٦٣:٣،سنه ٣٦. [١]

٢- (٢) أورده لسان العرب ٢٠٧:٣، [٢]ماده(سد).

٣- (٣) رواه الثقفى فى الغارات ٢٥٦:١،و [٣]الطبرى فى تاريخه ٧١:٤،سنه ٣٨. [٤]

و من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر:

أَمَّا بَعِيدٌ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عِيداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ - لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ - وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْيَادِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ - أَشَدَّ عَلَى الْكُفَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ - وَ هُوَ؟ مَا لِكَ بِنِ الْحَارِثِ؟ أَحُو؟ مَدْحَج؟ - فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ - فَإِنَّهُ سَيُفِّ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ - لَا كَلِيلَ الطُّبِّهِ وَ لَا نَابِي الضَّرِيْبِهِ - فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفَرُوا فَانْفَرُوا - وَ إِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا - فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَ لَا يُخَجِّمُ - وَ لَا يُؤَخَّرُ وَ لَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي - وَ قَدْ آتَزْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ - وَ شَدَّهِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ أَقُولُ: نَذَكَرُ مُسْتَنْدَهُ أَخِيْرًا «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ» يَا أَهْلَ مِصْرَ «عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ» هُوَ فِي مَعْنَى أَنَّهُ مِنَ الْعِبَادِ لِلَّهِ «لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ» وَ قَالَ بَشَارٌ فِي عَمْرِ بْنِ الْعَلَاءِ:

إذا أيقظتك حروب للعدى فتنه لها عمرا ثم نم

فتى لا ينام على دمنه ولا يشرب الماء الا بدم

و قال البحترى فى يوسف بن أبى سعيد:

ماض إذا وقف المشهر لم يقف يقظ إذ هجع السها لم يهجع

و فى (الأغانى): قالت هند زوجة حجر آكل المرار فى وصف زوجها: ما رأيت رجلا قط أحزم منه نائما و مستيقظا، ان كان لتنام عيناه و بعض اعضائه حتى لا ينام، و كان إذا أراد النوم أمرنى أن اجعل عنده عسا مملوا لينا، فبينما هو ذات ليله نائم و أنا قريبه منه أنظر إليه أقبل اسود سالخ إلى رأسه فنحى رأسه، فمال إلى يديه و احداهما مقبوضه و الاخرى مبسوطه، فأهوى

إليها، فقبضها، فمال إلى رجليه و قد قبض واحده و بسط الاخرى، فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى العس شربه ثم مجه، فقلت: يستيقظ فيشرب، فيموت فأستريح منه، فانتبه من نومه فقال: عليّ بالاناء، فناولته، فشمه فاضطربت يداه حتى سقط الاناء فأهريق.

و فيه قال هشام: كانت الاوس قد اسندوا أمرهم يوم بعث إلى أبي قيس بن أسلت الوابلي، فقام في حربهم و آثرها على كل أمر حتى شحب و تغير، و لبث أشهراً لا يقرب امرأه، ثم انه جاء ليله فدق على امرأته ففتحت له، فأهوى إليها بيده فدفعته و أنكرته، فقال انا أبو قيس، فقالت: و الله ما عرفتك حتى تكلمت. فقال في ذلك:

قالت و لم تقصد لقليل الخنى مهلاً فقد أبلغت اسماعى

استكرت لونا له شاحبا و الحرب غول ذات أو جاع

من يذق الحرب يجد طعمها مرا و تتركه بجعجاع

قيل فى تأبط شرا:

إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل كأن من عينيه شجعان فاتك

و يجعل عينيه ربيته قلبه إلى سله من حد احضر باتك

و فى (تاريخ بغداد): قال الرشيد للمفضل الضبى: ان قلت أحسن ما قيل فى الذئب فلك هذا الخاتم الذى فى يدي و شراؤه الف و ستمائه دينار، فقال قول الشاعر:

ينام باحدى مقلتيه و يتقى بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

فقال له الرشيد: ما ألقى هذا على لسانك الا لذهاب الخاتم و حلق به إليه فاشترته ام جعفر بألف و ستمائه دينار و بعثت به إليه و قالت:

قد كنت أراك تعجب به، فألقاه إلى الضبى و قال له: خذه و خذ الدنانير

فما كنا نهب شيئا فنرجع فيه.

و في (العيون): ذكر اعرابي أميرا فقال: كان إذا ولي لم يطابق بين جفونه و أرسل العيون على عيونه، فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج، و المسيء خائف.

و قال البحتري:

هجر الهوينا و استعد لحربه ان المحارب للهوينا هاجر

«و لا ينكل» أي: لا يجبن «عن الأعداء ساعات الروع» بالفتح أي: الفزع قال حسان كما في ديوانه:

يجيب إلى الجلى و يحتضر الوغى اخو ثقه يزداد خير و يكرم

«أشد على الكفار» هكذا في (المصريه و ابن ميثم) و في (ابن أبي الحديد و الخطيه) (١) (على الفجار).

«من حريق النار» في (صفين نصر): خرج رجل من أهل الشام قلما رؤى أطول و أعظم منه، فدعا إلى المبارزه، فلم يخرج إليه انسان، و خرج إليه الأشر فقتله: فقال رجل منهم: أقسم بالله لا قتلن قاتلك، فحمل على الأشر فضربه، فإذا هو بين يدي فرسه و حمل أصحابه فاستنقذوه جريحا، فقال أبو رفيقه السهمي: كان هذا نارا فصادفت اعصارا (٢).

و في (تاريخ الطبري): كان الأشر يوم صفين يقاتل على فرس و في يده صفحه يمانيه إذا طأطأها خلت فيها ماء منصبا و إذا رفعها كاد يغشى البصر شعاعها، و جعل يضرب بسيفه و يقول «الغمرات ثم ينجلين»، فبصر به الحارث بن جهمان الجعفي و الأشر متقنع في الحديد، فدنا منه فقال له: جزاك

ص: ٦٠٤

١-١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٥٦:١٦، و [١] شرح ابن ميثم ٨٢:٥، «الفجار».

٢-٢) وقعه صفين: ١٩٦. [٢]

اللّه خيرا منذ اليوم عن أمير المؤمنين و جماعه المسلمين. فعرفه الأشتر فقال له: مثلك يتخلف عن مثل موطنى. فقال له: ما علمت بمكانك الا الساعة و لا أفارقك حتى أموت (١).

و فى (صفين نصر): قال إبراهيم بن الأشتر: كنت عند على عليه السّلام حين بعث إلى الأشتر ان يأتيه لما كان أهل الشام رفعوا المصاحف و قد أشرف على عسكر معاويه ليدخله، فقال الأشتر لرسوله: قل له: انى قد رجوت ان يفتح الله لى فلا تعجلنى، فما هو الا- أن علت الا-صوات من قبل الأشتر، و ظهرت دلائل الفتح و النصر لاهل العراق، و الخذلان على أهل الشام، فقال القوم له عليه السلام: و الله ما نراك الا أمرته بقتال القوم.

إلى أن قال: فقالوا له عليه السّلام لترسلن إلى الأشتر فليأتك أو لنقتلنك كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك، فأقبل الأشتر و صاح: يا أهل الذل و الوهن، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم ظاهرون رفعوا المصاحف- إلخ (٢).

و عن عماره بن ربيعه الجرمى: لما كتبت الصحيفة دعى لها الأشتر فقال: لا صحبتنى يمينى و لا نفعتنى بعدها شمالى ان كتب لى فى هذه الصحيفة اسم على صلح و لا موادعه، أو لست على بينه من ربي و يقين من ضلال عدوى، أو لستم قد رأيتم الظفران لم تجمعوا على الخور. فقال له الأشعث: انك ما رأيت ظفرا و لا خورا هلم فاشهد على نفسك، فانه لا رغبه بك عن الناس. فقال: بلى و الله ان بى لرغبه عنك فى الدنيا للدنيا و فى الآخرة للآخرة، و لقد سفك الله بسيفى هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندى و لا أحرم. فنظروا إلى الأشعث كأنما قضع على أنفه اللحم.

ص: ٦٠٥

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ١٥، سنة ٣٧. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٤٩٠. [٢]

ثم قال الأشر: ولكنى قد رضيت بما صنع أمير المؤمنين عليه السلام، ودخلت فيما دخل فيه، وخرجت مما خرج منه، فانه لا يدخل إلا فى هدى و صواب (١).

و فيه أيضا: مشى القوم ليله الهرير بعضهم إلى بعض بالسيف و عمد الحديد و الأشر يسير فيما بين الميمنه و الميسره، فإمر كل قبيله أو كتيبه من القراء بالاقدام على التى تليها، فاجتلدوا بالسيوف و عمد الحديد من صلاه الغداه إلى نصف الليل لم يصلوا صلاه، فلم يزل يفعل ذلك الأشر بالناس حتى أصبح و المعركه خلف ظهره، و افترقوا على سبعين ألف قتيل، ثم استمر القتال من نصف الليل الثانى إلى ارتفاع الضحى، و الأشر يقول لأصحابه و هو يزحف بهم نحو أهل الشام: ازحفوا قيد رمحى هذا، و إذا فعلوا قال: ازحفوا قاب هذا القوس، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى ملّ اكثر الناس الاقدام، فلما رأى ذلك قال: أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم.

ثم دعا بفرسه و ركز رايته و خرج يسير فى الكتائب و يقول: ألا من يشرى نفسه لله و يقاتل مع الأشر حتى يظهر أو يلحق بالله- إلى أن قال- فلما رأى على عليه السلام جاء الظفر من قبل الأشر أخذ يمدده بالرجال، و أقبل الأشر على فرس كميته محذوف قد وضع مغفره على قربوس السرج و هو يقول:

أصبروا، فقال رجل فى تلك الحال: أى رجل هذا لو كانت له نيه. فقال له صاحبه: و أى نيه أعظم من هذه ان رجلا فيما ترى قد سبح فى الدماء و ما أضجرتة الحرب، و قد غلت هام الكماه و بلغت القلوب الحناجر، و هو كما ترى جذا يقول هذه المقاله: اللهم لا تبقنا بعد هذا (٢).

«و هو مالك بن الحارث» بن عبد يغوث بن مسلمه بن ربيعه بن الحارث بن

ص: ٦٠٦

١-١) وقعه صفين: ٥١١. [١]

٢-٢) وقعه صفين: ٤٧٥-٤٨٠، و [٢] النقل بتقطيع.

جذيمه بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج كما في (ذيل الطبري) (١) «أخو مذحج» قال الجوهري: قال سيويه: الميم من نفس الكلمه. وقال الحموي: قال ابن الاعرابي: أقامت مذله بعد زوجها ادد بن زيد بن يشجب على ولديها منه مالك وطى و لم تزوج، فقيل: «اذحجت على ولدها» أى أقامت، فسمى مالك وطى مذحجا. وقال ابن الكلبي: ولد ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ مالكا و جلهمه، و هو طىء، و أمهما ذله، و هى مذحج، كانت قد ولدتهما عند اكمه يقال لها مذحج فلقبت بها، و يقال لولدها مالك وطى مذحج.

و قال ابن إسحاق: مذحج هو ابن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان، و لم يتابع على ذلك - إلخ (٢) - قلت: و تبعه الجوهري .

«فاسمعوا له و أطيعوا أمره فيما طابق الحق» قال ابن أبى الحديد: كان عليه السّلام من شده صلابته فى الدين لم يسامح نفسه فى حق أحب الخلق إليه ان يهمل هذا القيد، قال النبىّ صلّى الله عليه و آله: لا طاعه لمخلوق فى معصية الخالق (٣).

قلت: أمير المؤمنين عليه السّلام و شيعته لم ينتظروا أن يطيعهم الناس فى غير الحق على الفرض، و لما بعث عليه السّلام قيس بن سعد بن عباده إلى مصر خطبهم و قال لهم: أيها الناس إنّنا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا، فقوموا فبايعوا على كتاب الله و سنه رسوله، فان نحن لم نعمل بهما فلا بيعه لنا عليكم (٤).

«فانه سيف من سيوف الله» قال ابن أبى الحديد: هذا لقب خالد بن الوليد، و اختلف فيمن لقبه به، و الصحيح أنه لقبه به أبو بكر لقتاله

ص: ٦٠٧

١-١) منتخب ذيل المذيل: ١٤٨.

٢-٢) معجم البلدان ٥: ٨٩. [١]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١٥٨: ١٦. [٢]

٤-٤) رواه الثقفى فى الغارات ١: ٢١١. [٣]

أهل الردة و قتله مسيلمه (١).

قلت: لعمر الله ان خالدًا كان سيفًا لقتل عباد الله، فقتل مالك بن نويرة المؤمن غدرا و زنا بامرأته حتى سخر في ذلك فاروقهم صديقيهم، و قال له: هذا الذي سميت سيف الله حصل فيه رهق، و من العجب ان الأشتر الذي كان بتلك الدرجة في الشده على أعداء الدين، و في جهاد المنافقين، لا يسمونه بذلك، مع نص من كان مثل نفس النبي صلى الله عليه و آله بذلك، و يسمون من اتخذ إلهه هواه سيف الله.

«لا كليل الظبه» ظبه السيف طرفه، و كلها عدم تأثيرها.

«و لا نأبي الضريبه» نأبي الضريبه من لم تعمل ضربته في الضريبه، قال: «ليث يدق الاسد الهموسا- و الاقهبين الفيل و الجاموسا» و قال آخر:

حامى الحقيقه، نسال الوديقه، معتاق الوسيقه، لا نكس، و لا و كل.

«فأن أمركم أن تنفروا» أى: تشخصوا «فانفروا و ان أمركم أن تقيموا فأقيموا» لأنه لا يأمركم إلا بما فيه صلاحكم.

«فإنه لا يقدم و لا يحجم» بتقديم الجيم و الحاء على ما قال الجوهرى، فقال فى «حجم» اجحم عن الشىء كفف عنه مثل «أحجم». و قال فى «حجم»:

«حجمته فأحجم» أى كففته فكف، و هو من النوادر- إلخ.

و انما كان من النوادر لان القاعده كون «فعل» لازما و «أفعل» متعديا، و هو بالعكس.

«و لا يقدم و لا يؤخر إلا عن أمرى» فيجب عليكم اطاعته مثل «و قد آثرتكم» أى: اخترتكم «به على نفسى» لأنه كانت ملازمته له و حضوره عنده ذا آثار مهمه «لنصيحتة لكم و شدة شكيمته على عدوكم» فى (الصحاح): الشكيمه فى

ص: ٦٠٨

اللجام الحديد المعترضه في فم الفرس التي فيها الفاس، و فلان شديد الشكيمه إذا كان شديد النفس انفا ابيا، و فلان ذو شكيمه إذا كان لا ينقاد، قال عمرو بن شاس الاسدي يخاطب امرأته في ابنه عرار:

و ان عرارا ان يكن ذا شكيمه تعافينها منه فما أملك الشيم

و شكمت الوالى: إذا رشوته كأنك شددت فمه بالشكيم.

هذا، و وراه (تاريخ الطبرى) و (غارات الثقفى) و (أمالى المفيد)، روى الأول عن أبى مخنف و الثانى عن المدائنى باسنادهما عن مولى الأشر قال:

لما هلك وجدنا فى ثقله رساله على عليه السلام إلى أهل مصر: أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عبيد الله لا ينام أيام الخوف، و لا ينكل عن الاعادى حذار الدوائر، أشد على الكفار من حريق النار، و هو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له و أطيعوا، فانه سيف من سيوف الله لاناى الضريبه و لا كليل الحد، فان أمركم أن تقدموا فأقدموا، و ان أمركم أن تنفروا فانفروا، فانه لا يقدم و لا يحجم الا بأمرى، و قد آثرتكم به على نفسى لنصحى لكم و شده شكيمته على عدوكم، عصمكم الله بالهدى و ثبتكم على اليقين (١).

و روى الثانى أيضا و الثالث عن الشعبى عن صعصعه قال: كتب على عليه السلام إلى أهل مصر: أما بعد فانى قد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف، و لا ينكل عن الاعداء حذار الدوائر، لا ناكل من قدم، و لا واه فى عزم، من أشد عباد الله بأسا و اكرمهم حسبا، أضر على الفجار من حريق النار، و أبعد الناس من دنس أو عار، و هو مالك بن الحرث الأشر، لاناى الضريبه و لا كليل الحد، حلیم فى السلم رزين فى الحرب، ذو رأى أصيل و صبر جميل،

ص: ٦٠٩

(١ - ١) تاريخ الطبرى ٤: ٧٢، سنه ٣٨، و [١] الغارات ١: ٢٦٦. [٢]

فاسمعوا له و أطيعوا أمره، فان امركم بالنفر فانفروا-إلخ (١).

و رواه (الاختصاص) باسناده عن عبد الله بن جعفر، الا أنه خبر غير صحيح، حيث تضمن انه عليه السلام بعثه بعد قتل محمد بن أبي بكر، مع أن مالكا سم قبل محمد كما يأتي في الآتي، و نسبته إلى المفيد أيضا غير معلومه (٢).

١١

الكتاب (٣٤)

و من كتاب له عليه السلام: إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توّجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفي الأشتر في توّجهه إلى مصر قبل وصوله إليها:

أَمَا بَعِيدٌ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدُكَ مِنْ تَشْرِيحِ؟ الْأَشْتَرِ؟ إِلَى عَمَلِكَ - وَ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِجَابَةً لَكَ فِي الْجَهْدِ - وَ لَا أَزْدِياداً فِي الْجِدِّ - وَ لَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ - لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَثُونَهُ - وَ أَعْجَبُ إِلَيْكَ وَ لَإِيَهُ - إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيَّتُهُ أَمْرٌ؟ مَضِيرٌ؟ - كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا وَ عَلَى عَيْدُونَا شَدِيدًا نَاقِمًا - فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقِدِ اسْتِكْمَلَ أَيَّامَهُ - وَ لَأَقِي حِمَامَهُ وَ نَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ - أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ وَ ضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ - فَأَصْحِرْ لِعَدْوِكَ وَ امْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ - وَ سَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ وَ «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ» - وَ أَكْثِرِ الْإِسْتِغَاثَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ - وَ يُعِينِكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَقُولُ: رواه الطبري الطبري-تاريخ الطبري-ج ٤ ص ٧٢ و ٧٣، سنة ٣٨ و الثقفى الثقفى-الغارات-ج ١ ص ٢٦٧ مع جواب محمد، روى الأول عن أبي مخنف

ص: ٦١٠

١ - ١) الغارات ١:٢٦٠، و [١]أمالى المفيد: ٨١، المجلس ٩، و روايه الثقفى عن الشعبى عن صعصعه و روايه المفيد عن هشام الكلبى.

٢-٢) الاختصاص: ٧٩.

و الثاني عن المدائني، قال: لما بلغ محمد بن أبي بكر أن عليًا عليه السلام قد بعث الأشتر شقّ عليه، فكتب عليّ إلى محمد بن أبي بكر عند مهلك الأشتر - وذلك حين بلغه موجهه محمد لقدم الأشتر عليه - أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك، و اني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد، و لا ازديادا مني لك في الجهد، و لو نزع ما تحت يديك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك في المؤنه، و أعجب إليك ولايه منه ان الرجل الّذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحًا، و على عدونا شديدًا، و قد استكمل إيامه، و لا لقي حمامه، و نحن عنه راضون، فرضى الله عنه و ضاعف له الثواب، و أحسن له المآب، اصبر لعدوك، و شمر للحرب، و ادع إلى سبيل ربك بالحكمه و الموعظه الحسنه، و اكثر ذكر الله و الاستعانه به و الخوف منه، يكفك ما أهمك و يعنك على ما ولاك، اعاننا الله و اياك على ما لا ينال الا برحمته. و السلام عليك.

فكتب إليه محمد بن أبي بكر: أما بعد فاني فقد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين، ففهمته، و عرفت ما فيه، و ليس أحد من الناس بأرضى مني برأى أمير المؤمنين، و لا أجهد على عدوّه، و لا أرأف بوليه مني، و قد خرجت فعسكرت، و آمنت الناس، الا من نصب لنا حربًا، و أظهر لنا خلافاً، و أنا متبع أمر أمير المؤمنين، و حافظه، و ملتجىء إليه، و قائم به (١).

قول المصنّف: (و من كتاب له عليه السلام) إلخ، هكذا في (المصريه و ابن ميثم)، و لكن في (ابن أبي الحديد) «في توجهه إلى هناك»، بدل «في توجهه إلى مصر» (٢).

قول المصنّف: (أما بعد) هكذا في (المصريه)، و ليس كله في (ابن أبي

ص: ٦١١

١- ١) تاريخ الطبري ٤: ٧٢ و ٧٣، سنه ٣٨، و [١] الغارات ١: ٢٦٧. [٢]

٢- ٢) شرح ابن ميثم ٥: ٧٤، و شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٤٢. [٣]

الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (١)، فيعلم عدم وجوده في النهج.

«فقد» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «وقد» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) «بلغنى» و في (ابن أبي الحديد) «بلغتنى» (٣) «موجدتك» يأتي «وجد» لمعان و لكل مصدر، قال الجوهري: وجد مطلوبه وجوداً، و وجد ضالته وجداناً، و وجد في المال وجداً و وجداً و وجداً و جده أي: استغنى، و وجد في الحزن وجداً بالفتح، و وجد عليه في الغضب موجه.

«من تسريح» أي: ارسال «الأشتر إلى عمالك» حكومه مصر «و انى لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد» بالفتح و الضم «و لا ازديادا في الجدّ» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «و لا ازديادا لك في الجدّ» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

«و لو نزع ما تحت يدك من سلطانك» في مصر «لو ليتك ما هو أيسر عليك مؤنه و أعجب إليك ولايه» كما أنه عليه السلام لما عزل قيس بن سعد بن عباده عن مصر قال له: أقم معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومه-أي:

الحكمين-ثم أخرج إلى آذربيجان (٥).

«ان الرجل الذي كنت وليته أمر مصر» أي: الأشتر «كان رجلاً لنا ناصحاً و على عدونا شديداً ناقماً» أي: كارهاً، فلم يكن بعد عمّار مثل الأشتر في أصحابه عليه السلام.

و في (تاريخ الطبري): لما أخبر الذي سقى الأشتر السم، معاويه بمهلك

ص: ٦١٢

١- ١) كذا في شرح ابن ميثم ٥:٧٥، لكن توجد الكلمه في شرح ابن أبي الحديد ١٦:١٤٢.

٢- ٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦:١٤٢، و شرح ابن ميثم ٥:٧٤، مثل المصريه.

٣- ٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦:١٤٢، مثل المصريه.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦:١٤٢، و [١] شرح ابن ميثم ٥:٧٤. [٢]

٥- ٥) رواه الثقفى في الغارات ١:٢٥٧. [٣]

الأشتر قام معاويه خطيبا و قال: كانت لعلى يدان يمينان قطعت احدهما يوم صفين-يعنى عمارا-و قطعت الاخرى اليوم-يعنى الأشتر (١).

و فى (تاريخ الطبرى): بلغ معاويه بعد التحكيم ان علينا عليه السّلام يقنت فى صلاه الغداه و يلعنه مع عمرو و أبى الاعور و حبيب و عبد الرحمن بن خالد و الضحاك و الوليد، فكان إذا قنت لعنه مع الحسين و ابن عباس و الأشتر (٢).

و فى (عيون القتيبي): ذم رجل الأشتر فقال له قائل: اسكت فان حياته هزمت أهل الشام، و ان موته هزم أهل العراق.

و فى (أمثال الكرمانى): يحكى ان معاويه لما بلغه موت الأشتر قال:

واها ما أبردها على الفؤاد (٣).

«فرحمه الله» قال ابن أبى الحديد فى موضع آخر: قال عليه السّلام فى مالك بعد موته: رحم الله مالكا، فلقد كان لى كما كنت للنبيّ صلّى الله عليه و آله (٤).

«فلقد استكمل أيامه، و لاقى حمامه» بالكسر أى: الموت «و نحن عنه راضون، أولاه الله رضوانه و ضاعف الثواب له» .

قال ابن أبى الحديد: لست أشك ان الأشتر بهذه الدعوه يغفره الله، و يكفر ذنوبه، و يدخله الجنة، و لا فرق عندى بينها و بين دعوه النبيّ صلّى الله عليه و آله، و يا طوبى لمن حصل له من علىّ عليه السّلام بعض هذا (٥).

«فأصحر» من «أصحر» إذا خرج إلى الصحراء «لعدوك، و امض على بصيرتك، و شمّر لحرب من حاربك» من «شمّر اذ ياله للامر» إذا تأهب له «و ادع إلى

ص: ٦١٣

١- ١) تاريخ الطبرى ٤:٧٢، سنه ٣٨. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤:٥٢، سنه ٣٧. [٢]

٣- ٣) مجمع الامثال ٢:٣٦٢. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٥:٩٨. [٤]

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١٦:١٤٤. [٥]

سييل ربك» هو لفظ القرآن (١) «و اكثر الاستعانه بالله يكفك ما أهمك» لقدرته على كل شيء «و يعنك على ما نزل بك» هكذا في (المصريه)، و لكن في (ابن أبي الحديد و الخطيه) «ينزل بك» (٢) «ان شاء الله» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد)، و لكن في (ابن ميثم) (٣) «و السلام» و هو الأصح.

١٢

الحكمه (٤٤٣)

و قال عليه السلام و قد جاءه نعي الأشر:

مَا لِكُ؟ وَمَا لِكُ؟ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فَنِدًا - وَ لَوْ كَانَ حَجْرًا لَكَانَ صَيْدًا - لَا يَزْتَقِيهِ الْخِافِرُ وَ لَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ
قال؟ الرضى؟: الفند المنفرد من الجبال أقول: رواه موفقيات ٢ زبير بن بكار - موفقيات - الزبير بن بكار عن المدائني ١ المدائني -
كتاب المدائني - عن ابن الكلبي عن أبي مخنف عن نفيل بن علقمه بن قيس قال: دخلنا على أمير المؤمنين علي عليه السلام
صبيحه جاءه نعي الأشر، فلما نظر إلينا قال: رحم الله مالكا و ما مالك، لو كان من جبل لكان فندا، أو من حجر لكان صلدا، على
مثل مالك فلتبك البواكي، و هل يوجد مثل مالك. فما زال يتلهف عليه حتى كأنه المصاب به دوننا.

قول المصنّف: (و قال عليه السلام و قد جاءه نعي الأشر) مالك بن الحارث النخعي، في غارات الثقفى عن الشعبي: هلك الأشر
حين أتى عقبه أفيق.

و عن عاصم بن كليب عن أبيه ان عليا عليه السلام لما بعث الأشر واليا عليها و بلغ معاويه خبره بعث رسولا يتبع الأشر إلى مصر
و أمره باغتياله، فحمل

ص: ٦١٤

[١] - (١) النحل: ١٢٥. [١]

[٢] - (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤٢: ١٦. [٢]

[٣] - (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤٢: ١٦، و [٣] شرح ابن ميثم ٧٤: ٥. [٤]

معه مزودين فيهما شراب، و صحب الأشر فاستسقى الأشر يوماً فسقاه من أحدهما ثم استسقى يوماً آخر فأمنه و سقاه من الآخر و فيه سم، فمالت عنقه و طلب الرجل ففاته.

و عن مغيره الضبى ان معاويه دس للاشتر مولى لآل عمر، فلم يزل المولى يذكر للاشتر فضل على عليه السلام و بنى هاشم حتى اطمأن إليه و استأنس به، فقدم الأشر يوماً ثقله فاستسقى ماء فقال له مولى عمر: هل لك فى شربه سويق، فسقاه شربه سويق فيها سم فمات، و قد كان معاويه قال لاهل الشام لما دس إلى الأشر مولى عمر: ادعوا على الأشر، فدعوا عليه فلما بلغه موته قال: ألا ترون كيف استجيب لكم (١).

قوله عليه السلام «مالك و ما مالك» الظاهر ان «مالك» مبتدأ و جمله «و ما مالك» خبره لبيان عظم الأمر، مثل قوله تعالى: «الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَ ما أدراك ما الْحَاقَّةُ» (٢)، و قال زهير بن جديمه حين قتل ابنه شاس:

شاس و ما شاس، و الباس و ما الباس لو لا مقتل شاس لم يكن بيننا باس

ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يقدر على غنوى - و كان قتله غنوى - الا قتله.

«و الله» هكذا فى (المصريه) أخذنا من (ابن أبى الحديد)، و ليس فى (ابن ميثم) (٣).

«لو كان جبلا لكان فندا» فى (الجمهره): الفند: القطعه العظيمة من الجبل، و الجمع أفناد، و به سمى الفند الزمانى - من فرسان العرب - لعظم

ص: ٦١٥

١- ١) الغارات ١: ٢٦٢ و ٢٦٣. [١]

٢- ٢) الحاقه: ١- ٣. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٩٣: ٢٠، و [٣] شرح ابن ميثم ٤٥٥: ٥.

خلقه، قال الشاعر:

كأنه فند من الافناد

و قال شريح التغلبي:

و عنتره الفلحاء جاء ملاما كأنك فند من عمايه اسود

و فى (الأغانى): لقب سهل بن شيبان البكرى بالفند، شبه بالفند من الجبل القطعه منه لعظم خلقه، و شهد الفند حرب بكر و تغلب و قد قارب المائة فأبلى.

و قال ابن الكلبي: لما كان يوم التحالق أقبل الفند الزمانى إلى بنى شيبان و هو شيخ كبير قد جاوز مائه سنه و معه بنتان له شيطاتان من شياطين الانس، فكشفت احدهما عنها و تجردت و جعلت تصيح ببني شيبان و من معهم من بكر:

دعا دعا دعا حراً الجياد و البطا

يا حبذا المحلقون بالضحي

ثم تجردت الاخرى و أقبلت تقول:

ان تقبلوا نعانق و نفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

و قال أيضا: لحق الفند الزمانى رجلا من بنى تغلب يقال له مالك بن عوف قد طعن صبيا من صبيان بكر، فهو فى رأس قناته و هو يقول «يا ويس أم الفرخ»، فطعنه الفند و هو وراؤه مردف له، فأنفذهما جميعا و جعل يقول:

أيا طعنه ما شيخ كبير يفن بال

تعنيت بها اذكره الشكه امثالى

تقيم الماتم الاعلى على جهدوا عوال

ص: ٦١٦

و عن هشام قال: أرسلت بنو شيبان في محاربتهم بنى تغلب إلى بنى حنيفه يستنجدونهم، فوجهوا إليهم بالفند الزمانى فى سبعين رجلا و قالوا: انا قد بعثنا إليكم ألف رجل.

و يكفيه أنه كما فخرت أخت عمرو بن عبدود فارس يوم الخندق بكون أمير المؤمنين عليه السّلام قاتل أخيها، كذلك فخرت أخت عمرو بن يثربى الضبى فارس يوم الجمل، و قاتل زيد بن صوحان، و عمرو الجملى، و علباء السدوسى بكون الأشتر قاتل أخيها، فقالت:

لو غير الأشتر ناله لندبته و بكيته ما دام هضب ابان

لكنه من لا يعاب بقتله اسد الاسود و فارس الاقران

«و لو كان حجرا لكان صلدا» أى: صلبا، ذكر فقره «و لو كان حجرا لكان صلدا» (المصريه) أخذنا عن (ابن أبى الحديد)، و ليست فى (ابن ميثم) (1)، و لعل نسخه ابن أبى الحديد زادت بها من الروايات، فى (غارات الثقفى) عن أشياخ من النخع قالوا: دخلنا على على عليه السّلام حين بلغه موت الأشتر، فوجدناه يتلهف و يتأسف عليه ثم قال: لله درّ مالك، و ما مالك لو كان من جبل لكان فندا و لو كان من حجر لكان صلدا، و الله ليهدنّ موتك عالما و ليفرحن عالما، و على مثل مالك فلتبك البواكى، و هل مرجو كمالك و هل موجود كمالك. قال علقمه النخعى: فما زال عليه السّلام يتلهف و يتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا و عرف ذلك فى وجهه أياما (2).

«لا يرتقيه الحافر» أى: ذو حافر، أى: دابه.

ص: ٦١٧

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٩٣: ٢٠، و [١] شرح ابن ميثم ٤٥٥: ٥. [٢]

٢-٢) الغارات ٢٦٥: ١. [٣]

«و لا يوفى» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد)، و فى نسخه ابن ميثم (١) «و لا يرقى» «عليه الطائر» و الفقرتان كنايةتان عن علو مقامه.

و فى (تاريخ الطبرى): قيل لعلّى عليه السّلام بعد ما كتبت صحيفه التحكيم: ان الأشر لا يقر بما فيها، و لا يرى الا قتال القوم. فقال: و أنا و الله ما رضيت و لا أحببت أن ترضوا، و أما الذى ذكرت من ترك الأشر أمرى و ما أنا عليه، فليس من أولئك، و لست أخافه على ذلك، يا ليت لى فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى، اذن لخفت على مؤنتكم، و رجوت أن يستقيم لى بعض أودكم (٢).

و فى (غارات الثقفى): و لما بلغ عليّ عليه السّلام موت الأشر قال: انا لله و انا إليه راجعون و الحمد لله رب العالمين، اللهم انى أحسبه عندك، فان موته من مصائب الدهر. ثم قال: رحم الله مالكا فقد وفى بعهدده و قضى نجهه، و لقي ربه، مع أنا قد وطننا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبه بعد مصابنا برسول الله صلّى الله عليه و آله فانها من أعظم المصيبات (٣).

ص: ٦١٨

١- ١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢٠:٩٣، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥:٤٥٥، مثل المصريه أيضا.

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤:٤٢، [١] سنه الغارات ٣٧. [٢]

٣- ٣) ٢٦٤:١.

الفصل السادس عشر- فى أدعيته عليه السلام ١

العنوان ١ من الخطبه ١٧٦: «اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به منى...» ٣

العنوان ٢ من الخطبه ٢١٣: «الحمد لله الذى لم يصبح بى ميتا ولا سقيما...» ٦

العنوان ٣ من الخطبه ٢٢٣: «اللهم صن وجهى باليسار،...» ١٥

العنوان ٤ من الخطبه ٤٦: «اللهم إنى أعوذ بك من وعاء السفر...» ١٩

العنوان ٥ من الخطبه ٢٢٥: «اللهم إتك آنس الآنين لأولائك...» ٢٢

العنوان ٦ الحكمة ٢٧٦: «اللهم إنى أعوذ بك من أن تحسن فى لامعه العيون...» ٢٩

العنوان ٧ من الخطبه ٨٩: «اللهم أنت أهل الوصف الجميل و التعداد الكثير...» ٣١

العنوان ٨ من الكتاب ١٥: «اللهم أفضت إليك القلوب، ومدت الأعناق...» ٣٥

العنوان ٩ من الخطبه ٢١٠: «اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادله...» ٤٢

الفصل السابع عشر- فى وصفه عليه السلام لعجائب خلقه تعالى ٤٧

العنوان ١ من الخطبه ١٥٣: «و من لطائف صنعته و عجائب حكمته...» ٤٩

العنوان ٢ من الخطبه ١٦٣: «ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان و ساكن...» ٦٠

العنوان ٣ من الخطبه ١٨٣: «و لو فكروا فى عظيم قدره...» ٩٠

الفصل الثامن عشر- فى العلوم و مذمومها و ممدوحها ١٥١

العنوان ١ من الخطبه ٧٧: «أ تزعم أنك تهدى إلى الساعه التى من سار فيها...» ١٥٣

العنوان ٢ من الخطبه ٢٠٨: «انّ فى أيدى الناس حقًا و باطلا...» ٢٠١

العنوان ٣ من الخطبه ١٧: «انّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان...» ٢٩٨

العنوان ٤ من الخطبه ٨٥: «و آخر قد تسمّى عالما و ليس به...» ٣٢٦

العنوان ٥ الحكمة ١٨٣: «ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلاله» ٣٣٠

العنوان ٦ من الخطبه ١٨: «ترد على أحدهم القضيّه في حكم من الأحكام...» ٣٣٣

العنوان ٧ الحكمة ٢٠٥: «كلّ وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم...» ٣٥٣

العنوان ٨ الحكمة ٣٣٨: «العلم علمان: مطبوع و مسموع...» ٣٥٤

العنوان ٩ الحكمة ٩٢: «أوضع العلم ما وقف على اللسان...» ٣٥٥

العنوان ١٠ الحكمة ٣٦٦: «العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل...» ٣٥٨

العنوان ١١ الحكمة ٩٨: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايه لا عقل روايه...» ٣٥٩

العنوان ١٢ الحكمة ٣٧٢: «يا جابر، قوام الدين و الدّنيا بأربعة...» ٣٦٠

العنوان ١٣ الحكمة ٤٥٧: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، و طالب دنيا» ٣٦٦

العنوان ١٤ الحكمة ٤٧٨: «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ...» ٣٦٩

العنوان ١٥ الحكمة ٤: «نعم القرين الرّضى، و العلم وراثه كريمه...» ٣٧١

العنوان ١٦ الحكمة ٨١: «قيمه كلّ امرئ ما يحسنه...» ٣٧٩

العنوان ١٧ الحكمة ٨٢: «اوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط اللّيل...» ٣٨٤

العنوان ١٨ الحكمة ٢٧٤: «لا تجعلوا علمكم جهلا، و يقينكم شكّا...» ٣٩٠

العنوان ١٩ الحكمة ٢٨٤: «قطع العلم عذر المتعلّين...» ٣٩٢

العنوان ٢٠ الحكمة ٢٨٨: «إذا أرذل الله عبدا حظر عليه العلم...» ٣٩٤

العنوان ٢١ الحكمة ٣٨٢: «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم...» ٣٩٥

العنوان ٢٢ الحكمة ٩٠: «الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنط النّاس من رحمه الله...» ٣٩٦

العنوان ٢٣ الحكمة ١٧٢: «الناس أعداء ما جهلوا...» ٣٩٧

العنوان ٢٤ من الخطبه ١٥٢: «فليصدق رائد أهله و ليحضر عقله...» ٣٩٨

العنوان ٢٥ الحكمة ٧٣: «من نصب نفسه للناس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم...» ٤٠٢

الفصل التاسع عشر-فيما أرشد الثاني في مصالح الاسلام ٤٠٥

العنوان ١ من الخطبه ١٤٤: «أنّ هذا الأمر لم يكن نصره و لا خذلانه بكثره...» ٤٠٧

العنوان ٢ من الخطبه ١٣٢: «و قد توكل الله لأهل هذا الدين باعزاز الحوزه...» ٤٢٠

ص: ٤٢٠

الفصل العشرون-فى حبّه و بغضه عليه السّلام ٤٢٩

العنوان ١ الحكمه ٤٥:«لو ضربت خيشوم المؤمن...»٤٣١

العنوان ٢ الحكمه ١١٧:«هلك فى رجلاّن محبّ غال و مبغض قال»٤٤٣

-الحكمه ٤٦٩:«يهلك فى رجلاّن:محبّ مفرط و باهت مفتر»٤٤٣

الفصل الحادى و العشرون-فى شجاعته عليه السّلام و مهابته و مناعته ٤٦٣

العنوان ١ من الكتاب ٤٥:«و كأنى بقائلكم يقول إذا كان هذا...»٤٦٥

العنوان ٢ الحكمه ٣١٨:«ما لقيت رجلاّ إلاّ أعاننى على نفسه...»٤٨٨

العنوان ٣ من الخطبه ١٩٠:«أنا وضعت فى الصّغر بكلاكل العرب...»٤٩٥

العنوان ٤ من الكتاب ٣٦:«و أما ما سألت عنه من رأى فى القتال...»٤٩٩

الفصل الثّانى و العشرون-فى أوليائه عليه السّلام و أعدائه ٥٠٥

العنوان ١ من الكتاب ١٣:«و قد أمرت عليكما و على من فى حيزهما...»٥٠٧

العنوان ٢ من الكتاب ٣٩:«فإنّك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ...»٥١٣

العنوان ٣ من الخطبه ٨٢:«عجبا لابن التّابعه، يزعم لأهل الشّام...»٥٢٢

العنوان ٤ من الكتاب ٣٢:«و أرديت جيلا من النّاس كثيرا...»٥٤٨

العنوان ٥ من الخطبه ١٩٨:«و الله ما معاويه بأدهى منى...»٥٥٨

العنوان ٦ من الكتاب ٤٨:«و أنّ البغى و الزّور يذيعان بالمرء فى دينه...»٥٨٤

العنوان ٧ من الكتاب ٤٢:«أما بعد،فأنى قد وليت نعمان بن عجلان...»٥٩٠

العنوان ٨ الحكمه ٣٢٥:«إنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به...»٥٩٤

العنوان ٩ من الكتاب ٤٦:«أما بعد فإنّك ممّن استظهر به على إقامة الدّين...»٥٩٨

العنوان ١٠ من الكتاب ٣٨:«أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله...»٦٠٢

العنوان ١١ من الكتاب ٣٤: «أما بعد فقد بلغني موجدتك...» ٦١٠

العنوان ١٢ الحكمه ٤٤٣: «مالك و ما مالك، و الله لو كان جبلا...» ٦١٤

ص: ٦٢١

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩